
MILLET
1580
FEYZULLAH EF.




بیان وتبیین




MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : Feyzullah
ESKİ KAYIT No. 1580
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.
Mikrofilm Arşivi
No. 1481



1

يشتمل هذا السفر على جميع كتاب البيان والتبيين

تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رواية أبي جعفر

البغدادي

كتبه لنفسه بخطه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن حجاج

بن يوسف بن حجاج بن زهير اللخمي

من نعم الله تعالى على الفقير محمود ابن الشيخ عثمان الموستاري

أكمل الفقيه الحسيب النبيه الأديب أبو عمرو محمد بن يوسف بن محمد بن حجاج اللخمي وفقه الله جميع كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله وعارض كتابه بهذا الكتاب وفسرت له ما أشكل من معاني نثره ونظمه وشرحت له غريب لغته وبينت له مواضع بلاغته حسب اعتنائه بهذا الكتاب ومن أوله إلى آخره قراءة علي في العشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة والحمد لله حق حمده قاله وكتبه بخطه أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني في التاريخ المذكور حامدا الله تعالى ومصليا على جميع أنبيائه ومسلما

نقلت من خط الفقيه الأستاذ ...

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد النبي الكريم وسلم عوننا اللهم وتيسيرك

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب :

أعذني رب من حصر وعي … ومن نفس أعالجها علاجا

وقال الهذلي :

ولا حصر بخطبته إذا ما … حزت الخطب

وقال مكي بن سوادة :

حصر مسهب جريء جبان … خير عي الرجال عي السكوت

وقال الآخر :

مليء ببهر والتفات وسعلة … ومسحة عثنون وفتل الأصابع

ومما ذكروا من العي قوله :

وما بي من عي ولا أنطق الخنا … إذا جمع الأقوام في الخطب محفل

وقال الراجز وهو يمتح بدلوه :

علقت يا حارث عند الورد … بجابئ لا رمل الشد … ولا عيي بابتناء المجد

ومن هذا قول بشار الأعمى :

وعي الفعال كعي المقال … وفي الصمت عي كعي الكلم

ومن هذا المذهب شبيه بما ذهب إليه شتيم بن خويلد في قوله :

ولا يشعبون الصدع بعد تفاقم … وفي رفق أيديكم لذي الصدع شاعب

ومن هذا قول زبان بن سيار :

ولسنا كأقوام أجدوا رياسة … يرى ما لها ولا يحس فعالها

يريعون في الخصب الأمور ونفعهم … قليل إذا الأموال طال هزالها

وقلنا بلا عي وسسنا بطاقة … إذا النار نار الحرب طال اشتعالها

لأنهم يجعلون العجز والعي من الخرق كانا في الجوارح أو في الألسنة . وقال ابن أحمر الباهلي :

لو كنت ذا علم علمت وكيف لي … بالعلم بعد تدبر الأمر

وقالوا في الصمت كقولهم في المنطق قال أحيحة بن الجلاح :

والصمت أحسن بالفتى … ما لم يكن عي يشينه

والقول ذو خطل إذا … ما لم يكن لب يعينه

وقال محرز بن علقمة :

لقد وارى المقابر من شريك … كثير تحلم وقليل عاب

صموتا في المجالس غير عي … جديرا حين ينطق بالصواب

وقال مكي بن سوادة :

تسلم بالسكوت من العيوب … فكان السكت أجلب للعيوب

ويرتجل الكلام وليس فيه … سوى الهذيان من حشد الخطيب

وقال :

جمعت صنوف العي من كل وجهة … وكنت جديرا بالبلاغة من كثب

أبوك معم في الكلام ومخول … وخالك وثاب الجراثيم في الخطب

وقال الحميد بن ثور الهلالي :

أتانا ولم يعدله سحبان وائل … بيانا وعلما بالذي هو قائل

فما زال عنه اللقم حتى كأنه … من العي لما أن تكلم باقل

سحبان مثل في البيان وباقل مثل في العي ولهما أخبار . وقال آخر :

ماذا رزئنا منك أم الأسود … من رحلة حبيبة جم المنطق

وممن صاح بالبيان والعي وقال آخر :

لو صبت شيئا بين ما أنا مالك … تمل وجعلت شيئا من قول وبل

جبلة للباطل فدما قد شغل … كسلا عن عيالنا فلست أجل

أحجر الرجل الشيء … أي أخجره حريرا … لسنا كأقوام استحجروا … غني هج

تضجرا مني وعيا بالجميل . قال وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسي أي شيء أستر للعي قال عقل يجمله قالوا فإن لم يكن له عقل قال فمال يستره قالوا فإن لم يكن له مال قال فإخوان يعبرون عنه قالوا فإن لم يكن له إخوان يعبرون عنه قال فيكون عييا صامتا قالوا فإن لم يكن ذا صمت قال فموت وحي خير له من أن يكون في دار الحياة . وسأل الله موسى صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب واستراحته إلى كل شغب ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند وعلى كل محتال مكايد حين خبرنا بقوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . وقال موسى عليه السلام وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني وقال ويضيق صدري ولا ينطلق لساني رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس إليه أسرع وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل ويبلو أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ولكل زمان ضرب من المصلحة ونوع من المحنة وشكل من العبادة . ومن الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد والحبسة قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري إلى قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى فلم تقع الاستجابة على شيء من دعائه دون شيء لعموم الخبر وسنقول في شأن موسى عليه السلام ومسألته في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله . وذكر الله تعالى جميل بلائه في تعليم البيان وعظيم نعمته في تقويم اللسان فقال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان وقال هذا بيان للناس ومدح القرآن بالبيان والإفصاح وبحسن التفصيل والإيضاح وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ وسماه فرقانا كما سماه قرآنا وقال عربي مبين وقال وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقال وكل شيء فصلناه تفصيلا وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ومن بلاغة الألسنة واللدد عند الخصومة فقال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد وقال وتنذر به قوما لدا وقال ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وقال ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع وحسن منطقهم فقال وإن يقولوا تسمع لقولهم ثم قال ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا مع قوله وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل وقال الشاعر في قوم يحسنون في القول ويسيئون في العمل قال أبو وجزة … الأعمى الضبي :

كسالى إذا لاقيتهم غير منطق … يلهى به المحزون وهو عميد

وقيل لزهمان ما تقول في …

قال جوع وأحاديث وفي شبيه بهذا المعنى قال أفنون بن صريم التغلبي

لو أنني كنت من عاد ومن إرم غذيّ بهم ولقمان وذي جدن

لما وقوا بأخيهم من مهولة أخا السكون ولا جاروا عن السنن

أنى جزوا عامرًا سوءًا بفعلهم أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رئمان أنف إذا ما ضن باللبن. رئمان: أصله الرقة

والرحمة والرؤوم أرق من الرؤوف يقال رئمان أنف كأنها ترأم ولدها بأنفها وتمنعه اللبن. ولأن

العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الإكرام. وقالوا

تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة. وقال شاعرهم وهو حاتم الطائي

سلي الجائع الغرثان يا أم منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هل ابسط وجهي إنه أول القرى وأبذل معروفي له دون منكري. وقال الآخر

إنك يا ابن جعفر خير فتى وخيرهم لطارق إذا أتى ورب نضو طرق الحي سرى

صادف زادًا وحديثًا ما اشتهى إن الحديث جانب من القرى. وقال الآخر

لحافي لحاف الضيف والبرد برده ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع. ولذلك قال عمرو

بن الأهتم: فقلت له أهلًا وسهلًا ومرحبًا فهذا مبيت صالح وصديق. وقال الآخر

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب. ثم قال الله

تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب أم تأمرهم أحلامهم بهذا. وقال فاعتبروا يا أولي الأبصار

وقال انظر كيف ضربوا لك الأمثال. وقال وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال. وعلى هذا المذهب قال وإن

يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم. وقد قال الشاعر في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظرًا يزيل مواقع الأقدام. وقال الله تبارك وتعالى وما أرسلنا

من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهم وكلما

كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد والمفهم لك والمتفهم

عنك شريكان في الفضل إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم هكذا ظاهر هذه

القضية وجمهور هذه الحكومة إلا في الخاص الذي لا يذكر والقليل الذي لا يشهر. وضرب

الله مثلًا لعي اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان فقال أومن ينشأ في الحلية

وهو في الخصام غير مبين. ولذلك قال النمر بن تولب: وكل خليل عليه الرعاث والحبلات ضعيف ملق

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة

بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة والناس لا يعيرون الخرس

ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي فإن تكلفا مع ذلك مقامات

الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب. ومماتنة العي الحصر

للبليغ المصقع في سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق وأحدهما ألوم من صاحبه والألسنة إليه

أسرع. وليس اللجلاج والتمتام والألثغ والفأفاء وذو الحبسة والحكلة والرتة وذو اللففة والعجلة

في سبيل الحصر في خطبته والعيي في مناضلة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكي عند الخطباء

خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار. ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب

من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عيي يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لأهل

الاعتياد والدربة ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانًا يمازجه التزيد

إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي القح

وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ وفي التحبير والارتجال أنه البحر الذي لا ينزح والغمر

الذي لا يسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب أنه في مسلاخ التام الموفر والجامع المحكم. وإن كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد قال إياي والتشادق وقال أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون. وقال من

بدا جفا وعاب الفدادين والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ورحب الغلاصم وهدل

الشفاه وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر وفي أهل المدر أقل فإذا عاب المدري بأكثر مما عاب به

الوبري فما ظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي فالحصر المتكلف والعيي المتزيد ألوم من

البليغ المتكلف لأكثر مما عنده وهو أعذر لأن الشبهة الداخلة عليه أقوى. فمن أسوأ حالًا

أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشادق ومن الثرثار المتفيهق وممن ذكر النبي عليه السلام

نصًا وجعل النهي عن مذهبه مفسرًا وذكر مقته له وبغضه إياه. ولما علم واصل بن عطاء أنه

ألثغ فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع وأنه إذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه يريد

الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال وأن البيان

يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج

وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى

الجزالة والفخامة وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى إليه الأعناق وتزين به المعاني

وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى

الله نبيه موسى صلى الله عليه وسلم من التوفيق والتأييد مع لباس التقوى وطابع النبوة ومع

المحبة والاتساع في المعرفة ومع هدي النبيين وسمت المرسلين وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة

ولذلك قال بعض شعراء النبي عليه السلام: لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة

إلى أن حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحبسة وأسقط تلك المحنة ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان

وإسقاطا للحروف جعلوه مثلا في الفصاحة. ورام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله ويساجله، ويتأتى لستره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل. ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا، ولطرافته معلما، لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له. ولست أعني خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة، لأن ذلك يحتمل الصنعة، وإنما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان. واللثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء، والغين أقلها قبحا، وأوجد ما في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم. وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، فإذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء. وقد ذكره في ذلك أبو الطروق الضبي فقال:

عليم بإبدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يغلب الحق باطله

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها، وكان طويل العنق جدا، فلذلك قال بشار الأعمى:

ما لي أشايع غزالا له عنق ... كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا

وقال:

عنق الزرافة ما بالي وبالكم ... أتكفرون رجالا أكفروا رجلا

فلما هجا واصلا وصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين وقال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار

وجعل واصل بن عطاء غزالا، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل له: وعلي أيضا؟ فأنشد:

وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

قال واصل بن عطاء عند ذلك: أما لهذا الملحد الأعمى المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي. قال إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبد الكريم بن روح الغفاري: قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري: ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا وأنتما للذي تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام. ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث جعل المشنف بدلا من المرعث، والملحد بدلا من الكافر. وقال: لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء. وقال: لبعثت إليه من يبعج بطنه، ولم يقل لأرسلت إليه. وقال: على مضجعه، ولم يقل على فراشه. وكان إذا أراد أن يذكر البر قال: القمح أو الحنطة. والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية. هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة. قال المتنخل الهذلي:

لا در دري إن أطعمت نازلهم ... قرف الحتي وعندي البر مكنوز

وقال أمية بن أبي الصلت في مديح عبد الله بن جدعان:

له داع بمكة مشمعل ... وآخر فوق دارته ينادي

إلى ردح من الشيزى ملاء ... لباب البر يلبك بالشهاد

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معدي كرب ومقدمه مكة في كلمة له:

قيس أبو الأشعث بطريق اليمن ... لا يسأل السائل عنه ابن من

أشبع آل الله من بر عدن

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: أترون أني لا أعرف رقيق العيش؟

لباب البر بصغار المعزى. وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذ فقال: لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم. وقالت عائشة: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا. وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر. حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال: قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة. قال فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم. أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور، وقال الله عز وجل: ﴿وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾. وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية وتجمعون هذا الاسم على علالي، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿غرف من فوقها غرف مبنية﴾، وقال: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾. وأنتم تسمون الطلع الكافور والإغريض، ونحن نسميه الطلع، وقال الله عز وجل: ﴿ونخل طلعها هضيم﴾. فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا. ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخربز، ويسمون السميط الروذق، ويسمون المصوص المزور، ويسمون الشطرنج الأشترنج، في غير ذلك من الأسماء. وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة بال، وبال بالفارسية. ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب. ويسمي أهل الكوفة الحوك باذروج، والباذروج بالفارسية، والحوك كلمة عربية. وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة، ويسميها أهل الكوفة الجهارسوك، والجهارسوك بالفارسية. ويسمون السوق أو السويقة وازار، والوازار بالفارسية. ويسمون القثاء خيارا، والخيار فارسية. ويسمون المجذوم ويذي. وقد تستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج. والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا، وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر. وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك

في الشهرة

اللفظ والتمويه بعض من مواقع ... أن العامة ابن الفرية أشهر عندها في الخطابة من غيلان
واصل وعبيد الله بن الحر، ذكر عندهم في العز ومنه من بعض بني تميم، وكذلك من منهم في عنترة بن
شداد وعتيبة بن الحارث بن شهاب. ومنهم يضربون المثل بعمرو بن معدي كرب ولا يعرفون بسطام بن قيس وفي
القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة،
والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس. قال المطرّب: أنشدني ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل:

ويجعل البرّ قمحا في تصرّفه ... وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله ... فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر

قال: وسألت عثمان البري كيف كان واصل يصنع في العدد، كيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالقمر والبدر
ويوم الأربعاء وشهر رمضان، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة
ورجب؟ قال: ما لي فيه قول إلا ما قال صفوان: ملقّن ملهم فيما يحاوله ... جمّ خواطره جوّاب آفاق

وأنشدني ديسم قال أنشدني أبو محمد اليزيدي:

وخلّة اللفظ في الياءات إن ذكرت ... كخلّة اللفظ في اللامات والألف
وخصلة الراء فيها غير خافية ... فاعرف مواقعها في القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها والحاجة إليها أشد. واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم، فإنك متى حصّلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد.

ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزّال ومن نعى ثم اله عنه

فمن ذلك ما حدثنا به الأصمعي قال أنشدني المعتمر بن سليمان لإسحاق بن سويد العدوي: (إلى آخر)

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزّال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليًّا ... يردّون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصدّيق حبًّا ... به أرجو غدا حسن المآب

[هامش: الغزال واصل بن عطاء، وابن باب عمرو بن عبيد، وكان يرى رأي القدرية ويدعو إليه صح] [هامش: الثواب]

وفي ذلك قال بشار:
ما لي أشايع غزّالا له عنق ... كنقنق الدوّ إن ولّى وإن مثلا

وعن ذلك قول معدان الشميطي:

يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤم ... ويشفي بسامة الرجال
وعدي وتيمها وثقيف ... وأمي وتغلب وهلال
لا حرورا ولا النوابت تنجو ... لا ولا صحب واصل الغزّال

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفّر جميع الأمة. وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق:

أبا حذيفة قد أوتيت معجبة ... من خطبة بدهت من غير تقدير
وإن قولا يروق الخالدين معا ... لمسكت مخرس عن كل تحبير

[هامش: يعني بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة صح] [هامش: تعبير وتزوير في رواية أخرى]

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم. وقال بشار:

تكلّفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبّروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لمّا حفّ باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفّح والإغراق في الطلب

وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة:

فهذا بديهة لا كتحبير قائل ... إذا ما أراد القول زوّره شهرا

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية نفوه وبعدوه، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد. وقال صفوان الأنصاري:

متى كان غزّال له يا ابن حوشب ... غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر
أما كان عثمان الطويل بن خالد ... أو القرم حفص نهية للمخاطر
له خلف شعب الصين في كل ثغرة ... إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفلّ عزيمهم ... تهكّم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال مرّوا في الشتاء تطاوعوا ... وإن كان صيفا لم يخف شهر ناجر
بهجرة أوطان وبذل وكلفة ... وشدة أخطار وكدّ المسافر
فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم ... وأورى بفلج للمخاصم قاهر
وأوتاد أرض الله في كل بلدة ... وموضع فتياها وعلم التشاجر
وما كان سحبان يشق غبارهم ... ولا الشدق من حيّي هلال بن عامر
ولا الناطق النخّار والشيخ دغفل ... إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر
ولا القالة الأعلون رهط مكحّل ... إذا نطقوا في الصلح بين العشائر
بجمع من الجحفين راض وساخط ... وقد زحفت بزلاؤهم للتجاحر

الجحفان بكر وتميم، والزحفان بكر وتغلب، والغاران الأزد وتميم، قيل ذلك لكل جماعة من الناس، وفي الجمع وفي الغابر غار، والجمع أيضا فيه الغلبة.

تلقّب بالغزّال واحد عصره ... فمن لليتامى والقبيل المكاثر
ومن لحروري وآخر رافض ... وآخر مرجي وآخر جائر
وأمر بمعروف وإنكار منكر ... وتحصين دين الله من كل كافر
يصيبون فصل القول في كل منطق ... كما طبّقت في العظم مدية جازر
تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم ... على عمة معروفة في المعاشر
وسيماهم معروفة في وجوههم ... وفي المشي حجاجا وفوق الأباعر
وفي ركعة تأتي على الليل كله ... وظاهر قول في مثال الضمائر
وفي فتح هذا وانحناء شوارب ... وكور على شيب يضيء لناظر
وعنفقة مطلومة ولتغلية ... فبالأكن في رحب الحجور
فتلك علامات تحيط بوصفهم ... وليس جهول القوم في حزم عالم

وفي واصل يقول صفوان:
فما مسّ دينارا ولا صرّ درهما ... ولا عرف الثوب الذي هو قاطعه

وفيه يقول أسباط بن واصل الشيباني:
وأشهد أن الله سمّاك واصلا ... وأنت ميمون النقيبة والشيم

ولما قام بشار يعذر إبليس في أن النار خير من الأرض وذكر واصلا بما ذكره به قال صفوان:

زعمتَ بأن النارَ أكرمُ عنصراً وفي الأرض تحيى بالحجارة والزند
ويُخلق في أرحامها وأرومها أعاجيبُ لا تحصى بخطٍّ ولا عقد
وفي القعر من لجّ البحار منافعٌ من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
كذلك سرّ الأرض في البحر كله وفي الغيضة الغنّاء والجبل الصلد
ولا بدّ من أرض لكل مطيّرٍ وكل سبوح في الغمامر من جد
كذاك وما ينساح في الأرض ماشياً على بطنه مشي المجانب للقصد
ويسري على جلد يقيم حزوزه تعمّج ماء السيل في صبب حدر
وفي قلل الأجبال خلف مقطّم زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد
وفي الحرّة الرجلاء تلفى معادنٌ لهنّ مغاراتٌ تبجّس بالنقد
من الذهب الإبريز والفضة التي تروق وتصبي ذا القناعة والزهد
وكلّ فلزٍّ من نحاس وآنكٍ ومن زئبق حيٍّ ونوشادرٍ يسدي
وفيها زرانيخٌ ومكرٌ ومرتكٌ ومن مرقشيثا غير كابٍ ولا مكدي
وفيها ضروب القار والشبّ والمها وأصناف كبريتٍ مطاولةِ الوقد
ترى العرق منها في المقاطع لائحاً كما قدّت الحسناء حاشية البرد
ومن إثمدٍ جونٍ وكلسٍ وفضّةٍ ومن توتياء في معادنه هندي
وفي كل أغوار البلاد معادنٌ وفي ظاهر البيداء من مستوى نجد
وكلّ يواقيت الأنام وحليها من الأرض والأحجار فاخرة المجد
وفيها مقام الحلّ والركن والصفا ومستلم الحجاج من جنة الخلد
وفي صخرة الخضر التي عند حوتها وفي الحجر المنشقّ لموسى على عمد
وفي الصخرة الصماء تصدع آيةً لأمّ فصيلٍ ذي رغاءٍ وذي وخد
مفاخر للطين الذي كان أصلنا ونحن بنوه غير شكٍّ ولا جحد
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ وأوضح برهانٍ على الواحد الفرد
أتجعل عمراً والنظام وواصلاً كأتباع ديصان وهم قمش المد
وتفخر بالميلاء والعلج عاصمٍ وتضحك من جيد الرئيس أبي الجعد
وتعكي أبي الأقوام شنعة رأيه لتصرف أهواء النفوس إلى الرد
وتسميته الغزّال في الشعر مطنباً ومن دون ذاك عند الظلم فيه مزجد
يقول إن موالاة ملاح بل إن الملاحين الذي الغزالون بعوا المراد يد
فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمى وأبعد خلق الله من طرق الرشد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعده عليّاً وتعزو كلّ ذاك إلى برد

6

كأنك غضبان على الدين كله وطالب ذحلٍ لا يبيت على حقد
رجعت إلى الأمصار من بعد واصلٍ وكنت شريداً في التهائم والنجد
أتجعل ليلى الناعطية نحلةً وكلّ غبيٍّ في التناسخ والرد
عليك بعبدٍ والصدوف وقرتنا وجاضتني كسبٍ ورواملتي منبر
نوائب أقمارٍ وأنت مشوّهٌ وأقرب خلق الله من شبه القرد

ولذلك قال فيه حماد عجرد بعد ذلك: ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد. ويقال إنه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت. وذكره الشاعر وذكر أخويه لأمه فقال:
لعمرو ولدت الأم ان الأكيمه أعرجاً ثم مقطوع القفا ناقص العضد
وكانوا ثلاثة مختلفي الآباء والأم واحدة، وكلهم ولد زمناً، ولذلك قال بعض من يهجوه:
أو دامغاً الخال الأفعى ونكص ومحبته الأعراف فيه بالحمص
وقال الشاعر:
لا تشهرن مجارحي مطرب حتى ترى من تجلّه أفراسا
وقال صفوان الأنصاري في بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم:
ولدت خلداً وذيخاً في تشتّمه وبعده خززاً يشتدّ في الصعد
والخلد ضرب من الجرذان يولد أعمى، والذيخ ذكر الضباع وهو أعرج، والخزز ذكر الأرانب وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب في الصعد.
ثلاثة من ثلاث فرّقوا فرقاً فاعرف بذلك عرق الخال في الولد
وقال بعد ذلك سليمان الأعمى أخو مسلم بن الوليد الأنصاري في الشاعر في اختيار بشار لإبليس وهو يخبر عن كرم خصال الأرض:
لا بدّ للأرض إن طابت وإن خبثت من أن تحيل إليها كلّ مغروس
وتربة الأرض إن جيدت وإن قحطت فحملها أبداً في إثر منفوس
وبطنها بعلي الأرض ثم وخبر بكل جوهرةٍ في الأرض مرموس
والعلق جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك.
وكلّ آنيةٍ عمّت منافعها وكلّ متّسقٍ فيها وملبوس
وكلّ ما عونها كالملح منفعةً وكلّها مضحكٌ من قول إبليس
وقال بعض خلعاء بغداد:
عجبت من إبليس في كبره وخبث ما أبداه من نيّته
تاه على آدم في سجدةٍ وصار قوّاداً لذريته
وذكر هذا المعنى سليمان الأعمى أخو مسلم الأنصاري فقال:
يأبى السجود له من فرط نخوته وقد تحوّل في مسلاخ قوّاد
وقال صفوان في شأن واصل وبشار وفي شأن النار والطين في كلمة له:
وفي جوفها للعبد أسنى منازلٍ وفي ظهرها يقضي فرائضه العبد
تمجّ لفاظ الملح مجّاً وتصطفي سبائك لا تصدى وإن قدم العهد
ولسن بمحصٍ كنه ما في بطونها حسابٌ ولا خطٌّ وإن بلغ الجهد
فسائل بعبد الله في يوم حفله وذلك مقامٌ لا يشاهده وغد

أقام شبيبًا وابن صفوان قبله بقيل الخطيب لا يجانبه الفخر
وقام ابن عيسى ثم قفّاه واصل فأبدع قولًا ما له في الورى نظر
فما نقصته الراء إذ كان قادرًا على تركها واللفظ مطّرد سهر
ففضّل عبد الله خطبة واصل وضوعف في قسم الصلات له الشكر
فأقنع كل القوم شكر حبائهم وقلّل ما احتاز في غيظه الزمر

ولكنهما احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزّالًا، واحتجاج من دفع ذلك عنه، وزعم ماوله أن قول الناس واصل الغزال كما يقال خالد الحذاء، وكما يقولون هشام الدستوائي، وإنما قيل ذلك لأن النساء الإباضية كانت تبعث إليه من صدقاتها بثياب دستوائية، فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالجناب، فأجابوه إلى قول الإباضية، وكانوا قبل ذلك يدينون بالخنا، فأجابوه إلى التسوية، فقال المحيمين في ذلك:

إنا وجدنا الدستوائيينا ٭ الطامعين المتعبرينا
أفضل منكم حسبًا ودينا ٭ أخزى الإله المتجبرينا
أمكم من ينكح البحينا

وإنما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي، وكذلك كانت حال خالد الحذاء العقيلي، وكما قالوا أبو مسعود البدري لأنه كان نازلًا على ماء بدر، وقالوا أبو مالك الشيبي لأنه كان يبيع الخمر في سدّة المسجد. وهذا الباب مستقصى في كتاب الأسماء والكنى، وقد ذكرنا جملة منه في كتاب أبناء السراري والمهيرات.

ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها وهي أربعة أحرف

القاف والسين واللام والراء. فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط، لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها، وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم، وليس ذلك في شيء أكثر منها في لغة الخوز، وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصفير، فمن يستطيع أن يصور كثيرًا من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام. فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم أبي يكثوم، وكما يقولون بثرة إذا أرادوا بسرة، وبثم الله إذا أرادوا بسم الله. والثانية اللثغة التي تعرض للقاف، فإن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول قلت له قال طلت له، وإذا أراد أن يقول قال لي قال طال لي. وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء، فيقول بدل قوله اعتللت اعتييت، وبدل جمل جمي، وآخرون يجعلون اللام كافًا كالذي عرض لعمر أخي هلال، فإنه كان إذا أراد أن يقول ما العلة في هذا قال ما العكة في هكا. فأما اللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف، فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال عمي فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال عمغ فيجعل الراء غينًا، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال عمذ فيجعل الراء ذالًا،

وإذا أنشد قول الشاعر: واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد، قال: واستبذت مذة واحدة إنما العاجز من لا يستبذ، فمن هؤلاء علي بن الجنيد بن فريدي. ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة، فيقول إذا أنشد هذا البيت إذا أراد أن يقول: واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد، قال: واستبظت مظة واحدة إنما العاجظ من لا يستبظ. ومنهم من يجعل الراء غينًا معجمة، فإذا أراد أن ينشد: واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد، قال: واستبدت مغة واحدة إنما العاجز من لا يستبد، كما أن الذي لثغته بالياء إذا أراد أن يقول: واستبدت مرة واحدة، قال: واستبدت مية واحدة. وأما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء ولسليمان بن يزيد العدوي الشاعر فليس إلى تصويرها سبيل، وكذلك اللثغة التي تعرض في الشين كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر، فإن تلك أيضًا ليس لها صورة في الخط، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع، وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين كنحو لثغة شوشي صاحب عبد الله بن خالد الأموي، فإنه كان يجعل اللام ياء والراء ياء، قال مرة: مويّي ويي اليّ، يريد مولاي ولي الري. واللثغة في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لذي المروءة، ثم التي على الظاء، ثم التي على الذال، فأما التي على الغين فهي أيسرهن، ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه جهده وأحدّ لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها لم يك بعيدًا من أن تجيبه الطبيعة، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثرًا حسنًا. وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، وكان إذا شاء أن يقول عمرو ولعمري وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرًا واحدًا أن لسانك كان يستقيم. فأما من تعتريه اللثغ في الطاء وربما اعتراه أيضًا في الضاد والراء حتى إذا أراد أن يقول مضر قال مظي، فهذا وأشباهه يلحقون بشوشي. وزعم ناس من العوام أن موسى صلى الله عليه وسلم كان ألثغ، ولم يقفوا من الحرف الذي كانت تعرض له على شيء بعينه، فمنهم من جعل ذلك خلقة، ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون: لا تقتل طفلًا لا يعرف الجمر من التمر، فلما دعا له فرعون بهما جميعًا تناول جمرة فأهوى بها إلى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه. وأما اللثغة في الراء فتكون بالياء والذال والغين، وهي أقلها قبحًا وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم، وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، فإذا حمل على نفسه وقوّم لسانه أخرج الراء على الصحة، وكان يدع ذلك استثقالًا، أنا سمعت ذلك منه. قال: وكان الواقدي يروي عن بعض رجاله أن لسان موسى صلى الله عليه وسلم كانت عليه شامة فيها شعرات، وليس يدل القرآن على شيء مما قالوا، لأنه ليس في قوله ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ دليل على شيء دون شيء. قال الأصمعي: إذا تتعتع في التاء فهو تمتام، وإذا

تتعتع في الفأفاء فهو فأفاء. وأنشد لرؤبة بن العجاج: يا حمّ ذات المنطق التمتام
كأنّ وسواسك في اللمام * حديث شيطان بني هِنّام * يا حمّ ذات المنطق التمتام
وليس بين اللثغة والتمتام فرق إلا كما قال أبو الزحف: لست بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر في الكلام
وأنشد أيضاً للخولاني في كلمة له: إن السياط تركن لاستك منطقاً * كمقالة التمتام ليس بمعرب
فجعل الخولاني التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته. وقال أبو عبيدة: إذا أدخل الرجل
بعض كلامه في بعض فهو ألفّ، وقيل بلسانه لفف. وأنشد لأبي الزحف الراجز:
كأنّ فيه لففاً إذا نطق * من طول تحبيس وهمّ وأرق
كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلّمه وطال عليه ذلك أصابه لفف في لسانه. وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة بعد المقعطل يقال له الصموت، لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوي ولا يكاد يبين. وأخبرني محمد بن الجهم أن مثل ذلك اعتراه أيام محاربة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت. قال: وأنشدني الأصمعي:
حديث بني قرط إذا ما لقيتهم * كنزو الدبى في العرفج المتقارب
قال: والدبى: كان في كلامهم عجلة. وقال سلمة بن عياش:
كأن بني رألان إذ جاء جمعهم * فراريج يلقى بينهن سويق
فقاله لما أراد دقة أصواتهم وعجلة كلامهم. وقال اللهبي في الفجلاج:
ليس خطيب القوم بالفجلاج * ولا الذي يزحل كالمنباج
ورب بيداء وليل داج * مستكنة بالنفس والأزواج
وقال محمد بن سلام الجمحي: كان عمر بن الخطاب رحمه الله إذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد. ويقال في لسانه حُبسة إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام. ويقال في لسانه عُقلة إذا تعقّل عليه الكلام. ويقال في لسانه لُكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول. فإذا قالوا في لسانه حُكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرب معانيه إلا بالاستدلال. وقال رؤبة بن العجاج:
لو أنني أوتيت علم الحُكل * علم سليمان كلام النمل
وقال محمد بن ذؤيب في مديح عبد الملك بن صالح:
ويفهم قول الحُكل لو أن ذرة * تساود أخرى لم يفته سوادها
وقال التيمي في هجائه لبني تغلب:
ولكن حُكلاً لا تبين ودينها * عبادة أعلاج عليها البرانس
قال: وأنشد سحيم بن حفص في الخطيب الذي تعرض له النحنحة والسعلة، وذلك إذا انتفخ سحره وكبا زنده وتباطأ
فقال: نعوذ بالله من الإهمال * ومن كلال الغرب في المقال * ومن خطيب دائم السعال
وأنشد ابن الأعرابي:
إن زياداً ليس بالبكي * ولا بهيّاب كثير العيّ
وأنشد في بعض أصحابنا:
نادت هيدان والأبواب مغلقة * ومثل هيدان سنّى فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجّاب
وقال الآخر:
إذا الله سنّى عقد شيء تيسّرا
وقال بشر بن المعتمر في مثل ذلك:

ومن الكلام مقول متتعتع جم التنحنح متعب مبهور. وذلك أنه شهد زيدان أبا بجير بن ريسان يخطب، وقد شهدت أنا مثل هذه الخطبة، ولم أر جباناً قط أجرأ منه، ولا جريئاً قط أجبن منه. وقال الأسل الأزرقي من بعض أخوال عمران بن حطان الصفري العقدي في زيد بن جندب الإيادي خطيب الأزارقة، واجتمعا في بعض المحافل، فقال يعرض له بالأسل الذكري:
نحنح زيد وسعل * لما رأى وقع الأسل * ويله إذا ارتجل * ثم أطال واحتفل
وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي الخطيب الأزرقي في مرثيته لأبي دواد بن حريز الإيادي حيث ذكره بالخطابة، وضرب المثل بخطباء إياد فقال: كقس إياد أو لقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب
وزيد بن جندب هو الذي يقول في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة:
قل للمحلين قد قرّت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناساً على دين ففرقنا * قرع الكلام وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب
إني لأهونكم في الأرض مضطرباً * ما لي سوى فرسي والرمح من نشب
وأما عذرة المذكور في البيت الأول فهو عذرة بن حجيرة الخطيب الإيادي، ويدل على قدرهم وعلى قدره في اللسن والخطب قول شاعرهم:
وأي فتى صبر على الأين والظما * إذا اعتصروا للوح ماء فظاظها
إذا اضطجعوا ما ساعة بين ما بها * وحل لكوماء عقد شكاظها
وأنت الذي عالت إلى كل صاحب * وأنطق من قس غداة عكاظها
إذا شغب المولى مشاغب معشر * فعذرة فيها آخذ بكظاظها
فلم يضرب هذا الشاعر الإيادي المثل لهذا الخطيب الإيادي إلا برجل من خطباء إياد، وهو قس بن ساعدة. ولم يضرب صاحب مرثية أبي دواد بن حريز الإيادي المثل إلا بخطباء إياد فقط، ولم يعدهم إلى غيرهم حيث قال في عذرة بن حجيرة: كقس إياد أو لقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب
وأول هذه المرثية قوله:
نعى ابن حريز جاهل بمصابه * فعمّ نزاراً بالبكا والتحوب
نعاه لنا كالليث يحمي عرينه * وكالبدر يغشى ضوءه كل كوكب
وأصبر من عود وأهدى إذا سرى * من النجم في داج من الليل غيهب
وأذرب من حد السنان لسانه * وأمضى من السيف الحسام المشطب
زعيم بناد حلمها وخطيبها * إذا قام طلاع له كل مشغب
سليل قروم سادة ثم قادة * يبذون يوم الجمع أهل المحصب
كقس إياد أو لقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب
وإياهم عنى الشاعر بقوله:
يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء
قال: أخبرني محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي دابق، وكان شاعراً راوية وطلابة للعلم علامة، قال: سمعت أبا داود بن حريز يقول، وجرى شيء من ذكر الخطب وتحبير

الكلام واضطرابه وصعوبته خروج المقام وأمواله فقال تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب
عجز والتشادق من غير أهل البادية بغض والنظر في عيون الناس عي ومس اللحية هلك والخروج
مما بني عليه أول الكلام إسهاب . قال وسمعته يقول رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة
وجناحاها رواية الكلام وحليها الإعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه
وأنشد في مثاله في صفة خطباء إياد وهو قوله . يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء . فمدح كما ترى المبسوط في موضعه والمحذوف في موضعه والموجز
والكناية والوحي باللحظ ودلالة الإشارة . وأنشدني له الثقة في كلمة له معروفة
الجود أخشن مسا يا بني مطر من أن تبزكموه كف مستلب
ما أعلم الناس أن الجود مدفعة للذم لكنه يأتي على النشب . قال ثم لم يفطن بما قاله
مسلم بن الوليد الأنصاري أولاد عيبة له وكان أحد من يجيد في قريض الشعر وتحبير الخطب . وفي الخطباء
من يكون شاعرا ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا وربما كان خطيبا فقط وشاعرا
فقط وبين اللسان فقط . فمن الخطباء الشعراء الأنبياء الحكماء قس بن ساعدة الإيادي
والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم ومن يجمع الخطابة والشعر قليل . ومنهم عمرو بن الأهتم المنقري
وهو المكحل قالوا كأن شعره في مجالس الملوك حلل منشرة . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله قيل
للأوسية أي منظر أحسن قالت قصور بيض في حدائق خضر فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بيت عدي بن زيد العبادي . كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير
قال فقال قسامة بن زهير كلام عمرو بن الأهتم آنق وشعره أحسن مرا وقسامة أحد أنبياء العرب
ومن الخطباء الشعراء البعيث المجاشعي واسمه خراش بن بشر بن لبيد . ومن الخطباء الشعراء
الكميت بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل . ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي
وكنيته أبو نفر . قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت أنشدت الكميت قول الطرماح
إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد . قال فقال الكميت
إي والله وعنان الخطابة والرواية . ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح كان الكميت
عدنانيا عصبيا وكان الطرماح قحطانيا عصبيا وكان الكميت شيعيا من الغالية وكان الطرماح
خارجيا من الصفرية وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام وبينهما
مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض
ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه ولم ير الناس مثلهما إلا ما ذكروا من حال عبد الله بن يزيد الإباضي
وهشام بن الحكم الرافضي فإنهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة وقد كانت الحال بين خالد
بن صفوان وشبيب بن شيبة الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمحاسدة للذي اجتمع
فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة فكان يقال لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والأسد

وكذلك كانت حال هشام بن الحكم الرافضي وعبد الله بن يزيد الإباضي إلا أنهما أفضلا على سائر المتضادين بما
صارا إليه من الشركة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال ليس له صديق
في السر ولا عدو في العلانية فلم يعارضه شبيب وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب
الأشراف . ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته أبو شهاب أحد بني عمرو بن شيبان أخو
سدوس فمن بني عمرو بن شيبان مع قلتهم من العلماء والشعراء والخطباء عمران بن حطان رئيس
القعدة من الصفرية وصاحب فتياهم ومفزعهم عند اختلافهم . ومنهم دغفل بن حنظلة النسابة
والخطيب العلامة . ومنهم القعقاع بن شور وسنذكر شأنهم إذا انتهينا إلى موضع ذكرهم إن
شاء الله . ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بني ليث بن بكر صاحب خراسان وهو يعد في أصحاب
الولايات وفي الحروب وفي التدبير وفي العقل وشدة الرأي . ومن الخطباء الشعراء زيد بن جندب
الإيادي وقد ذكرنا شأنه . ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سحبان الباهلي وسحبان هو
سحبان وائل وهو خطيب العرب . ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنازع إليه الأشراف أعشى
همدان . ومن الشعراء الخطباء عمران بن عصام العنزي وهو الذي أشار على عبد الملك بخلع أخيه
عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة وهو الذي لما بلغ
عبد الملك قتل الحجاج له قال ولم قتله ويله ما كان أرعى له . فقوله فيه
وبعثت من ولد الأغر معتب صقرا يلوذ حمامه بالعرفج . فإذا طبخت بناره أنضجتها وإذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر إذا أراد فريسة لم ينجها منه صياح المهجهج . **ومن خطباء الأمصار** وشعرائهم والمولدين
منهم بشار الأعمى وهو بشار بن برد وكنيته أبو معاذ أحد موالي بني عقيل فإن كان مولى أم
الظباء على ما يقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد فهو من موالي بني سدوس ويقال إنه من أهل
خراسان نازلا في بني عقيل وله مديح كثير في فرسان أهل خراسان ورجالاتهم وهو الذي يقول
من خراسان وبيتي في الذرا ولدى المسعاة فرعي قد بسق . وكان شاعرا راجزا سجاعا
خطيبا وصاحب منثور ومزدوج وله رسائل معروفة وأنشد عقبة بن رؤبة عقبة بن سلم رجزا
يمتدحه به وبشار حاضر فأظهر بشار استحسان الأرجوزة فقال عقبة بن رؤبة هذا طراز يا أبا معاذ
لا تحسنه فقال بشار ألمثلي يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ثم غدا على عقبة
بن سلم بأرجوزته التي أولها . يا طلل الحي بذات الصمد . بالله خبر كيف كنت تعهد
وهي التي يقول فيها . اسلم وحييت أبا الملد . لله أيامك في معبد . وفيها يقول
الحر يلحى والعصا للعبد . وليس للملحف مثل الرد . وفيها يقول . وصاحب كالدمل الممد
حملته في رقعة من جلدي . ذهب إلى قول الشاعر
لقد كنت في قوم عليك أشحة بنفسك لولا أن من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم ولا يدفع الموت النفوس الشحائح

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة . وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسلما الخاسر وخلف بن خليفة وأبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم . ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دل وإشارة عيسى بن يزيد بن دأب أحد بني ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد . ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الأنصاري وأشباههما وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة والعتابي من ولد عمرو بن كلثوم ولذلك قال

إن امرءا همه أثناء قتاره ما ترى في اختلاج ما بين الأثام من حكم

أيام عمرو بن كلثوم يسوده حيا ربيعة والأفناء من مضر
أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطلها الرامي من الوتر

ودل في هذه القصيدة على أنه كان قصيرا قوله

تهزا ضراب الغواني عن مواصلتي ما يعجل العين من شيب ومن قصر

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المخلدة والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة سهل بن هارون بن راهيوني الكاتب صاحب كتاب ثعلة وعفرة في معارضة كتاب كليلة ودمنة وكتاب الإخوان وكتاب المسائل وكتاب المخزومي والهذلية وغير ذلك من الكتب . ومن الخطباء الشعراء علي بن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة وكان يكنى أبا الحسن . وسنذكر كلام قيس بن ساعدة وشأن لقيط بن معبد وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس وخطباء إياد إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله . ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قيس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو رواه لقريش والعرب وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب قاطبة وكذلك ليس لأحد في ذلك مثل الذي لبني تميم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر قال إنه مانع لحوزته مطاع في أدنيه فقال الزبرقان أما إنه قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي فقال عمرو أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن زمر المروءة لئيم الخال حديث الغنى فلما رأى أنه قد خالف قوله الآخر قوله الأول ورأى الإنكار في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك

إن من البيان لسحرا فهاتان الخصلتان خصتا بهما إياد وتميم دون جميع القبائل . ودخل الأحنف بن قيس على معوية بن أبي سفين فأشار له إلى الوساد فقال له اجلس فجلس على الأرض فقال معوية ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد فقال يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال لا تغش السلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فإنه عسى أن يأتيه من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعله أن يأتيه من هو أولى بذلك المجلس مني فقال معوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلام وأنشد يقول

يا أيها السائل عما مضى وعلم هذا الزمن العائب
إن كنت تبغي العلم أو أهله أو شاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وذهب الشاعر في مرثية أبي دواد في قوله

وأصبر من عود وأهدى إذا سرى من النجم في داج من الليل غيهب

إلى تشبيه بقول جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال كان والله لا يضل حتى يضل النجم ولا يعطش حتى يعطش البعير ولا يهاب حتى يهاب السيل وكان والله خير ما كان يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا . وكان زيد بن جندب أشغى أفلج ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة . وقال عبيدة بن هلال اليشكري في مجابة له

أشغى عقنباة وناب ذو عصل وقلح باد وسن قد نصل

وقال عبيدة أيضا وفيه

ولو كان أشغى حين ينطق فاغرا من الفيح قد أضحى بسيرا

وقال الكميت

تشبه في الهام آثارها مشافر قرحى أكلن البريرا

وقال الحول الثمري بن تولب في شنعة أشداق الجمل

كم ضربة لك تحكي فاقراسية من المصاعب في أشداقه شنع

وفي الخطباء من كان أشغى ومن كان أروق ومن كان أشدق ومن كان أفقم وفي كل ذلك قد روينا الشاهد والمثل . وقد روى الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت خصلة تذم في رجل إلا وقد رأيتها فيه كان صعل الرأس أحجن الأنف أغضف الأذن متراكب الأسنان أشدق مائل الذقن ناتئ الوجنة باخق العين خفيف العارضين أحنف الرجلين ولكنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه . ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضا لمنعه ولولا أنه لم يجد بدا من أن يجعل له شيئا على حال لما أقر بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه . وقولنا في كلمته هذه كقول مثنى بنت عفنة حين أتاها نعي يزيد بن أبي سفين وقال لها بعض المعزين إنا لنرجوا أن يكون في معوية خلف من يزيد فقالت ومثل معوية يكون خلفا من أحد فوالله أن لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمي به فيها لخرج من أي أعراضها شاء ولكنا نقول المثل الأحنف يقال إلا أنه إذا تكلم جلى عن نفسه

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات

قال ابن الأعرابي طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال

لثغاء تأتي بحيفس ألثغ تميس في الموشي والمصبغ

وأنشد ابن الأعرابي كلمة جامعة لكثير

هو الكثير الكلام
وقيل هو القصير

من معدن المعاني وهو قول الشاعر: اسكت ولا تنطق فأنت خبخاب . كلّك ذو عيب وأنت عيّاب
ابن صدق القوم فأنت كذّاب . إذ نطق القوم فأنت متياب . أو سكت القوم فأنت قبقاب
أو قدموا يوما فأنت وجّاب . وأنشد: ولست بمفحمة في الهراش وجّابة يحتمي أن يجيبا
ولا ذي قلازم عند الحياض إذا ما الشريب أراد الشريبا . وأنشد:
ربّ غريب ناصح الجيب وابن أب متّهم الغيب . وربّ عيّاب له منظر مشتمل الثوب على العيب
وأنشد: وأجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب . وقال سهل بن هارون:
لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف وتكميل جمال البيان لما نزع ثناياه.
وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في سهيل بن عمرو الخطيب: يا رسول الله انزع ثنيّتيه السفليين
حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا. وإنما قال ذلك لأن سهيلا كان أعلم من شفته السفلى.
وقال خلّاد بن يزيد الأرقط: خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام وكان في كلامه صفير
يخرج من موضع ثناياه المنزوعة، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه إلا أنه فضله
بحسن المخرج والسلامة من الصفير، فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد
لسلامة أسنانه فقال في كلمة له: قلت قوادحها وتمّ عديدها فله بذاك مزيّة لا تنكر
وترى صحّت مخارجها وتمّ حروفها . المرئية الأعيلة . وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل
البصرة قال: قال يونس بن حبيب في تأويل قول الأجنع بن قيس:
أنا ابن الزافرية أرضعتني بثدي لا أجدّ ولا وخيم . أتمّتني فلم تنقص عظامي ولا صوتي إذا اصطكّ الخصوم
قال: إنما عنى بقوله عظامي أسنانه التي في فمه وهي التي إذا تمّت تمّت الحروف وإذا نقصت نقصت الحروف.
وقال يونس: وكيف يقول مثله: أتمّتني فلم تنقص عظامي، وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين
وهو أحنف من رجليه جميعا مع قول الحتات له: والله إنك لضئيل وإن أمك لورهاء، وكان أعرف
بمواقع العيوب وأبصر بفحشها وجليلها، وكيف يقول ذلك وهو نصب عيون الأعداء والشعراء الأكفاء
وهو أنف مضر الذي تعطس عنه وأنيس العرب والعجم قاطبة. قالوا: ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة
منذ سقطت ثناياه في الطست. قال أبو الحسن وغيره: لما شقّ على معاوية سقوط مقادم فمه قال له
يزيد بن معن السلمي: والله ما بلغ أحد سنّك إلا أبغض بعضه بعضا، ففوك أهون علينا من سمعك
وبصرك. فطابت نفسه. وقال أبو الحسن المدائني: لما شدّ عبد الملك أسنانه بالذهب قال: لولا المنابر
والنساء ما باليت متى سقطت. وسألت مباركا الزنجي الفأشكار، ولا أعلم زنجيا بلغ في الفشكار
مبلغه، فقلت: لم تنزع الزنج ثناياها ولم يحدّد ناس منهم أسنانهم؟ فقال: أما أصحاب الحدّ فللقتال
وللنهش، ولأنهم يأكلون لحوم الناس، ومتى حارب ملك ملكا فأخذه قتيلا أو أسيرا أكله، وكذلك
إذا حارب بعضهم بعضا أكل الغالب منهم المغلوب. وأما أصحاب القلع فإنهم قالوا: نظرنا إلى مقادم
أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم، وكم تظنّهم جعلهم الله بمقادير من

المنافع العظام يفقدها الثنايا. وفي هذا كلام يقع في كتاب الحيوان. وقال أبو الهندي في الألثغ:
سقيت أبا المطرّح إذ أتاني وذو الرعثات منتصب يصيح . شرابا يهرب الذبّان عنه ويلثغ حين يشربه الفصيح
وقال محمد بن عمرو الرومي مولى أمير المؤمنين: قد صحّت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع
الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر
وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد أن بقي
منها الثلث أو الربع. فممن سقط جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد بن هشام القحذمي صاحب
الأخبار، ومنهم أبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي وكان ذا بيان ولسن، وكان عبيد الله بن أبي غسّان
ظريفا يعبث بلسانه كيف أحبّ، وكان الإلحاح على العضّ قد درم أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئا
إلا أن يتطلّع في لحم اللثة وفي أصول مغارز الأسنان. وكان سفيان بن الأبرد الكلبي كثيرا ما يجمع
بين القلح والخلل فتساقطت أسنانه جمع، وكان في ذلك خطيبا بيّنا. وقال أهل التجربة: إذا كان في اللحم
الذي فيه مغارز الأسنان تشمير وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان، وإذا وجد اللسان من جميع
جهاته شيئا يقرعه ويصكّه ولم يمرّ في هواء واسع المجال، وكان لسانه يملأ جوبة فيه لم يضرّه سقوط
أسنانه إلا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل. ويؤكّد ذلك قول صاحب المنطق فإنه زعم في كتاب
الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأحكى لما يلقّن
ولما يسمع، كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك، وكالذي يتهيّأ من أفواه السنانير
إذا تجاوبت من الحروف المقطّعة المشاركة لمخارج حروف الناس. فأما الغنم فليس يمكنها أن تقول
إلا ما، والميم والباء أوّل ما تتهيّأ في أفواه الأطفال كقولهم ماما وبابا، لأنهما خارجان من عمل اللسان
وإنما يظهران بالتقاء الشفتين. وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهتم
من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة. فأما الضاد فليس تخرج إلا من الشقّ الأيمن إلا أن يكون
المتكلّم أعسر يسرا مثل عمر بن الخطاب رحمه الله فإنه كان يخرج الضاد من أيّ شدقيه شاء. فأما الأيمن
والأعسر والأضبط فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد. وكذلك الأنفاس مقسومة على
المنخرين فهي لا تكون إلا في واحد، ودفع البخار من الجوف من الشقّ الأيمن وحاله يكون من الشقّ الأيسر
ولا يجتمعان على ذلك في وقت إلا أن يستكرهه ذلك مستكره أو يتكلّفه متكلّف، فأما إذا ترك أنفاسه
على سجيّتها لم يكن إلا كما قالوا. قالوا: والدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له
قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الأنصار فقال له: أرادّي أنت إلى الكفر بعد الإيمان
لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه، ولكني سأدلّك على غلام في الحيّ كافر
كأنّ لسانه لسان ثور، يعني الأخطل. وجاء في الحديث أن الله تبارك وتعالى يبغض الرجل يتخلّل
بلسانه كما تتخلّل الباقرة الخلى بلسانها. قالوا: ويدلّ على ذلك قول حسّان بن ثابت حين قال له النبي
صلى الله عليه وسلم: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثم قال: والله

أن لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه وما تيسر في به مقول من معد . وأبو السمط مروان بن
أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة وأبوه وابنه في نسق واحد يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف
أنفهم . وتقول الهند لو لا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ في لسانه
كثير من الحروف المقطعة المعروفة وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة
عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين في ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحاه جميعا أجدر
أن يطير من الذي يكون أحد جناحيه وافرا والآخر مقصوصا قالوا وعلة ذلك التعديل والاستواء
وإذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يجد ولم يطر . والقطا من الطير قد يتهيأ
من أفواهها أن تقول قطا قطا وبذلك سميت ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفاءات والواوات
كنحو قولها وو وو وكنحو قولها عف عف . قال المثنى بن عربي قيل لصبي من أبوك قال
وو وو لأن أباه كان يسمى كلبا ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم
للسين واستعمال الجرامقة للعين . قال الأصمعي ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسرياني
ذال . ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها
إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر . وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد
فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن صدقوا بذلك
ومن ذلك قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين استبطأه .

هل معين على البكا والعويل أم معز على المصاب الجليل
ميت مات وهو في ورق العيش مقيم به وظل ظليل
في عداد الموتى وفي عامر الدنيا أبو جعفر أخي وخليلي
لم يمت ميتة الوفاة ولكن مات عن كل صالح وجميل
لا أذيل الآمال بعدك إني بعدها بالآمال جد بخيل
كم لها موقفا بباب صديق رجعت من نداه بالتعطيل
لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت فإنك
ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض . وأنشدني أبو العاصي قال أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى

وبعض قريض القوم أولاد علة يكد لسان الناطق المتحفظ

وقال أبو العاصي أنشدني
في ذلك أبو البيداء الرياحي . وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل
أما قول خلف وبعض قريض القوم أولاد علة فإنه يقول إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ
البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات وإذا كانت
الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة وأجود
الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا
واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . وأما قوله كبعر الكبش فإنما ذهب إلى أن بعر
الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها

يروى من معين ومن معز

12

متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان
وتكده والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة متواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن
البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد . قال ابن يسير(?) بن حفص قالت
بنت الحطيئة للحطيئة تركت قوما كراما ونزلت في بني كليب بعر الكبش فعاتبهم يعني فرق بينهم
فقيل لهم فأنشدونا بعض ما لا تتنافر أجزاؤه فقالوا . قال الثقفي

ولا تتباين ألفاظه

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه إذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وأنشدوا

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
رميم التي قالت لجارات بيتها ضمنت لكم أن لا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

وأنشدوا

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب

ولكن في قلائص عند الحناجر إذا ما الشرب أرابه الشرب
قال أبو نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج يا أبا الجحاف مت متى شئت قال وكيف ذلك قال رأيت عقبة
بن رؤبة ينشد رجزا أعجبني قال إنه يقول لو كان لقوله قران . وقال الشاعر

مهاذبة مناجبة قران مناجبة كأنهم الأسود

وأنشد ابن الأعرابي

وبات يدرس شعرا لا قران له قد كان ثقفه حولا فما زادا

وقال الآخر

مهاذبة

وشعر كبعر الكبش لا تتجنبه قابل إذا ما أراد القول زوره شهرا . فهذا في اقتران
الألفاظ . فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين
بتقديم ولا بتأخير والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير
وهذا باب كبير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجرى . وقد يتكلم
المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا ومعناه شريفا
كريما ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي وكذلك إذا تكلم الخراساني
على هذه الصفة فإنك تعرف مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراساني وكذلك
إن كان من كتاب الأهواز ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع
مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئا وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي
والسندي والأجناس غير ذلك نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم فإذا ما حكى كلام الفأفاء
فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد كما أنك تجده يحكي الأعمى
بصور ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحدا يجمع ذلك كله
فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعمى واحد . ولقد كان أبو دبوبة الزنجي مولى آل
زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب

افتراق صح

بهير إلا نهق وقبل ذلك لا تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك
حتى كان أبو دبوبة يحركه وكان قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق
واحد وكذلك كان في نباح الكلاب ولذلك زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له العالم
الصغير سليل العالم الكبير لأنه يصور بيده كل صورة ويحكي بفمه كل حكاية ولأنه يأكل
النبات كما تأكل البهائم ويأكل الحيوان كما تأكل السباع وأن فيه من أخلاق جميع أجناس
الحيوان أشكالاً وإنما تهيأ وأمكن الحكاية لجميع مخارج الأمم لما أعطى الله الإنسان
من الاستطاعة والتمكين وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول
استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتهما كان مقصوراً بعادة
المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه ومعنى الحكاية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ
وصور الحركات والسكون فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف
هذا الحكم ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو
أقام في عليا تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً وكذلك النبطي القح خلاف
المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً فإذا أراد أن يقول زورق
قال سورق ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول مشمعل قال مشمئل والنخاس يمتحن
لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول ناعمة وتقول شمس
ثلاث مرات متواليات والذي يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التي تعتري
الصبيان إلى أن ينشؤوا وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج المسترخي الحنك المرتفع
اللثة وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم ومن نشأ من العرب مع العجم فممن كان ألكن ممن
كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى أبو أمامة وهو زياد الأعجم قال
أبو عبيدة كان ينشد قوله ... فتى زاده السلطان في الود رفعة ... إذا غير السلطان كل خليل
قال كان يجعل السين شيناً والطاء تاء فيقول ... فتى زاده الشلتان في الود رفعة
ومنهم سحيم عبد بني الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رحمه الله وأنشده قصيدته التي أولها
عميرة ودع إن تجهزت غادياً ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ... لو قدمت
الإسلام على الشيب لأجزتك قال ما سعرت يريد ما شعرت فجعل الشين المعجمة سيناً
غير معجمة ومنهم عبيد الله بن زياد والي العراق قال لهانئ بن قبيصة أهروري سائر
اليوم يريد أحروري ومنهم صهيب بن سنان النمري صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول إنك لهائن يريد إنك لخائن وصهيب بن سنان يرتضخ لكنة رومية وعبيد
الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وأزدانقاذار لكنته
لكنة نبطية وكان مثلهما في جعل الحاء هاء وبعضهم يروي أنه أملى على كاتب له فقال اكتب

من مواطن البطائح

لفظت الكلام والشيء من فمي
ألفظه بالفتح فيهما لا غير

الهاصل ألف كر فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب فلما فطن
لاجتماعهما على الجهل قال أنت لا تحسن أن تكتب وأنا لا أحسن أن أملي فاكتب الجاصل ألف كر
فكتبها بالجيم معجمة ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الألفاظ جيد المعاني وكان إذا أراد
أن يقول قلت له قال كلت له فشارك في تحويل القاف كافاً عبيد الله بن زياد كذلك خبر أبو عبيدة
وإنما أتي عبيد الله في ذلك أنه نشأ في الأساورة عند شيرويه الأسواري زوج أمه مرجانة وقد
كان في آل زياد غير واحد يسمى شيرويه وفي دار شيرويه عاد علي بن أبي طالب رحمه الله زياداً
من علة كانت به فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء فأما لكنة العامة
ومن لم يكن له حظ في المنطق فمثل فيل مولى زياد فإنه قال مرة لزياد أهدوا إلينا همار وهش
يريد حمار وحش قال زياد أي شيء تقول ويلك قال أهدوا إلينا أيراً يريد عيراً فقال زياد
الأول أهون وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها وقع الجرذ في عجان أمكم أبدلت
الذال من الجرذ زاياً وضمت الجيم وجعلت العين همزة وقال بعض الشعراء في أم ولد له
أكثر ما أسمع منها في السحر ... تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر ... والسوءة السوآء في ذكر القمر
لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر وقال ابن عباس ركبت عجوز سندية جملاً فلما
مشى تحتها متعلقاً اعترتها كهيئة حركة الجماع فقالت هذا الجمل يذكرنا بالسر تريد أنه يذكرها
الوطء فجعلت الشين سيناً والجيم زاياً وهذا كثير وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطي لم
ابتعت هذه الأتان قال أركبها وتلد لي فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها
ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال تلد لي ولم يقل تلد لي والصقلبي يجعل الذال المعجمة دالاً
في الحروف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله

قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم المتلجلجة
في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة
مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا
معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره وإنما يحيي تلك
المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم
وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً وهي التي تلخص الملتبس
وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيداً والمقيد مطلقاً والمجهول معروفاً والوحشي مألوفاً والغفل
موسوماً والموسوم معلوماً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة
المدخل يكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور
كان أنفع وأنجع والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى
يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت

أصناف العجم ❊ والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى
يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك
الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام
فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ❊ ثم اعلم حفظك
الله أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى
غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع أصناف الدلالات
على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ❊ ثم الإشارة
ثم العقد ❊ ثم الخط ❊ ثم الحال التي تسمى نصبة ❊ والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام
تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من
صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم
عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها في السار
والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أول
هذا الكتاب ولكنا أخرناه لبعض التدبير ۝ وقالوا البيان بصر والعي عمى كما أن العلم بصر
والجهل عمى والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل ❊ وقال سهل بن هرون العقل رائد
الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم ❊ وقال صاحب المنطق حد الإنسان الحي
الناطق المبين ❊ وقالوا حياة المروءة الصدق وحياة الروح العفاف وحياة الحلم العلم وحياة
العلم البيان ❊ وقال يونس بن حبيب ليس لعيي مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه
أعنان السماء ❊ وقالوا شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه واختياره قطعة
من عقله ❊ وقال ابن التوأم الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم قد
قلنا في الدلالة باللفظ ❊ فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا
تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا
رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان
هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط ❊ وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون
ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها وفي الإشارة بالطرف
والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس
من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص
ولجهلوا هذا الباب البتة ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها
لكم ❊ وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم ❊ وقال الآخر
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه ❊ وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للمرء أن تنطق أفواه ❊ وقال الآخر ❊ ومعشر صيد ذوي تجلة
ترى عليهم للندى أدلة ❊ وقال الآخر ❊ ترى عينها عيني فتعرف وحيها
وتعرف عيني ما به الوحي يرجع ❊ وقال الآخر ❊ وعين الفتى تبدي الذي في ضميره
وتعرف بالنجوى الحديث المغمسا ❊ وقال الآخر
العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا ❊ هذا ومبلغ الإشارة
أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت والصوت هو آلة اللفظ
وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما
موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة
باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتقتل
والتثني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور ۝ قد قلنا في الدلالة بالإشارة فأما الخط
فمما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله
عليه وسلم اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وأقسم به في كتابه
المنزل على نبيه المرسل عليه السلام حيث قال ن والقلم وما يسطرون ولذلك قالوا القلم أحد
اللسانين كما قالوا قلة العيال أحد اليسارين وقالوا القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا
وقال عبد الرحمن بن كيسان استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال
اللسان على تصحيح الكلام وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب
وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان واللسان
لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره ❊ وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط
فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل فالق الإصباح وجاعل الليل
سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ❊ وقال جل وتقدس الرحمن علم
القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان ❊ وقال تبارك وتعالى هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا
بالحق ❊ وقال وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ❊ والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع
جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب
في الآخرة وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع

والاختلال كلها جعله الله جل وعز لناطوا ما ومطلحة ونظاما . وأما النصبة فهي الحال الناطقة
بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض وفي كل صامت وناطق
وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان
الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان ولذلك قال الأول
سل الأرض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا
وقال بعض الخطباء أشهد أن السماوات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات كل يؤدي عنك
الحجة ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك التي تجليت بها لخلقك
فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهي على اعترافها لك وافتقارها
إليك شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الأوهام وأن حظ المفكر فيك الاعتراف لك
وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت الإسكندر كان أمس أنطق
منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس . ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان
صامتا وأشار إليه وإن كان ساكتا وهذا القول شائع في جميع اللغات ومتفق عليه مع إفراط
الاختلافات وأنشدني أبو الردينى العكلي في تنسم الذئب الريح واستنشافه واسترواحه

يستخبر الريح إذا لم يسمع . بمثل مقراع الصفا الموقع

المقراع الفأس
التي يكسر بها الصخر والموقع المحدد يقال وقعت الحديدة إذا أحددتها . وقال عنترة بن شداد
العبسي وجعل نعيب الغراب خبرا للزاجر

حرق الجناح كأن لحيي رأسه . جلمان بالأخبار هش مولع

الحرق الأسود شبه لحييه بالجلمين لأن الغراب
يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان . وقال الراعي

إن السماء وإن الريح شاهدة . والأرض تشهد والأيام والبلد
لقد جزيت بني بدر ببغيهم . يوم الهباءة يوما ما له قود

وقال نصيب في هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم . قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني . لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله . ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا كثير جدا ○

بسم الله الرحمن الرحيم

قال علي بن
أبي طالب رحمه الله قيمة كل إنسان ما يحسن فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة
لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة
عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز
وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فإذا

كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا
عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة
ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها
به صدور الجبابرة ولا تذهب عن فهمها عقول الجهلة وقد قال عامر بن عبد القيس الكلمة إذا
خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وقال الحسن رحمه الله
وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها فقال له يا هذا إن بقلبك
لشرا أو بقلبي . وقال علي بن الحسين بن علي رحمه الله لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل
الاستبانة وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تلجلج في صدورهم ولوجدوا من برد
اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم وعلى أن درك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام
القليلة العدة والفكرة القصيرة المدة ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول
بالهوى عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم وقد جمع محمد بن علي بن الحسين
صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال
ثلثاه فطنة وثلثه تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا في الصلاح لأن الإ
نسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيم بن داحة عن محمد
بن عمير وذكرها صالح بن علي الأفقم عن محمد بن عمير وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيعة وكان
ابن عمير أغلاهم . وأخبرني إبراهيم بن السندي عن علي بن صالح الحاجب عن العباس بن محمد
قال قيل لعبد الله بن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقد رووا هذا
الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه والدليل على ذلك قول الحسن
إن أول من عرف بالبصرة ابن عباس صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا
وكان مثجا يسيل غربا . المثج السائل الكثير وهو من الثجاج والغرب ههنا الدوام ○
هشام بن حسان وغيره قال قيل للحسن يا أبا سعيد إن قوما زعموا أنك تذم ابن عباس قال
فبكى حتى أخضل لحيته ثم قال إن ابن عباس كان من الإسلام بمكان إن ابن عباس كان من العلم
بمكان وكان والله له اللسان السؤول والقلب العقول وكان والله مثجا يسيل غربا . قالوا وقال علي
بن عبد الله بن عباس من لم يجد مس نقص الجهل في عقله وذلة المعصية في قلبه ولم يستبن موضع
الخلة في لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن ينزع عن ريبة ولا يرغب عن حال معجزة
ولا يكترث لفصل ما بين حجة وشبهة . قالوا وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بلاغة
بعض أهله فقال إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكون
مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله . وهذا كلام شريف نافع فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه
ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنيء الساقط يعشش في القلب ثم يبيض ثم يفرخ

خ الجران مقدم العنق من مذبح البعير الى منحره فإذا برك البعير ومد عنقه على الارض قيل القى جرانه بالارض وجرانه معناه على الاستعارة

خ معا وقرح

فلو ذا اضرب بجرانه وتمكن لعروقه واستفحل الفساد وبزل وتمكن الجهل وقرح بعشرة لا يقوى
له دواء ويمتنع لم داوه ومبلغ الفطن الجهيل الرديء والمستكره لا يغني اعلق بالعسان وآلف
للسمع من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ولو جالست الجهال والنوكى والسخفاء والحمقى
شهرا فقط لم تنق من اوضار كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة اهل البيان والعقل دهرا لان
الفساد أسرع الى الناس واشد التحاما بالطبائع والانسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف
الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن ادبه وهو لا يحتاج في الجهل الى اكثر من ترك
التعلم وفي فساد البيان الى اكثر من ترك التخير ⁘ ومما يؤكد قول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
قول بعض الحكماء حين قيل له متى يكون الأدب شرا من عدمه قال اذا كثر الأدب ونقصت القريحة
وقد قال بعض الأولين من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الخير عليه
وهذا كله قريب بعضه من بعض ⁘ وذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رحمه الله فقال كان
والله افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع ⁘ وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كفاك من علم
الدين ان تعلم ما لا يسع جهله وكفاك من علم الأدب ان تروي الشاهد والمثل ⁘ وكان عبد
الرحمن بن اسحق القاضي يروي عن جده ابراهيم بن سلمة قال سمعت ابا مسلم يقول سمعت الإمام
ابراهيم بن محمد يقول يكفي من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى
الناطق من سوء فهم السامع ⁘ قال ابو عثمن واما انا فاستحسن هذا القول جدا ⊙

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة
وعلى انبيائه عامة ⊙ حدثني ابو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثني محمد بن ابان ولا ادري
كاتب من كان قال قيل للفارسي ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقيل لليوناني ما البلاغة
قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام ⁘ وقيل للرومي ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة
والغزارة يوم الإطالة ⁘ وقيل للهندي ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة
وحسن الإشارة ⁘ وقال بعض اهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة
ثم قال ومن البصر بالحجة ان تدع الإفصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الإفصاح اوعر
طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا ابلغ في الدرك واحق بالظفر ⁘ قال وقال مرة جماع
البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخرق بما التبس من المعاني او غمض
وبما شرد عليك من اللفظ او تعذر ⁘ ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ان تكون
الشمائل موزونة والألفاظ معدلة واللهجة نقية فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال
وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال ⁘ وخالف عليه سهل بن هرون في ذلك وكان
سهل في نفسه عتيق الوجه حسن الإشارة بعيدا من الفدامة معتدل القامة مقبول الصورة
يقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان

وبالنبل قبل التكشف فلم يمنعه ذلك ان يقول ما هو الحق عنده وان ادخل ذلك على حاله النقص
قال سهل بن هرون لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتجا او وصفا وكان احدهما جميلا جليلا بهيا
ولباسا نبيلا وذا حسب شريفا وكان الآخر قليلا قميئا وباذ الهيئة دميما وخامل الذكر مجهولا
ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم
تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذي الهيئة ولشغلهم التعجب منه عن
مساواة صاحبه به ولصار التعجب منه سببا للعجب به ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه
لأن النفوس كانت له احقر ومن بيانه ايأس ومن حسده ابعد فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه
وظهر منه خلاف ما قدروه تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم لأن الشيء
من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكلما كان ابعد في الوهم كان اطرف
وكلما كان اطرف كان اعجب وكلما كان اعجب كان ابدع وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان
وملح المجانين فإن ضحك السامعين من ذلك اشد وتعجبهم به اكثر والناس موكلون بتعظيم الغريب
واستطراف البعيد وليس لهم في الموجود الراهن وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي
لهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ وكل ما كان في ملك غيرهم وعلى ذلك زهد الجيران
في عالمهم والاصحاب في الفائدة من صاحبهم وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم عليهم ويرحلون
الى النازح عنهم ويتركون من هو اعم نفعا واكثر في وجوه العلم تصرفا واخف مؤونة واكثر
فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق والطارف على التليد وكانوا يقولون اذا كان الخليفة
بليغا والسيد خطيبا فإنك تجد جمهور الناس واكثر الخاصة فيهما على امرين اما رجلا يعطي
كلامهما من التعظيم والتفضيل والإكبار والتبجيل على قدر حالهما في نفسه وموقعهما من قلبه
واما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من ان يكون تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما
وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما حتى يفرط في الاشفاق ويسرف في التهمة فالأول يزيد في حقه للذي
له في نفسه والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولإشفاقه من ان يكون مخدوعا في امره
فإذا كان الحب يعمي عن المساوي فالبغض يعمي عن المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني
ومحصول حدود لطائف الأمور الا عالم حكيم او معتدل الاخلاط عليم والا القوي المنة الوثيق
العقدة والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكثر ⁘ وكان سهل بن هرون
شديد الاطناب في وصف المامون بالبلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة واذا
صرنا الى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بني هاشم وبلغاء رجال القبائل قلنا في وصفهما على حسب
حالهما والفرق بينهما ولا بد على ان نذكر جملة اسماء خطباء الجاهليين والاسلاميين والبدويين
والحضريين وبعض ما يحضرنا من صفاتهم واقدارهم ومقاماتهم وبالله الثقة وبه التوفيق ⊙ ثم رجع
بنا القول الى ذكر الإشارة ⁘ وروى ابو شمر عن معمر ابي الاشعث خلاف القول الأول

بالإشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك وبالعجز عن بلوغ إرادته وكان يقول ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره حتى كلمه إبرهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة في المسألة حتى حرك يديه وحل حبوته وحبا إليه حتى أخذ بيديه ففي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبي شمر إلى قول إبرهيم وكان الذي غر أبا شمر وموه له هذا الرأي أن أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون إليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم إياه وخفت مؤونة الكلام عليه نسي حال منازعة الأكفاء ومجاذبة الخصوم وكان شيخا وقورا وزميتا ركينا وكان ذا تصرف في العلم ومذكورا بالفهم والحلم · قال معمر أبو الأشعث قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندباد وفلان وفلان ما البلاغة عند أهل الهند قال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكن لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها قال أبو الأشعث فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فإذا فيها · أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف · وقال من علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده ويكون لفظه مونقا ولهول تلك المقامات معاودا ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم وأن تواتيه آلته وتتصرف معه أداته ويكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدا فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها فأودعها ذلة المظلومين وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها فأودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل · وقال إبرهيم بن هانئ وكان ماجنا خليعا وكثير العبث متمردا ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضي وليس في الأرض لفظ يسقط البتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن · قال إبرهيم بن هانئ من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخا بعيد مدى الصوت · ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء

ومن تمام آلة المغني أن يكون فاره البرذون براق الثياب عظيم الكبر سيئ الخلق · ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذميا ويكون اسمه آذين أو مازيار أو أزدانقاذار أو ميشا أو شلوما ويكون أرقط الثياب مختوم العنق · ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابيا ويكون الداعي إلى الله صوفيا ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس ولذلك قال ابن سنان الجديدي لراشد بن سلمة الهذلي ما أنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيدا ولا بأروح فتكون فارسا · وقال شبيب بن شيبة الخطيب لبعض فتيان بني منقر والله ما مطلت مطل الفرسان ولا فتقت فتق السادة · وقال الشاعر

فقبلت رأسا لم يكن رأس سيد · وكفا ككف الضب أو هي أحقر

فعاب صغر رأسه وصغر كفه كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مطيع العدوي حين وجدها غليظة جافية فقال

دعا ابن مطيع للبياع فجئته · إلى بيعة قلبي لها غير آلف

فناولني خشناء لما لمستها · بكفي ليست من أكف الخلائف

وهذا باب يقع في كتاب الجوارح مع ذكر البرص والعرج والعمى والأدر والصلع والجرب والقرع وغير ذلك من علل الجوارح وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب إن شاء الله · وقال إبرهيم بن هانئ من تمام آلة الشيعي أن يكون وافر الجمة صاحب بازيكند · ومن تمام آلة صاحب الحرس أن يكون زميتا قطوبا أبيض اللحية أقنى أجنأ ويتكلم بالفارسية · وأخبرني إبرهيم بن السندي قال دخل العماني الراجز على الرشيد لينشده شعرا وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دماليقان قال إبرهيم قال أبو نصر فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزي الأعراب فأنشده ثم دنا منه فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت يزيد بن الوليد وإبرهيم بن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المنصور فرأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المهدي ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت الهادي ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته هذا إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة والرؤساء ولا والله إن رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين ووالله لو ألقي في روعي أني أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت قال فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضر أنهم قاموا ذلك المقام · ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول

قال ابن الأعرابي قال معوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدي ما هذه البلاغة التي فيكم قال شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا فقال له رجل من عرض القوم يا أمير المؤمنين هؤلاء بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار أجل والله إنا لنعلم أن الريح لتنفخه وأن البرد ليعقده وأن القمر ليصبغه وأن الحر لينضجه فقال له معوية ما تعدون البلاغة

بيكم قال الايجاز قال له معوية وما الايجاز قال له صحار ان تجيب فلا تبطي وان تقول فلا تخطي فقال
معوية او كذلك تقول قال صحار اقلني يا امير المؤمنين لا تبطي ولا تخطي • وشان عبد القيس
عجب وذلك انهم بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب
وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من اشعر قبيل في العرب ولم يكونوا كذلك حين كانوا
في سرة البادية وفي معدن الفصاحة وهذا عجب • ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان
وزيد بن صوحان وسيحان بن صوحان • ومنهم صحار بن عياش وصحار من شيعة عثمن وبنو صوحان
من شيعة علي • ومنهم مصقلة بن رقبة ورقبة بن مصقلة • وكرب بن رقبة واذا صرنا الى ذكر
الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا وبالله التوفيق • قال لي ابن
الاعرابي قال لي المفضل بن محمد الضبي قلت لاعرابي منا ما البلاغة قال الايجاز في غير عجز
والاطناب في غير خطل قال ابن الاعرابي فقلت للمفضل ما الايجاز عندك قال حذف الفضول
وتقريب البعيد • قال ابن الاعرابي قيل لعبد الله بن عمر لو دعوت الله لنا بدعوات فقال
اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقال له رجل لو زدتنا يا ابا عبد الرحمن قال نعوذ بالله من الاسهاب

باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والانبياء والفقهاء والامراء

ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطاء والزلل ۝ منهم زيد بن صوحان • ومنهم ابو واثلة
اياس بن معوية المزني القاضي القايف وصاحب الزكن والمعروف بجودة الفراسة ولكثرة
كلامه قال له عبد الله بن شبرمة انا وانت لا نتفق انت لا تشتهي ان تسكت وانا لا اشتهي
ان اسمع واتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس وراوه احمر دميما باذ
الهيئة قشفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك اتيتنا
في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك • ورايت ناسا يستحسنون جواب اياس حين قيل له ما فيك عيب
غير انك معجب بقولك قال افاعجبكم قولي قالوا نعم قال فانا احق بان اعجب بما اقول وبما يكون
مني منكم • والناس حفظك الله لم يضعوا ذكر العجب في هذا الموضع والمعيب عند الناس ليس
هو الذي يعرف ما يكون منه من الحسن والمعرفة لا تدخل في باب التسمية بالعجب والعجب مذموم
وقد جاء في الحديث ان المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنته • وقيل لعمر فلان لا يعرف الشر
قال ذلك اجدر ان يقع فيه • وانما العجب افراط الرجل في السرور بما يكون منه والافراط
في استحسانه حتى يظهر ذلك منه في لفظه وفي شمايله وهو الذي وصف به صعصعة بن صوحان
المنذر بن الجارود عند علي بن ابي طالب رحمه الله فقال اما والله انه مع ذلك لنظار في عطفيه
تفال في شراكيه تعجبه حمرة بردته • قال ابو الحسن قيل لاياس ما فيك عيب الا كثرة الكلام
قال افتسمعون صوابا ام خطا قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير • وليس كما قال للكلام
غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك

الفاضل هو العي وهو الخطل وهو الاسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه • وذكر الاصمعي ان عمر بن هبيرة
لما اراده على القضاء قال اني لا اصلح له قال وكيف ذاك قال لاني عيي ولاني دميم ولاني حديد
قال ابن هبيرة اما الحدة فان السوط يقومك واما الدمامة فاني لا اريد ان احاسن بك احدا
واما العي فقد عبرت عما تريد فان كان اياس عند نفسه عييا فذاك اجدر ان يهجر الاكثار وبعد
هذا فما نعلم احدا رمى اياسا بالعي وانما عابوه بالاكثار • وذكر علي بن سليمن عن عتبة بن عمر
بن عبد الرحمن بن الحارث قال ما رايت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من الحجاج
بن يوسف واياس بن معوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا • وقال قايل لاياس
لم تعجل بالقضاء فقال له اياس كم لكفك من اصبع قال خمس قال عجلت قال لم يعجل من قال بعد
ما قتل الشي علما ويقينا قال اياس فهذا هو جوابي لك • وكان كثيرا ما ينشد قول النابغة الجعدي

ابى لي البلاء واني امرو • اذا ما تبينت لم ارتب

قال ومدح سلمة بن عياش سوار
بن عبد الله بمثل ما وصف به اياس نفسه حين قال •

واوقف عند الامر ما لم يبن له • وامضي اذا ما شك من كان ماضيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه
الى عدي بن ارطاة ان قبلك رجلين من مزينة فول احدهما قضاء البصرة يعني بكر بن عبد الله المزني
واياس بن معوية فقال بكر والله ما احسن القضاء فان كنت صادقا فما يحل لك ان توليني وان كنت
كاذبا فما يحل لك ايضا • وكانوا اذا ذكروا البصرة قالوا شيخها الحسن وفتاها بكر • وقال اياس
بن معوية لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع ابي ويخدع الحسن
ودخل الشام وهو غلام فقدم خصما له وكان الخصم شيخا كبيرا الى بعض قضاة عبد الملك
بن مروان فقال له القاضي اتقدم شيخا كبيرا قال الحق اكبر منه قال اسكت قال فمن ينطق بحجتي
قال لا اظنك تقول حقا حتى تقوم قال لا اله الا الله احقا هذا ام باطلا فقام القاضي فدخل على
عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر فقال عبد الملك اقض حاجته الساعة واخرجه من الشام لا يفسد
على الناس فاذا كان اياس وهو غلام يخاطب على جماعة اهل الشام بما خاطبه به وهو كبير سنه
وعض على ناجذه واياس هو الذي قال لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع
ابي ويخدع الحسن • وجملة القول في اياس انه كان من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة وكان فقيه
البدن دقيق المسلك في الفطن وكان صادق الحس نقابا وعجيب الفراسة ملهما وكان عفيف الطعم
كريم المدخل والشيم وجيها عند الخلفاء مقدما عند الاكفاء وفي مزينة خير كثير •

ثم رجعنا الى القول الاول

ومنهم ربيعة الراي وكان لا يكاد يسكت •
قالوا وتكلم يوما فاكثر واعجب بالذي كان منه فالتفت الى اعرابي كان عنده فقال يا اعرابي
ما تعدون العي فيكم قال ما كنت فيه منذ اليوم • وكان يقول الساكت بين النايم والاخرس ۝
ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ومحمد بن حفص هو ابن عايشة ثم قيل لعبيد الله ابنه

ابن عائشة وكان كثير العلم والسماع متصرفا في الخبر والأثر وكان من أجواد قريش وكان لا يكاد
يسكت وهو في ذلك كثير الفوائد وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم بعث إليه بلال
خليفته في بعض الأمر فأتاه في حلقته في المسجد فقال له في بعض كلامه أبو من أصلحك الله
فقال له ما لك عرفت اسمي قبل كنيتي وإن كان لا بد لك من هذا فاعترض من شئت فسله فقال له
إني أريد أن تخليني قال أفي حاجة لك أم في حاجة لي قال بل في حاجة لي قال فالقني في المنزل
قال فإن الحاجة لك قال فما دون إخواني ستر ❊ ومنهم محمد بن مسعر العقيلي وكان كريما
كريم المجالسة يذهب مذهب النساك وكان جوادا مرضيا له من بني هاشم بعض الود وبستان نفيس
فبلغه أنه استحسنه فوهبه له ❊ ومنهم الأحمر بن المحجل بن عجلان كان يذهب مذهب مالك
وكان ذا بيان ويتحرى في المعاني ويتمرس في الألفاظ ❊ وممن كان يكثر الكلام جدا الفضل بن سهل
ثم الحسن بن سهل في أيامه ❊ وحدثني محمد بن الجهم وداود بن أبي داود قالا جلس الحسن بن
سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن حازم فأقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول ذنبي أعظم من السماء ذنبي
أعظم من الهواء ذنبي أعظم من الماء قالا فقال له الحسن بن سهل على رسلك تقدمت منك طاعة
وكان آخر أمرك إلى توبة وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو
أمير المؤمنين في العفو ❊ ومن هؤلاء علي بن هشام وكان لا يسكت ولا أدري كيف كان كلامه
قال وحدثني مهدي بن ميمون قال حدثنا غيلان بن جرير قال كان مطرف بن عبد الله يقول لا تقبل
بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه ❊ وقال عبد الله بن مسعود حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم
ولحظوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فترة فأمسك ❊ قال وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية
له حيث تسمع كلامه فلما انصرف إليها قال لها كيف سمعت كلامي قالت ما أحسنه لولا أنك تكثر
ترداده قال أردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه
عباد بن العوام عن شعبة عن قتادة قال مكتوب في التوراة لا يعاد الحديث مرتين ❊ وسفيان
بن عيينة عن الزهري قال إعادة الحديث أشد من نقل الصخر ❊ وقال بعض الحكماء من لم ينشط
لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك ❊ وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهى
إليه ولا يؤتى على وصفه وإنما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص
وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود وكذلك
ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي
غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب وأما أحاديث القصص والرقة فإني لم أر أحدا
يعيب ذلك وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ عيا إلا ما كان من النخار بن
أوس العذري فإنه كان إذا تكلم في الحمالات وفي الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف
العشيرة من التفاني والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمي فنخر

النخر

قال ثمامة بن أشرس كان جعفر بن يحيى أنطق الناس قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وإفهاما
يغنيه عن الإعادة ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفر عن الإشارة
كما استغنى عن الإعادة ❊ وقال مرة ما رأيت أحدا كان لا يتحبس ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح
ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه أشد اقتدارا
ولا أقل تكلفا من جعفر بن يحيى ❊ وقال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان قال أن يكون الاسم يحيط
بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بد منه أن
يكون سليما من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل وهذا هو تأويل قول
الأصمعي البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر ❊ وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب
بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى فقال قد قرأت لأم جعفر
توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعاني ❊ قال ووصف أعرابي
أعرابيا بالإيجاز والإصابة فقال كان والله يضع الهناء مواضع النقب يظنون أنه نقل قول دريد
بن الصمة في الخنساء بنت عمرو بن الشريد إلى ذلك الموضع وكان دريد قال
ما إن رأيت ولا سمعت به في الناس طالي أينق جرب ❊ متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب
ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز فلان يفل المحز ويصيب المفصل وأخذوا ذلك من صفة
الجزار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز ❊ وأنشدني أبو قطن الغنوي وهو الذي يقال له
شهيد الكرم وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر ❊

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد ... علي لمخلوق من الناس درهما
ولكنني مولى قضاعة كلها ... فلست أبالي أن أدين وتغرما
أولئك قوم بارك الله فيهم ... على كل حال ما أعف وأكرما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ... ولا يأكلون اللحم إلا تخذما

يقول هم ملوك وأشباه الملوك ولهم كبرياء فهم لا يحسنون إصابة المفصل وأنشد أبو عبيدة
في مثل ذلك ❊ وصلع الرؤوس عظام البطون جفاة المحز غلاظ القصر ❊ ولذلك قال الآخر
ليس براعي إبل ولا غنم ❊ ولا بجزار على ظهر وضم ❊ وقال الآخر وصوائن البزعري
وفتيان صدق حسان الوجوه لا يجدون لشيء ألم ❊ من آل المغيرة لا يشهدون عند المجازر لحم الوضم
وقال الراعي في المعنى الأول ❊ فطبقن عرض القف ثم جزعنه كما طبقت في العظم مدية جازر
وأنشد الأصمعي ❊ وكف فتى لم يعرف السلخ قبلها تجور يداه في الأديم وتجرح ❊
وأنشد الأصمعي ❊ لا يمسك العرف إلا ريث يرسله ولا يلاطم عند اللحم في السوق
وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة وبينه وضرب به المثل حيث قال في الحكم بين عامر بن الطفيل
وعلقمة بن علاثة ❊ يا هرم بن الأكرمين منصبا ❊ إنك قد أوتيت حكما معجبا ❊

مطبق المفصل واغنم طيبا ∴ يعني الحكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل
وبأمر قاطع فيفصل بما بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفاصل العظمين وقد قال الشاعر
في هرم ∴ فقضى هرم يوم المريخ بينهم قضاء امرئ بالأولية عالم ∴
فقضى ثم ولى الحكم من كان أهله وليس ذنابى الريش مثل القوادم ∴ ويقال في المثل
إذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طباقاء وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها ⊙
زوجي عياياء طباقاء وكل داء له داء ∴ حتى جعلوا ذلك مثلا للعي العدم الذي لا يتجه للحجة
وقال الشاعر ∴ طباقاء لم يشهد خصوما ولم ينخ قلاصا إلى أكوارها حين تعكف ∴ وذكر
زهير بن أبي سلمى الخطل فعابه فقال ∴
وذي خطل في القول يحسب أنه ∴ مصيب فما يلمم به فهو قائله ∴
عبأت له حلما وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو باد مقاتله ∴ وقال الشاعر
شمس إذا خطل الحديث أوانس يرقبن كل مجذر تنبال ∴ الشمس مأخوذ
من الخيل وهي الخيل الجمحة الضاربة بأذنابها من النشاط والمجذر القصير والتنبال القصير الدنيء
وقال أبو الأسود الدؤلي واسم أبي الأسود ظالم بن عمرو وكان من المقدمين في العلم ∴
وشاعر سوء يهضب القول ظالما كما اقتحم الأعمى مظلمة الليل حاطب ∴ وأنشد
أعوذ بالله الأعز الأكرم ∴ من قولي الشيء الذي لم أعلم ∴ تخبط الأعمى الضرير الأيهم
وقال إبرهيم بن هرمة في تطبيق المفصل وإصابة عين المعنى ⊙
وعميمة قد سفت فيها حائرا اغفلا وفيها عائر موسوم
طبقت مفصلها بغير حديدة فرأى العدو غنائي حيث أقوم ∴ وهذه الكلمات
التي ذكرها ثمامة فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه واستولى
عليها دون جميع أهل عصره وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن
الإفهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه وكان
لفظه في وزن إشارته ومعناه في طبقة لفظه ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك
قال بعض الكتاب معاني ثمامة الظاهرة في ألفاظه الواضحة في مخارج كلامه كما وصف الخريمي
شعر نفسه في مديح أبي دلف حيث يقول ∴ له كلم فيك معقولة إزاء القلوب كركب وقوف
فأول هذه القصيدة ∴ أبا دلف دلفت حاجتي إليك وما خلتها بالدلوف
ويظنون أن الخريمي أو أبا الحسن أخذ هذا البيت من كلام أيوب بن القرية حيث قال له بعض السلاطين
ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف ∴ دنيا وآخرة ومعروف ∴
وحدثني صالح بن خاقان قال قال شبيب بن شيبة الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح
صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة

واحدة أروع من خطل سائر البيت ثم قال شبيب فإن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدم إحكام
البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد وإياك أن تعدل
بالسلامة شيئا فإن قليلا كافيا خير من كثير غير شاف ويقال إنهم لم يروا قط خطيبا بلديا إلا
وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلا مستصلفا أيام رياضته كلها إلى أن يتوقح وتستجيب
له المعاني ويتمكن من الألفاظ إلا شبيب بن شيبة فإنه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة
فلم يزل يزداد منهما حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره
قالوا ولما مات شبيب بن شيبة أتاهم صالح المري أو بعض من أتاهم للتعزية فقال رحمة الله
على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخي المساكين وقال الراجز ∴
إذا غدت سعد على شبيبها ∴ على فتاها وعلى خطيبها ∴ من مطلع الشمس إلى مغيبها
عجبت من كثرتها وطيبها ∴ حدثني صديق لي قال قلت للعتابي ما البلاغة قال
كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فإن أردت اللسان الذي
يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق قال
فقلت له قد عرفت الإعادة والحبسة فما الاستعانة قال أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع
كلامه يا هناه ويا هذا ويا هيه واسمع مني واستمع إلي وافهم عني أولست تفهم أولست تعقل فهذا
كله عي وفساد ∴ قال عبد الكريم بن روح الغفاري حدثني عمر الشمري قال قيل لعمرو بن عبيد
ما البلاغة قال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك قال
السائل ليس هذا أريد قال من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن
القول قال ليس هذا أريد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء بكاء أي
قليلو الكلام ومنه قيل رجل بكي وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل
ليس هذا أريد قال كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت
ومن سقطات الصمت قال السائل ليس هذا أريد قال عمرو فكأنك إنما تريد تخير اللفظ
في حسن الإفهام قال نعم قال إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين وتخفيف المؤونة
عن المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة
عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على
الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب ∴ قلت لعبد الكريم
من هذا الذي صبر له عمرو هذا الصبر قال قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال ومن كان يجترئ
عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ∴ قال عمر الشمري كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم فإن
تكلم لم يكد يطيل وكان يقول لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه وإذا طال
الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير في شيء يأتيك به التكلف ∴ وقال بعضهم وهو من أحسن

ما اجتبيناه ودوّناه. لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا
يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك. وكان موسى بن عمران يقول لم أر أنطق من
أيوب بن جعفر ويحيى بن خالد وكان ثمامة يقول لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد. وكان سهل
بن هارون يقول لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين. وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول
لكتّابه إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا. وسمعت أبا العتاهية يقول
لو شئت أن يكون حديثي كله شعرا موزونا لكان. وقال إسحق بن حسان بن قوهي لم يفسر
البلاغة تفسير ابن المقفع أحد. قال سئل ما البلاغة قال البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه
كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون
في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون
شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب
الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة. فأما الخطب بين السماطين وفي إصلاح
ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال وليكن في صدر كلامك دليل على
حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول فرق صدر
بين خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن
من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى
العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت. قال فقيل له فإن ملّ المستمع الإطالة
التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف قال إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة
ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد والعدو
فإنه لا يرضيهما شيء وأما الجاهل فلست منه وليس منك ورضى جميع الناس شيء لا تناله
وقد كان يقال رضى الناس شيء لا ينال. قال والسنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب
ويقصر المجيب ألا ترى أن قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتي
الحاملين في شأن حمالة داحس وقال ما لي فيها أيها العشمتان قالا بل ما عندك قال عندي
قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب آمر فيها بالتواصل
وأنهى فيها عن التقاطع. قالوا فخطب يوما إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى فقيل لأبي يعقوب
هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع أوليس الأمر بالصلة هو النهي عن القطيعة
قال أوما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشف. قال
وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رحمه الله ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح
قال ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب في أجواف الحداق
ولأنه إذا كان جالسا معهم كانوا كأنهم نظراء أكفاء وإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية

وقد ذهب قوم إلى أن تأويل قول عمر يرجع إلى أن الخطيب لا يجد بدا من تزكية الخاطب
فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زورا وغرّ القوم من صاحبه ولعمري إن هذا
التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة فأما عمر بن الخطاب وأشباهه من الأئمة
الراشدين فلم يكونوا ليتكلموا إلا فيمن يستحق المدح. وروى أبو مخنف عن الحرث
الأعور قال والله لقد رأيت عليا وإنه ليخطب قاعدا كقائم ومحاربا كمسالم يريد بقوله قاعدا
خطبة النكاح. وقال الهيثم بن عدي لم تكن الخطباء تخطب قعودا إلا في خطبة النكاح
وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن فإن
ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع. قال الهيثم قال عمران بن حطان الناس
إن أول خطبة خطبتها عند زياد أو قال عند ابن زياد فأعجب بها الناس وشهدها عمي وأبي
ثم إني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم هذا الفتى أخطب العرب لو كان في
خطبته شيء من القرآن. وأكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر ولا يكرهونه
في الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء. وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر في خطبته تميم بن مر فقال العز
إن تميما له الشرف العود والعز الأقعس والعدد الهيضل وهي في الجاهلية القدام
والذروة والسنام وقد قال الشاعر. فقلت له وأنكر بعضهم شأنه ألم تعرف رقاب بني تميم
وكان المؤمل وأهله يغالون جمهور بني سعد في المغالبة فليس تجري به على سعد وسعة
عليهم كان يناضل عند السلطان كل من سعى على أهل مقالتهم وإن كان قوله خلاف قولهم
جريا عليهم وكان صالح المري القاص العابد البليغ كثيرا ما ينشد في قصصه هذا البيت
فبات يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل. وأنشد الحسن
في مجلسه وفي قصصه وفي مواعظه. ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الخطيب القاص السجاع إمام في قصصه
وإمام في خطبة من خطبه. أرض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير إلى بلى ونفاد. وقال أبو الحسن
خطب عبيد الله بن الحسن على منبر البصرة في العيد فأنشد في خطبته
أين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
تلك المدائن بالآفاق خالية أمست خلاء وذاق الموت بانيها
قال وكان مالك بن دينار يقول في قصصه ما أشد فطام الكبير وهو كما قال القائل
وتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم. ومثله أيضا قول
صالح بن عبد القدوس. والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا ان عوى علاه لوى حمله كريدا لقينا علادا الى نكبه ∴ وقال كلثوم بن عمرو ∴
وكنت امرأً لو شئت أن تبلغ المدى بلغت بأدنى نعمة تستديمها ∴
ولكن فطام النفس أثقل محملا من الصخرة الصماء حين ترومها ∴ وكانوا
يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت ولذلك تشادقوا في الكلام ومدحوا سعة
الفم وذموا صغر الفم ∴ قال وحدثني محمد بن يسير الشاعر قال قيل لأعرابي ما الجمال
قال طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت ∴ وسأل جعفر بن سليمن
أبا المخش عن ابنه المخش وكان جزع عليه جزعا شديدا فقال صف لي المخش فقال كان
أشدق خرطمانيا سائلا لعابه كأنما ينظر من قلتين كأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن
منكبه كركرة جمل ثفال فقأ الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله ∴ قال
وقلت لأعرابي ما الجمال قال غؤور العينين وإشراف الحاجبين ورحب الشدقين ∴ وقال
عقيل بن خنظلة العلامة حين سأله معوية عن قبائل قريش فلما انتهى إلى بني مخزوم قال
معزى مطيرة علتها قشعريرة إلا بني المغيرة فإن فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام
وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق ∴ تشادق حتى مال بالقول شدقه
وكل خطيب لا أبا لك أشدق ∴ وأنشد أبو عبيدة ∴
وطلع الرؤوس عظام البطون رحاب الشداق طوال الغلاظ ∴ قال وتكلم يوما
عند معوية الخطبا فأحسنوا فقال والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق قم يا يزيد فتكلم ∴
وهذا القول وغيره من الأخبار والأشعار حجة لمن زعم أن عمرو بن سعيد لم يسم الأشدق
للفقم ولا للفوه ∴ وقال يحيى بن نوفل في خلد بن عبد الله القسري ∴
بل المنابر من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد في الهرب ∴
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب ∴ ويدل
على تفضيلهم سعة الأشداق وهجائهم ضيق الأفواه قول الشاعر ∴
لحى الله أفواه الدبى من قبيلة إذا ذكرت في النائبات أمور ∴
وقال الآخر ∴ وأفواه الدبى حاموا قليلا وليس أخو الحماية كالضجور ∴ وإنما شبه
أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطبيب
حيي بن هزال وابنيه فقال ∴ تدعو بنيك عبادا وحذيمة فا فأرة شجها في الجحر محفار ∴
وقد كان العباس بن عبد المطلب جهيرا جهير الصوت وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين
بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس
يا أصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل
النصر وأتى بالفتح ∴ ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان قيس

بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ∴ كرحولة البيت فيسمع ذلك من حراء ∴ قال الله تبارك وتعالى
وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ∴ فالتصدية التصفيق والمكاء الصفير أو شبيه
بالصفير ولذلك قال عنترة ∴ وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم ∴
وقال العجير السلولي في شدة الصوت ∴
ومنهن قرعي كل باب كأنما به القوم يرجون الأذين نسور
فجئت وخصمي يصرفون نيوبهم كما قصبت بين الشعار جزور
لدى كل محفوق به عند مثلها له قدم في الناطقين خطير
جهير وممتد العنان مناقل بصير بعورات الكلام خبير
فظل رداء العصب ملقى كأنه سلى فرس تحت الرحال عقير
لو ان الصخور الصم يسمعن صلقنا لرحن وفي أعراضهن فطور
الصلق شدة الصوت ∴ وقال مهلهل ∴ ولولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور
وفي شدة الصوت يقول الأعشى في وصفه الخطيب بذلك ∴
فيهم الخصب والسماحة والنجدة جمعا والخاطب الصلاق ∴ وقال بشار بن برد
في ذلك وهجا بعض الخطباء ∴ ومن عجب الأيام أن قمت ناطقا وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر
ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن جعفر بن المطراني كلام فقال له الفتى ما ينبغي أن يكون في الأرض
رجل واحد أجهل منك وكان ابن جعفر في نفسه أكثر الناس علما وأدبا وكان حريصا على الجثلقة
فقال للفتى وكيف حللت عندك هذا المحل قال لأنك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة
وأنت قصير القامة ولا نتخذه إلا جهير الصوت جيد الحلق وأنت دقيق الصوت رديء الحلق
ولا نتخذه إلا وهو وافر اللحية عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها وأنت تعلم أنا لا نختار
للجثلقة إلا رجلا زاهدا في الرياسة وأنت أشد الناس عليها كلبا وأظهرهم لها طلبا فكيف
لا تكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة وأنت قد شغلت في طلبها بالك
وأسهرت فيها ليلك ∴ وقال أبو الجهجاه في شدة الصوت ∴ إني إذا ما زبب الأشداق
والتج حولي النقع واللقلاق ∴ ثبت الجنان مرجم وداق ∴ المرجم الذي يرجم
بالمراجمة بالحجارة والودق الذي يسيل الحجارة كالودق من المطر ∴ وجاء في الحديث من وقي
شر لقلقه وقبقبه وذبذبه وقي الشر يعني لسانه وبطنه وفرجه ∴ وقال عمر بن الخطاب
رحمه الله في بواكي خلد بن الوليد بن المغيرة وما عليهن أن يرقن من دموعهن على أبي سليمن
ما لم يكن نقع أو لقلقة ∴ وجاء في الأثر ليس منا من حلق أو صلق أو سلق أو شق ∴ ومما
مدح به العماني هرون الرشيد بالقصيد والرجز قوله ∴
جهير العطاس شديد النياط جهير الرواء جهير النغم ∴ ويخطو على الأين خطو الظليم ويعلو الرجال بجسم عمم

السباط معاليق لقلب الأرى إذا عيا الظليم ثم ذكر النعام عمم جسن ومنه قيل نبت عمم أي حسن
كثير ويقال لون جسمه لعمم وانه لعمم الجسم إذا كان تاما وكان الربيع شيرا إذا طاف بالبيت
جعل يده وراء ذنبه عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد
الأرنب وقد أخبرني إبرهيم بن السندي بمحصول ذلك يريد الخطو إلا في الحسنة ومواسع
فيما رأيته يذهب إليه قال إبراهيم ونظر إليه أعرابي في تلك الحال والهيئة فقال

خطو الظليم ريع ممسي فانشمر

وحدثني إبرهيم بن السندي قال لما أتى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو في بلاد الروم أقام على رأسه رجالا في السماطين لهم قصر وهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعور فبيناهم قيام يكلمونه ومنهم رجل وجهه في قفا البطريق إذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبد الملك فلم يدر أي شيء أنكر منه فلما مضى الوفد قال له ويلك هلا إذ كنت ضيق المنخر كز الخيشوم أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلج وفي تفضيل الجهارة في الخطب يقول شبة بن عقال يعيب خطبته عند سليمن بن علي

ألا ليت أم الجهم والله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامي
عشية بذ الناس جهري ومنطقي وبذ كلام الناطقين كلامي

وقال الكلابي يمدح معوية بالجهارة وبجودة الخطبة

ركوب المنابر وثابها معن بخطبته مجهر
تريع إليه هوادي الكلام إذا ضل خطبته المهذر

معن تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها تريع إليه ترجع إليه هوادي الكلام أوائله فأراد أن معوية يخطب في الوقت الذي يذهب فيه كلام المهذر والمهذار المكثار وزعموا أن أبا عطية عفيفا النصري في الحرب التي كانت بين ثقيف وبين بني نصر لما رأى الخيل بعقوبة يوم... نادى يا صباحاه أتيتم يا بني نصر فألقت الحبالى أولادها من شدة صوته قالوا فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف

عفا قاصر وسابتبعن عوف ومليه شريدا لكم ما تشرد الفعل أشيبا
وكانت جعيل يوم عمرو أرادها أسود الغضا غادرن لحما مترّبا
ويوم بكرثاء شدت معتب بغاراتها قد كان يوما عصبصبا
فأسقط أحبال النساء بصوته عفيف لدن نادى بنصر فطربا

وكان أبو عروة الذي يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدي فقال

وأزجر الكاشح العدو إذا اغتابك عندي زجرا على أضم
زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يلتبسن بالغنم

وأنشد أبو عمرو الشيباني لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن يزيد بن نعيم قال أبو عبيدة وأبو الحسن كان شبيب يصيح في جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوي أحد على أحد وقال الشاعر

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا والريح عاصفة والموج يلتطم

قال أبو العاصي أنشدني أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين في عيب التشادق

له حنجر رحب وقول منقح وفصل خطاب ليس فيه تشادق
إذا كان صوت المرء خلف لهاته وأنحى بأشداق لهن شقاشق
وقبقب يحكي مقرما في هبابه فليس بمسبوق ولا هو سابق

وقال الفرزدق شقاشق بين أشداق وهام وأنشد خلف

وما في يديه غير شدق يميله وشقشقة خرساء ليس لها نغب (النغب الصوت)
متى رام قولا خالفته سجية وضرس كقعب القين ثلمه الشعب

وأنشد أبو عمرو وابن الأعرابي

وجاءت قريش قريش البطاح هي العصب الأول الداخله
يقودهم الفيل والزندبيل وذو الضرس والشفة المائله

وذو الضرس وذو الشفة هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب وقال الشاعر

فما كان قد يلقمه غفل ولا الخيعكلان ولا ذو الشفة

قوله غفل يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب والخيعكلان عبد أسود وكان خطيبا لا يجارى وأنشد

أجابا وقافية لجلجتها فرددتها لذي الضرس لو أرسلتها قطرت دما

وقال الفرزدق وأنا عند الناس أشعر العرب ولربما كان نزع ضرس أيسر علي من أن أقول بيت شعر قال وأنشد ثمامة

نجيت وقد منت كل خلاة تضمها إلى الشدق أنياب لهن صريف
تقعقعت لحيي خلد منتضنة بحجة خصم بالخصوم عنيف

أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال سئل الحارث بن أبي ربيعة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم بكتاب الله والفقه في السنة والهجرة إلى الله ورسوله والبسطة في العشيرة والنجدة في الحرب والبذل للماعون وقال الآخر

ولم تلقني فها ولم تلف حجتي ملجلجة أبغي لها من يقيمها
ولا بت أزجيها قضيبا وتلتوي إذا رمتها طورا وطورا أقيمها

وأنشدني أبو الرديني العكلي

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله إذا الخطباء الصيد عضّل قيلها

وقال الحزيمي في تشادق علي بن الهيثم

يا علي بن هيثم يا سقاطا قد ملأت الدنيا علينا لقاطا
حل لحييك يسكنان ولا تضرب على تغلب بالحنيط طاطا
لا تشادق إذا تكلمت واعلم أن للناس كلهم أشراطا

وكان علي بن الهيثم جواداً بليغ اللسان والقلم • وقال لي أبو يعقوب الخريمي ما رأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح في الماء والرصاص عند النار • كان هشام بن الكلبي علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار • وكان الهيثم بن عدي مفقعانياً صاحب تقعيب وتقعير ويستولي على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ولا بخطيب فإذا رأى موسى الصيني ذاب كما يذوب الرصاص عند النار • وكان علويه المغني واحد الناس في الرواية وفي الحكاية وفي صنعة الغناء وجودة الضرب وفي الإطراب وحسن الحلق فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص عند النار

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبعد الصوت

قال أبو عبيدة كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب رديفاً للملوك ورحالاً إليهم وكان يقال له عروة الرحال وكان يوم أقبل مع ابن الجون يريد بني عامر فلما انتهى إلى واردات مع الصبح قال له عروة إنك قد عرفت طول صحبتي لك ونصيحتي إياك فأذن لي فأهتف بقومي هتفة قال نعم وثلاثاً فقام فنادى يا صباحاه ثلاث مرات قال فسمعها سبعون حياً يزعمون أنه أسمع أهل الشعب فتلبسوا للحرب وبعثوا الربايا ينظرون من أين يأتي القوم • قالوا وتقول الروم لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعاً صوت وجوب القرص في المغرب • والجهير عندهم من قدر الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته أن يعترض الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق قال أبو الحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صعصعة عند معاوية فعرق فقال معاوية بهرك القول فقال صعصعة إن الجياد نضاحة بالماء • والفرس إذا كان سريع العرق وكان هشاً كان ذلك عيباً وكذلك هو في الكثرة وإذا أبطأ ذلك وكان قليلاً قيل قد كبا وهو فرس كابٍ وذلك عيب أيضاً وأنشدني ابن الأعرابي لأبي مسمار العكلي في شبيه بذلك قوله

لله در عامر إذ نطقا • في حفل الأملاك وفي تلك الحلق • ليس كقوم يعرفون بالسرق
من خطب الناس وما في الورق • يلفقون القول تلفيق الخلق • من كل نضاح الذفارى بالعرق
إذا رمته الخطبة بالحرق

والذفارى هنا يعني بدن الخطيب والذفريان للبعير وهما اللحمتان في قفاه • وإنما ذكر خطب الأملاك لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح وقال العماني

لا ذفر معشٍ ولا بكاب • ولا بلجلاج ولا هياب

الفرس الذي يجود بعرقه سريعاً وذلك عيب والذفر الكثير العرق والكابي الذي لا يكاد يعرق كالزند الكابي الذي لا يكاد يوري فجعل له العماني حالاً بين حالين إذا خطب وخبر أنه رابط الجأش معاود لتلك المقامات وقال الكميت بن زيد وكان خطيباً إن للخطبة صعداء وهي على ذي اللب أرمى وقولهم أرمى وأربى سواء يقال فلان قد أرمى على المائة وأربى ولم أر الكميت

أنفع من هذا المعنى ولا تخلص إلى خاصته وإنما تجري على الخطبة الغمر والجاهل الماضي الذي لا يثنيه شيء أو المطبوع الحاذق والواثق بغزارته واقتداره فالثقة تنفي عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق • قال عبيد الله بن زياد وكان خطيباً على لكنة كانت فيه نعم الشيء الإمارة لولا قعقعة البريد والتشزن للخطب • وقيل لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال وكيف لا يعجل علي وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور • قال بعض الكلبيين

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن • خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن من السكوت إبانة • ومن التكلف ما يكون خبالا

كلام بشر بن المعتمر

مر بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحاً واطووا عنه كشحاً ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان أول ذلك الكلام • خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حسباً وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً وخفيفاً على اللسان سهلاً وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما وكن في ثلاث منازل فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام • قال بشر فلما قرئت على إبراهيم قال لي أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان • قال أبو عثمان أما أنا فلم أر قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب

بل إنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً وإذا سمعتموني أذكر
العوام فإني لست أعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ولست أعني الأكراد في الجبال
وسكان الجزائر في البحار ولست أعني من الأمم مثل البَبْر والطيلسان ومثل موقان وجيلان
ومثل الزنج وأشباه الزنج وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع العرب وفارس
والهند والروم والباقون همج وأشباه الهمج وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا
ولغتنا وأخلاقنا فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة
منا على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضاً ۝

ثم رجع بنا القول إلى بقية كلام بشر بن المعتمر وإلى ما ذكر من الأقسام

قال فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسنح لك عند أول نظرك وفي
أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها
المقسومة لها والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها
نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها فإنك إذا لم
تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد
وإن أنت تكلفتهما ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً بما عليك ولك عابك
من أنت أقل عيباً منه ورأى من هو دونك أنه فوقك فإن ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى
الصنعة ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل
ولا تضجر ودعه بياض يومك أو سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فإنك لا تعدم
الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق فإن تمنع عليك
بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول إهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه
الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما
نسب والشيء لا يحن إلى ما يشاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود
بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فهكذا
هذا وقال ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين
أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار
الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار
تلك الحالات فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة
الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات
أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف ولأن كبار المتكلمين ورؤساء
النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك

المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في
لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع ۝ ولذلك قالوا العرض والجوهر
وأيس وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهوية والماهية وأشباه ذلك وكما
وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض
بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك الأسماء كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل
وأشباه ذلك وكما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزحاف وقد ذكرت العرب في أشعارها
السناد والإقواء والإكفاء ولم أسمع بالإيطاء ۝ وقالوا في القصيد والرجز والسجع والخطب
وذكروا حروف الروي والقوافي وقالوا هذا بيت وهذا مصراع ۝ وقد قال جندل الطهوي حين
مدح شعره ۝ لم أقو فيهن ولم أساند ۝ وقال ذو الرمة
وشعر قد أرقت له غريب ۝ أجنبه المساند والمحالا ۝ وقال أبو حزام العكلي
بيوتاً نصبنا لتقويمها جذول الربيئين في المربأه ۝ بيوتاً على قدرها سجحة بغير السناد ولا المكفأه
وكما سمى النحوي فذكر الحال والظرف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا
تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء
جعلوها علامات للتفاهم ۝ قالوا وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السماطين
أو على منبر جماعة أو في سدة دار الخلافة أو في يوم جمع وحفل إما في إصلاح بين العشائر
واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم فيقول كما قال بعض من خطب على منبر
ضخم الشأن رفيع المكان ثم إن الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم
فتلاشوا ولولا أن المتكلم افتقر إلى أن يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي أن يؤخذ فوق يده وخطب
آخر في وسط دار الخلافة فقال في خطبته وأخرجه الله من باب الليسية فأدخله في باب الأيسية
وقال مرة أخرى في خطبة له هذا فرق ما بين السار والضار والدفاع والنفاع ۝ وقال
مرة أخرى فدل ساتره على غامره ودل غامره على منحله فكاد إبراهيم بن السندي يطير
شقاً وينقد غيظاً هذا وإبراهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من المتكلمين وإنما جازت
هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني ۝ وقد تحسن أيضاً
ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على جهة التظرف والتمليح كقول
أبي نواس ۝ وذات خد مورد ۝ قوهية المتجرد ۝ تأمل العين منها ۝ محاسناً ليس تنفد
فبعضها قد تناهى ۝ وبعضها يتولد ۝ والحسن في كل عضو ۝ منها معاد مردد ۝ وكقوله
يا عاقد القلب مني ۝ هلا تذكرت حلا ۝ تركت قلبي قليلاً ۝ من القليل أقلا
يكاد لا يتجزا ۝ أقل في اللفظ من لا ۝ وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئاً
من كلام الفارسية كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها ۝

أبو عمرة المسرندي الذي يغلبك ويعلوك ... قد جعل النعاس يغرنديني ... أدفعه عني ويسرنديني
والمغرندي مثل المسرندي

من يلقه من بطل مسرندِ * في زغفة محكمة بالسردِ * يجول بين رأسه والكردِ *
يعني العنق. ويقول فيه أيضا: لما توى بين غيابات الشزر * وصار في كف الهزبر الورد *
آلى يذوق الدهر آب سرد * وكقول الآخر:
ودلجني وقع الأسنة والقنا * وكافر كوبات لها عجر قفد *
بأيدي رجال ما كلامي كلامهم * يسومونني مردا وما أنا والمرد * ومثل هذا
موجود في شعر العراقي والكثيري وغيره، ويكون أيضا أن يكون الشعر مثل شعر بشار والأسود
بن أبي كريمة، وكما قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ: آب است نبيذ است *
عصارات زبيب است * سمية روسبيذ است * وقال الأسود بن أبي كريمة:
لزم الغرام ثوبي بكرة في يوم سبت * فتمايلت عليهم ميل زنكي بمست
قد حسا الداذي صرفا أو عقارا بايخست * ثم كفتم دور باذ وبحكم إن خر كفت
إن جلدي دبغته أهل صنعاء بجفت * وأبو عمرة عندي آن كوربذ نمشت
جالس اندر مكنانه أبا عمرو نهشت * وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا
سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فإن الوحشي
من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات
كما أن الناس أنفسهم في طبقات. فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح
والسمج والخفيف والثقيل وكله عربي، وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا، فإن
زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا العيي والبكي
والحصر والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والمهمار والثرثار والمكثار والهمار
ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط وقالوا رجل تلقاعة وتلقاعة وفلان يتلهيع
في خطبته، وقالوا فلان يخطئ في جوابه ويحيل في كلامه ويناقض في خبره، ولولا أن هذه الأمور
قد تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء. وأنا أقول
إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق ولا ألذ في الأسماع ولا أشد اتصالا
بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب
العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء. وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا إلا أني أزعم أن سخيف
الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر
من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني، كما أن النادرة الباردة جدا
قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا، وإنما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس
النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط، وإنما
الشأن في الحار جدا أو البارد جدا. وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول: والله لفلان أثقل

من مغن وسط، وأبغض من ظريف وسط. ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن
تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج كلام
المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر
العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا
أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت
له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها. ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب
والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم، وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة
وبقرب مجامع الأسواق. ولأهل المدينة ألسنة ذلقة، وألفاظ حسنة، وعبارة جيدة، واللحن في
عوامهم فاش، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب. واللحن من الجواري الظراف ومن الكواعب النواهد
ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر، وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن
الجارية صاحبة تكلف، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد، وكما يستملحون اللثغاء إذا كانت
حديثة السن ومقدودة مجدولة، فإذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح. وربما كان اسم الجارية
غليم وصبية وما أشبه ذلك، فإذا صارت كهلة جزلة وعجوزا شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها
الشحم وصار بنوها رجالا وبناتها نساء فما أقبح حينئذ أن يقال لها: يا غليم كيف أصبحت؟ ويا
صبية كيف أمسيت؟ ولأمر ما كنت العرب البنات فقالوا: فعلت أم الفضل، وقالت أم عمرو، وذهبت
أم حكيم. نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدم في تلك الكنى. وقد فسرنا ذلك كله في كتاب الأسماء
والكنى والألقاب والأنباز. وقد قال مالك بن أسماء في استملاح اللحن من بعض نسائه:
أمغطى مني على بصري للحب أم أنت أكمل الناس حسنا
وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا وأحلى الحديث ما كان لحنا
وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص إلى حبات القلوب وإلى إصابة عيون المعاني، ويقولون: أصاب
الهدف، إذا أصاب الحق في الجملة، ويقولون: قرطس فلان، وأصاب القرطاس، إذا كان أجود إصابة
من الأول، فإن قالوا: رمى فأصاب الغرة، وأصاب عين القرطاس، فهو الذي ليس فوقه أحد.
ومن ذلك قولهم: فلان يفل الحز، ويصيب المفصل، ويضع الهناء مواضع النقب. وقال زرارة بن
جزء حين أتى عمر بن الخطاب رحمه الله فتكلم عنده ورفع حاجته إليه:
أتيت أبا حفص ولا يستطيعه من الناس إلا كالسنان طرير
فوفقني الرحمن لما لقيته وللباب من دون الخصوم صرير
قروم غيارى عند باب ممنع تنازع ملكا يهتدي وتجور
فقلت له قولا أصاب فؤاده وبعض كلام القائلين غرور

وفي تشبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان حيث يقول

رجالٌ أصحاءُ الحلومِ من الخنا ... وألسنةٌ معروفةٌ أين تذهبُ

الشيء بعينه يقول ذو الرمة في مدح بلال بن أبي بردة الأشعري

تناخي عند خير فتى يمانٍ ... إذا النكباء عارضت الشمالا

وخيرهم مآثر أهل بيتٍ ... وأكرمهم وإن كرموا فعالا

وأبعدهم مسافة غور عقلٍ ... إذا ما الأمر في الشبهات عالا

ولبسٍ بين أقوامٍ فكلٌّ ... أعدّ له الشغازب والمحالا

وكلهم ألدُّ له كظاظٌ ... أعدّ لكل حال القوم حالا

فصلت بحكمةٍ فأصبت منها ... فصوص الحق فانفصل انفصالا

وكان أبو سعيد الرأي وهو بشير المدني يعيب أبا حنيفة فقال

عندي مسائل ما بشيرٌ يحسنها عند السؤال ولا أصحاب بشير

ولا يصيب فصوص الحق تعلمه الأحنيفة كوفية ...

ومما قالوا في الإيجاز وبلوغ المعاني بالألفاظ اليسيرة قال ثابت بن قطنة

ما زلت بعدك في همٍّ تجيش به ... صدري وفي نصبٍ قد كاد يبليني

لو في تذكرت قتلى لو شهدتهم ... في غمرة الموت لم يصلوا بها دوني

لا أكثر القول فيما يحسبون به ... من الكلام قليلٌ منه يكفيني

وقال رجل من طيء ومدح كلام رجل فقال هذا كلام يكتفى بأوله ويشتفى بآخره

وقال أبو وجزة السعدي من سعد بن بكر يصف كلام رجل

يكفي قليل كلامه وكثيره ... ثبتٌ إذا طال النضال مصيبُ

ومن كلامهم الموجز في أشعارهم قول العكلي في صفة قوس

في كفه معطيةٌ منوعُ ... موثقةٌ صابرةٌ جزوعُ

وقال الآخر ووصف سهم رامٍ أصاب حمارا فقال

حتى نجا من جوفه وما نجا

وقال الآخر وهو يصف ذئبا

أطلس يخفي شخصه غباره ... في شدقه شفرته وناره

ووصف الآخر ناقة فقال

خرقاء إلا أنها صناعُ

وقال الآخر ووصف سهما صاردا

ألقى على مفطوحها مفطوحا ... غادر داءً ونجا صحيحا

المفطوح الأول القوس وهو العريض وهو هاهنا موضع مقبض القوس والمفطوح الثاني السهم العريض يعني أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضا وقال الآخر

إنك يا ابن جعفر لا تفلح ... الليل أخفى والنهار أفضح

وقالوا في المثل الليل أخفى للويل وقال رؤبة يصف حمارا

حشرج في الجوف سحيلا أو شهق

حتى يقال ناهقٌ وما نهق

الحشرجة صوت الصدر والسحيل صوت الحمار إذا مدّ والشهيق أن يقطع الصوت وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمي في فرس أبي الأعور السلمي

جاء كلمع البرق جاش ناظره ... يسبح أولاه ويطفو آخره

فما يمس الأرض إلا حافره

قوله جاش ناظره أي جاش بمائه وناظره البرق سحابه يسبح يعني يمد ضبعيه فإذا مدهما جعلا كفعله وقال الآخر

إن سرك الأهوى فابن بالأشتر ... وقال العجاج

يمحق الشعب إذا الريح انتطى ... من هامة الليث إذا ما الليث هر

يحمل الحجر إذا خاض جسر ... عوارب اليم إذا اليم هدر

حتى يقال جاسرٌ وما جسر

اليم معظم الماء وعوارب اليم موجه جسر قطع ومنه قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه وقوله حتى يقال جاسر وما جسر أي قطع الأمر وهو يعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقوته عليه وقال آخر

يا دار قد غيرها بلاها ... كأنما بقلمٍ محاها

أخربها عمران من بناها ... وكرّ ممساها على مغناها

وطفقت سحابةٌ تغشاها ... تبكي على عراصها عيناها

قوله أخربها عمران من بناها يقول عمرها بالخراب وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء فإذا بقي الرجل في داره فقد عمرها فيقول إن مدة بقائه فيها أبلت منها لأن الأيام مؤثرة في الأشياء بالنقص والبلى وقال غيره

يا عجّل الرحمن بالعذاب ... لعامرات البيت بالخراب

يعني الفأر يقول هذا عمرانها كما يقول الرجل ماذا من خير لهم وإنما ... إلا ما ينالنا من خطيئة علينا وقتل في العظام وقال الله عز وجل هذا نزلهم يوم الدين والعذاب لا يكون نزلا ولكنه لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمي باسمه وقال الآخر

فقلت أطعمني عمير تمرا ... فكان تمري كهرةً وزبرا

والتمر لا يكون زبرا ولكنه على ذا وقال الله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس في الجنة بكرة ولا عشي ولكن على مقدار البكر والعشيات وعلى هذا قول الله عز وجل وقال الذين في النار لخزنة جهنم والخزنة الحفظة وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها الإنسان فيمنع منها ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به قوله ممساها يعني مساءها ومغناها موضعها الذي أقيم فيه والمغاني المنازل التي كان بها أهلوها وطفقت يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها يقال لكل جوبة منفتقة ليس فيها بناء عرصة عيناها هاهنا السحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه وقال أبو عمرو بن العلاء اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز فقال أحدهم قول حميد بن ثور الهلالي

وحسبك داءً أن تصح وتسلما

ولعلّ جريراً أن يكون أخذه عن النمر بن تولب، قال النمر:

يحبّ الفتى طول السلامة والغنى ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

وقال أبو العتاهية: أسرع في نقص امرئٍ تمامه. ثم ذهب إلى كلام الأول: كلّ ما أقام شخص وكلّ ما ازداد نقص، ولو كان الناس يميتهم الداء إذاً لأعاشهم الدواء. وقال الثاني من الرواة الثلاثة: بل قول أبي خراش الهذلي: توكّل بالأدنى وإن جلّ ما يمضي. وقال الثالث: بل قول أبي ذؤيب الهذلي: وإذا تُرَدّ إلى قليل تقنع. فقال قائل: هذا من مفاخر هذيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف اثنان منها لهذيل وحدها. فقيل لهذا القائل: إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها، والنصف الذي لأبي ذؤيب لا يستغني بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولاً بالنصف الأول، لأنك إذا أنشدت رجلاً لم يسمع بالنصف الأول وسمع: وإذا تُرَدّ إلى قليل تقنع، قال: ومن هذه التي تُرَدّ إلى قليل فتقنع. وليس المضمّن كالمطلق، وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم، إنما الرواية قوله: والدهر ليس بمعتب من يجزع. ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذي كالوحي والإشارة قول أبي دواد بن حريز الإيادي:

يرمون بالخطب الطوال وتارةً ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها والحذف في موضعه. ومما يدلّ على شغفهم وكلفهم وشدّة حبّهم للفهم والإفهام قول الأسدي في صفة كلام رجل نعت له موضعاً من تلك السباسب التي لا أمارة فيها بأقلّ اللفظ وأوجزه، فوصف إيجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال:

بضربة نعتٍ لم تُعَد غير أنني ... عقولٌ لأوصاف الرجال ذكورها

وهو كقولهم لابن عباس: أنّى لك هذا العلم؟ قال: قلبٌ عقول ولسانٌ سؤول. وقد قال الراجز:

ومهمهين قذفين مرتين ... جبتهما بالنعت لا بالنعتين

وقالوا في الخبير من سهم الشعر ومن شرّه، ووقع اللسان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجو. قال امرؤ القيس بن حجر:

ولو عن نثا غيره جاءني ... وجرح اللسان كجرح اليد

وقال طرفة:

بحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

قال وأنشدني محمد بن زياد:

تجوت شمالاً كما تلحى العصي ... شبا الوانيات لا تسبت يدمي لديه

من نفس كلهم ينكس عربي ... محامد الوذل مشاتيم الشري

محافظ العشم مواديع الطمع ... متاريط الرميق بالخرق والتسطي

وأنشد محمد بن يزيد:

تمنّى أبو العفلاق عثري مغلمة ... تسهد ما قوى ليثها بالكلاكل

ولا عقل عندي غير طعن نوافذ ... وضرب كأشراف الفصال لمواذل

وشبيب يود المرء الرمان فيتله ... كصدع الصفي قلقته بالمعاول

النجمة: القطعة من الثوب فيها جمال والكلكل: الصدر، والفصال جمع فصيل، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عنها، والمواذل: العظام المشاش، والعقل ما مضى الدية، والعاقلة أهل القاتل الأدنون والأبعدون. الصقا جمع صقاء، وهي الصخرة. وقال طرفة:

رأيت القوافي يتّلجن موالجاً ... تضايق عنها أن تولّجها الإبر

وقال الأخطل:

حتى أقرّوا وهم مني على مضضٍ ... والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر

وقال الفضلي:

إذ هن في الريط وفي المواذع ... ترمي النهي كبنات الرابع

الريط: واحدها ريطة، والريطة كل ملاءة لم تكن لفقين والحلّة لا تكون إلا ثوبين، والمواذع: الثياب التي تصون غيرها واحدها ميدعة. وقالوا الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى. وكتب نصر بن سيار إلى ابن هبيرة أيام تحرّك أمر السواد بخراسان:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... فيوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فإن كانوا لحينهم نياماً ... فقل قوموا فقد حان القيام

وقال بعض المولدين:

إذا قلت العطية بعد مطل ... فلا كانت وإن كانت جزيلة

وسيّان العطية ثم سقيا ... إذا استعملت وإن كانت قليلة

وللشعراء ألسنة حداد ... على العورات موفية دليلة

ومن عقل الكريم إذا اتّقاهم ... وداراهم مداراة جميلة

إذا وضعوا مكاويهم عليه ... وإن كذبوا فليس لهن حيلة

وقالوا مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها. ومما قالوا في صفة اللسان قول الأسدي أنشدنيها ابن الأعرابي:

وأصبحت أعددت للنائبات ... عرضاً بريئاً وعضباً صقيلا

ووقع لسانٍ كحدّ السنان ... ورمحاً طويل القناة عسولا

وقال الأصمعي:

أدافع عن أعراضكم وأعيركم ... لساناً كمقراض الخفاجي ملحبا

الملحب: القاطع. وقال ابن هرمة:

قل للذي ظلّ ذا لونين يأكلني ... لقد خلوت بلحم عارم البشم

إياك لا ألزمن لحييك من لجمي ... نكلاً ينكل قراصاً من اللجم

إني امرؤ لا أصوغ الحلي تعمله ... كفاي لكن لساني صائغ الكلم

وقال الآخر:

إني بغيت الشعر وابتغاني ... حتى وجدت الشعر في مكاني

في عيبة مفتاحها لساني

وأنشد:

إني وإن كان إزاري خلقا ... وبرنكاني سملاً قد أخلقا

قد جعل الله لساني مطلقا

قال الحريري في درة الغواص يقولون ...

في كتاب العين قال يقال كساء برنكاني، وهو كساء أسود بلغة أهل العراق

بسم الله الرحمن الرحيم   العتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أن
كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن
جهته والمصروف عن حقه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه ونحن
قد فهمنا معنى كلام النبطي الذي قيل له لم اشتريت هذه الأتان قال أركبها وتلد لي وقد علمنا
أن معناه كان صحيحا ۔ وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لأهل مجلسه ما من شر من دين
وأنه قال حين قيل له ولم ذاك يا أبا فلان قال من جرى يتعلقون وما نشك أنه قد ذهب مذهبا
وأنه كما قال ۔ وقد فهمنا معنى قول أبي الجهير الخراساني النخاس حين قال له الحجاج أتبيع الدواب
المعيبة من جند السلطان قال شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها وكما تجيء تكون قال
الحجاج ما تقول ويلك فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية
حتى صار يفهم مثل ذلك يقول شركاؤنا بالأهواز وبالمداين يبعثون إلينا بهذه الدواب
فنحن نبيعها على وجوهها ۔ وقلت لخادم لي في أي صناعة أسلموا هذا الغلام قال في أصحاب
سند نعال يريد في أصحاب النعال السندية ۔ وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذي دخل
اكتب لي قل خطي من ده ۔ فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القايل
جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء وكله
بيانا وكيف يكون ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما
عرفه ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون
على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلبي وإن كان هذا الاسم إنما
يستحقونه بأنا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من حاجاته
ونفهم بضغاء السنور كثيرا من إرادته وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع وإنما عنى
العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء وأصحاب هذه اللغة لا يفهمون
قول القايل منا مكره أخاك لا بطل وإذا عز أخاك فهن ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم
ذهبت إلى أبو زيد ورأيت أبي عمرو ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه
ولم يسمعوا منه لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان
لأن تلك اللغة إنما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في تلك
الجزيرة وفي تلك الجيرة ولفقد الخلطاء من جميع الأمم ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم
قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد على أنه قد كان وضع منزله في آخر موضع
الفصاحة وأول موضع العجمة وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين ۔ وزعم أصحابنا البصريون
عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج وكان زعموا لا يبرئهما
من اللحن ۔ وزعم أبو العاصي أنه لم ير قرويا قط لا يلحن في حديثه وفيما يجري بينه وبين الناس

الا

إلا ما تفقده من أبي زيد النحوي ومن أبي سعيد المعلم ۔ وقد روى أصحابنا أن رجلا من البلديين قال
لأعرابي كيف أهلك قالها بكسر اللام قال صلبا لأنه أجابه على فهمه ولم يعلم أنه أراد المسألة
عن أهله وعياله ۔ وسمعت ابن بشير وقال له أبو الفضل العنبري إني عثرت البارحة
بكتاب وقد التقطته وهو عندي وقد ذكروا أن فيه شعرا فإن أردته وهبته لك قال ابن
بشير أريده إن كان مقيدا قال والله ما أدري أمقيدا هو أو مغلول ولو عرف التقييد
لم يلتفت إلى روايته ۔ وحكى الكسائي أنه قال لغلام بالبادية من خلقك وجزم القاف فلم يدر
ما قال ولم يجبه فرد عليه السؤال فقال الغلام لعلك تريد من خلقك وكان بعض الأعراب
إذا سمع رجلا يقول نعم في الجواب قال نعم وشاء لأن لغته نعم ۔ وقيل لعمر بن لجأ قل إنا
من المجرمون منتقمين قال إنا من المجرمين منتقمون ۔ وأنشد الكسائي كلاما دار بينه وبين بعض
فتيان البادية فقال ۔   عجبا ما عجب أعجبني من غلام حكمي أصلا
قلت هل أحسست بكرا لي حضا مادونه قال هلا ۔   قلت بين ما هلا مثل بين لوا قال حوبا ثم ولى عجلا
لست أدري عندما قال لي أنعم ما قال لي أم قال لا ۔   تلك منه لغة تعجبني زادت القلب خبالا أخبلا
قال أبو الحسن قال قيل مولى زياد لزياد أهدوا لنا همار وهش قال أي شيء تقول ويلك
قال أهدوا لنا أيرا يريد أهدوا لنا عيرا قال زياد ويلك الأول خير ۔ وقال الشاعر يذكر
جارية له لكناء ۔   أول ما أسمع منها في السحر   تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر
والسوءة السوءاء في ذكر القمر ۔   فزياد قد فهم عن مولاه والشاعر قد فهم
عن جاريته ولكنهما لم يفهما عنهما من جهة إفهامهما لهما ولكنهما لما طال مقامهما في الموضع
الذي يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام

ثم ذكر ما قالوا في مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور

وما جاء في الأثر وصح به الخبر ۔ قال الشاعر

أرى الناس في الأخلاق أهل تخلق   وأخبارهم شتى فعرف ومنكر
قريبا تدانيهم إذا ما رأيتهم   ومختلفا ما بينهم حين تخبر
فلا تحمدن الدهر ظاهر صفحة   من المرء ما لم تبل ما ليس يظهر
فما المرء إلا الأصغران لسانه   ومعقوله والجسم خلق مصور
وما اللب في ثوب تراه وإنما   يزين الفتى مخبوره حين يخبر
فإن طرة راقتك منه فربما   أمر مذاق العود والعود أخضر

وقال سويد بن أبي كاهل في ذلك   ودعتني برقاها إنها   تنزل الأعصم من رأس اليفع
تسمع الحداث قولا حسنا لو أرادوا غيره لم يستطع ۔   ولسانا صيرفيا صارما كحسام السيف ما مس قطع
وقال جرير ۔   وليس لسيفي في العظام بقية   وللسيف أشوى وقعة من لسانيا ۔ وقال آخر

وجرح السيف تدمله فيبرى وجرح الدهر ما جرح اللسان . وقال الآخر

أبا ضبيعة لا تعجل بسيئة إلى ابن عمك واذكره بإحسان ، إما تراني وأثوابي مقاربة ليست بخز ولا من حر كتان

فإن في المجد هماتي وفي لغتي علوية ولساني غير لحان . وفيما مدحوا به الأعرابية إذا كان ذربا

أنشدني ابن أبي كريمة واسمه أسود :

ألا زعمت عفراء بالشام أنني غلام جوار لا غلام حروب

وإني لأهذي بالأوانس كالدمى وإني بأطراف القنا للعوب

وإني على ما كان من عنجهيتي ولوثة أعرابيتي لأديب

وقال ابن هرمة :

لله در سلم من فتى فجعت به يوم البقيع حوادث الأيام

هش إذا نزل الوفود ببابه سهل الحجاب مؤدب الخدام

فإذا رأيت شقيقه وصديقه لم تدر أيهما أخو الأرحام

وقال كعب بن سعد الغنوي :

حبيب إلى الزوار غشيان بيته جميل المحيا شب وهو أديب

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا فلم تنطق العوراء وهو قريب

وقال الحارثي : وقال الآخر :

وتعلم أني ماجد وتروعها بغيته الأعرابية في مهاجر

وإن امرأ في الناس يعطي ظلامة ويمنع نصف الحق منه لراضع

ألا لموت تخشى أثكل الله أمه أم العيش يرجو نفعه ومنافع

ويطعم ما لم يترع في مريه ويمسح أعلى بطنه وهو جايع

ولوم العقول فالعلق أسنة حراد النواحي أرمقتها المواقع

الراضع اللئيم

ويقولون كأن لسانه لسان ثور . وحدثني من سمع أعرابيا ومدح رجلا برقة اللسان فقال كان والله لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ما بقي من لسانك فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال والله ما يسرني به مقول من معد والله لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . قال وسمعت أعرابيا يصف لسان رجل فقال كان يشول بلسانه شولان البروق ويتخلل به تخلل الحية . وأظن هذا الأعرابي أبا الوجيه العكلي . يشول يرفع والبروق الناقة إذا طلبت الفحل فهي حينئذ ترفع ذنبها وإنما سمي شوال شوالا لأن النوق تشول بأذنابها فيه فإن قال قائل قد ينبغي أن يكون شوال في وقت ما تشول الناقة بذنبها فيه فلم بقي هذا الاسم عليه وقد ينتقل ما له لزمه عنه قيل له إنما جعل هذا الاسم له سمة حين اتفق أن شالت النوق بأذنابها فيه فبقي عليه كالسمة وكذلك رمضان إنما سمي لرمض الناس فيه ومرض فيه شدة الحر فبقي عليه في البرد وكذلك ربيع إنما سمي لرعيهم الربيع

فيه وإن كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحر . قال ووصف أعرابي رجلا فقال أتيناه فأخرج لسانه كأنه مخراق لاعب . قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله فيم الجمال قال في اللسان . قال وكان مجاشع بن دارم خطيبا سليطا وكان نهشل بكيا منزورا فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع في تركه الكلام فقال له نهشل إني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك تشول بلسانك شولان البروق . وقالوا أفضل جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الإنس ثم الجن وإنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق . قال وقال خالد بن صفوان ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة . قال وقال رجل لخالد بن صفوان ما لي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الأشعار وقع علي النوم قال لأنك حمار في مسلاخ إنسان . وقال صاحب المنطق حد الإنسان الحي الناطق الميت . وقال الأعور الشني :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته وقصره فقال النعمان تسمع بالمعيدي لا أن تراه فقال أبيت اللعن إن الرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان وليست بمسوك يستقى بها وإنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه إن صال صال بجنان وإن قال قال ببيان . والعامة تجعل هذا المثل للصقعب النهدي فإن كان ذلك كذلك فقد أقروا أن شهرا من معد . وكان يقال عقل المرء مدفون تحت لسانه .

باب آخر في ذكر اللسان

أبو الحسن قال قال الحسن لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال وإن كان عليه سكت وقلب الجاهل من وراء لسانه فإن هم بالكلام تكلم به له أو عليه . قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدثني العمري قال كنا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ومعنا كعب بن جعيل التغلبي فقال له يزيد إن ابن حسان يريد عبد الرحمن قد فضحنا فاهج الأنصار قال أرادي أنت إلى الإشراك بعد الإسلام لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني أدلك على غلام منا نصراني كأن لسانه لسان ثور يعني الأخطل . وقال سعد بن أبي وقاص لعمر ابنه حين نطق مع القوم فبذهم وقد كانوا كلموه في الرضى عنه قال هذا الذي أغضبني عليه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها . قال وقال معاوية لعمرو بن العاص يا عمرو إن أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبي موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأي فأجد الحز وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله . والعجب من قول ابن الزبير للأعراب سلاحكم رث وحديثكم

أي إنه لا يحتاج إلى ... لأن عمرو بن العاص كان ذا حيلة ولم يكن أبو موسى كذلك

قال: وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان أحسن الناس حديثاً وأن أبا نضرة وعبيد الله بن أبي بكرة إنما كانا يتحكيان به فلا أدري إلا أن يكون حسن حديثه هو الذي ألقى الحسد بينه وبين كثير من قريش. وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الأمر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن ذلك الكلام كان عنده، فلما طال بهما المجلس كأن خالداً عرّض له ببعض الأمر فقال المدني: يا أبا صفوان ما من ذنب إلا اتفاق الهجائين، ذكر ذلك الأصمعي. قال: وقال الأزرق: قال رجل من بني منقر: تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله، وإذا أعرابي في بتّ ما في رجليه حذاء، فأجابه بكلام وددت والله أني كنت مت وأن ذلك لم يكن، فلما رأى خالد ما نزل به قال: كيف نجاريهم وإنما نحكيهم، وكيف نسابقهم وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعراقهم، فليفرخ روعك فإنه من مقاعس ومقاعس لك. فقلت: يا أبا صفوان والله ما ألومك على الأولى ولا أدع حمدك على الأخرى. قال أبو اليقظان: قال عمر بن عبد العزيز: ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه. قال: وقال يونس: ليس في بني أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو كاهن أو فارس. قال: وليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو. الترجمان بن هريم بن عدي بن أبي طحمة قال: دعي رقبة بن مصقلة أو كرب بن رقبة إلى مجلس ليتكلم فيه، فرأى مكان أعرابي في شملة فأنكر موضعه، فسأل الذي عن يمينه عنه، فخبّره أنه الذي أعدوه لجوابه، فنهض مسرعاً لا يلوي على شيء، كراهة أن يجمع بين الديباجتين فيتضع عند الجميع. وقال خلاد بن يزيد: لم يكن أحد بعد أبي نضرة أحسن حديثاً من سلم بن قتيبة. قال: وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول: احذفوا الحديث كما يحذفه سلم بن قتيبة. ويزعمون أنه لم يروا محدثاً قط صاحب آثار كان أجود حذفاً وأحسن اختصاراً للحديث من سفيان بن عيينة، سألوه مرة عن قول طاوس في ذكاة الجراد فقال ابنه عنه: ذكاته أخذه.

وباب آخر

وكانوا يمدحون شدة العارضة وقوة المنة وظهور الحجة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلو على الخصم، ويهجون بخلاف ذلك. قال الشاعر:

طباقاء لم يشهد خصوماً ولم يعش حميداً ولم يشهد حلالاً ولا عطرا

وقال أبو زبيد الطائي:

وخطيب إذا تمعرت الأوجه يوماً في مأقط مشهود

طباقاء يقال للعيي إذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طباقاء، وهو ها هنا للرجل الذي لا يتجه للحجة. الحلال: الجماعات، ويقال: حي حلال إذا كانوا متجاورين مقيمين، والعطر ها هنا العرس. المأقط: الموضع الضيق، والمأقط: الموضع الذي يقتتل فيه. وقال تابع بن حليفة العنبري:

وحضر لدى باب الأمير كأنهم قروم فشا فيها الرقى وأيسر [illegible]

القروم: الجمال المصاعب الواحد قرم، والذي يرددون الهدر صوته عند هيجه ويقال له المقرم

ذلقت لهم دون المنى بملمة من اللدد أعقاب دمر بها شزر. ذلقت: نوبت

إذا القوم قالوا أذن منها وجدتها مطبعة بها وليس لها خصر. قوله أذن منها أي قللها واختصرها. وجدتها مطبعة أي قد طبعتهم بالحجة. الفيفاء الأرض التي لا يهتدى فيها الطريق، وبهماء مثلها يعني التي لا يهتدى لها وبطل الخصوم عندها، والأبهم من الرجال [illegible] الذي لا يهتدي لشيء، وأرض بهماء إذا لم تكن فيها علامة. وقال الأسلع بن قصاب الطهوي:

فداء لقومي كل معشر جارم طريد ومخذول بما جر مسلم

هم أفحموا الخصم الذي يستقيدني وهم فصموا حجلي وهم حقنوا دمي

بأيد يفرجن المضيق وألسن سلاط وجمع ذي زهاء عرمرم

إذا شئت لم تعدم لدى الباب منهم جميل المحيا واضحاً غير توأم

التوءمان: الأخوان المولودان في بطن. وقال التميمي في ذلك:

أما رأيت الألسن السلاطا والأنجم والأقدام والنشاطا

إن الندى حيث ترى الضغاطا

ثم صب في البيت الأخير إلى قول الشاعر:

يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

وإلى قول الآخر:

يرفض عن بيت الفقير ضيوفه وترى الغني يهدى له ويزارا

وأنشدوا في المعنى الأول:

وخطيب قوم قدموه أمامهم ثقة به متخمط تياح

المتخمط: المتكبر مع غضب، والتياح والمتيح: الذي يعترض في كل شيء ويدخل في ما لا يعنيه.

جاوبت خطبته فقلت كأنه لما خطبت مملّح بملاح

وأنشد أيضاً:

أرقت لضوء برق في نشاص تلألأ في مملأة غصاص

النشاص: السحاب الأبيض المرتفع. تلألأ والتلألؤ ظهور البرق في سرعة. مملأة بالماء، غصاص قد غصت بالماء.

لواقح دلّح بالماء سحم تمج الغيث من خلل الخصاص

اللواقح التي قد لقحت من الريح، والدلح: الدوانية الثقال من الماء. سحم: سود. الخصاص ها هنا خلل السحاب.

سل الخطباء هل سبحوا كسبحي بحور القول أو غاصوا مغاصي

لساني بالنثير وبالقوافي وبالأسجاع أمهر في الغواص

النثير: الكلام المنثور. القوافي: خواتم أبيات الشعر. الأسجاع: الكلام المزدوج على غير وزن.

من الحوت الذي في لج بحر يجيد الغوص في لجج المغاصي

لعمرك إنني لأعف نفسي وأستر بالتكرم من خصاصي

وأنشد لرجل من بني ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة:

لنا قمرا السماء وكل نجم يضيء لنا إذا القمران غارا

ومن يفخر بغير ابني نزار فليس بأول الخطباء جارا

وأنشد للأقرع:

إني امرؤ لا [illegible] الخصم حجته عند الأمير إذا ما خصمه ظلعا

ينمير ونجى اذا اجرى الخصام بنا ووجه خصمي تراه الدهر ملتمعا ؛ وانشد
تراه بنصريه في الحفيظة والثغا وان صرح عنه العين منه وحاجبه ؛
ولون خطرت ايدي الكماة وجربت نصور اذا ما استيبس الريق عاصبه ؛
عاصبه يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه الكماة جمع كمي وهو المتكمي بالسلاح يعني المتكمي
به المتستر ويقال تكمى الرجل شهادته يكتمها اذا كتمها وسترها وقال ابن احمر وذكر
الريق والاعتصام به ؛ هذا الثناء واجدرنا ان اصاحبه وقد تريم زوال الكلام الامل ؛
وقال الزبير بن العوام وهو يرقص ابنه عروة ؛ ابيض من آل ابي عتيق
مبارك من ولد الصديق ؛ الذه كما الذ ريقي ؛ وقالت امراة من بني اسد
الا بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد ؛
فمن كان يعني بالجواب فانه ابو معقل لا حي عنه ولا صدد ؛
الا ارووا بصحراء الثوية قبره وما كنت اخشى ان تناءى به البلد ؛
تناءى تبعد موضع يقال له صحراء الثوية وقال اوس بن حجر في فضالة بن كلدة ؛
ابا دليجة من يوصي بارملة ام من لاشعث ذي هدمين طملال ؛
هدمين ثوبين خلقين يقال ثوب اهدام اذا كان خلقا والطملال الفقير ؛
ام من يكون خطيب القوم اذ حفلوا لدى الملوك اولي كيد واقوال ؛
وقال ايضا في فضالة بن كلدة ؛ المنعا على حسن الالاء على الجابر الحي والحارب ؛
ورقبته حتمات الملوك بين السرادق والحاجب ؛ ورقبته اي انتظاره اذ دنى
الملوك وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك ؛
ويكفي المقالة اهل الرجال غير معيب ولا عائب ؛ وانشد ايضا
وخصم غضاب ينغضون رؤوسهم اولي قدم في الشغب صهب سبالها ؛
ضربت لهم ابط الشمال فاصبحت يرد غواة آخرين نكالها ؛
ابط الشمال يعني العواد بالا تكون في تلك الناحية وقال شتيم بن خويلد
وقلت لسيدنا يا حليم انك لم تاس اسوا رفيقا ؛ اعنت عدياً على شاوها تعادي فريقا وتبقي فريقا
زحرت بها ليلة كلها فجئت بها مويدا خنفقيقا ؛ تلاسو ترادي الشوا واسا مقدران والا في
الطبيب ؛ مويد داهية خنفقيق داهية الشاو الغلو الى كفر العرس ؛ وانشد لادم مولى
بلعنبر يقولها لابن له ؛ يا بابي انت يا فوق البيب ؛ يا بابي خصيلة من خفي وذنب
انت الحبيب وكذا قول المحب ؛ جنبك الله معاريض الوصب ؛ حتى تعيد وتراوي ذا الجرب
وذا الخنونة من سعال وكلب ؛ والجرب حتى يستقيم ذو الجرب ؛ وتحمل الشاعر في اليوم العصب
على مناسم كثيرات التعب ؛ وان اراد جرا لا صعب الرب ؛ خصومة تنقب اوساط الركب

اطلعته من رتب الى رتب ؛ حتى ترى الابطال امثال الشهب ؛ يرمي بها اشوس ملحاح كلف
مجرب الشدات ميمون مذب ؛ الوصب المرض والعصب الشديد يقال يوم عصب
وعصيب وعصبصب اذا كان شديدا ابا معيس متاعيب قد علالم اليمر الادرب يقال رجل
اريب واديب وله ارب اذا كان عاقلا اديبا حاذقا اطلعته يقال طلع الرجل اذا اشرع في مشيه
الرتبة واحدة الرتب والرتبات وهي الدرج وهي ما نصا الاشياء المختلفة التي تخرجه من شيء
الى شيء الاشوس الذي ينظر بموخر عينيه ملحاح ملح على الشيء كلب اي قد كلب من يذب
عن حريمه وعن نفسه وقالت ابنة وثيمة ترثي اباها وثيمة بن عثمان ؛
الواهب المال التلاد لنا ويكفينا العظيمة ؛ ويكون مزرعنا اذا زالت مجلجة عظيمة
التلاد القديم من المال والطارف المستفاد المزرع لسان القوم المتكلم عنهم مجلجة اي
داهية مصممة ؛ واخصب اقلاق السماء ولم تقع في الارض ديمة ؛ اخصب اخرت اقلاق
السماء اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط ديمة واحدة الديم وهي الامطار الدائمة مع
سكون ؛ وتعدي الاكال حتى كان اخصر ما المشيمة ؛ تعدي تمنع الاكال جمع
اكل وهو ما يوكل المشيمة ما يقشم من الشجر اي يكسر ؛
ثلاثة رعي وثلا ابل وثلا بقر مسيمة ؛ الثلة ما بين الستين الى العشرين من الغنم مسيمة
راعية ؛ النعيتة تاوي الارامل والمرقعة اليتيمة ؛
والدافع الخصم الالد اذا تفوضح في الخصومة ؛ بلسان لقمن بن عاد وفضل خطبته الحكيمة
الحكيمة بعد التدافع والتجاذب في الحكومة ؛ وكانت العرب تعظم شان لقمن بن عاد
الاكبر والاصغر ولقيم بن لقمان في النباهة والقدر وفي العلم والحكم وفي اللسان وفي الحلم
وهذان غير لقمن الحكيم المذكور في القران على ما يقوله المفسرون ولارتفاع قدره وعظم
شانه قال النمر بن تولب ؛ لقيم بن لقمان من اخته فكان ابن اخت له وابنما
ليالي حمق فاستحصنت عليه فغر بها مظلما ؛ فغر بها رجل محكم فجاءت به رجلا محكما
وذلك ان اخت لقمن قالت لامراة لقمن اني امراة محمقة ولقمن رجل منجب محكم وانا في ليلة
طهري فهبي لي ليلتك ففعلت فباتت في بيت امراة لقمن فوقع عليها فاحبلها بلقيم فلذلك
قال النمر بن تولب ما قال والمراة اذا ولدت الحمقى فهي محمقة ولا تعلم الدهي بري ولد
وجعل من يفي الاكياس وقالت امراة ذات بنات ؛ وما ابالي ان اكون محمقة ؛
اذا رايت خصية معلقة ؛ وقال آخر ؛
ما ادري بسغيط ان كنت امرا احمقا من نسل طاوية الاعراق محماق ؛ طاوية الاعراق
اي ضعيفة الاعراق نحيفتها يقال رجل طاوي وفيه طاوية اذا كان نحيفا قليل اللحم
وجاء في الحديث اغتربوا لا تضووا اي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة فيجيء ولده ضاويا

والفعل منه ضوي يضوى ضوى والاغثر أتى الاصول والمحماق اللتي عادتها ان تلد الحمقى والبغضهم
البنات. فلذا اجرى القوابل * أرى سحاب طرفي غير * وطرفي في حضيه والنشر *
وبلد ترينا طرق البطلين * وقال آخر في اغتاب الامهات وهو يخاطب بني اخوته
عقاربيل علي واكل مالي وخلما عن ابناس احرينا * فهلا غير عمكم ظلمتم اذا ما كنتم متظلمينا
فلو كنتم لكيسة اكاست وكيس الام اكيس للبنينا * وكان لنا فزاره عم سوء وكنت له كشر بني الاخينا
والبغض البنات هجر ابو حمزة الضبي خيمة امرأته وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت
امرأته بنتا فمر يوما بخبائها واذا هي ترقصها وتقول * ما لابي حمزة لا يأتينا *
يظل في البيت الذي يلينا * غضبان الا نلد البنينا * وانما ناخذ ما اعطينا *
قال فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها * وهذا الباب يقع في كتاب الانسان
من كتاب الحيوان وفي فضل ما بين الذكر والانثى تاما وليس هذا الباب مما يدخل في باب البيان
والتبيين ولكن قد يجري السبب فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارئ الكتاب لان خروجه
من الباب اذا طال لبعض العلم كان ذلك اروح على قلبه وازيد في نشاطه ان شاء الله وقد قال
الاول في تعظيم شأن لقيم بن لقمان * فهي اضحيتي فما صيغ العقي حجرا لكن رهينة الاحجار وأناس
الضحى الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشي والرس الغبر ويقال رمست الميت ارمسه
وارمسه اذا دفنته * فهي اضحيتي فان الدهر غمر وغير افني لقيما وافنى آل من ماس
اليوم خمر وينزو في غد خبر والدهر من بين انعام وابناس
فاشرب على حدثان الدهر مرتفقا لا يضحب الهم فرع الهم بالكاس
وقال ابو الطمحان القيني في ذكر لقمان *
ان الزمان ولا تفنى عجائبه فيه تقطع اسباب واقران
امست بنو القين افراقا موزعة كانهم من بقايا حي لقمان
وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة ولبعضهم بقايا قليلة وهم اشلاء في العرب
متفرقون مثل جرهم وجاسم ووبار وعملاق واميم وطسم وجديس ولقمان والعرماس وبني
الناصور وقيل بن عتر وذي جدن وقد يقال في بني الناصور انهم من الروم فاما ثمود فقد
خبر الله عز وجل عنهم فقال وثمود فما ابقى وقال فهل ترى لهم من باقية فانا اعجب من مسلم
يصدق بالقرآن يزعم ان في قبائل العرب من بقايا ثمود * وكان ابو عبيدة يتأول قوله وثمود
فما ابقى ان ذلك انما وقع على الاكثر وعلى الجمهور الاكبر وهذا التأويل اخرجه من ابي عبيدة
سوء الرأي في القوم وليس له ان يجيء الى خبر عام مرسل غير مقيد وخبر مطلق غير مستثنى
منه فيجعله خاصا كالمستثنى منه واي شيء بقي لطاعن او متأول بعد قوله فهل ترى لهم من باقية
فكيف يقول ذلك اذا كان يقر ان هذا في كل حي باقية معاذ الله من ذلك * وروى ان الحجاج

قال يوما على المنبر يزعمون انا من بقايا ثمود وقد قال الله تبارك وتعالى وثمود فما ابقى * فاما
الامم البائدة من العجم مثل كنعان ويونان واشباه ذلك فكثير ولكن العجم ليست لها عناية
بحفظ شأن الاموات ولا الاحياء * وقال المسيب بن علس في ذكر لقمان
والليل اعملت المطية من سماك العراق وانت بالعفر * انت الرئيس اذا هم نزلوا وتواجهوا كالاسد والنمر
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر * ولانت اجود بالعطاء من الريان لما جاد بالقطر
ولانت اشجع من اسامة اذ نقع الصراخ ولج في الذعر * ولانت ابين حين تنطق من لقمان لما عي بالامر
وقال لبيد بن ربيعة الجعفري * واخلف قسا ليتني ولو انني واعيا على لقمان حكم التدبر
فان تسألينا كيف نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر * المسحر الرئة
والمسحر المعلل بالطعام والشراب والمسحر المخدوع كما قال *
ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب * اي نعلل وكانا نخدع
ونسحر بالطعام وبالشراب * وقال الفرزدق *
لئن حومتي صادت معد حياضها لقد كان لقمان بن عاد يهابها * وقال الآخر *
اذا ما مات ميت من تميم فسرك ان يعيش فجيء بزاد * بخبز او بلحم او بتمر او الشيء الملفف في البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصا ليأكل رأس لقمان بن عاد * وقال افنون التغلبي *
لو انني كنت من عاد ومن ارم غذي بهم ولقمان وذي جدن * وقال الآخر
ما للذي العيش والغناء للدهر والدهر ذو فنون * اهلك طسما وقبل طسم اهلك عادا وذا جدون
واهل جاسم ومأرب وحي لقمان والتقون * واليسر للعسر والتغني للفقر والحي للمنون
قال وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة والتخلص والرشاقة فانهم
كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار لما في ذلك من التزيد والمباهاة
واتباع الهوى والمنافسة في الغلو والغدر وكانوا يكرهون الفضول في البلاغة لان ذلك يدعو
الى السلاطة والسلاطة تدعو الى البذاء وكل مراء في الارض فانما هو من نتاج الفضول ومن حصل
كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم اشفق من الضراوة وسوء العادة وخاف
ثمرة العجب وهجنة النفج وما في حب السمعة من الفتنة وما في الرياء من مجانبة الاخلاص
ولقد دخل عبادة بن الصامت بالطعام بكلام ظن انه قد ترك فيه المحاسبة فقال اوس بن شداد
انه قد فرط فيه المحاسبة فاسترجع ثم قال ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا مزمومة مخطومة * قال ورووا عن حماد بن سلمة عن ابي حمزة عن ابراهيم قال انما
يهلك الناس في فضول الكلام وفضول المال وقال دع المعاذير فان اكثرها معاذير وانما
صارت المعاذير كذلك لانها داعية الى التخلص بكل شيء * وقال سلام بن مطيع قال لي
ايوب اياك وحفظ الحديث خوفا عليه من العجب * وقال ابراهيم النخعي دع الاعتذار فانه

فالطه الكذب * قالوا ونظر شاب وهو في دار ابن سيرين الى فرش في داره فقال ما بال تلك الآجرة ارفع من تلك الآجرة الاخرى فقال ابن سيرين يا ابن اخي ان فضول النظر تدعو الى فضول القول وزعم ابو نعيم بن الحسن قال اخبرني من سمع عيسى بن علي يقول فضول النظر من فضول الخواطر وفضول النظر تدعو الى فضول القول وفضول القول تدعو الى فضول العمل ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول وان ابطأ اخرجه اكثاره الى افحش من الفضول قال ابو عمرو بن العلاء انكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد بن زرارة فلما اخرجها اليه قال لها يا بنية امسكي عليك الفضلين قالت وما الفضلان قال فضل الغلمة وفضل الكلام وضرار بن عمرو هو الذي قال من سره بنوه ساءته نفسه وهو الذي لما قال له المنذر كيف تخلصت يوم كذا وكذا وما الذي نجاك قال تأخير الاجل واكراهي نفسي على المق الطوال * المقاء المرأة الطويلة والمق جماعة النساء الطوال والمق ايضا الخيل الطوال وكان بنوه قد اشتملوا عليه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال الا ان خير حلائل ام فزوجوا الامهات وذلك انه صرع بين القنا فاشتبل عليه اخوته لامه حتى انقذوه * قال وكان اعرابي يجالس الشعبي فيطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال اسمع فاعلم واسكت فاسلم * وقالوا لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب * وقالوا مقتل الرجل بين لحييه * واخذ ابو بكر الصديق رحمه الله بطرف لسانه وقال هذا الذي اوردني الموارد * وقالوا ليس شيء احق بطول حبس من لسان * وقالوا اللسان سبع عقور * وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم * وقال ابن الاعرابي عن بعض اشياخه تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطل في كلامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اعطي العبد شرا من طلاقة اللسان * وقال العلائي وخلاد بن خداش حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد فقلنا يا رسول الله انت سيدنا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان فانما انا عبد الله ورسوله قال وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز من كانت الخلافة زانته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فانت كما قال الشاعر

وتزيدين اطيب الطيب طيبا ان تمسيه اين مثلك اينا * واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

قال عمر ان صاحبكم اعطي مقولا ولم يعط معقولا * وقال الشاعر

لسانك معسول ونفسك شحة * ودون الثريا من صديقك مالكا

واخبرنا بالاسناد له ان ناسا قالوا لابن عمر ادع الله لنا بدعوات فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقالوا لو زدتنا يا ابا عبد الرحمن قال نعوذ بالله من الاسهاب * وقال ابو الاسود الدؤلي في ذكر الاسهاب يقولها في الحارث بن عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة والحارث هو القباع وكان خطيبا من وجوه قريش ورجالهم وانما سمي القباع لانه اتي بمكتل لاهل المدينة فقال ان هذا المكتل لقباع فسمي به والقباع الواسع الرأس القصير * وقال الفرزدق في جرير

وقبلك ما اعييت كاسر عينه * زيادا فلم تقدر علي حبايله

فلا قسمت لا تيه تسعين حجة * ولو كبرت عنق القباع وكاهله

وقال ابو الاسود

امير المؤمنين جزيت خيرا * ارحنا من قباع بني المغيرة

بلوناه فلمناه فاعيى * علينا ما يمر لنا مريرة

على ان الفتى نكح اكول * ومسهاب مذاهبه كثيرة

وقال الشاعر

اياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللشر جالب

وقال ابو العتاهية

والصمت اجمل بالفتى * من منطق في غير حينه

كل امرئ في نفسه * اعلى واشرف من قرينه

وكان سهل بن هارون يقول سياسة البلاغة اشد من البلاغة كما ان التوقي على الدواء اشد من الدواء وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت وبالتحرز من زلل الكلام ومن زلل الرأي ومن الرأي الدبري والرأي الدبري هو الذي يعرض من الصواب بعد مضي الرأي الاول وفوت استدراكه وكانوا يأمرون بالحلم والتعلم وبالتقدم في ذلك اشد التقدم * وقال الاحنف قال عمر بن الخطاب تفقهوا قبل ان تسودوا وكان يقول رحمه الله السؤدد مع السواد * وانشدوا للكميت

وفي الحلم والاسلام للمرء وازع * وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم

بصائر رشد للفتى مستبينة * واخلاق صدق علمها بالتعلم

الوازع الناهي والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون * وقال الافوه الاودي

اضحت قريبة قد تغير بشرها * وتجهمت بتحية القوم العدا

الوت باصبعها وقالت انما * يكفيك مما لا ترى ما قد ترى

وانشد

ابدا بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

قالوا وكان الاحنف اشد الناس سلطانا على نفسه * قالوا وكان الحسن اترك الناس لما نهى عنه * وقال الآخر

لا تعذراني في الاساءة انه * شرار الرجال من يسيء فيعذر

وقال الكميت بن زيد الاسدي

ولم يقل بعد زلة لهم * عدوا المعاذر انما حسبوا

وانشد الاحوص بن محمد

قامت تخاصرني بقنتها * خود تأطر غادة بكر

تخاصرني اخذ بيدها وتأخذ بيدي والقنة الموضع الغليظ من الارض في صلابة الخود الحسنة الخلق تأطر تتثنى والغادة الناعمة اللينة

كل يرى ان الشباب له * في كل مبلغ لذة عذر

وقال جرير

ولا يتقون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الامر الا تدبرا

قال ومدح

النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال ، ولا يحسبون الخير لا شر بعده ،
ولا يحسبون الشر ضربة لازب ، اللازب واللازم واحد واللازب في مكان آخر اليابس
قال الله عز وجل من طين لازب والزبات السنون الجدبة وانشد ،
معنا مقفوة كانت من المرء بدعة وما مثله من مثلها بسليم
فإن يك أخطا في أخيكم فربما أصاب التي فيها صلاح تميم ، قال وقال قدامة
عند يزيد بن عمر بن هبيرة والله ما أتى الحرث بن شريح بيوم خير قط فقال له الترجمان بن
هرم إلا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر وذهب الترجمان بن هرم إلى مثل معنى قول الشاعر
وما خلقت بنو زمان إلا أخيرا بعد خلق الناس طرا ، وما فعلت بنو زمان خيرا ولا فعلت بنو زمان شرا
ومن هذا الجنس من الأحاديث وهو يدخل في باب الملح قال الأصمعي وصلت بالعلم ونلت بالملح
قال رجل مرة أبي الذي قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المنابر
فقال له رجل من القوم لا جرم لقد أسر وقتل وصلب قال فقال المفتخر بأبيه دع عني من أسر أبي
وقتله وصلبه أبوك حدث نفسه بشيء من هذا قط ، قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم وأنا أوصيك
ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة وأنهما يناسبانك بعض المناسبة
ويشاكلانك في بعض المشاكلة ولا تهمل طبيعتك فيستولي الإهمال على قوة القريحة ويستبد
بها سوء العادة وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوة
المنة يوم الحفل فلا تقصر في التماس أعلاها سورة وأن فيهما في البيان منزلة ولا يقطعنك
تهييب الجهلاء وتخويف الجبناء ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والأحاديث
المتأولة على أقبح مخارجها وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة والأخبار المدخولة
وبهذا الرأي الذي ابتدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبي
صلى الله عليه وسلم فقال واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إلى قوله وفصل
الخطاب فجمع له بالحكمة البراعة في العقل والرجاحة في الحلم والاتساع في العلم والصواب
في الحكم وجمع له بفصل الخطاب تفصيل المجمل وتلخيص الملتبس والبصر بالحز في موضع الحز
والحسم في موضع الحسم وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيبا النبي عليه السلم
فقال كان شعيب خطيب الأنبياء وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه في كتابه وجلاه لأسماع
عباده وكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلم سلفهم وشعيب إمامهم مع ما تلونا
عليك في صدر هذا الكتاب من نعت القرآن الحكيم والآي الكريم وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدونة محفوظة ومخلدة مشهورة وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمن وعلي رحمهم الله
وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس بن الشماس
الأنصاري خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك أحد ، فأما ما ذكرتم من

الإسهاب والتكلف والخطل والتزيد فإنما يخرج إلى الإسهاب المتكلف وإلى الخطل المتزيد
فأما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة
والتوقي والشفقة والذين يتكلمون في صلاح ذات البين وفي إطفاء نائرة أو في حمالة أو
على منبر جماعة أو في عقد إملاك بين مسلم ومسلمة فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السلاطة
والمراء وإلى الهذر والبذاء وإلى النفج والرياء ولو كان هذا كما يقولون لكان علي بن أبي طالب
وعبد الله بن عباس أكثر الناس فيما ذكرتم فلم خطب صعصعة بن صوحان عند علي بن أبي
طالب وقد كان ينبغي للحسن البصري أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم ، قال الأصمعي قيل
لسعيد بن المسيب ها هنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر قال نسكوا نسكا أعجميا ، وزعمتم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعبتان من شعب النفاق البذاء والبيان وشعبتان
من شعب الإيمان الحياء والعي ونحن نعوذ بالله من العي ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على
البيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العي ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين البذاء والبيان وإنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار ووقع اسم العي
على كل شيء قصر عن المقدار فالعي مذموم والخطل مذموم ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر
والغالي وها هنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة ورووا أن رجلا مدح الحياء
عند الأحنف وأن الأحنف قال ثم يعود ذلك ضعفا والخير لا يكون سببا للشر ولكنا نقول
إن الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار فسمه ما أحببت وكذلك الجود اسم لمقدار
من المقادير فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار وللحزم مقدار فالجبن اسم لما فضل عن
ذلك المقدار وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار وللشجاعة مقدار
فالتهور اسم لما جاوز ذلك المقدار وهذه الأحاديث ليست لها أسانيد
متصلة فإن وجدتها متصلة لم تجدها محمودة وأكثر ما جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود
ولا مذموم فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن فإن أردت
أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب إلى هذا الأدب فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة أو ألفت
رسالة فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله
وتدعيه ولكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب فإن رأيت الأسماع
تصغي له والعيون تحدج إليه ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله فإن كان ذلك في ابتداء
أمرك وفي أول تكلفك فلم تر له طلابا ولا مستحسنا فلعله أن يكون ما دام ريضا قضيبا
أن يحل عندهم محل المتروك فإذا عاودت أمثاله مرارا فوجدت الأسماع عنه منصرفة
والقلوب لاهية فخذ في غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم
فيه وقال الشاعر ، أو ما الحديث تعيره القوم خلوة حتى يلج بهم عي وإكثار

وفي المثل المضروب كل مجرٍ في الخلاء مُسَرّ ولم يقولوا مسرور وكلٌّ صواب فلا تثق في كلامك برأي
نفسك فإني ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى إذا صار إلى رأيه في شعره وفي كلامه
وفي ابنه رأيته متهافتا وفوق المتهافت وكان زهير بن أبي سلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمي
كبار قصائده الحوليات وقال نوح بن جرير قال الحطيئة خير الشعر الحولي المنقح قال وقال
البعيث الشاعر وكان أخطب الناس إني والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا وما أريد أن
أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك وكنت أظن أن قولهم محكك كلمة مولدة حتى سمعت
قول الصعب بن علي الكناني

أبلغ فزارة أني الذيب كلما وجابع سغب شرم الذيب
أني أنا الطلس وتعس محككه قد كان طار شعما ثلاثي العراسيب

قال وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي ثم تكلم الحسن وأعرابيان حاضران فقال أحدهما لصاحبه كيف رأيت
الرجلين قال أما الأول فقاص مجيد وأما الآخر فعربي محكك قال ونظر أعرابي إلى
الحسن فقال له رجل كيف تراه قال أرى خيشوم حر قال وأرادوا عبد الله بن وهب الراسبي
على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة فقال وما أنا والرأي الفطير والكلام القضيب
ولما فرغوا من البيعة له قال دعوا الرأي يغب فإن غبوبه يكشف لكم عن محضه وقيل لابن
التوأم الرقاشي تكلم فقال ما أشتهي الخبز إلا بائتا وقال قال عبيد الله بن سالم لرؤبة مت
يا أبا الجحاف إذا شئت قال وكيف ذاك قال رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له أعجبني
قال فقال رؤبة نعم إنه ليقول ولكن ليس لشعره قران وقال الشاعر

مهاذبة مناجبة قران منادبة كأنهم الأسود

يريد بقوله قران التشابه والموافقة وقال عمر بن لجأ لبعض الشعراء أنا أشعر منك قال وبم ذاك قال لأني أقول البيت
وأخاه وتقول البيت وابن عمه قال وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدي فقال مطرف بآلاف وخمار
بواف وكان الأصمعي يفضله من أجل ذلك وكان يقول الحطيئة عبد الشعر عاب شعره حين
وجده كله متخيرا منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه وقالوا لو كان شعر
صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان مفرقا في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع
مما هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ولكن القصيدة إذا كانت كلها
أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك النظام
عنده موقع قال وقال بعض الشعراء لرجل أنا أقول في كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها
في كل شهر قال ذلك لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك قالوا
وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعرا وقال له كيف تراه قال له يا بني إن
أباك ليعرض له مثل هذا يمينا وشمالا فما يلتفت إليه وقد رووا ذلك في زهير وابنه كعب
قال وقيل لعقيل بن علفة لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقيل

لأبي المهوش لم لا تطيل الهجاء قال لم أجد المثل النادر إلا بيتا واحدا ولم أجد الشعر السائر
إلا بيتا واحدا قال وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب يا أبا الحجناء أما تحسن الهجاء قال أما تراني
أحسن مكان عافاك الله لا عافاك الله ولاموا الكميت بن زيد على الإطالة فقال أنا على القصار
أقدر وقيل للعجاج ما لك لا تحسن الهجاء قال هل في الأرض صانع إلا وهو على الإفساد أقدر
وقال رؤبة الهدم أسرع من البناء وهذه الحجج التي ذكرها عن نصيب والكميت والعجاج
ورؤبة إنما ذكرها على وجه الاحتجاج لهم ومما منهم جهل إن كانت هذه الأخبار صادقة وقد يكون
الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام وتكون له طبيعة في التجارة وليس له
طبيعة في الفلاحة وتكون له طبيعة في الحداء أو في التغبير أو في القراءة بالألحان وليس له طبيعة
في الغناء وإن كانت هذه الأنواع كلها ترجع إلى تأليف اللحون وتكون له طبيعة في الناي وليس
له طبيعة في السرناي وتكون له طبيعة في قصبة الراعي ولا تكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين
ويكون له طبع في صناعة اللحون ولا يكون له طبع في غيرها ويكون له طبع في تأليف الرسائل
والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر ومثل هذا كثير جدا وكان عبد الحميد
الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يذكر مثله
وقيل لابن المقفع في ذلك فقال الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه وهذا الفرزدق
مستهتر بالنساء وكان زير غوان وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور مع حسده
لجرير وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا وفي الشعراء من لا
يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد ومنهم
من يجمعهما كجرير وعمر بن لجأ وأبي النجم وحميد الأرقط والعماني وليس الفرزدق في طواله
بأشعر منه في قصاره وفي الشعراء من يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة وكذلك حال الخطباء
في قريض الشعر والشاعر نفسه قد تختلف حالاته وقال الفرزدق أنا عند الناس أشعر الناس
وربما مرت علي ساعة ونزع ضرس أهون علي من أن أقول بيتا واحدا وقال العجاج لقد قلت

أرجوزتي التي أولها بكيت والمحتز البكي وإنما يأتي الصبي الصبي
أطربا وأنت قنسري والدهر بالإنسان دواري وأنا بالرمل قد انثالت علي قوافيها

وإني لأريد اليوم دونها في الأيام الكثيرة فما أقدر عليه وقال أبو يعقوب الخريمي
خرجت من منزلي أريد الشماسية فابتدأت القول في مرثية لأبي التختاخ فرجعت والله وما
أمكنني بيت واحد وقال الشاعر

وقد يقرض الشعر البكي لسانه وتعيي القوافي المرء وهو خطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

باب من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات

كلام الناس قال بعض الناس من التوقي ترك الإفراط في التوقي وقال بعضهم إذا
النشاط

لم يكن ما تريد فأرد ما يكون ۞ وقال الشاعر ۞ فقدر الله وارض حين يقضي ...
فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريد ۞ وقيل لأعرابي في شكايته كيف تجدك
قال أجدني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد وأنا في زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد
وقيل لابن المقفع لم لا تقول الشعر قال الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه
وقال بعض النساك أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو ۞ وقال بعضهم أعجب من العجب ترك
التعجب من العجب ۞ وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة بن ... إني أخاف الله فيما تقلدت
قال لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف ۞ وقال الأحنف لمعاوية أخافك
إن صدقتك وأخاف الله إن كذبتك ۞ وقال رجل من النساك لصاحب له وهو يكيد بنفسه
أما ذنوبي فإني أرجو لها مغفرة الله ولكني أخاف على بناتي الضيعة فقال له صاحبه
فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك ۞ وقال رجل من النساك لصاحب له
ما لي أراك حزيناً قال كان عندي يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره إذ
بطل قيامنا بمؤونته فقال له صاحبه فاستكفل يتيماً آخر يقوم لك مقام الأول قال أخاف
أن لا أصيب يتيماً في سوء خلقه فقال له صاحبه أما أنا فلو كنت في موضعك لما ذكرت
سوء خلقه ۞ وقال آخر وسمعه أبو ... النحوي وهو يقول ما يمنعني من تعلم القرآن
إلا أني أخاف أن أضيعه قال أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك إذا تعلمته لم تضيعه
وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من سيد قومك قال أنا قال لو كنت كذلك لم تقله ۞

باب آخر

وقالوا في حسن البيان وفي التخلص من الخصم بالحق والباطل
وفي تخليص الحق من الباطل وفي الإقرار بالحق وفي ترك الفخر بالباطل ۞ قال الأعرابي وذكر (تلخيص)
حلس بن ثامل ۞ برئت إلى الرحمن من كل صاحب أصاحبه إلا حلس بن ثامل ۞
وظني به بين السماطين أنه سينجو بحق أو سينجو بباطل ۞
وقال العجير السلولي ۞ وإن ابن زيد لابن عمي وإنه لبلال أيدي جلة الشول بالدم ۞
الشول جمع شائلة وهي الناقة التي جف لبنها وإذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهي شائل
وجمعها شول ۞ طلوع الثنايا بالمطايا وإنه غداة المرادي للخطيب المقدم ۞
المرادي المصادم والمقارع يقال رديت الحجر بحجر إذا رميته به لتكسره والمرداة
الصخرة التي تكسر بها الحجارة ۞ يسرك مظلوماً ويرضيك ظالماً وكل الذي حملته حين يغرم ۞ (خ تغرم)
وقال ابن ربع المزني ۞ أعيني ألا فابكي رقية إنه وصول لأرحام ومعطاء سائل ۞
فإن تقسم لو أدركته لحميته وإن كان لم يترك مقالاً لقائل ۞
وقال بعض اليهود وهو الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير وبعثه رسول الله عليه السلم إلى خيبر فقتلوه
سائل بنا خابر أكفائنا والعلم قد يلفى لدى السائل ۞ أنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل

ويروى واضطلع الناس بألبابهم وفي كتاب العين اضطلع القوم
إذا اعتزوا واصطرعوا ... ثم إذا ...

واضطرع الناس بألبابهم نقضي بحكم عادل فاصل ۞ لا نجعل الباطل حقاً ولا نلط دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل ۞ وقال الأعرابي وذكر حلساً أيضاً ۞
أتاني حلاس بابن هانئ يسوقه ليبتغيه خيراً وليس بفاعل
ليعطي عبساً ما لنا وصدورنا من الغيظ تغلي مثل غلي المراجل
وقد قيل فيه قيلة لم أجد لها جواباً إذا لم تضربوا بالمناصل
فلا نطق في حق بحق ولم يكن ليرحض عنكم قالة الخزي باطل
ليرحض أي ليغسل والراحض الغاسل والمرحاض الموضع الذي يغتسل فيه ۞ وقال عمرو بن معديكرب
فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت ۞
الجرار عود يعرض في فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع فيقول قومي لم يطعنوا بالرماح فأثني
عليهم ولكنهم فروا فأمسكت كالمجر الذي في فمه الجرار ۞ وقال أبو عبيدة صاح رؤبة
في بعض الحروب التي كانت بين تميم والأزد يا معشر بني تميم أطلقوا من لساني ۞ فقال وأبصر
رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنة فصاح لا عيّاً ولا شللاً ۞ والعرب تقول عيي أبأس من شلل
كأن ربيعة فوق كل زمانة ۞ وقالت الجهنية ۞
ألا هلك الحلو الحلال الحلاحل ومن عنده علم وحلم ونائل
وخطبة بين ما إذا القوم أفحموا تصيب مراديها فمن له ما يحاول
بصير بعورات الكلام إذا التقى شريجان بين القوم حق وباطل
أبى لما يأبى الكريم بسيفه وإن أسلمته جنده والقبائل (خ والقنابل)
وليس بمعطاء الظلامة عن يد ولا دون أعلى سورة المجد قابل
الحلاحل السيد شريجان جنسان ويقال الناس شريجان وشرجان أي فرقتان ومنه حديث
النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين
أي بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً ۞ وأنشد أبو عبيدة في الخطيب يطول كلامه ويكون
ذكوراً لأول خطبته والذي بنى عليه أمره وإن شغب شاغب فقطع عليه كلامه أو حدثت
عنده حادثة يحتاج فيها إلى تدبير آخر وصل الثاني من كلامه بالأول حتى لا يكون أحد
كلاميه أجوم من الآخر ۞ فأنشد ۞ (قطع بالشغب في رواية)
وإن أحدثوا شغباً يقطع نظمها فإني لها وصّال لما قطع الشغب
ولو كنت نشار سردت خصاصها بقول كطعم الشهد بالبارد العذب (وفي رواية ... وشيب بالعذب)
وقال نصيب ۞
وما ابتذلت ابتذال الثوب ودكم وعلاية خلقاً ما كان يبتذل
وقال الآخر ۞
وعلمك الشيء تهوى أن تبينه أشفى لغليلك من أخبار من تسل
لعمرك ما ود اللسان بنافع إذا لم يكن أصل المودة في الصدر ۞

وقال الآخر: تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه الجحافل
وقال آخر: فتى مثل صفو الماء ليس بباخل عليك ولا مهد ملاما لباخل
ولا قائل عوراء تؤذي رفيقه ولا رافع رأسا بعوراء قائل
ولا مسلم مولى لأمر يصيبه ولا خالط فيه حقا مصيبا بباطل
ولا رافع أحدوثة السوء معجبا بها بين أيدي المجلس المتقابل

وقالت أخت يزيد بن الطثرية:
أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري قريبا وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لباته وبآدله
فتى لا يرى خرق القميص بخصره ولكنما توهي القميص كواهله
إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله
مضى وورثناه دريس مفاضة وأبيض هنديا طويلا حمائله
يسرك مظلوما ويرضيك ظالما وكل الذي حملته فهو حامله
أخو الجد إن جد الرجال وشمروا وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب

قال الشاعر: عجبت لأقوام يعيبون خطبتي وما منهم في موقف بخطيب
وقال آخر: إن الكلام من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وأنشد آخر: لا يعجبنك من خطيب قوله حتى يكون مع الكلام أصيلا
وقد يكون: أجد فما يزداد إلا حماقة ونوكا وإن كانت كثيرا مخارجه
رديء العقل جيد اللسان. وكان أبو العباس الأعمى يقول:
يقول لأنه: إذا وصف الإسلام أحسن وصفه بفيه ويأبى قلبه ويهاجره
ينبيه عن قول له ولا بال ويخبره ويقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر
وإن قام قال الحق ما دام قائما تقي اللسان كافر بعد سائره

وقال قيس بن عاصم المنقري يذكر ما في بني منقر من الخطابة:
إني امرؤ لا يعتري خلقي دنس يفنده ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة والأصل ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحسن جواره فطن

ومن هذا الباب وليس منه في الجملة قول الآخر

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال نصيب: يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول
وقال آخر: ألا رب خصم ذي فنون علوته وإن كان ألوى يشبه الحق باطله
يعني هو معنى قول العتابي في البلاغة: إظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق.
وقال الشاعر وهو كما قال:
عجبت لإزراء العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما
وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان في شعر الذي رثى به عثمان بن عفان رحمه الله حيث يقول: ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
وأنشد أيضا: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل
وكل في الهوى ليث وفيما نابه فسل وليس الشأن في الوصل ولكن أن يرى الفضل
وقال أنوشروان لبزرجمهر: أي الأشياء خير للمرء العيي؟ قال: عقل يعيش به. قال: فإن لم يكن له عقل؟ قال: فإخوان يسترون عليه. قال: فإن لم يكن له إخوان؟ قال: فمال يتحبب به إلى الناس. قال: فإن لم يكن له مال؟ قال: فعي صامت. قال: فإن لم يكن ذلك؟ قال: فموت مريح. وقال موسى بن يحيى بن خالد: قال أبو علي: رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله وأصدق شاهدا على غيبه لك ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة.

وباب آخر

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك. وأنشدني أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالي:
لا يشتري الحمد أمنية ولا يشتري الحمد بالمقتر ولكنما يشترى غاليا فمن يعط قيمته يشتر
ومن تعطفه على مئزر فنعم الرداء على المئزر
وأنشدني لابن ميادة:
نعم إنني مهد ثناء ومدحة كبرد اليماني يربح البيع تاجره
وأنشد: فإن أهلك فقد أبقيت بعدي قوافي تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا
وقال أبو قردودة يرثي ابن عمار قتيل النعمان، وقد كان نهاه عن منادمته:
إني نهيت ابن عمار وقلت له لا تأمنن أحمر العينين والشعره
إن الملوك متى تنزل بساحتهم تطر بثوبك من نيرانهم شرره
يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا ومنطقا مثل وشي اليمنة الحبره
وقال الشاعر في مديح أحمد بن أبي دؤاد:
وعويص من الأمور بهيم غامض الشخص مظلم مستور
قد تسهلت ما توعر منه بلسان يزينه التحبير
مثل وشي البرود هلهله النسج وعند الحجاج در نثير

حسن الصمت والمقاطع إمّا أنصت القوم والحديث يدور
ثمّ من بعد لحظة تورث اليسر وعرض مهذّب موفور

وممّا يضمّ إلى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر

تمت في الروابي من معدّ وأفلجت على الخفرات الغرّ وهي وليد

تمت شبّت الروابي من معدّ البيوت الشريفة والأصل الرابية والربوة ما ارتفع من الأرض وأفلجت ظهرت وقهرت الخفرات الحييات

أناة على نيرين أضحى لداتها بلين بلاء الريط وهي جديد

الأناة المرأة التي فيها فتور عند القيام وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذي ينسج على نيرين وهو الثوب الذي له سداتان كالديباج وما أشبهه أضحى لداتها اللدة القرينة في المولد والمنشأ فيقول لون أقرانها قد بلين وهي جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها وفي هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر

على كل نيرين زيد محالة وفي أضلاعه زيد أضلعا

المحال فقار الظهر وهي فقار واحدها محالة وقال أبو يعقوب الخريمي أنشد عويد أوّل شعر قلته

بقلبي سقام لست أخبر وصفه على أنّه ما كان فهو شديد
تمرّ به الأيام تسحب ذيلها فتبلى به الأيام وهو جديد

وقال آخر

أبى القلب إلّا أمّ عمرو وحبّها عجوزا ومن يحبب عجوزا يعيّر
كبرد اليماني قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد

وقال ابن مقبل

وإنّ الأديم الذي أضحت تعركه جهلا لذو نغل باد وذو حلم
ولن تبطّ بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالق إلّا جيّد الأدم

وفي غير هذا الباب وهو قريب منه يقول ذو الرمّة

وفي قصر حجر من ذؤابة عامر إمام هدى مستبصر الحكم عادله
كأنّ على أعطافه ماء مذهب إذا سمل السربال طارت رعابله

الرعابيل القطع وشواء مرعبل أي مقطّع ورعبلت الشيء أي قطعته ويقال ثوب سمل وأسمال وأسمل الثوب وسمل إذا أخلق وهو الذي يقول

حوراء في دعج صفراء في نعج كأنّها فضّة قد مسّها ذهب

الحور شدّة بياض بياض العين والدعج شدّة سواد الحدقة والنعج البيض فلوا الأزهى المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب إلى الحمرة وبالعشيّ يضرب إلى الصفرة ولذلك قال الأعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشيّة كالعرارة

وقال آخر

قد علمت بيضاء صفراء الأصل لأغنينّ اليوم ما أغنى رجل

وقال بشار بن برد

وخذي ملابس زينة ومصبّغات فهي أفخر
وإذا دخلت تقنّعي بالحمر إنّ الحسن أحمر

فقال الأصمعي فيما روى عنه ابن السكيت ... العمشى ... وهو بصير أي ... مكانه

ومثل أنّ عميان قد اشتركا من جعلين هذا الأمر إلى ما لا يبلغه تمييز البصير ولبشار خاصّة في هذا الباب ما ليس لأحد ولولا أنّه في كتاب الرجل والمرأة وفي باب القول في الإنسان من كتاب الحيوان أليق وأدخل لذكرناه في هذا الموضع وممّا ذكروا فيه الوزن قوله

زن القوم حتّى تعرف في حسن وزنهم إذا ارتفع الميزان كيف أميل

وقال ابن الزبير الأسدي

أعاذل غضّي بعض لومك إنّني أرى الموت لا يرضى بدين ولا رهن
وإنّي أرى دهرا تغيّر صرفه ودنيا أراها لا تقوم على وزن

باب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضّلون إصابة المقادير ويذمّون الخروج قال جعفر بن سليمان ليس طيب الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل وإنّما الشأن في إصابة القدر وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائي

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين
أعطاهم الله أموالا ومنزلة من الملوك بلا عقل ولا دين
ما شئت من بغلة سفواء ناجية ومن أثاث وقول غير موزون

وأنشد بعض الشعراء

رأيت رجلا أودى السقام بجسمه فلم يبق إلّا منطق وجناجن

الجناجن عظام الصدر

إذا حسرت عنه العمامة راعها جميل الحشو أغفلته الدواهن
فإن أك معروق العظام فإنّني إذا ما وزنت القوم بالقوم وازن

وقال مالك بن أسماء في بعض نسائه وكانت تصيب الكلام كثيرا وربّما لحنت

أمغطّى منّي على بصري للحبّ أم أنت أكمل الناس حسنا
وحديث ألذّه هو ممّا ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وقال طرفة في المقدار وإصابته

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

طلب الغيث على قدر الحاجة لأنّ الفاضل ضارّ وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهمّ اسقنا سقيا نافعا لأنّ المطر ربّما جاء في غير إبّان الزراعات وربّما جاء والتمر في الجرين والطعام في البيادر وربّما كان في الكثرة مجاوزا لمقدار الحاجة وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم حوالينا ولا علينا وقال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك قال ولم قال لأنّي أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمّه وعاب رؤبة شعر ابنه عقبة فقال ليس له قران وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان حقّه أن يوضع إلى جنبه وعلى ذلك التأويل قال الأعشى

أبا مسمع أقصر فإنّ قصيدة متى تأتكم تلحق بها أخواتها

قال الله عزّ وجلّ وما نريهم من آية إلّا هي أكبر من أختها وقال عمرو بن معدي كرب

وكلّ أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلّا الفرقدان

وقالوا فيما هو أبعد

يعني وأقل لفظها قال المتلمس: أعامر لولا الله إلا مهذرا وجلدا أبي عجل وثيق القبائل

يعني بأبي عجل الثور وقد لواما موا أبعد من هذا قال ابن جملة الشيباني واسمه جبر المسيح

وسماع مدجّنة تعلّلنا حتى ننام تناوم العجم فصحوت والنسر الذي يحسبها عمة السماك وخالة النجم

النجم واحد وجمع والنجم الثريا في كلام العرب مدجّنة أي سحابة دائمة وقال أبو النجم فيما هو

أبعد من هذا ووصف العير والمعيورا أو المعيور الموضع الذي تكون فيه الأعيار

وظل يوفي الأكم ابن خالها فجعلها تدل على توسعهم في الكلام وحمل بعضه على

بعض واشتقاق بعضه من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة حين كان

بينهما وبين الناس تشابه وتشاكل من وجوه وقد ذكرناه في كتاب الزرع والنخل وفي مثل ذلك

قال بعض الفصحاء: شهدت بأن التمر بالزبد طيب وأن الحبارى خالة الكروان

لأن الحبارى وإن كانت أعظم بدنا من الكروان فلون اللون وعمود الصورة واحد فلذلك جعلها

خالته ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول

باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه

قال كعب الأشقري: إذا كنّ في الأرض الخطب قائما فإني على ظهر الكميت خطيب

وقال ثابت قطنة: فإلا أكن فيهم خطيبا فإنني بسمر القنا والسيف جد خطيب

وقالت ليلى الأخيلية: حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

وقال آخر: عجبت لأقوام يعيبون خطبتي وما منهم في مأقط بخطيب

ومعاود لا يعجزون خطيبهم إذ ما عليها يعتمدون بالسيوف والرماح وإن كانوا خطباء وقال دريد

بن الصمة: أبلغ نعيما وأوفى إن لقيتهما إن لم يكن كان في سمعيهما صمم

فلا يزال شهاب يستضاء به يهدي المقانب ما لم تهلك الصمم

المقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة

عاري الأشاجع معصوب بلمته أمر الزعامة في عرنينه شمم

الأشاجع عروق ظاهر الكف وهي مغرز الأصابع واللمة الشعرة التي ألمت بالمنكب وقوله معصوب

بلمته أي يعصب برأسه كل أمر عرنينه أنفه وقال أبو العباس الأعمى مولى بني بكر بن عبد مناة

في بني عبد شمس: ليت شعري أفاح رائحة المسك وما إن إخال بالخيف إنسي

حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسان عليها وقالة غير خرس

لا يعابون صامتين وإن قالوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

بحلوم إذا الحلوم استخفت ووجوه مثل الدنانير ملس

وقال العجاج: وحاصن من حاصنات ملس من الأذى ومن قراف الوقس

ذات الزوج والحاصن العفيفة والوقس الجرب وقال امرؤ القيس بن حجر

وبلد بت يوم قد أروح مرجّلا حبيبا إلى البيض الكواعب أملسا وقال أبو العباس الأعمى

لم أر حيا مثل حي تحملوا إلى الشام مظلومين منذ بريت أعز وأمضى حين تشتجر القنا وأعلم بالمنبر حيث تبيت

وأن عن بلاد بنا بأولى سياسة إذا كان أمر المسلمين يفوت إذا أصابت منهم سبيل قام منهم خطيب بعورات الكلام زميت

وقال آخر: لا يغسل العرض من تدنسه والثوب إن مس من دنس غسلا

وزلة الرجل تستقال ولا يكاد رأي يقيلها الرجلا وقال آخر في الزلل

المنيع إذ عصيت أبا يزيد ولفتى إذ أطعت أبا العلاء وكانت هفوة من غير ريح وكانت زلة من غير ماء

وقال الآخر: فلو كان لم ينزل امرأ تخلفه إذا كنت فيه جاهلا مثل خالد وقال ابن وابصة

في مقام قام فيه مع ناس من الخطباء

يا أيها المتحلي غير شيمته ومن سجيته الإكثار والملق

اعمد إلى القصد فيما أنت راكبه إن التخلق يأتي دونه الخلق

صدت نميرة لما جئت زائرها بمقلة وهي إنسانها غرق

ورابها الشيب في رأسي فقلت لها كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

بل منتهى مثل حد السيف تمنعه أخي الزمان وتنميني به العرق

فما تلألأت ولا ألفيت مخطلا إذا الرجال على أمثالها زلقوا

قال وأنشد أعرابي من باهلة

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها على الحر بالإقلال وسم هوان

متى يتكلم يلغ حكم كلامه وإن لم يقل قالوا عديم بيان

كأن الغنى في أهله بورك الغنى بغير لسان ناطق بلسان

وفي مثلها في بعض الوجوه قول عروة بن الورد

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير وأبعدهم وأحقرهم لديهم وإن أمسى له حسب وخير

ويقصيه الندي وتزدريه حليلته وينهره الصغير ويلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم ولكن الغنى رب غفور وقال ابن عباس وجه الله الهوى إله معبود

وتلا قول الله عز وجل أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وقال أبو الأعور سعيد

بن زيد بن عمرو بن نفيل: تلك عرساي تنطقان على عمد لي اليوم قول زور وهتر

سألتاني الطلاق أن رأتا مالي قليلا قد جئتماني بنكر

فلعلي أن يكثر المال عندي ويعرى من المغارم ظهري

وترى أعبد لنا وأواق ومناصيف من خوادم عشر

المناصيف الخدم

واحدهم منصف وناصف وقد نصف القوم ينصفهم نصافة إذا خدمهم ،

وتحت الأزار بلا نية نعمة رؤد تعلو من صبغ عصاب الدمقس ، نعمة زول حسنة والزول العجيب الظريف وجمعه أزوال ، ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ، ويجنب سر النجي ولكن أخا المال محضر كل سر ، وقال عبيد بن الأبرص في نحو هذا وليس كمثله ،

تلك عرسي غضبى تريد زيالي ، ألبين تريد أم لدلال ،

إن يكن طبك الفراق فلا أحفل أن تعطفي صدور الجمال ،

أو يكن طبك الدلال فلو في سالف الدهر والليالي الخوالي ،

كنت بيضاء كالمهاة وإذ آتيك نشوان مرخيا أذيالي ،

فاتركي مط حاجبيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال ،

زعمت أنني كبرت وأني قل مالي وضن عني الموالي ،

وصحا باطلي وأصبحت شيخا لا يواتي أمثالها أمثالي ،

أن رأت هامتي تغير لونها وعلا الشيب مفرقي وقذالي ،

فبما أدخل الخباء على مهضومة الكشح طفلة كالغزال ، الكشح الخصر

وقوله مهضومة أراد لطيفة والطفلة الرخصة الناعمة ○

فتعاطيت جيدها ثم مالت ميلان الكثيب بين الرمال ،

ثم قالت فدى لنفسك نفسي وفداء لمال أهلك مالي ،

قال وخرج عثمان بن عفان رحمه الله من داره يوما وقد جاء عامر بن عبد قيس فقعد في دهليزه فلما خرج رأى شيخا دميما أشغى ثطا في عباءة فأنكره وأنكر مكانه فقال يا أعرابي أين ربك قال بالمرصاد ، ويقال إن عثمان بن عفان رحمه الله لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس ونظر معاوية إلى النخار بن أوس العذري الخطيب الناسب في عباءة في ناحية من مجلسه فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه فقال النخار يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها قال ونظر عمر بن الخطاب رحمه الله إلى هرم بن قطبة ملتفا في بت في ناحية المسجد ورأى دمامته وقلته وعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم فأحب أن يكشفه ويسبر ما عنده فقال أرأيت لو تنافرا إليك اليوم أيهما كنت تنفر يعني علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل فقال يا أمير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة فقال عمر بن الخطاب رحمه الله لهذا العقل تحاكمت إليك العرب ، ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوفد والأحنف ملتف في بت له فترك جميع القوم واستنطقه فلما تبعق منه ما تبعق وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب وذهب ذلك المذهب لم يزل عنده في علياء ثم صار إلى أن عقد له الرياسة ثابتة إلى أن فارق الدنيا ، ونظر النعمان بن المنذر إلى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقلته قال تسمع بالمعيدي لا أن تراه هكذا تقوله العرب فقال ضمرة

وقع في بعض الكتب لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان وإنما ... صح

أبيت اللعن إن الرجال لا تكال بالقفزان وإنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه وكان ضمرة خطيبا وكان فارسا شاعرا شريفا سيدا وكان الزموح بن زيد مدح أبا جبيلة الغساني وكان الزموح قصيرا فلما أنشده وجاوزه قال عسل طيب في ظرف سوء ، قال وكلم علباء بن الهيثم السدوسي عمر بن الخطاب وكان علباء أعور دميما فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدره فلما خرج قال عمر لكل أناس في جميلهم خبر ، وأنشدني سهل بن هارون قول سلمة بن الخرشب وشعره الذي أرسل به إلى سبيع التغلبي في شأن الرهن التي وضعت على يديه في قتال عبس وذبيان فقال سهل بن هارون والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم والقصيدة قوله ، أبلغ سبيعا وأنت سيدنا قدما وأوفى رجالنا ذمما ، أن بغيضا وأن إخوتها ذبيان قد ضرموا الذي اضطرما ، نبئت أن حكموك بينهم فلا يقولن بئس ما حكما ، إن كنت ذا خبرة بشأنهم تعرف ذا حقهم ومن ظلما ، وتنزل الأمر في منازله حكما وعلما وتحضر الفهما ، ولا تبالي من المحق ولا المبطل لا إلة ولا ذمما ، فاحكم وأنت الحكيم بينهم لن يعدموا الحكم ثابتا صتما ، الصتم الصحيح القوي يقال رجل صتم إذا كان شديدا ،

واصدع أديم السواء بينهم على رضى من رضي ومن رغما ، إن كان مالا ففض عدته مالا بمال وإن دما فدما ، حتى ترى ظاهر الحكومة مثل الصبح جلى نهاره الظلما ، هذا وإن لم تطق حكومتهم فانبذ إليهم أمورهم سلما ، وقال العتبي كان عمر بن الخطاب رحمه الله أعلم الناس بالشعر ولكنه كان إذا ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين ويكون هو قد تخلص بعرضه سليما فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره ، قال ولقد أنشدوه شعرا لزهير وكان لشعره مقدما فلما انتهوا إلى قوله ، وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء ، قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها ،

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء ، يرددها البيت من التعجب ، وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التي على اللام فلما بلغ المنشد إلى قوله ،

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل ، قال عمر متعجبا

والعيش شح وإشفاق وتأميل ، يعجبهم من حسن ما قسم وفصل ، وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين وهو ساكت فلما انتهى المنشد إلى قوله ،

الكيس والقوة خير من الإشفاق والفهة والهاع ، أعاد عمر البيت وقال

الكيس والقوة خير من الإشفاق والفهة والهاع ، وجعل عمر يردد ذلك ويتعجب منه ، قال محمد بن سلام الجمحي عن بعض أشياخه قال كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض

له أموال كذا أنشد فيه بيت شعر • وقال أبو عمرو بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الأول الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني قال ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الأول ما ضره ذلك إلا رفعة • وروى مجالد عن الشعبي قال ما رأيت مثلي وما أشاء أن ألقى رجلا أعلم مني بشيء إلا لقيته • وقال الحسن البصري يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ويكون عاقلا عابدا ولا يكون عالما • وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما • قال وكان يقال فقه الحسن وورع ابن سيرين وعقل مطرف وحفظ قتادة • قال وذكرت البصرة فقيل شيخها الحسن وفتاها بكر بن عبد الله المزني • قال والذين بثوا العلم في الدنيا أربعة قتادة والزهري والأعمش والكلبي • وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهري فغلب قتادة الزهري فقيل لسليمان في ذلك فقال إنه فقيه مليح • وقال القحذمي لا ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه إليهم ولروايته فضائلهم • وكان الأصمعي يقول وصلت بالعلم ونلت بالملح • وكان سهل بن هارون يقول اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم • والمتعديون يقولون من تمنى رجلا حسن العقل حسن البيان حسن العلم تمنى شيئا عسيرا •

باب

وكانوا يعيبون النوك والعي والحمق وأخلاق النساء والصبيان قال الشاعر

إذا ما كنت متخذا خليلا … فلا تثقن بكل أخي إخاء
وإن خيرت بينهم فألصق بأهل العقل منهم والحياء … فإن العقل ليس له إذا ما تفاضلت الفضائل من كفاء
وإن النوك للأحساب غول … وأهون دائه داء العياء
ومن ترك العواقب مهملات … فأيسر سعيه سعي العناء
فلا تثقن بالنوكى لشيء … ولو كانوا بني ماء السماء
فليسوا قابلي أدب فدعهم … وكن منهم تكن منقطع الرجاء

وقال الآخر في التضييع والنوك

ومن ترك العواقب مهملات … فأيسر سعيه أبدا تباب

فعش في جد أنوك ساعدته … مقادير يخالفها الصواب
ذهاب المال في حمد وأجر … ذهاب لا يقال له ذهاب

وأنشد في ذلك

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله … ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته … فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

وقال الآخر

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى … ولم أر مثل المال أرفع للرذل
ولم أر عزا لامرئ كعشيرة … ولم أر ذلا مثل نأي عن الأهل
ولم أر من عدم أضر على امرئ … إذا عاش وسط الناس من عدم العقل

وقال الآخر

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم … ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل

فإني رأيت المرء يشقى بعقله … كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال الآخر

وأنزلني طول النوى دار غربة … إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية … ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال بشر بن المعتمر وأنشد

وإذا الغبي رأيته مستغنيا … أعيى الطبيب وحيلة المحتال

وأنشد في آخر

وللدهر أيام فكن في لباسه … كلبسته يوما أجد وأخلقا
وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم … وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا

وأنشد في آخر

ولا تقربي يا بنت عمي بوهة … من القوم قد باتت عيالا معيلا
وإن كان أعطى رأس ستين بكرة … وحكما على حكم وعبدا مولدا
ألا فاخبري لا تورعي ثلم مجمعة … طوال الذرا واجتنب من القوم غيرا

وأنشد في آخر

كسى الله حيي تغلب ابنة وائل … من اللؤم أظفارا بطيئا نصولها
إذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا … عليها وردوا وفدهم يستقيلها

وأنشد في آخر

وإن عناء أن تفهم جاهلا … ويحسب جهلا أنه منك أفهم

وقال جرير

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم … ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

وقال الأعرج المعني الكلابي

لقد علم الأقوام أن قد قدرتم … ولم تبدؤوهم بالمظالم أولا
فكونوا كداعي كرة بعد فرة … ألا رب من قد فر ثمت أقبلا
فإن أنتم لم تفعلوا فتبدلوا … بكل سنان معشر الغرب مغزلا
وأعطوهم حكم الصبي بأهله … وإني لأرجو أن تقولوا بلا ولا

ويقال أظلم من صبي وأكذب من صبي وأخرق من صبي • وأنشد

ولا تحكما حكم الصبي فإنه … كثير على ظهر الطريق مجاهله

قال وسئل دغفل عن بني عامر فقال أعناق ظباء وأعجاز نساء • قيل فما تقول في أهل اليمن قال سيد وأنوك •

باب في ذكر المعلمين

من أمثال العامة أحمق من معلم كتاب وقد ذكرهم صقلاب

وكيف يرجى العقل والرأي عند من … يروح على أنثى ويغدو على طفل

وفي قول بعض الحكماء لا تستشيروا معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء • وقال لا تدع أم صبيك تضربه فإنه أعقل منها وإن كانت أسن منه • وقد سمعنا في أمثال أحمق من راعي ضأن ثمانين فأما استحماق رعاء الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الأنبياء صلى الله عليهم ولعمري إن الفدادين من أهل الوبر ورعاء الإبل ليستطيلون على رعاء الغنم ويقول أحدهم لصاحبه إن كنت كاذبا فحلبت قاعدا • وقال الآخر

ترى حالب المعزى إذا ذاص قاعدا … وحالبهن القائمين المتطاول

وقالت امرأة من غامد في هزيمة ربيعة بن مكدّم لجمع غامد وحده:

ألا هل أتاها على نأيها بما فضحت قومها غامد
تمنّيتم مائتي فارس فردّكم فارس واحد
فليت لنا بارتباط الخيول ضأناً لها حالب قاعد

وقد سمعنا قول بعضهم: الحمق في الحاكة والمعلمين والغزّالين. قال: والحاكة أقلّ وأسقط من أن يقال لهم حمقى، وكذلك الغزّالون، لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطاء فاحش، والحائك ليس عنده صواب جيد في فعال ولا مقال، إلا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب، وليس هو من هذا في شيء.

وهذا باب آخر

ويقال: فلان أحمق، فإذا قالوا مائق فليس يريدون ذلك المعنى بعينه، وكذلك إذا قالوا أنوك، وكذلك إذا قالوا رقيع. ويقولون: فلان سليم الصدر، ثم يقولون غبيّ، ثم يقولون أبله، وكذلك إذا قالوا معتوه ومسلوس وأشباه ذلك. قال أبو عبيدة: يقال للفارس شجاع، فإذا تقدم ذلك قيل بطل، فإذا تقدم شيئاً قيل بُهمة، فإذا صار إلى الغاية قيل أليس. وقال العجاج:

أليسُ عن حوبائه سخيّ

وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلها من جود وبخل وصلاح وفساد ونقصان ورجحان. ومازلت أسمع هذا القول في المعلمين، والمعلمون عندي على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشّحين للخلافة. فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى. ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم، فإن ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة، فما ظنهم في ذلك إلا كغيرهم، وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء، مثل الكميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء بن أبي رباح، ومثل عبد الكريم بن أبي أمية وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم. ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم، وأما معبد الجهني وعامر الشعبي فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان، وكان معبد يعلّم سعيداً. ومنهم أبو سعيد المؤدب، وهو غير أبي سعيد المعلم، وكان يحدّث عن هشام بن عروة وغيره. ومنهم عبد الصمد بن عبد الأعلى، وكان معلم ولد عتبة بن أبي سفيان، وكان إسماعيل بن علي الزمي بعض بني عبد الله بن المقفع ليعلّمه، وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلماً، ومنهم محمد بن السكن. وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم ولا أحسن بياناً من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين، وعلّمها مع ... ذكر من أيام الصبي. وقد قال الناس في أبي البيداء وفي أبي عبيد الله الكاتب وفي الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا، وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف.

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول

قالوا: أحقّ الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل. قال: وكتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ويُسمعه، فكتب إليه المهلب: إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره.

وباب آخر

قال بعض الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق، ويبغض الإغراق في القول والتكلف والاجتلاب، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه، وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول، ويعرض للسامع من الافتتان بما يسمع، والذي يورث الاقتدار من التهكّم والتسلّط، والذي يمكّن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعاني والخلابة وحسن المنطق، فقال في بعض مواعظه: أنذركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم دلاًّ متعشّقاً، صار في قلبك أحلى ولصدرك أملأ. والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة تحوّلت في العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زيّنت وعلى حسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ في معنى المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري، والقلب ضعيف، وسلطان الهوى قوي، ومدخل خُدع الشيطان خفيّ. فاذكر هذا الباب ولا تنسه، ولا تأمنه ولا تفرّط فيه، فإن عمر بن الخطاب رحمه الله لم يقل للأحنف بعد أن احتبسه حولاً مجرّماً ليستكشف ما عنده وليبالغ في تصفّح حاله والتنقيب عن شأنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوّفنا كل منافق عليم، وقد خفت أن تكون منهم، إلا لما كان راعه من حسن منطقه ومال إليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً. وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأتّى لها بكلام وجيز ومنطق حسن: هذا والله السحر الحلال. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خلابة. فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقيّ والوحشيّ، ولا تجعل همّك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلّص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ، وفي التوسط مجانبة للوعورة، والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه. وقد قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

وقال الآخر:

لا تذهبنّ في الأمور فرطا لا تسألنّ إن سألت شططا
وكن من الناس جميعاً وسطا

وليكن كلامك بين المقصّر والغالي، فإنك تسلم من المحنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان. وقال أعرابي للحسن: علّمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً شطوطاً ولا هابطاً هبوطاً. فقال الحسن: لئن قلت ذاك إن خير الأمور أوساطها. وجاء في الحديث: خالطوا الناس وزايلوهم. وقال علي بن أبي طالب رحمه الله: كن في الناس وسطاً وامش جانباً. وقال عبد الله بن مسعود في خطبته: وخير الأمور أوساطها، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها. وكانوا يقولون: كره الغلوّ كما تكره التقصير. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: قولوا بقولكم ولا يستهوينّكم الشيطان. وكان يقول: وهل يكبّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم.

باب من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ من مواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبي هريرة: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيّعه، فقال: كفى بترك العلم إضاعة. وسمع الأحنف رجلاً يقول: التعلم في الصغر كالنقش

في الحجر فقال الأحنف الكبير أكبر عقلاً ولكنه أشغل قلباً . وقال أبو الدرداء ما لي أرى
علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض
العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء
جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . قالوا ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله
حين مات زيد بن ثابت في القبر من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر فهكذا ذهابه .
وقال بعض الشعراء لبعض العلماء . أبعدت من يومك الفرار فما جاوزت حيث انتهى بك القدر
لو كان ينجي من الردى حذر نجاك مما أصابك الحذر . يرحمك الله من أخي ثقة لم يك في صفو وده كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم منه ويدرس الأثر . قال وقال قتادة لو كان أحد مكتفياً من العلم
لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام إذ قال للعبد الصالح هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا
أبو العباس التميمي قال قال طاوس الكلمة الصالحة صدقة . وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن
أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله أنه قال فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذي
لا لسان له صدقة . وقال الخليل تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ . وقال الفضيل
نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه . وكان يقال اجعل ما في
الكتب بيت مال وما في قلبك للنفقة . وكان يقال يكتب الرجل أحسن ما يسمع ويحفظ أحسن
ما كتب . وقال أعرابي حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك . وقال عمر بن عبد العزيز
ما قرن شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم ومن عفو إلى قدرة . وكان ميمون بن مهران إذا جلس إلى
قوم قال إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها . قال وحمد سليم مولى زياد بزياد عند
معاوية فقال معاوية اسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني
قال وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا إليه رجلاً لتضرب عنقه قال والله لئن كنا أسأنا
في الذنب فما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا
وأمسك عن القتل . وقال بشير الرحال إني لأجد في قلبي حراً لا يذهبه إلا برد العدل أو حر
السنان . قال وقدموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك لتضرب عنقه ودخل على عبد الملك ابن له صغير
قد ضربه المعلم وهو يبكي فهم عبد الملك بالمعلم فقال دعه يبكي فإنه أفتح لجرمه وأصح
لبصره وأذهب لصوته فقال له عبد الملك أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا قال ما ينبغي
للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء فأمر بتخلية سبيله . وقال إبراهيم بن أدهم أعربنا
في كلامنا فما نلحن حرفاً ولحنا في أعمالنا فما نعرب حرفاً وأنشد .
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع . قال وقال زياد على المنبر
إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عنز مصور لو بلغت إمامه سفك بها دمه . قال وعزل
عمر زياداً عن كتابة أبي موسى في بعض قدماته فقال له زياد أعن عجز أم عن خيانة . فقال

لا عن واحدة منهما ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك . قال وبلغ الحجاج موت أسماء بن
خارجة فقال هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ومات حين شاء . قال وكان يقال كدر الجماعة خير من
صفو الفرقة . قال أبو الحسن مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المنتوف وقد كان سفه عليه ثم
أعرض عنه فتعلق بثوبه وقال يا هناه إنا لم نجزك إذ عصيت الله فينا بأكثر من أن نطيع
الله فيك . ومن هذا الكلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب حين قال عمر إني والله لا أدع حق الله
لشكاية تظهر ولا لغضب يحتمل ولا لمحاباة بشر وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن
تطيع الله فيه . قال وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يا سعد سعد بني وهيب إن الله
إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن ما لك عند
الله مثل الذي لله عندك . قال ومات ابن لعمر بن ذر فقال أي بني شغلني الحزن لك عن الحزن عليك
قال وقال رجل من مجاشع كان الحسن يخطب في دم فينا فأجابه رجل فقال قد تركت ذلك لله
ولوجوهكم فقال الحسن لا تقل هكذا بل قل لله ثم لوجوهكم وأجرك على الله . قال ومر رجل بأبي
بكر ومعه ثوب فقال له أتبيع الثوب فقال لا عافاك الله فقال أبو بكر لقد علمتم لو كنتم
تعلمون قل لا وعافاك الله . وسأل عمر بن الخطاب رجلاً عن شيء فقال الله أعلم فقال عمر لقد شقينا
إن كنا لا نعلم أن الله أعلم إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل لا علم لي . قال وكان
أبو الدرداء يقول أبغض الناس إلي أن أظلمه من لا يستعين علي إلا بالله . وذكر ابن عمر الدنيا
فقال كلا نحن ذا ما كم في جرح صحتهم علينا ختم الله لنا . ونظر أعرابي إلى رجل له كثير من الماشية
وغيرها فقال نعمة ولكل نعمة منها استخشاب فباع ما شاء الله من ماله ثم لزم ثغراً من ثغور المسلمين
حتى مات فيه . قال وتمنى قوم عند الرقاشي فقال أتمنى كما تمنيتم قالوا تمنه قال ليتنا لم نخلق وليتنا
إذ خلقنا لم نعص وليتنا إذ عصينا لم نمت وليتنا إذ متنا لم نبعث وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب
وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب وليتنا إذ عذبنا لم نخلد . وقال الحجاج ليت الله إذ خلقنا للآخرة
كفانا أمر الدنيا فرفع عنا الهم بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح أو ليته إذ أوقعنا في هذه
الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجي من عذابه فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن
حسن أو علي بن الحسين فقال ما علما شيئاً في التمني ما اختار الله فهو خير . قال أبو الدرداء من هوان
الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها . قال شريح الحدة كناية عن الجهل
وقال أبو عبيدة المعارضة كناية عن البذاء قال وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن الجور
وقال حبيب بن أوس . كذبتم ليس يزهى من له حسب ومن له نسب عمن له أدب
إني لذو عجب منكم أردده فيكم وفي عجبي من زهوكم عجب
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها إلا لجاجتكم في أنكم عرب
وقيل لأعرابية مات ابنها ما أحسن عزاءك قالت إن مصيبته أمنتني من المصائب بعده . قال

وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغني أينا أسن أنا أو أنت يا طويس فقال بأبي أنت وأمي لقد
شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل
زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى ❊ قال وقال رجل من
أهل الشام كنت في حلقة أبي مسهر في مسجد دمشق فتذاكرنا الكلام والبلاغة والصمت ونبالته
فقال كلا إن النجم ليس كالقمر إنك لتصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت ❊ وقال الهيثم
بن صالح لابنه وكان خطيبا يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب وإذا أكثرت من الكلام
أقللت من الصواب قال يا أبه فإن أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا
أحق بأن يكون واعظا منك ❊ قال وقال ابن عباس لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس
قال وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ما تستبقوا من الدنيا تجدوه في الآخرة ❊ وقال رجل للحسن
إني أكره الموت قال ذاك أنك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به ❊ قال وقال عامر
بن الظرب العدواني الرأي نائم والهوى يقظان فمن هنالك يغلب الهوى الرأي وقال مكتوب
في الحكمة اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكر لك ❊ وقال بعضهم وهو أبو الدرداء أيها
الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا ❊ وقال عبد الملك على المنبر
ألا تنصفوننا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا
سيرة رعية أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلا على كل ❊ قال وقال رجل من العرب أربع لا يشبعن
من أربع أنثى من ذكر وعين من نظر وأرض من مطر وأذن من خبر ❊ قال وقال موسى لأهله
امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر قال فقال بعض المفسرين فقد قال أو آتيكم بشهاب
قبس قال أبو عقيل لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن الجائع المقرور وقال لبيد بن ربيعة

ومقام ضيق فرجته ... بمقامي ولساني وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله ... زل عن مثل مقامي وزحل
ولدى النعمان مني موطن ... بين فاثور أفاق فالدحل
إذ دعتني عامر أنصرها ... فالتقى الألسن كالنبل الدول
فرميت القوم رشقا صائبا ... ليس بالعصل ولا بالمفتعل
وانتضلنا وابن سلمى قاعد ... كعتيق الطير يغضي ويجل
وقبيل من لكيز شاهد ... رهط مرجوم ورهط ابن المعل

وقال ❊

وأبيض يجتاب الخروق على الوجى ... خطيبا إذا التف المجامع فاصلا ❊

وقال لبيد

لو كان حي في الحياة مخلدا ... في الدهر أدركه أبو يكسوم ❊
بكتائب خرس تعود كبشها ... نطح الكباش شبيهة بنجوم ❊
ولقد بلوتك وابتليت خليقتي ... ولقد كفاك معلمي تعليمي ❊

وقد قال أيضا لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب ❊
يتأكلون مغالة وخيانة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب ❊

وقال زيد بن جندب في ذكر الشغب ❊

الخطب

لا كان أفتى رجالا لا أضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الشغب ❊ وقال آخر
في ذكر الشغب

وإن شئت غني قذ وشغاب ❊ أو في إذا أعيا فتيت وعقاب ❊ وقال ابن أحمر

بن النعمان

وكم حلنا من تجار سميدع ... مصالي النوى ساق بينهما مطعم ❊
هوي البطن ملاق إذا هبت الصبا ... على الأمر هو أمر وفي الحق شيظم ❊ وقال

هل لا في قومه لمستوهب سائل ... أو في مخاصمة اللجوج الأصيد ❊ وقال في التطبيق

فلما أن بدا القعقاع لجت ... على شرك تناقله نقالا ❊
تعاورن الحديث وطبقنه ... كما طبقت بالنعل المثالا

ومن التطبيق عن التطبيق الأول وقال آخر

لو كنت ذا علم علمت وكيف لي ... بالعلم بعد تدبر الأمر ❊

قال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة قال لقمان
لابنه يا بني إني قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت ❊ وقال الشاعر

ما إن ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا ❊ وقال آخر

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام ❊
مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

وقال آخر في التحرز والاحتراس

اخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل الكلام ❊

وقال في مثله

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم ... ما في ضميري لهم مني سيكفيني ❊

وقال نعمة بن بيض

لم يكن عن جناية لحقتني ... لا يساري ولا يميني جنتني ❊
بل جناها أخ علي كريم ... وعلى أهلها براقش تجني ❊

لأن براقش
كلبة ومعنى براقش إنما نبحت على قوم وأمنوا ورائهم وقد رجعوا خائبين مخففين فلما نبحتهم
استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ولو سكتت كانوا قد سلموا فضرب ابن بيض به المثل
وقال الأخطل

ينو بلا شيء شيوخ محارب ... وما خلتها كانت تريش ولا تبري ❊
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية النهر ❊

وقالوا الصمت حكم وقليل فاعله ❊ وقالوا استكثر من الهيبة صامت ❊ وقيل لرجل من كلب طويل
الصمت بحق ما سماكم العلماء خرس العرب فقال أسكت فأسلم وأسمع فأعلم ❊ وكانوا يقولون لا تعدلوا
بالسلامة شيئا لا تسمع الناس يقولون خلد فلان حين صمت ولا قتل حين سكت وتسمعهم يقولون خلد
فلان حين قال كذا وكذا وقتل حين قال كذا وكذا ❊ وفي الحديث المأثور رحم الله من سكت فسلم أو قال
خيرا فغنم والسلامة فوق الغنيمة لأن السلامة أصل والغنيمة فرع ❊ وقال النبي صلى الله
عليه إن الله يبغض البليغ الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ❊ وقيل إن كان
الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ❊ وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين
إنما عاب النبي صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه كما تتخلل
الباقرة بلسانها والأعرابي المتشادق وهو الذي يصنع بفكيه وشدقيه ما لا يستجيزه أهل
الأدب من خطباء أهل المدر فمن تكلف ذلك منهم فهو أعيب والذم له ألزم وقد كان الرجل من العرب

يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ومدار العلم على الشاهد والمثل وإنما حثوا على الصمت لأن العامة إلى معرفة خطاء القول أسرع منهم إلى معرفة خطاء الصمت ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى القائل في قوله وإلا فإن السكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل ولعمري إن الناس إلى الكلام لأسرع لأن في أصل التركيب أن الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك العمل والسكوت عن جميع القول وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت وقد قال الله عز وجل سماعون للكذب أكالون للسحت فجعل سمعه وكذبه سواء قال الشاعر

بني عدي ألا ينهى سفيهكم * إن السفيه إذا لم ينه مأمور

وقال الآخر

فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما * ضحكت له حتى يلج ويستشري

وكيف يكون الصمت أنفع والإيثار له أفضل ونفعه لا يكاد يجوز رأس صاحبه ونفع الكلام يعم ويخص والرواة لم ترو سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ومواضع الصمت المحمودة قليلة ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وطول الصمت يفسد البيان وقال بكر بن عبد الله المزني طول الصمت حبسة كما قال عمر ترك الحركة عقلة وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه وكانوا يروون صبيانهم الأرجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم واللسان إذا أكثرت تحريكه رق ولان وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسأ وغلظ وقال عباية الجعفي لولا الدربة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يماري بعضهم بعضا وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعتمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع ولم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله للنابغة الجعدي لا يفضض الله فاك ولم قال لكعب بن مالك ما نسي الله لك ذلك ولم قال لهيذان بن شيخ رب خطيب من عبس ولم قال لحسان هيج الغطاريف على بني عبد مناف والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام وما نسلم أنه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ما ضارع الرياء والسمعة والنفج والبذخ وعن التهاتر والتشاغب وعن المغالبة والمنافسة قال فأما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو الذي مدح التبيين وأهل التفصيل وفي هذا كفاية إن شاء الله وقال دغفل بن حنظلة إن للعلم أربعة آفة ونكدا وإضاعة واستجاعة فآفته النسيان ونكده الكذب وإضاعته وضعه في غير موضعه واستجاعته أنك لا تشبع منه وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ولخرق سياسة أكثر الرواة لأن الرواة إذا اشتغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ما قد دونوه كان ذلك الازدياد داعيا إلى النقصان وذلك الربح سببا للخسران وقد جاء في الحديث

منهومان لا يشبعان منهوم في العلم ومنهوم في المال وقالوا علم علمك وتعلم علم غيرك فإذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال الخليل بن أحمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ما ليس عندك وقال بعضهم وأظنه بكر بن عبد الله المزني لا تكدوا هذه القلوب ولا تهملوها فخير الفكر ما كان عقب الجمام ومن أكره بصره عشي وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب واشحذوها بالمذاكرة ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فإن من أدام قرع الباب ولج وقال الشاعر

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال ابن الأخطب السؤدد مع السواد وتقول الحكماء من لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها وأنشد

ودون الندى في كل قلب ثنية * لها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى في كل نيل ينيله * إذا ما انقضى لو أن نائله جزل

وقال المرار

وإن سيادة الأقوام فاعلم * لها صعداء مطلبها طويل
أترجو أن تسود ولن تعنى * وكيف يسود ذو الدعة البخيل

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال ما رأيت عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض إلا ما كان من الحجاج وإياس بن معوية فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس أبو الحسن قال سمعت أبا الصغدي الحارثي يقول كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم لا تدخلوها فلما مات دخلوها من قريب سمعت قحطبة الخشني يقول كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن سالم وقال معوية لعمرو بن العاص إن أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأي فأجد الحز وطبق المفصل وإياك أن تلقاه برأيك كله

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف والقليل الفضول

قال الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وقال ابن أحمر

تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعد ذاك نزر

وقال الآخر

حديث كطعم الشهد حلو صدوره * وأعجازه الخطبان دون المحارم

وقال بشار

أنس غرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من أنس الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنى الإسلام

وقال بشار

فبعثنا والعيش حي كميت * بحديث كنشوة الخندريس

وقال بشار

وكأن رفض حديثها * قطع الرياض كسين زهرا
وتخال ما جمعت عليه * ثيابها ذهبا وعطرا
وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وقال بشار

وكأن صب الجمان عليها * بحديث كلذة النشوان

وقال بشار

وبكرٍ كنوّار الرياض حديثها * تروق بوجهٍ واضحٍ وقوامِ — وقال بشار
وحديثٍ كأنّه قِطَعُ الروض وفيه الصفراءُ والحمراءُ — وقال الأخطل
فأسرين خمسًا ثم أصبحن غدوةً * يخبرن أخبارًا ألذّ من الخمرِ
أخبرنا عامر بن صالح أنّ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى امرأته وعنده إخوانٌ له
إنّ عندي أنفارًا من بني ضيفًا واحبًا جفنهم كهولًا ومردا *
طرقوا جارك الذي كان قدمًا لا يرى من كرامة الضيف بُدّا *
فلديه أضيافه قد قراهم وهم يشتهون تمرًا وزبدا *
فلهذا جرى الحديث ولكن قد جعلنا بعض المزاح جدّا *
وأنشد: كرّر الأحاديث عن ليلى إذا بعدت * إنّ الأحاديث عن ليلى تلهّيني
وقال الغنوي في حلاوة الحديث *
وإنّ حديثًا منك لو تبذلينه * جنى النحل أو ألبان عوذٍ مطافلِ
مطافيل أبكارٍ حديثٍ نتاجها * تُشاب بماءٍ مثل ماء المفاصلِ
وفي الكلام الموزون يقول عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر
الزم الصمت إنّ في الصمت حكمًا * وإذا أنت قلت قولًا فزنه
وقال أبو ذؤيب: وسربٍ يُطلّى بالعبير كأنّه * دماء ظباءٍ بالنحور ذبيحُ
بذلت لهنّ القول إنّك واجدٌ * لما شئت من حلو الكلام مليحُ
وأنشد الحكم بن ريحان من بني عمرو بن كلاب *
يا أجود الناس إن جادت له جدةٌ * وأكثر الناس إن عاتبته عللا
كأنّما عسلٌ رجعان منطقها * إن كان رجع كلامٍ يشبه العسلا
وقال القطامي: وفي الخدور غمامات برقن لنا * حتى تصيّدننا من كلّ مصطادِ
فهنّ ينبذن من قولٍ يُصبن به * مواقع الماء من ذي الغلّة الصادي
وقال الأخطل: شمسٌ إذا خطل الحديث أوانسٌ * يرقبن كلّ مرقّبٍ يتبذّلِ
أُنُفٌ كأنّ حديثهنّ تنادمٌ * بالكأس كلّ عقيلةٍ مكسالِ
وقال أبو العميثل: لقيت ابنة السهمي زينب عن عفرٍ * ونحن حرامٌ مُسّى عاشرة العشرِ
وإنّي وإيّاها لحتمٌ مبيتنا * جميعًا وسيرانا مغذٌّ وذو فترِ
فكلّمتها ثنتين كالثلج منهما * على اللوح والأخرى أحرّ من الجمرِ
وأنشد: وإنّا ليجري بيننا حين نلتقي * حديثٌ له وشيٌ كوشي المطارفِ
حديثٌ كطعم القطر في المحل يُشتفى * به من جوى في داخل القلب لاطفِ
وقال الشماخ بن ضرار: يعزّ بعيني أن أنال أتانها * وإن لم أنلها أيّمٌ لم تزوّجِ

وكنت إذا ما زرتها كان سرّنا * وما بيننا مثل الشواء الملهوجِ
يريد أنّهما من خوف الرقباء كانا على عجلة * وقال جران العود
فنلنا سقاطًا من حديثٍ كأنّه * جنى النحل أو أبكار كرمٍ تقطّفُ
حديثًا لو انّ البقل يولى بمثله * زها البقل واخضرّ العضاه المصيّفُ — وقال الكميت
وحديثهنّ إذا النعيش نهانها بالبيض العرائن * فإذا عكفن عن العتاب لنا المسعلات الشواعز
كان التملّق بالتبسّم لا الغمامة بالعرائن * وقال الآخر
ولمّا تلاقينا جرى من عيوننا * دموعٌ كففنا غربها بالأصابعِ
ونلنا سقاطًا من حديثٍ كأنّه * جنى النحل ممزوجًا بماء الوقائعِ
وقال أشعب بن سمي: مثل نعوب المنبر إلى سلام * فلاطه بسواحر الكلام
كلامهنّ رزمةٌ في السقام * وقال الراجز: وقصب عيون الظباء بالسحر وذرّ قوسها
صفراء بقلان * صفراء قبع حظمٍ ما يوتر * تلام مهيم مثل حلقوم الثغر
حرث ظبات أسهمٍ مثل الشرر * فضمّ عنهنّ بالكناب الجفر
حور العيون بالبيات النظر * يحسبها الناظر من وحش البشر
ويزدوي البقر *

باب آخر من الأسجاع في الكلام

قال عمر بن ذر: الله المستعان على ألسنةٍ تصف وقلوبٍ تعرف وأعمالٍ تخالف * ولمّا مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال: لا أعطي من يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان. وفي الحديث: إنّما يقول العبد مالي مالي وإنّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت * وقال النمر بن تولب
أعاذل إن يصبح صداي بقفرةٍ * بعيدًا نآني صاحبي وقريبي
ترى أنّ ما أبقيت لم أك ربّه * وأنّ الذي أنفقت كان نصيبي
الصدى يخرج من قبر الميت فيضع إليه ضعف وليّه وعجزه وهذا كانت العرب تقوله في الجاهلية وموضعها هنا مستعار أي إن أصبحت أنا * ووصف أعرابي رجلًا فقال: صغير القدر قصير الشبر ضيّق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر * الشبر القامة والنجر الطباع * ووصف بعض الخطباء رجلًا فقال: ما رأيت أضرب لمثلٍ ولا أركب لجملٍ ولا أصعد في قللٍ منه * وقال: سأل بعض الأمراء رسولًا قدم من جهة العسكر كيف رأيت البلاد فقال: ماؤها وشلٌ ولصّها بطلٌ وتمرها دقلٌ إن كثر الجند بها جاعوا وإن قلّوا بها ضاعوا * وقيل لصعصعة بن معوية: من أين أقبلت قال: من الفجّ العميق قال: فأين تريد قال: البيت العتيق قالوا: هل من مطر قال: نعم حتى عفى الأثر وأنضر الشجر ودهدى الحجر * واستعان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوّج بها فقال محمد: كيف ترى نصيبين قال: كثيرة

العقارب قليلة الأقارب يريد بقوله قليلة كقول القائل فلان قليل الحياء ليس يريد أن هناك
حياء وإن قل يضعون قليلا في موضع ليس . وولي العلاء عملا خسيسا بعد أن كان على عمل جسيم
فقال العقوق بعد النوق . قال ووقف رجل من العلماء إلى باب بعض الملوك فقال باب جديد
وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد . وقيل لبعض العرب أي شيء تمنى وأي شيء أحب
إليك قال لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لآخر وصلى
ركعتين فأطال فيهما وقد كان أمر بقتله أجزعت من الموت فقال إن أجزع فقد أرى كفنا
منشورا وسيفا مشهورا وقبرا محفورا . وقال عبد الملك بن مروان لأعرابي ما أطيب الطعام
فقال بكرة سنمة معتبطة غير ضمنة في قدور رذمة بشفار خذمة في غداة شبمة فقال عبد
الملك وأبيك لقد أطيبت . وقالوا لا تعتبر بمشاحة الأمراء إذا غشك الوزير
وقالوا من صادق الكتاب أغنوه ومن عادى الأمير أفقروه . وقالوا اجعل قول الكذاب ريحا تكن
مستريحا . وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم
نفسك القوافي وإقامة الوزن قال إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي
عليك ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه
أنشط وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت
به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . قالوا فقد قيل للذي
قال يا رسول الله أرأيت من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل أليس مثل ذلك يطل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الجاهلية . قال عبد الصمد لو أن هذا المتكلم
لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق
فتشادق في كلامه . وقال غير عبد الصمد وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله
صلى الله عليه واستحسنه وأمر به شعراءه وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه قد قالوا
شعرا قليلا كان ذلك أم كثيرا واستمعوا واستنشدوا فالسجع والمزدوج دون القصيد
والرجز فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل . وقال غيره إنما إذا لم يطل ذلك ولم
تكن القوافي مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة متكلفة وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء حلئت
ركابي وخرقت ثيابي وضربت صحابي . حلئت ركابي منعت إبلي من الماء والكلأ والركاب ما يركب
من الإبل قال أو سجع أيضا قال الأعرابي فكيف أقول لأنه لو قال حلئت إبلي أو جمالي أو نوقي
أو بعراني أو صرمتي لكان لم يعبر عن حق معناه وإنما حلئت ركابه فكيف يدع الركاب
إلى غير الركاب وكذلك قوله وخرقت ثيابي وضربت صحابي لأن الكلام إذا قل وقع وقوعا
لا يجوز تغييره وإذا طال وجدت في القوافي ما يكون مجتلبا ومطلوبا مستكرها وفي الحديث
المأثور ويدخل على من طعن في قوله تبت يدا أبي لهب وزعم أنه شعر لأنه في تقدير مستفعلن

مفاعلن وطعن في قوله . هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت . فيقال له اعلم أنك
لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مفاعلن كثيرا وليس
أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا ولو أن رجلا من الباعة صاح من يشتري باذنجان لقد
كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولان فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر
ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج
الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا وهذا قريب والجواب فيه سهل بحمد الله
وسمعت غلاما لصديق لي وكان قد سقي بطنه يقول لغلمان مولاه
اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج فاعلاتن
مفاعلن مرتين وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا ومثل هذا كثير
لو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته . وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون
الشعر في التكلف والصنعة أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم
وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن مثل حازي جهينة ومثل شق وسطيح
وعزى سلمة وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع كقوله والأرض والسماء
والعقاب الصقعاء واقعة ببقعاء لقد نفر المجد بني العشراء للمجد والسناء . وهذا الباب كثير ألا
ترى أن ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والأقرع بن حابس ونفيل بن عبد العزى كانوا يحكمون
وينفرون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حذار قالوا فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية
ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم فلما زالت العلة زال التحريم وقد كانت الخطباء تتكلم عند
الخلفاء الراشدين فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم وكان الفضل بن عيسى الرقاشي
سجاعا في قصصه وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبي عياش يأتون مجلسه وقال
له داود بن أبي هند لولا أنك تفسر القرآن برأيك لأتيناك في مجلسك قال فهل تراني أحرم
حلالا أو أحل حراما وإنما كان يتلو الآية التي فيها ذكر النار والجنة والموت والحشر وأشباه
ذلك . وقد كان عبد الصمد بن الفضل وأبو العباس بن القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة ومنهم
أخطب من الخطباء يجلس إليهم عامة الفقهاء وقد كان النهي ظاهرا عن مرثية أمية بن أبي الصلت
لقتلى أهل بدر كقوله . هلا بكيت على الكرام بني الكرام أولي الممادح . وقد روى ناس
شبيها بذلك في هجاء الأعشى لعلقمة بن علاثة فلما زالت العلة زال النهي . وقال أبو واثلة
بن خليفة في عبد الملك بن المهلب

لقد صبرت للذل أعواد منبر . تقوم عليها في يديك قضيب
بكى المنبر الغربي إذ قمت فوقه . فكادت مسامير الحديد تذوب
رأيتك لما شبت أدركك الذي . يصيب سراة الأزد حين تشيب

سماعة الاعلام وبغل بابل وفيله لمن عاب المنابر ومن يخطب

قال وخطب الوليد بن عبد الملك فقال إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول إن الحجاج جلدة ما بين عيني ألا وإنه جلدة وجهي كله • وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتولية يزيد بن أبي مسلم فقال إنما مثلي ومثل يزيد بن أبي مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فأصاب دينارا • شبيب بن شيبة قال حدثني خالد بن صفوان قال خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال إني قد أسمع قول الرعاع قد جاء مسلمة وقد جاء العباس وقد جاء أهل الشام وما أهل الشام إلا تسعة أسياف سبعة منها معي واثنان علي وأما مسلمة فجرادة صفراء وأما العباس فنسطوس بن نسطوس أتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس إنما أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء اللجم والله ما لقوا قوما قط كحدكم وحديدكم وعديدكم أعيروني سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين • ومدح بشار عمر هزارمرد العتكي بالخطب وركوبه المنابر بل رثاه وأبنه فقال

ما بال عينك دمعها مسكوب • سهرت فأنت بنومها محروب
وكذاك من صحب الحوادث لم تزل • تأتي عليه سلامة ونكوب
يا أرض ونخلة أكرميه فإنه • لم يبق للعتكي فيك ضريب
أبكي على خشب المنابر قائما • يوما والأخرى إذ تشب حروب

قال كان سوار بن عبد الله أول تميمي خطب على منبر البصرة ثم خطب عبيد الله بن الحسن • وولي منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء • بلال • وسوار • وعبيد الله • وأحمد بن رباح • وكان بلال قاضيا بن قاضي بن قاضي وقال رؤبة • فأنت يا ابن القاضيين قاضي • معترم على الطريق ماضي
قال أبو الحسن المدائني كان عبيد الله بن الحسن حيث وعد على المنبر معي يا أعده له كلاما فبلغه أن الناس قد أعجبهم كلامه فقال لشبيب بن شيبة إني والله ما التفت إلى مقاومة ولكن سل لي عنهما أبا عبيد الله الكاتب فسأله فقال ما أحسن ما تكلم به على أنه أخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما فأخبره بذلك شبيب فقال عبيد الله صدق والله إن أخطأ حرفا واحدا • وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها وكان يقول إن الله وملائكته فكان يرفع الملائكة فقيل له في ذلك فقال خرجوا لها وجها ولم يكن يدع الرفع • قال وصلى بنا مرة يوم الجمعة فخطب فلم يسمع من كلامه إلا أكرم أمير المؤمنين الرشيد وولي عهده محمد قال وكان زمعة بن محمد التميمي يراد به إذا قرع المنبر قال الشاعر

أمير المؤمنين إليك نشكو • وإن كنا نقوم بغير عذر
عثرت لنوبنا وعفوت عنا • وليست منك أن تعفو بعثر
فإن المنبر البصري يشكو • على العلات إسحاق بن شمر
أضبي على خشبات ملك • كمركب ثعلب ظهر الهزبر

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر

ما زلت تركب كل شيء قائم • حتى اجترأت على ركوب المنبر
ما زال منبرك الذي دنسته • بك لا أمس مثله كحائض لم تطهر

وقال آخر

فما منبر دنسته بك شئت أفكل بزائل • ولو طهرته بابن طاهر

باب اسجاع

• عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال قال عيسى بن مريم عليه السلام البر ثلاثة • المنطق والنظر والصمت • فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا • ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها • ومن كان صمته في غير فكر فقد لها • وقال علي بن أبي طالب رحمه الله أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج • وقال يزيد بن المهلب ونحن في الحبس والقيود على طليته بمائة ألف وفرج في جبهة أسد • وقال عمر رضي الله عنه استغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر • وما يبعث الأحزان مثل التذكر • حفص بن ميمون قال سمعت عيسى بن عمر يقول سمعت الحسن يقول اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة واعصوها فإنكم إن أطعتموها تنزع بكم إلى شر غاية وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور • اقدعوا كفوا الطلعة أي تطلع إلى كل شيء حادثوها أي اجلوها واشحذوها والدثور الدروس يقال دثر أثر فلان أي درس كما يقال درس وعفا قال فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه • وقال الشاعر

سيغنين تعجلا أو حجبت تذكرته • وما يبعث الأحزان مثل التذكر

• الوجيب الشديد يقال وجب الفرس والبعير وأوجفته ومثله الإيضاع ومثله الإسراع أراد عيناه أقبلت مسرعة • ومن الأسجاع قول أيوب بن القرية وقد كان دعي للكلام فاحتبس القول عليه فقال قد طال السمر وسقط القمر واشتد المطر فما ننتظر • فأجابه فتى من عبد القيس فقال قد طال الأرق وسقط الشفق وكثر اللثق فلينطق من نطق • اللثق الندى • وقال أعرابي لرجل نحن والله أكل منكم للمأدوم وأكسب منكم للمعدوم وأعطى منكم للمحروم • ووصف أعرابي رجلا فقال إن رفدك لنجيح وإن خيرك لسريح وإن منعك لمريح • سريح عجل مريح أي مريح من كد الطلب • وقال عبد الملك لأعرابي ما أطيب الطعام فقال بكرة سنمة في قدور رذمة بشفار خذمة في غداة شبمة فقال عبد الملك وأبيك لقد أطيبت • وسئل أعرابي فقيل له ما أشد البرد فقال ريح جربياء في ظل عماء في غب سماء • ودعا أعرابي فقال اللهم إني أسألك البقاء والنماء وطيب الإتاء وحط الأعداء ورفع الأولياء • الإتاء الرزق • وقال إبراهيم النخعي لمنصور بن المعتمر سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الكيسا • ووصفت عمة جابر اللص جابرا فقالت كان جابر لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف • ووصف بعضهم فرسا فقال أقبل بزبرة الأسد وأدبر بعجز الذئب • الزبرة مغرز العنق ويقال الشعر الذي بين كتفيه ووصفه بأنه مخطوط الكفل • قال ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهروا قول الكرامة قام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع

فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار بيده إلى معوية فإن مات فهذا وأشار بيده إلى يزيد فمن أبى فهذا وأشار بيده إلى سيفه فقال معوية أنت سيد الخطباء . قالوا ولما قامت خطباء نزار عند معوية فذهبت في الخطب كل مذهب قام صبرة بن شيمان فقال يا أمير المؤمنين إنا حي فعال ولسنا حي مقال ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا . قال ولما وفد الأحنف في وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير تكلم أبو حاضر الأسيدي وكان خطيبا جميلا فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فوالله لوددت أن لي بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم قال يا أمير المؤمنين إن لنا ولك مثلا أفتأذن في ذكره قال نعم قال مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشى حيث يقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك بن مروان . علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري قال ذكر معوية لابن الزبير بيعة يزيد فقال ابن الزبير إني أناديك ولا أناجيك إن أخاك من صدقك فانظر قبل أن تقدم وتفكر قبل أن تندم فإن النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم فضحك معوية ثم قال تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر إن في دون ما سجعت به على أخيك ما يكفيك ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير . أخبرنا ثمامة بن أشرس قال لما صرفت اليمانية من أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب إليهم أبو الهيذام إلى بني استها أهل مزة ليمسينني الماء أو لتصبحنكم الخيل قال فوافاهم الماء قبل أن يعتموا أي يصيرون في وقت عتمة الليل وعتمته ظلامه يقال عتم الليل يعتم إذا أظلم وأعتم الناس صاروا في وقت العتمة فقال أبو الهيذام الصدق ينبي عنك لا الوعيد . وحدثني ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام قال لما بايع الناس يزيد بن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ والتحبس كتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت والسلام . ومما منا مذاهب تدل على أصالة الرأي ومذاهب تدل على تمام النفس وعلى الصلاح والكمال ما أرى كثيرا من الناس يعقون عليهما . واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان بحذاء المنبر فشتم طلحة والزبير فلما نزل قال لأبان أرضيتك من المدهنين في أمير المؤمنين قال لا والله ولكن سوءتني حسبي أن يكونا شركا في أمره فما أدري أيهما أحسن كلاما أبان بن عثمن هذا أم إسحق بن عيسى فإنه قال أعيذ علينا بالله أن يكون قتل عثمن وأعيذ عثمن بالله أن يقتله علي فمدح عليا بكلام مريد غير نافر ومقبول غير وحشي وذهب إلى معنى الحديث في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

اشد

أشد أهل النار عذابا من قتل نبيا أو قتله نبي يقول لا ينبغي أن يقتله نبي بنفسه إلا وهو أشر خلق الله معاندة وأجرأهم على معصيته فيقول لا يجوز أن يقتله علي إلا وهو مستحق للقتل .

خطبة من خطب النبي عليه السلم

قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم إن المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبرة ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار . أبو الحسن المدائني قال تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز فقيل له لو زدتنا قال أمرنا رسول الله عليه السلم بإطالة الصلاة وقصر الخطبة . محمد بن إسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الأنصار من بني زريق أن عمر بن الخطاب رحمه الله لما أتي بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم فسلحه إياه ثم قال يا جبير ممن كان النعمان قال من أشلاء قنص بن معد وكان جبير أنسب العرب وكان أخذ النسب عن أبي بكر الصديق رحمه الله وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب ودوي عن بعض ولد طلحة قال قلت لسعيد بن المسيب علمني النسب قال أنت رجل تريد أن تساب الناس قال وثلاثة في نسق واحد كانوا أصحاب نسب عمر بن الخطاب رحمه الله أخذ ذلك عن الخطاب وكان كثيرا ما يقول سمعت ذلك من الخطاب ولم أسمع ذلك من الخطاب والخطاب بن نفيل ونفيل بن عبد العزى تنافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية فنفر عبد المطلب أي حكم لعبد المطلب والمنافرة المحاكمة . قال والنساب أربعة دغفل بن حنظلة وعميرة أبو ضمضم وصبح الحنفي وابن الكيس النمري . قال الأصمعي دغفل بن حنظلة والنساب البكري وكان نصرانيا ولم يسمه .

ذكر كلمات خطب بهما سليمن بن عبد الملك

قال اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما واجعلوه قائدا فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . قال وأول كلام بارع سمعوه منه الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك . خلاد بن يزيد الأرقط قال سمعت من يخبر عن الشعبي قال ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما أكثر كان أجود كلاما . وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت وإذا خرج من عندها تكلم فرأته يوما كذلك فقالت أما عندي فتطرق وأما عند الناس فتنطق فقال لأني أدق عن جليلك وتجلين عن دقيقي . قال أبو الحسن قال عياش بن [illegible] بن فلان بن يزيد إلى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع

آبائه وأمهاته، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر. فقال عبد الملك بن مروان: عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجبي من معرفته بأنساب الخيل. وقال: كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء: القمر، والزبرقان، والحصين. وكانت له ثلاث كنى: أبو شذرة، وأبو عياش، وأبو العباس. وكان عياش ابنه خطيباً مارداً شديد العارضة شديد الشكيمة وجيهاً، وله يقول جرير:

أعياش قد ذاق القيون مراستي ... وأوقدت ناري فادن دونك فاصطلي

فقال عياش: إني إذاً لمقرور. قالوا: فغلب عليه.

باب أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان الترتيب في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم وأسماء أهل الإسلام على منازلهم، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدة، ونقدم من قدمه الله ورسوله عليه السلام في النسب، وفضله في الحسب، ولكني لما عجزت عن نظمه وتنضيده، تكلفت ذكرهم في الجملة، والله المستعان، وبه التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به.

كان الفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس، وكان متكلماً، وكان قاصاً مجيداً، وكان يجلس إليه عمرو بن عبيد، وهشام بن حسان، وأبان بن أبي عياش، وكثير من الفقهاء، وهو رئيس الفضلية، وإليه ينسبون. وخطب إليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمي، فولدت له المعتمر بن سليمان، وكان سليمان مبايناً للفضل في المقالة، فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه، فقدما الفضل. وكان الفضل لا يركب إلا الحمير، فقال له عيسى بن حاضر: إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال: لما فيها من المرافق والمنافع. قال: قلت: مثل أي شيء؟ قال: لا تستبدل بالمكان على اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داءً، وأيسرها دواءً، وأسلم صريعاً، وأكثر تصريفاً، وأسهل مرتقى، وأخفض مهوى، وأقل جماحاً، وأشهر فارهاً، وأقل نظيراً، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه. قال: ونظر يوماً إلى حمار فاره تحت سلم بن قتيبة فقال: نعرة نبي، ويتلوه جبار. قال عيسى بن حاضر: ثم ذهب إلى حمار عزير، وإلى حمار المسيح الدجال، وإلى حمار بلعم. وكان يقول: لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالناس على فرس عربي أو جمل مهري لفعل، ولكنه ركب عيراً أربعين عاماً لأنه كان يتأله، وقد ضرب به المثل فقالوا: أصح من عير أبي سيارة. والفضل هو الذي يقول في قصصه: سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً.

وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه، وأعجب وأبين وأخطب. قال: وحدثني أبو جعفر الصوفي القاص قال: تكلم عبد الصمد في خلق البعوضة وفي جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة. وكان يزيد بن أبان عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي من أصحاب أنس والحسن، وكان يتكلم في مجلس الحسن، وكان زاهداً عابداً، وعالماً فاضلاً، وكان خطيباً، وكان قاصاً مجيداً. قال أبو عبيدة: وكان أبوهم

خطيبا

خطيباً، وكذلك جده وأبوه، وكانوا خطباء الأكاسرة، فلما سبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام وفي جزيرة العرب، نزعهم ذلك العرق، فقاموا في أهل هذه اللغة كمقامهم في أهل تلك اللغة، وفيهم شعر وخطب، وما زالوا كذلك حتى أصهر إليهم الغرباء، ففسد ذلك العرق ودخله الخور.

ومن خطباء إياد قس بن ساعدة، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. وهو القائل في هذه: آيات محكمات: مطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، ونجوم تمور، وبحور لا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، وليل داج، وسماء ذات أبراج، ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم حبسوا فناموا. وهو القائل: يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، أين المعروف الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينكر، أقسم قس قسماً بالله إن لله ديناً هو أرضى له من دينكم هذا. وأنشدوا له:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا ... يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

ومن الخطباء زيد بن علي بن الحسين، وكان ابن خالد بن عبد الله أقر على زيد بن علي وداود بن علي وأيوب بن سلمة المخزومي، وعلى محمد بن عمر بن علي، وعلى سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فسأل هشام زيداً عن ذلك فقال: أحلف لك. قال: وإذا حلفت أصدقك؟ قال زيد: اتق الله. قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد: لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا دون أن يوصي بتقوى الله. قال هشام: بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة. قال زيد: فقد كان إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه ابن أمة، وإسحق صلى الله عليه ابن حرة، فأخرج الله عز وجل من صلب إسماعيل خير ولد آدم محمداً صلى الله عليه. فعندها قال له: قم. قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره. ولما خرج من الدار قال: ما أحب أحد الحياة قط إلا ذل. فقال له سالم مولى هشام: لا يسمعن هذا الكلام منك أحد. وقال محمد بن عمير: إن زيداً لما رأى الأرض قد طبقت جوراً، ورأى قلة الأعوان وتخاذل الناس، كانت الشهادة أحب الميتات إليه. وكان زيد كثيراً ما ينشد:

شرده الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجى ... تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

قال: وكان كثيراً ما ينشد شعر العبسي في ذلك:

إن المحكم ما لم يرتقب حسباً ... أو يرهب السيف أو حد القنا جنفا
من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجباً ... موتاً على عجل أو عاش منتصفا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبة بن عقال، وكلف آل أبي طالب

أن ينتدبوا من زيد وتقوم خطباؤهم بذلك فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز في كلامه ثم جلس
ثم قام عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر فأطنب في كلامه وكان شاعرا بيّنا وخطيبا لسنا
فانصرف الناس وهم يقولون ابن الطيار أخطب الناس فقيل لعبد الله بن الحسن في ذلك فقال لو
شئت أن أقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور فأعجب الناس ذلك منه . ومن أهل الدهاء
والنكراء ومن أهل اللسن واللدد والجواب العجيب والكلام الفصيح والأمثال السائرة والمخارج
العجيبة هند بنت الخس وهي الزرقاء وجمعة بنت حابس ويقال إن حابسا من إياد
وقال عامر بن عبد الله الفزاري جمع بين هند وجمعة فقيل لجمعة أي الرجال أحب إليك قالت
الشنق الكتد الظاهر الجلد الشديد الجذب بالمسد فقيل لهند أي الرجال أحب إليك قالت
القريب الأمد الواسع البلد الذي يوفد إليه ولا يفد وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد
الشتاء فقالت من جعل بؤسا كأذى وقد ضرب بها المثل فمن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة
وكنت ابن حزم عالما لا له أمه . وكانت كبنت الخس أو هي أكبر . وقال ابن الأعرابي
يقال بنت الخس وبنت الخص وبنت الخسف وهي الزرقاء وقال يونس لا يقال إلا بنت الأخس وهي
الزرقاء . وقال أبو عمرو بن العلاء ما أصبنا نساء العرب مثل الزرقاء وعنز الزرقاء وهي زرقاء
اليمامة . قال اليقطري قيل لعبد الله بن الحسن ما تقول في المراء قال ما عسى أن أقول في شيء يفسد
الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وإن كان ما أقل ما فيه أن يكون دربة للمغالبة والمغالبة
من أمتن أسباب الفتنة إن رسول الله صلى الله عليه لما أتاه السائب بن صيفي فقال أتعرفني يا رسول
الله قال كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني . قال فحدثت أبي زيد بن علي فقلت
له الصمت خير أم الكلام قال أخزى الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر والله
للمماراة أسرع في هدم العي من النار في يبس العرفج ومن السيل في الحدور وقد فهمت زيد
أن المماراة مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها أقل ضررا من المساكتة التي تورث البلدة وتحل
العقدة وتفسد المنة وتورث علا وتولد أدواء أيسرها العي فإلى هذا المعنى ذهب زيد
ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومي من قريش . وأبو حاضر . وسالم بن أبي حاضر وقد
تكلم عند الخلفاء . ومن خطباء بني أسيد الحكم بن يزيد بن عمير وقد رأس . ومن أهل اللسن
منهم والبيان الحجاج بن عمير بن يزيد . ومن الخطباء سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص
بن أمية . قال وقيل لسعيد بن المسيب من أبلغ الناس فقال رسول الله صلى الله عليه فقيل
ليس عن هذا نسألك قال معوية وابنه وسعيد وابنه وما كان ابن الزبير بدونهم ولكن لم يكن
لكلامه طلاوة ومن العجب أن ابن الزبير مكانه من البلاغة كلاما وهم لا يحفظون لسعيد بن
العاص وابنه من الكلام إلا ما لا بال له وكان سعيد جوادا ولم يترع قميصه قط وكان أسود
نحيفا وكان يقال له عكة العسل وقال الحطيئة

سعيد فلا تغررك قلة لحمه . تخدد عنه اللحم فهو صليب . وكان أول من خشّ
الإبل في نفس عظم الأنف وكان في تدبيره اضطراب وقال قائل من أهل الكوفة
يا ويلنا قد ذهب الوليد . وجاءنا مجوّعا سعيد . ينقص في الصاع ولا يزيد . قال
والأمراء تحبب إلى الرعية بزيادة المكاييل ولو كان المذهب في الزيادة في الأوزان كالمذهب
في زيادة المكاييل ما قصّروا كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادة في المكاييل ولذلك اختلفت
أسماء المكاييل كالزيادي والفالج والخالدي حتى صرنا إلى هذا الملجم اليوم . ثم من الخطباء
عمرو بن سعيد وهو الأشدق ويقال إن ذلك إنما قيل له لتشادقه في الكلام . وقال آخرون
بل كان أفقم مائل الذقن ولذلك قال عبيد الله بن زياد حين أهوى إلى عبد الله بن معوية يده
عنه يا لطيم الشيطان ويا عاصي الرحمن وقال الشاعر
وعمرو لطيم الجن وابن محمد . بأسوأ هذا الأمر ملتبسان . فذكر ذلك عن عوانة
وهذا خلاف قول الشاعر . تشادق حتى مال بالقول شدقه . وكل خطيب لا أبا لك أشدق
قال وكان معوية قد دعا به في غلمة من قريش فلما استنطقه قال إن أول كل مركب صعب
وإن مع اليوم غدا . وقال له إلى من أوصى بك أبوك قال إن أبي أوصى إليّ ولم يوص بي قال وبأي
شيء أوصاك قال بألا يفقد إخوانه منه إلا شخصه قال فقال معوية عند ذلك إن ابن سعيد هذا
لأشدق فهذا يدل عندهم على أنه إنما سمي بالأشدق لمكان التشادق . ثم كان ابنه عمرو
بن سعيد سعيد بن عمرو بن سعيد وكان ناسبا خطيبا وأعظم الناس كبرا وقيل له عند
الموت إن المريض ليستريح إلى الأنين وإلى أن يصف ما به إلى الطبيب فقال
أجاليد من ريب المنون فلا ترى . على هالك عينا لنا الدهر تدمع . ودخل على
عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس فتبسم عبد الملك
وقال لقد رجوت عثرته ولقد أحسن حتى خفت عثرته فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن
خطيب ابن خطيب . ومن الخطباء سهيل بن عمرو الأعلم أحد بني حسل بن معيص وكان
يكنى أبا يزيد وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الإسلام وكان عمر قال للنبي صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبيا دعه يا عمر فعسى أن يقوم
مقاما نحمده فلما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله قام خطيبا فقال أيها
الناس إن يكن محمد قد مات فإن الله حي لم يمت وقد علمتم أني أكثركم قتبا في بر وجارية
في بحر فأقروا أميركم وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردها عليكم فسكن الناس . وهو
الذي قال يوم عمر آذن عمر وهو بالباب وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس وفلان وفلان
فقال الآذن أين بلال أين صهيب أين سلمان أين عمار فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل

لم تمض وجوهكم هدعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعدّ الله لهم في الجنة أكثر. ومن الخطباء **عبد الله بن عروة** بن الزبير قالوا وكان خالد بن صفوان يشبّه به وما علمت أنه كان في الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذي يحفظه الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما وما علمنا أن أحدا ولّد لهما حرفا واحدا. ومن النسابين من بني العنبر ثم من بني المنذر **الحنتف** بن زيد بن جعونة وهو الذي تعرّض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له متى عهدك بسجاح أم صادر فقال له ما لي بها عهد منذ أضلت أم حلس وهي بعض أمهات دغفل فقال له نشدتك بالله أنحن كنا لكم أكثر غزوا في الجاهلية أم أنتم لنا قال بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وقتلناه مرة وأخذنا بعير ديته من خدر أمه وغزانا أكثركم غزوا وأبعدكم في ذلك ذكرا فأخرجناه ثم أرجلناه. فقال ابن عامر أسألكما بالله لما كففتما. وكان عبد الله بن عامر ومصعب بن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس فكانا يغريان بين الوجوه وبين العلماء فلا جرم أنهما كانا إذا سبّا أوجعا. وكان **أبو بكر** رحمه الله أنسب هذه الأمة ثم **عمر** ثم **جبير بن مطعم** ثم **سعيد بن المسيب** ثم **محمد** بن سعيد بن المسيب ومحمد هو الذي نفى آل عنكثة المخزوميين فرفع ذلك إلى والي المدينة فجلده الحد وكان ينشد:

وبربوع بن عنكثة ابن أرض … وأحنقه هبيرة بغرجيس

يعني هبيرة بن أبي وهب المخزومي. ومن النسابين العلماء **عتبة** بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وكان من فقهاء الرأي والعلماء وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف وعمر بن عبد الرحمن خامس خمسة في الشرف وكان هو الساعي بين الأزد وتميم في الفلج. ومن بني حرقوص **شعبة** بن القلعم وكان ذا لسان وجواب وعارضة وكان وصافا فصيحا وبنوه عبد الله وعمرو وخالد كلهم كانوا في هذه الصفة غير أن خالدا كان قد جمع مع بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف وكان الحجاج بن يوسف لا يصبر عنه. ومن بني أسيد بن عمرو بن تميم **أبو بكر بن الحكم** كان ناسبا راوية شاعرا وكان أحلى الناس لسانا وأحسنهم منطقا وأكثرهم تصرفا وهو الذي يقول له رؤبة:

لقد خشيت أن تكون ساحرا … راوية مرا ومرا شاعرا

ومنهم **معلّل** بن خالد أحد بني أنمار بن الهجيم وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا وذكر للمنتجع بن نبهان فقال كان لا يجارى ولا يمارى. ومنهم من بني العنبر ثم من بني عمرو بن جندب **أبو الخنساء** عباد بن كسيب وكان شاعرا علامة وراوية نسابة وكانت له حرمة بأبي جعفر المنصور. ومنهم **عمرو** بن حولة كان ناسبا خطيبا وراوية فصيحا من ولد سعيد بن العاصي والذي أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب مولى إسحق بن يحيى بن طلحة. وكان **يحيى** بن عروة بن الزبير ناسبا عالما ضربه إبرهيم بن هشام المخزومي والي المدينة حتى مات لبعض القول

وكان مصعب بن عبد الله بن ثابت ناسبا عالما من ولده الزبيري عامل الرشيد على المدينة واليمن. ومنهم ثم من قريش **محمد بن حفص** وهو ابن عائشة ويكنى أبا بكر وابنه **عبيد الله** كان يجري مجراه يكنى أبا عبد الرحمن. ومن خزاعة ثم من بني مازن **أبو عمرو وأبو سفيان** ابنا العلاء بن عمار بن العريان فأما أبو عمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان. وحدثني الأصمعي قال جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي. قال وقال مرة لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما. وحدثني أبو عبيدة قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان قال وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ثم إنه تقرّا فأحرقها كلها وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية. وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق:

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها … حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

قال فإذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذي لا يشك في خطابته وبلاغته. وقال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس. وقال في أبي عمرو مكي بن سوادة:

الجامع العلم ننساه ويحفظه … والصادق القول إن أنداده كذبوا

وكان أبو سفيان بن العلاء ناسبا وكلاهما كان اسماهما كنيتهما. وكذلك أبو عمرو بن العلاء بن لبيد وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي خليفة عيسى بن شبيب المازني على شرط البصرة. وكان **عقيل** بن أبي طالب ناسبا عالما بالأمهات بيّن اللسان شديد الجواب لا يقوم له أحد. وكان **أبو الجهم** بن حذيفة العدوي ناسبا شديد العارضة كثير الذكر للأمهات بالمثالب. ورؤساء النسابين **دغفل** بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا. ومن هذه الطبقة **زيد بن الكيس** النمري. ومن نسابي كلب **محمد** بن السائب **وهشام** بن محمد بن السائب **وشرقي** بن القطامي وكان أعلمهم في العلم. وممن ضرب به المثل **حمّام** بن بشر قال سماك العكري:

فسائل دغفلا وأخا هلال … وحمّاما ينبّوك اليقينا

وقد ذكر دغفلا وأخو هلال هو زيد بن الكيس وبنو هلال الحي من النمر بن قاسط. وقال مسكين بن أنيف الدارمي في ذلك:

وعند الكيس النمري علم … ولو أمسى بمنخرق الشمال

وقال ثابت قطنة:

فما الغفّار لو سئلا جميعا … أخو بكر وزيد بني هلال

ولا الكلبي حمّاد بن بشر … ولا من كان في الزمن الخوالي

وقال زياد الأعجم:

بل لو سألت أخا ربيعة دغفلا … لو جزت في فينان نسبة دغفل

أن الأقارب والذين تلوهم … شر الأنام وتسل عين الأحول

يعني بهابي الحنبا. ومنهم **أبو إلياس** النصري وكان أنسب الناس وهو الذي قال كانوا

يقولون أشعر العرب أبو دؤاد الإيادي وعدي بن زيد العبادي. وكان أبو نوفل بن أبي
عقرب علامة ناسبا خطيبا فصيحا وهو رجل من كنانة أحد بني عريج. ومن بني كنانة ثم من بني ليث
ثم من بني الشداخ يزيد بن بكر بن دأب وكان يزيد عالما ناسبا وراوية شاعرا وهو القائل

الله يعلم في علي علمه وكذاك علم الله في عثمان

وولد يزيد يحيى وعيسى
فعيسى هو الذي يعرف في العامة بابن دأب وكان من أحسن الناس حديثا وبيانا وكان شاعرا راوية
وصاحب رسائل وخطب وكان يجيدهما جدا. ومن آل دأب حذيفة بن دأب وكان عالما ناسبا
وفي آل دأب علم بالنسب والخبر. وكان أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو بن جندل
بن سفيان خطيبا عالما وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان وقول الشعر
والظرف وهو يعد في هذه الأصناف وفي الشيعة وفي العرجان وفي المفاليج وعلى كل شيء من هذا
شاهد سيقع في موضعه إن شاء الله. وقال الحسن لدبيته منذر ابن بشر أجمل لأبي طي قالت إني
اشتريته فاشتريه أسمح الخدين غائر العينين أرقب أجرم أعكى أكوم إن عمي عشم وإن
أطيع تجرثم ومي لي قالت لما قيل لها ما حملك على أن رثيت بعيرك قالت طول السواد وقرب
الوساد السواد السرار أسجح سهل واسع يقال ملكت فأسجح أرقب غليظ الرقبة أجرم منتفخ (موضع)
المجرم أعكى العكوة معقد الورك بين في الموخر تعبه بشدة الوركين إن عمي عشم إن عصته
الناقة عصمها بغضها تجرثم أي بقي مأخوذ من الجرثومة وهي الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها
تعيه بالصبر والقوة على الضراب أكوم عظيم السنام وقال الشاعر في السواد

ونعم قول الحكل لو أن عزة تساود أخرى لم يفته سوادها

(كان صح)
ويقال في لسان فلان
حكلة إذا أشبه الحبشة مع اللثغ. قالوا وعاتب هشام بن عبد الملك زيد بن علي فقال له بلغني عنك
شيء فقال يا أمير المؤمنين أحلف لك قال وإذا حلفت لي أصدقك قال نعم إن الله لم يرفع أحدا فوق
أن يرضى به ولم يضع أحدا دون أن يرضى منه به. قال وكان زياد بن ظبيان التيمي العايشي (زياد ابا ما صح)
خطيبا فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو يكيد بنفسه فقال ألا أوصي بك الأمير قال لا قال ولم قال إذا
لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت. وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس وهو
الذي أتى باب مالك بن مسمع وقعد تأن ليخرج وعليه حداد وقد كان نابه أمر فلم يرسل إليه قبل
الناس فأشرف عليه مالك فقال مهلا يا أبا مطر فوالله إن في كنانتي سهما أنا به أوثق مني بك قال
وإنك لتعدني في كنانتك فوالله لو قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لخرقتها قال مالك مهلا أكثر
الله في العشيرة مثلك قال لقد سألت الله شططا. ودخل عبيد الله على عبد الملك بن مروان بعد
أن أتاه برأس مصعب بن الزبير ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل فأراد أن يقعد معه على سريره
فقال له عبد الملك ما بال الناس يزعمون أنكم لا تشبهون آباءكم قال والله لأنا أشبه بأبي من الليل
بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه قال ومن ذاك

قال من لم يولد لتمام ولم تنضجه الأرحام ولم يشبه الأخوال ولا الأعمام قال ومن ذلك قال ابن عمي
سويد بن منجوف قال عبد الملك وكذلك أنت يا سويد قال نعم فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد
فقال وريت بك زنادي والله ما يسرني أنك نقصته حرفا واحدا مما قلت وأن لي حمر النعم قال وأنا (صح اليوم)
والله ما يسرني بحلمك عني اليوم سود النعم. قال ورأى عبيد الله عتاب بن ورقاء وعتاب على أصبهان
فأعطاه عشرين ألف درهم فقال والله ما أحسنت فأحمدك ولا أسأت فأذمك وإنك لأقرب
البعداء وأبعد القرباء. قال وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما أنت
قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان قال اسكت فأنت يوم
القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج فما ظنك ببلاغة رجل عبيد الله
بن زياد يضرب به المثل وإنما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان
في الخطب وأدل من كل دلالة استنطاق علي له. وكان عمر بن عتبة أخطب الناس
وهو الذي قال الشكر وإن قل ثمن لكل نوال وإن جل. وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير
من أبين الناس ولم يكن خطيبا. وكان قسامة بن زهير أحد بني رزام بن مازن مع زهده ونسكه
ومنطقه من أبين الناس وكان يعدل بعامر بن عبد قيس في زهده ومنطقه وهو الذي قال روحوا
هذه القلوب تعي الذكر وهو الذي قال يا معشر الناس إن كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا
على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر وهو الذي كان رسول عمر في البحث عن شأن المغيرة
وشهادة أبي بكرة. وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الرأي
كثير الأدب وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء. ومن خطباء قريش خالد
بن سلمة المخزومي وهو ذو الشفة وقال الشاعر في ذلك

فما كان قائلهم دغفل ولا الحيقطان ولا ذو الشفة

ومن خطباء العرب
عطارد بن حاجب بن زرارة وهو كان الخطيب عند النبي صلى الله عليه وقال فيه الفرزدق
بن غالب (بن عتبة صح)

ومنا خطيب لا يعاب وحامل أغر إذا التفت عليه المجامع

ومن الخطباء
عون بن عبد الله بن مسعود وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعرا ولما رجع عن قول المرجئة
إلى قول الشيعة قال

وأول ما نفارق غير شك نفارق ما يقول المرجئونا
وقالوا مؤمن من آل جور وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال وقد حرمت دماء المؤمنينا

وكان حين هرب إلى محمد بن مروان في قتل ابن الأشعث ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما
كيف ترى ابن أخيك قال ألزمتني رجلا إن غبت عنه عتب وإن أتيته حجب وإن عاتبته غضب
ثم لزم عمر بن عبد العزيز وكان ذا منزلة منه فقالوا وله يقول جرير

يا أيها الرجل المزجي مطيته هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه أني لدى الباب كالمشدود في قرن
وقد دأمت وبوء الخادعين معا ومذ وليت أمور الناس لم ترني

وكان الجارود بن أبي سبرة ويكنى أبا نوفل من أبين الناس وأحسنهم حديثا وكان راوية علامة
شاعرا مفلقا وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال ما ظننت أن بالعراق وكان يقول
ما أمكنني وال قط من أذنه إلا غلبت عليه ما خلا هذا اليهودي يعني بلال بن أبي بردة وكان
عليه متحاملا فلما بلغه أنه دووي حتى لم يفت ساقه وجعل الوتر في خصيته أنشأ يقول

لقد قر عيني أن ساقيه دقتا وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى
تخلت وواجهت الخيانة والخنا فبشر لها الله المقدس بالعسرى
فما جزع سوء خرب السوس جوفه يعالجه الحجام يبرى كما تبرى

فإنما ذكر الخصية اليسرى لأن العامة تقول إن الولد منها يكون . ومن الخطباء الذين
لا يصامون ولا يجارون عبد الله بن عباس قالوا خطبنا بمكة وعثمان محاصر خطبة
لو شهدتها الترك والديلم لأسلمتا قال وذكره حسان بن ثابت فقال

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

وقال الحسن كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران
ففسرهما حرفا حرفا وكان والله مثجا يسيل غربا وكان يسمى الحبر وحبر قريش . وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وقال عمر لعبد الله بن عباس ونظر إليه
يتكلم فقال . شنشنة أعرفها من أخزم . الشعر لأبي أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم
طيء أو جد جده وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم أبي
أخزم فأدموه فقال

إن بني زملوني بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

أي إنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه وأحسبه كان به عاقا مكرا ذكر ابن الكلبي
والشنشنة مثل الطبيعة والسجية فأراد عمر رحمه الله إني أعرف فيك مشابه من أبيك
في رأيه وعقله ويقال إنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس . ومن خطباء بني هاشم أيضا
داود بن علي ويكنى أبا سليمان وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول
ويقال إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط وله كلام كثير معروف محفوظ فمن ذلك خطبته على
أهل مكة . شكرا شكرا أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لنبني فيكم قصرا أظن
عدو الله أن لن نظفر به أن أرخي له في زمامه حتى عثر في فضل خطامه فالآن عاد الأمر
في نصابه وطلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوس باريها وعاد النبل إلى النزعة ورجع

الأمر إلى مستقره في أهل بيت نبيكم أهل بيت الرأفة والرحمة . ومن خطباء بني هاشم
عبد الله بن الحسن وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد أي بني إني مؤد إليك حق الله في تأديبك
فأد إلي حق الله في حسن الاستماع أي بني كف الأذى وارفض البذاء واستعن على الكلام بطول
الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا
ينفع فيها الصواب واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل إذا كان
غاشا يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق إليك مكر العاقل وغرارة الجاهل . قال الحسن
بن جليل كان المأمون قد استثقل سهل بن هارون فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على
منازلهم فتكلم المأمون بكلام فذهب فيه كل مذهب فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن
هارون على ذلك الجمع فقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتشاهدون ولا تفقهون وتنظرون ولا تبصرون
والله إنه ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان وقالوا في الدهر الطويل عربكم
كعجمهم وعجمكم كعبيدهم ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء قال فرجع له المأمون
بعد ذلك إلى الرأي الأول . ومن خطباء بني هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان سليمان بن جعفر
والي مكة قال المكي سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون إنه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا
الكلام إلا وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما . وكان داود بن جعفر إذا خطب
استنفر فلم يرد شيئا وكان في لسانه شبيه بالرتة . وكان أيوب فوق داود في الكلام
والبيان ولم تكن له مقامات داود في الخطب . وقال إسحق بن عيسى لداود بن جعفر بلغني
أن معوية قال للنخار بن أوس ابغني محدثا قال ومعي يا أمير المؤمنين تريد محدثا قال نعم أستريح
منك إليه ومنه إليك وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ولا يكون متكلم في حال من الحالات
أوثق من كلامك . وكان إسمعيل بن جعفر من أرد الناس لسانا وأحسنهم بيانا .
ومن خطباء بني هاشم جعفر بن حسن بن الحسن بن علي وكان أحد من ينازع زيدا في الوصية
فكان الناس يجتمعون يتسمعوا مجاوبتهما فقط وجماعة من ولد العباس في عصر واحد لم يكن لهم نظراء
في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة وفي العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة مع البيان
العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والأقدار الرفيعة وكانوا فوق الخطباء وفوق
أصحاب الأخبار وكانوا يجلون عن هذه الأسماء إلا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك منهم
عبد الملك بن صالح قال وسأله الرشيد وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان
فقال له كيف رأيت أرض كذا وكذا قال مسافي ريح ومنابت شيح قال فأرض كذا وكذا قال
هضاب حمر وبراث عفر قال حتى أتى على جميع ما أراد قال فقال عيسى لسليمان والله ما
ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالدون من الكلام . الهضبة الجبل ينبسط على الأرض وجمعها
هضاب والبراث الأماكن اللينة السهلة واحدها برث وقوله عفر أي حمر كحمرة التراب

والظبي الأعفر الأحمر لأن حمرته كذلك والعفر والعفر التراب ومنه قيل ضربه حتى عفره
أي ألحقه بالتراب . ومن ملوكهم عبد الله بن صالح والعباس بن محمد وإسحق بن عيسى
وإسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر هؤلاء كانوا أعلم قريش بالدولة وبرجال الدعوة
من المعروفين برواية الأخبار . وكان إبرهيم بن السندي يحدث عن هؤلاء بشيء هو خلاف
ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور . وكان
عبد الله بن علي وداود بن علي يعدلان بأمة من الأمم ۞ ومن مواليهم إبرهيم ونصر
ابنا السندي فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم
وأما إبرهيم فإنه كان رجلا لا نظير له وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان نحويا
عروضيا وحافظا للحديث راوية للشعر شاعرا وكان فخم الألفاظ شريف المعاني وكان كاتب
القلم كاتب العمل وكان يتكلم بكلام رؤبة ويعمل في الخراج بعمل زادان فروخ الأعور وكان
منجما طبيبا وكان من رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة وبرجال الدعوة وكان أحفظ الناس لما
سمع وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر . ومن خطباء تميم جحدب وكان خطيبا راوية وكان
قضى على جرير في بعض مراتبه فقال جرير ۞

قبح الإله ولا يقبح غيره . بظرا تفلق عن مفارق جحدب

وهو الذي كان لقيه خلد بن سلمة المخزومي الخطيب الناسب فقال والله ما أنت من حنظلة الأكرمين ولا سعد الأكثرين
ولا عمرو الأشرفين وما في تميم خير بعد هؤلاء فقال له جحدب والله إنك لمن قريش وما أنت
من نبعتها ولا من بيتها ولا من شوامخها وخلافتها ولا من أهل سدانتها وسقايتها ومن تشبه بما قال
خلد بن صفوان للعبدري فإنه قال له هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت
من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الأبواب إذا أقبلت وتغلقها إذا أدبرت ۞ ومن ولد
المنذر عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن هبيرة بن المنذر وكان فقيها عالما قاضيا وكان
راوية شاعرا وكان خطيبا ناسبا وكان حاضر الجواب مفوها وكان في الاجتماع عنده الخطاب يشبه
بعامر الشعبي وكان يكنى أبا شبرمة وقال يحيى بن نوفل ۞

لما سألت الناس أين المكرمة . والعز والجرثومة المقدمة
وأين فاروق الأمور المحكمة . تتابع الناس على ابن شبرمة

وابن شبرمة الذي يقول في ابن أبي ليلى ۞

وكيف ترجى لفصل القضاء . ولم تصب الحكم في نفسكا
فتزعم أنك لابن الجلاج . وهيهات دعواك من أصلكا

قال وقال رجل من فقهاء المدينة من عندنا خرج العلم قال فقال ابن شبرمة نعم ثم لم يرجع
إليكم . قال وقال عيسى بن موسى دلوني على رجل أوليه مكانا كذا وكذا فقال ابن شبرمة
أصلح الله الأمير هل لك في رجل إن دعوتموه أجابكم وإن تركتموه لم يأتكم ليس بالملح

كلبا ولا بالمغني مربا . وسئل عن رجل فقال إن له شرفا وبيتا وقدما فنظروا فإذا هو
ساقط من السفلة فقيل له في ذلك فقال ما كذبت شرفه أذناه وقدمه التي يمشي عليها ولا بد
من أن يكون له بيت يأوي إليه قال أبو إسحق بل كذب إنما هذا كقول القائل حين سأله بعض من
أراد تزويج حرمته عن رجل فقال هو يبيع الدواب فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنانير
فلما سئل عن ذلك قال ما كذبت إن السنور دابة . قال أبو إسحق بل العربي لقد كذب وهذا
مثل قول القائل حين سئل عن رجل في تزويج امرأة فقال رزين المجلس نافذ الطعنة فحسبوه
سيدا فارسا فنظروا فوجدوه خياطا فسئل عن ذلك فقال ما كذبت إنه لطويل الجلوس جيد
الطعن بالإبرة فقال أبو إسحق بل العربي لقد كذب لأنه قد غرهم منه وكذلك لو سأله رجل
عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال هو يملك كذا ما كان ليبيعه بمائة ألف ومائة ألف فلما
بايعه الرجل وجده معدما ضعيف الحيلة فلما قيل له في ذلك قال ما كذبت لأنه يملك عينيه
وأذنيه وأنفه وشفتيه حتى عد جميع أعضائه وجوارحه ومن قال للمستشير هذا القول
فقد غره وذلك ما لا يحل في دين ولا يحسن في الحرية وهذا القول معصية لله والمعصية
لا تكون صدقا والذي يقابل هذا الخبر لا يسمى صدقا فأما التسمية له بالكذب فإن فيها كلاما
يطول ۞ ومن الخطباء المشهورين في العوام والمقدمين في الخواص خالد بن صفوان الأهتمي
زعموا جميعا أنه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ففخر
عليه ناس من بلحرث بن كعب وأكثروا في القول فقال أبو العباس لم لا تتكلم يا خالد فقال أخوال
أمير المؤمنين وأهله قال فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته قال خالد وما عسى أن أقول لقوم
كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة
وملكتهم امرأة . فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام إنه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد
ولئن كان هذا شيء حضره حين حرك وبسط فما له نظير في الدنيا فتأمل هذا الكلام فإنك ستجده
مليحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليماني بلسان سحبان وائل حولا كريتا ثم صك بهذه
النقرة ما قامت له قائمة . وكان أذكر الناس لأول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من
منطقه وقال مكي بن سوادة في صفته له ۞

عليم بتنزيل الكلام ملقن . ذكور لما سداه أول أولا
يبذ قريع القوم في كل محفل . وإن كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله . كأنهم الكروان عاين أجدلا

الكروان جمع كروان وهو طائر والأجدل الصقر . وكان يعارض شبيب بن شيبة
لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق
في السر ولا عدو في العلانية وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه

الصناعة وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة إنك لجميل يا أبا صفوان قال وكيف تقولين
ذلك وما فيّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له ما عمود الجمال قال الطول ولست بطويل
ورداؤه البياض ولست بأبيض وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط ولكن قولي إنك لمليح ظريف
وخالد يعد في الصلعان وللكلام خالد كتاب يدور في أيدي الوراقين ⁂ وكان **الأهتم** بن
عبد الحرث بن ضرار بن عمرو الضبي عالما ناسبا ⁂ ومن خطباء بني ضبة **حنظلة** بن ضرار وقد
أدرك الإسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل وقيل له ما بقي منك قال أذكر القديم وأنسى
الحديث وأأرق بالليل وأنام وسط القوم ⁂ ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم **منجوف** بن غيلان
بن حرشة وكان مقدما في المنطق وهو الذي كتب إلى الحجاج إنهم قد عرضوا الحياة للذهب
والفضة فما ترى أن آخذ قال أرى أن تأخذ الذهب فذهب عنه مقاربا ثم قتله بعد ⁂ وذكره
الفلاح بن حزن المنقري فقال

أمثال منجوف قليل ومثله ... فتى الصدق إن صفقته كل مصفق
وما كنت أشريه بدنيا عريضة ... ولا بابن خال بين غرب ومشرق
إذا قال بذ القائلين مقاله ... ويأخذ من أكفائه بالمخنق

ومن خطباء الخوارج **قطري** بن الفجاءة وله خطبة طويلة مشهورة وكلام كثير محفوظ
وكانت له كنيتان كنية في السلم وهي أبو محمد وكنية في الحرب وهي أبو نعامة ⁂ وكانت كنية
عامر بن الطفيل في الحرب غير كنيته في السلم كان يكنى في الحرب بأبي عقيل وفي السلم بأبي علي
وكان يزيد بن مزيد يكنى في السلم بأبي خالد وفي الحرب بأبي الزبير وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

لولا سيوف أبي الزبير وخيله ... نشر الوليد بسيفه الضحاكا
وفيه يقول
لولا يزيد ومقدار له سبب ... عاش الوليد مع الغاوين أعواما
سل الخليفة سيفا من بني مطر ... يمضي فيخترق الأرواح والهاما
إذا الخلافة عدت كنت أنت لها ... عزا وكان بنو العباس حكاما

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد وقد كان خالد بن يزيد اكتنى بها في الحرب في بعض أيامه بمضر
وهذا الباب مستقصى مع غيره في أبواب الكنى والأسماء وهو حاضر عليكم إن شاء الله ⁂ ومن خطباء
الخوارج **ابن صديقة** وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة وكان مغربا خطيبا ناسبا ويشوبه
ببعض الغريب والهزل ⁂ ومن علماء الخوارج **شبيل** بن عزرة الضبعي صاحب الغريب وكان
راوية خطيبا وشاعرا ناسبا وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا ⁂ ومن علماء
الخوارج **الضحاك** بن قيس الشيباني ويكنى أبا سعيد وهو الذي ملك العراق وسار في خمسين
ألفا وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصليا خلفه وقال
شاعرهم ⁂

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل

وكان ابن عطاء الليثي يسامر الرشيد وكان صاحب أخبار وأسمار وعلم بالأنساب وكان أظرف
الناس وأحلاهم ⁂ وكان **عبد العزيز** بن عبد الله بن عامر بن كريز ناسبا راوية وعالما
بالعربية فصيحا ⁂ وكان **عبد الأعلى** بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وأفصحهم
وكان **مسلمة** بن عبد الملك يقول إني لأنحي كور العمامة عن أذني لأسمع كلام عبد
الأعلى وكانوا يقولون أشبه قريش نغمة وجهارة بعمرو بن سعيد عبد الأعلى بن عبد الله
قال وقال بعض الأمراء وأظنه بلال بن أبي بردة لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة ما كنتم
تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده قال يباشرنا بأحسن استماع وأحسن حديث ثم يأتي
الطباخ فيمثل بين يديه فيقول ما عندك فيقول عندي لون كذا وجدي كذا ودجاجة كذا ومن
الحلواء كذا قال ولم يسأل عن ذلك قال ليقصر كل رجل عما لا يشتهي حتى يأتيه ما يشتهي ثم يأتي
بالخوان فيتضايق ونتسع ويقصر ونجتهد فإذا شبعنا خوى تخوية الظليم ثم أقبل يأكل
أكل الجائع المقرور ⁂ قال والجارود هو الذي قال سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
وهو الذي قال عليكم بالمرزئة فإنه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخير ويجمع بين ربيعة ومضر
قال وصعد **عثمان** المنبر فأرتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا
وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب وستأتيكم الخطبة على وجهها وتعلمون إن شاء الله
قال وشخص **يزيد** بن عمر بن هبيرة إلى هشام بن عبد الملك فتكلم فقال هشام ما مات من خلف مثل
هذا فقال الأبرش ليس هناك أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره قال يزيد ما لذلك رشح ولكن
لجلوسك في هذا الموضع وكان الأبرش ثلابة نسابة وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك فلما أفضت
إليه الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه والأبرش شاهد لم يسجد فقال له هشام ما منعك
أن تسجد يا أبرش قال ولم أسجد وأنت اليوم معي ماشيا وغدا فوقي طائرا قال فإن طرت بك معي
قال أتراك فاعلا قال نعم قال فالآن طاب السجود ⁂ قال ودخل يزيد بن عمر على المنصور وهو يومئذ
أمير فقال أيها الأمير إن عهد الله لا ينكث وعقده لا يحل وإن إمارتكم بكر فأذيقوا الناس
حلاوتها وجنبوهم مرارتها ⁂ قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوي على المخلوع فقال يا أمير
المؤمنين كانت عدتك أرفع من جائزتي وهو يبتسم قال سهل فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت
له إن هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه
قال وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومي من أخطب الناس قال أنا قال ثم من قال سيد جذام
يعني روح بن زنباع قال ثم من قال أخيفش ثقيف يعني الحجاج قال ثم من قال أمير المؤمنين
قال ويحك جعلتني رابع أربعة قال نعم هو ما سمعت ⁂ ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم
في الفتيا وشعرائهم ورؤساء قعدهم **عمران** بن حطان ⁂ ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم
حبيب بن خدرة الهلالي وعداده في بني شيبان ⁂ وممن كان يرى رأي الخوارج **أبو عبيدة**

النحوي معمر بن المثنى مولى تيم بن مرة ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه
وممن كان يرى رأي الخوارج الهيثم بن عدي الطائي ثم البحتري. وممن كان يرى رأي الخوارج
شعيب بن رئاب الحنفي أبو بكار صاحب أحمد بن أبي خالد ومحمد بن حسان السكسكي. ومن
الخوارج من علمائهم ورواتهم مسلم بن كورين وكنيته أبو عبيدة وكان إباضيا. ومن علماء
الصفرية وممن كان مقنعا في الأخبار لأصحاب الخوارج وللجماعة جميعا مليل وأصله من بني تغلب
ومن أهل هذه الصفة أصغر بن عبد الرحمن من أخوال طوق بن مالك. ومن خطبائهم وفقهائهم
وعلمائهم المقعطل قاضي عسكر الأزارقة أيام قطري. ومن شعرائهم ورواتهم وخطبائهم
عميرة بن هلال اليشكري وكان في بني السمين من بني شيبان خطباء العرب وكان فيهم ذلك فاشيا
ولذلك قال الأخطل . وأين السمين لا يقوم خطيبها وأين ابن ذي الجدين لا يتكلم .
وقال سحيم بن حفص كان يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيباني من أخطب الناس خطب عند يزيد
بن الوليد فأمر للناس بعطاءين . ومن الخطباء معبد بن طوق العنبري دخل على بعض الأمراء
فتكلم وهو قائم فأحسن قال فلما جلس تلهيع في كلامه فقال له ما أظرفك قائما وأموقك قاعدا
قال إني إذا قمت جددت وإذا قعدت هزلت قال ما أحسن ما خرجت منها . ومن خطباء عبد القيس
مصقلة بن رقبة بن مصقلة وكرب بن رقبة والعرب تذكر من خطب العرب العجوز وهي خطبة
لآل رقبة ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها والعذراء وهي خطبة قيس بن خارجة لأنه
كان أبا عذرها والشوهاء وهي خطبة سحبان وائل وقيل لها ذلك من حسنها وذلك أنه خطب بها
عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب . وكان ابن عمار الطائي خطيب مذحج كلها
فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر
وكان شديد العربدة قتالا للندماء فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادمته فلما قتله رثاه فقال

إني نهيت ابن عمار وقلت له . لا تأمنن أحمر العينين والشعره .
إن الملوك متى تنزل بساحتهم . تطر بنارك من نيرانهم شرره .
يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا . ومنطقا مثل وشي اليمنة الحبره .

وقال الأصمعي هو كقوله . ومنطق خرق بالعواسل . لذ كوشي اليمنة المراجل .

قال وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر فقال إنه لمانع
لحوزته مطاع في أدنيه فقال الزبرقان يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني
يا رسول الله في شرفي فقصر بي فقال عمرو هو والله زمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فنظر
النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت
فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن من البيان لسحرا . قال وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز وكانت حاجته

في نطاقها مشقة قال فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأتى لها فقال عمر والله إن هذا السحر
الحلال . ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة وكان القاضي
قبل أبي يوسف . ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو معنيرة وأبو نعامة العروتلي . ومن
الخطباء أيوب بن القرية وهو الذي لما دخل على الحجاج قال ما أعددت لهذا الموقف قال
ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف ثم قال له في بعض ما يقول أقلني
عثرتي وأسغني ريقي فإنه لا بد للجواد من كبوة وللسيف من نبوة وللحليم من هفوة قال
كلا والله حتى أوردك جهنم ألست القائل برستقاباذ تغدوا الجدي قبل أن يتعشاكم
قال ومن خطباء غطفان في الجاهلية خويلد بن عمرو والعشراء بن جابر بن عقيل بن
هلال بن سمي بن مازن بن فزارة وخويلد خطيب يوم الفجار . ومن أصحاب الأخبار والنسب
وأهل البيان الوضاح بن خيثمة . ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكام عند
أصحاب المنافرات بنو الكواء ولذلك يقول مسكين بن أنيف الدارمي حين ذكر أهل هذه
الطبقة فقال

كلا أنا شاعر من حي صدق . ولكن الرحى فوق الثفال .
وحكم دغفلا وارحل إليه . ولا تدع المطي من الكلال .
تعال إلى بني الكواء يقضوا . بعلمهم بأنساب الرجال .
تعال إلى ابن منعود شهاب . ينبي بالسوافل والعوالي .
وعند الكيس النمري علم . ولو أضحى بمنخرق الشمال .

ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة خاصة على
البر فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤي إلى عام الفيل . ومن
الخطباء الأنبياء العلماء الذين جمعوا من الخطابة على العراق قديمه شبيب بن شيبة وهو
الذي يقول في صالح بن أبي جعفر المنصور وقد كان المنصور أقام صالحا فتكلم فقال شبيب ما رأيت
كاليوم أبين بيانا ولا أجود لسانا ولا أربط جنانا ولا أبل ريقا ولا أحسن طريقا ولا أغمض
عروقا من صالح وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه والمهدي أخاه أن يكون كما قال زهير

يطلب شأو امرأين قدما حسنا . نالا الملوك وبذا هذه السوقا .
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما . على تكاليفه فمثله لحقا .
أو يسبقاه على ما كان من مهل . فمثل ما قدما من صالح سبقا .

قال وخرج شبيب من دار الخليفة يوما فقال له قائل كيف رأيت الناس قال رأيت الداخل راجيا
والخارج راضيا . قال وقال خالد بن صفوان اتقوا مجانيق الضعفاء يريد الدعاء . قال وقال
شبيب بن شيبة اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة
وصلة في المجلس . وقال شبيب للمهدي يوما أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك وأرى الله

تنبله بمثل ما أراها في إبله . وقال أبو الحسن قال زيد بن علي بن الحسين اطلب ما يعنيك واترك
ما لا يعنيك فإن في ترك ما لا يعنيك دركا لما يعنيك وإنما تقدم على ما قدمت ولست تقدم
على ما أخرت فآثر ما تلقاه غدا على ما لا تلقاه أبدا . أبو الحسن عن إبراهيم بن سعد قال قال
خالد بن صفوان ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة . أبو الحسن قال كان
أبو بكر خطيبا وكان عمر خطيبا وكان عثمن خطيبا وكان علي أخطبهم وكان من الخطباء
معوية ويزيد وعبد الملك ومعوية بن يزيد ومروان وسليمن ويزيد بن الوليد والوليد
بن يزيد والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بني هاشم زيد بن علي وعبد
الله بن الحسن وعبد الله بن معوية خطباء لا يجارون . ومن خطباء النساك والعباد الحسن
بن أبي الحسن البصري ومطرف بن عبد الله الحرشي ومورق العجلي وبكر بن عبد الله المزني
ومحمد بن واسع الأزدي ويزيد بن أبان الرقاشي ومالك بن دينار السامي وليس الأمر كما قال
في مالك كان القاص المجيد والواعظ البليغ وهو المنطيق الوجيه فأما الخطب فإنا لا نعلم أحدا
يتقدم الحسن البصري فيها وهؤلاء وإن لم يسموا خطباء فإن الخطيب لم يكن يشق غبارهم
أبو الحسن قال حدثني أبو سليمن الحميري قال كان هشام بن عبد الملك يقول إني لأستضعف
العمامة الرقيقة تكون على الرجل ولقد كان عندي عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر مخافة أن يسقط
عني من حديثه شيء . ومن الخطباء من بني عبد الله بن غطفان أبو البلاد كان راوية ناسبا . ومنهم
هاشم بن عبد الأعلى الفزاري . ومن الخطباء حفص بن معوية الغلابي وكان خطيبا وهو الذي
قال حين أشرك سليمن بن علي بينه وبين مولى له على دار الغنب فقال حفص أشركت بيني وبين
عبد لكم وقد نهى عن الشين . ومن بني هلال بن عامر زرعة بن ضمرة وهو الذي قيل له لولا
غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب وقام عند معوية بالشام خطيبا فقال معوية يا أهل الشام
هذا خالي فأتوني بخال مثله وكان ابنه النعمن بن زرعة بن ضمرة من أخطب الناس وهو
أحد من كان تخلص من الحجاج من قبل ابن الأشعث بالكلام اللطيف . وقال سحيم بن حفص ومن
الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي تكلم هو وعبد الله بن الأهتم عند عمر بن هبيرة
فعلا عاصم عليه قال سحيم فقال قائل هو سيد أهل خراسان ما لم يكن مارا . ومن خطباء بني تميم
عمرو بن الأهتم كان يدعى المكحل لجماله وهو الذي قيل فيه إنما شعره حلل منشرة بين
أيدي الملوك تأخذ منه ما شاءت ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه . ومن بني منقر
عبد الله بن الأهتم وكان خطيبا ذا مقامات ووفادات . ومن الخطباء صفوان بن عبد الله
بن الأهتم وكان خطيبا رئيسا وابنه خالد بن صفوان وقد وفد إلى هشام وكان من سمار
أبي العباس . ومنهم عبد الله بن عبد الله بن الأهتم وقد ولي خراسان ووفد على الخلفاء
وخطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن الأهتم وعبد

الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم وخاقان بن الأهتم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله
بن الأهتم . ومن خطبائهم محمد الأحول بن خاقان وكان خطيب بني تميم وقد رأيته وسمعت
كلامه . ومن خطبائهم معمر بن خاقان وقد وفد . ومن خطبائهم مؤمل بن خاقان
وقال أبو الزبير الثقفي ما رأيت خطيبا من خطباء الأمصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن
خاقان . ومن خطبائهم خاقان بن المؤمل بن خاقان وكان صباح بن خاقان من أعلم
وبيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة
للصديق وقيام بحق الجار . ومن بني منقر الحكم بن النضر وهو أبو العلاء المنقري وكان
يصرف لسانه حيث شاء بجهارة وافتنان . ومن خطباء بني صريم بن الحرث الخزرج بن الصدي
ومن خطباء بني تميم ثم من مقاعس عمارة بن أبي سليمن . ومن ولد ملح بن سعد عبد الله
وجبر ابنا حبيب كانا ناسبين عالمين [illegible] . ومن ولد ملح بن سعد عبد الله
والعباس ابنا رؤبة وكان العباس علامة عالما ناسبا راوية وكان عبد الله أرجز الناس
وأفصحهم وكان يكنى أبا الشعثاء وهو العجاج . ومن أصحاب الأخبار والنسب أبو بكر الصديق
رضي الله عنه ثم جبير بن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم قتادة . وعبيد الله بن عبد الله بن
عتبة بن مسعود هو الذي قال في كلمة له في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمن
بن عفان .

فمسا تراب الأرض منه خلقتما ... وفيه المعاد والمصير إلى الحشر
ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما ... فما حشي الإنسان شرا من الكبر
فلو شئت أدلى فيكما غير واحد ... علانية أو قال عندي في سر
فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ... ضحكت له حتى يلج ويستشري

وهو الذي قيل له كيف تقول الشعر مع النسك والفقه فقال إن المصدور لا يملك أن ينفث
وقد ذكر المصدور أبو زبيد الطائي في صفة الأسد فقال

للصدر منه عويل فيه حشرجة ... كأنما هو من أحشاء مصدور

ومن خطباء مزينة أبو المليح المزني أسامة بن عمير . ومنهم أبو بكر المزني كان خطيبا قاصا
وعالما بينا وعالما بالأخبار والآثار وهو الذي لنا فاخر أهل الكوفة قال لنا الساج والعاج
والديباج والخراج والنهر العجاج

باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبي حية وهو الذي يقال له عزى سلمة . ومنهم من خطباء
عمان مرة بن جهم التليد وهو الخطيب الذي أوفده المهلب إلى الحجاج . ومن العتيك بشر
بن المغيرة بن أبي صفرة وهو الذي قال لبني المهلب يا بني عمي إني والله ما قصرت عن شكاة
العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأني لست موصولا ولا محروما فعدوا في امرئ

حفظه لسانه أو رجوتم شكره وإني وإن قلت هذا فلما ابتلاني الله بكم أعظم مما أبلاكم بي . ومن
خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن شفي الحميري كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار
قيس بن الشماس . ومنهم ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم
روح بن زنباع وهو الذي لما اتهمه معاوية قال لا تشمتن بي عدوا أنت وقمته ولا تسوءن بي
صديقا أنت سررته ولا تهدمن مني ركنا أنت بنيته هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلي وإساءتي
ومن خطبائهم الأسود بن كعب الكذاب العنسي وكان طليحة خطيبا وشاعرا وسجاعا كاهنا
ناسبا . وكان مسيلمة الكذاب بعيدا من ذلك كله . وثابت بن قيس بن شماس هو الذي قال لعامر
حين قال أما والله لئن تعرضت للنبي وفي وحدة كان فيه لتولين عني فقال له ثابت أما والله لئن
تعرضت لسبابي وشبا أنيابي وشرعة جوابي لتكرهن من جانبي قال فقال النبي صلى الله عليه
يكفيك الله وابنا قيلة وأخرجت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فلا أثبته . ومن خطباء
الأنصار بشير بن عمرو بن محصن وهو أبو عمرة الخطيب . ومن خطباء الأنصار سعد بن الربيع
وهو الذي اعترضت ابنته النبي صلى الله عليه فقال لها من أنت فقالت ابنة الخطيب النقيب
الشهيد سعد بن الربيع . ومنهم خال حسان بن ثابت وفيه يقول حسان

إن خالي خطيب جابية الجولان عند النعمان حين يقوم . وإياه يعني حسان بقوله
رب خال لي لو أبصرته سبط المشية في اليوم الخصر . ومنهم من الرواة

والنسابين والعلماء شرقي بن القطامي الكلبي ومحمد بن السائب الكلبي وعبد الله بن عياش
الهمداني . وهشام بن محمد بن السائب الكلبي . والهيثم بن عدي الطائي . وأبو روق الهمداني
واسمه عطية بن الحارث . وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي . ومحمد بن عمر الأسلمي الواقدي . وعوانة
الكلبي . وابن أبي عيينة المهلبي . والخليل بن أحمد الفراهيدي . وخلف بن حيان الأحمر
الأشعري . قالوا ومنا في الجاهلية عبيد بن شرية . ومنا شق بن الصعب . ومنا ربيع بن ربيعة
السطيح الذئبي . ومنا المأمور الحارثي . والديان بن عبد المدان الحارثي . والشريفان الكاهنان
ومنهم عمرو بن حنظلة بن نهد الحكم وله يقول القائل . حنظلة بن نهد خير ناشئ في معد
ومنهم أبو الشطاح اللخمي وجمع معاوية بينه وبين دغفل بن حنظلة البكري . ومنهم أبو الكباس
الكندي وكانا ناسبين عالمين . ومن أصحاب الأخبار والآثار عبد الله بن عقبة بن لهيعة ويكنى
أبا عبد الرحمن . ومن أهل اليمن في الحكمة والخطابة والرياسة عبيد بن شرية الجرهمي . والأسقف
نجراني . والأكيدر صاحب دومة الجندل . والأفعى نجراني . ودرب بن حوط . وعليم بن جناب
وعمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة بن عمرو مزيقياء . وجذيمة بن مالك الأبرش وهو أول من
أسرج الشمع وقد مضى بالمجنبين

باب ذكر النساك والزهاد

من أهل البيان عامر بن عبد قيس . وصلة بن أشيم . وعثمان بن أدهم . وصفوان بن محرز . والأسود

ابن

بن كلثوم . والربيع بن خثيم . وعمر بن عتبة بن فرقد . وهرم بن حيان . ومورق العجلي
وبكر بن عبد الله المزني . ومطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي . وبعدهم مالك بن دينار
وحبيب أبو محمد . ويزيد الرقاشي . وصالح المري . وأبو حازم الأعرج . وزياد مولى عياش
بن أبي ربيعة . وعبد الواحد بن زيد . وحيان أبو الأسود . ومنهم أبو العلاء . ومن
النساء رابعة القيسية . ومعاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم . وأم الدرداء . ومن
نساء الخوارج البلجاء . وغزالة . وقطام . وحمادة . وكحيلة . ومن نساء الغالية ليلى
الناعطية . والصدوف . وهند . وممن كان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو
الحكم الكندي . ومحمد بن محمد الحمراني . ومن الفقهاء ممن كان يذكر بالعلم والرياسة
والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء . لعمر بن حاجب . ونعيم بن النعمان . ومجاشع بن
دارم . وسليط بن كعب بن يربوع سمي بذلك لسلاطة لسانه وقال جرير

إن سليطا كاسمه سليط . ولؤي بن غالب . وقس بن ساعدة . وقصي بن كلاب

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي . وربيعة بن حذار . وهرم بن قطبة
وعامر بن الظرب . ولبيد بن ربيعة وكان من الشعراء

وأسماء الصوفية من النساك ممن كان يجيد الكلام

كلاب . وكليب
وهاشم الأوقص . وأبو هاشم الصوفي . وصالح بن عبد الجليل . ومن العلماء بالنسب
وبالغريب . الخطفي وهو جد جرير بن عطية بن الخطفي وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف
بن كليب بن يربوع وإنما سمي الخطفي بأبيات قالها . يرفعن بالليل إذا ما أسدفا

أعناق جنان وهاما رجفا . وعنقا باقي الرسيم خيطفا .

العنق ضرب من السير
وهو المسبطر فإذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل والرسيم
فوق الذميل والخيطف السريع أي يختطف كما يختطف البرق وخيطف من الخطف والياء في خيطف
زائدة كما قالوا رجل صيرف من الصرف ورجل جيدر من الجدر وهو القصير وأصل الخطف الأخذ
في سرعة ثم استعير لكل سريع .

ثم ذكر القصاص

قص الأسود بن
سريع وهو الذي قال . فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة . وإلا فإني لا إخالك ناجيا
وقص الحسن وسعيد ابنا أبي الحسن . وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ في مسجد البصرة حلقة
وأقرأ القرآن في مسجد البصرة . وقص إبراهيم التيمي . وقص عبيد بن عمير الليثي وجلس
إليه عبد الله بن عمر . حدثني بذلك عمرو بن فائد بإسناد له . ومن القصاص أبو بكر الهذلي وهو
عبد الله بن أبي سليمى وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار . وقص أيضا مطرف بن عبد الله
بن الشخير في مكان أبيه . ومن كبار القصاص ثم من هذيل مسلم بن جندب وكان قاص مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان إمامهم وقارئهم وفيه يقول عمر بن عبد العزيز من سره

أن تسمع القرآن غضًّا فليسمع قراءة مسلم بن جندب ٭ ومن القصاص عبد الله بن عرادة بن عبد الله
بن الوضين وله مسجد في بني شيبان ٭ ومن القصاص موسى الأسواري وكان من أعاجيب الدنيا
كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد
العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم
يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين واللغتان إذا
التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها إلا ما ذكروا من لسان
موسى بن سيار الأسواري ٭ ولم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسى الأشعري أقرأ في محراب من
موسى بن سيار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ثم يونس النحوي ثم المعلى ثم قص في مسجده أبو علي
الأسواري وهو عمرو بن فايد ستا وثلاثين سنة فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فما ختم
القرآن حتى مات لأنه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات فكان ربما يفسر آية واحدة في عدة
أسابيع كأن الآية ذكر فيها يوم بدر وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث
الكثيرة وكان يقص في فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك وكان يونس بن
حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به وخصاله المحمودة كثيرة ٭ ثم قص من بعده القاسم
بن يحيى وهو أبو العباس الضرير لم يدرك في القصاص مثله وكان يقص معهما وبعدهما مالك
بن عبد الحميد المكفوف ويزعمون أن أبا علي لم يسمع منه كلمة غيبة قط ولا عارض أحدا
من المخالفين والحساد والبغاة بشيء من المكافأة ٭ فأما صالح المري فإنه كان يكنى أبا بشر
وكان صحيح الكلام رقيق المجلس فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى
عند مرحوم العطار قال له مرحوم هل لك أن تأتي قاصًّا عندنا هاهنا فتتفرج بالخروج
والنظر إلى الناس والاستماع منه فأتاه على تكره كأنه ظن أنه كبعض من بلغه شأنه فلما
أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة
عن الحسن رأى بيانا لم يحتسبه ومذهبا لم يكن يدانيه فأقبل سفيان على مرحوم فقال هذا
ليس قاصًّا هذا نذير ٭

باب ما قيل في المخاصر والعصي وغير ذلك

٭ كانت العرب تخطب بالمخاصر وتعتمد على الأرض بالقسي وتشير بالعصي والقنا نعم حتى كانت المخاصر
لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ولذلك قال الشاعر ٭

في كفه خيزران ريحها عبق ٭ بكف أروع في عرنينه شمم ٭
يغضي حياء ويغضى من مهابته ٭ فما يكلم إلا حين يبتسم ٭
يكاد يمسكه عرفان راحته ٭ ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم ٭
وقال الشاعر [illegible] فيه ما قلنا قال ٭

مجالسهم خفض الحديث وقولهم ٭ إذا ما قضوا في الأمر وحي المخاصر ٭
وقال الكميت بن زيد ٭ وتردد مسلمة المهذب بالمنى بدء الشوق آين
بالمنى مبارك المغنيات لمغنهم منا وشاعر ٭ أمثل التجارب في المحافل والمقاول بالمخاصر
منهم كذلك في المجالس والمحافل والمشاعر ٭ وكما قال الأنصاري في المجامع حيث يقول
ومارست بنا سبيلا ذات سور ٭ بكوم المطايا والخيول الجماهر ٭
يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا ٭ ملوكا بأرض الشام فوق المنابر ٭
يصيبون فصل القول في كل خطبة ٭ إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر ٭
وفي المخاصر والعصي وفي خد وجه الأرض بأطراف القسي قال الحطيئة ٭
أم من لخصم مضجعين قسيهم ٭ صعر خدودهم عظام المفخر ٭ وقال لبيد
بن ربيعة في الإشارة ٭ غلب تشذر بالذحول كأنها ٭ جن البدي رواسيا أقدامها ٭
وقال في خد وجه الأرض بالعصي والقسي ٭
نشين صحاح البيد كل عشية ٭ بعوج السراء عند باب محجب ٭ عوج جمع عوجاء
وهي ما عطف القوس ٭ السراء شجر تعمل منه القسي ٭ وفي مثله يقول الشاعر ٭
إذا اقتسم الناس فضل الفخار ٭ أطلنا على الأرض ميل العصا ٭ وقال الآخر
كتبت لنا في الأرض يوم محجر ٭ أثل منا في الأرض يوما فيثملا ٭
وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي ٭
ما إن أهاب إذا السرادق غمه ٭ قرع القسي وأرعش الرعديد ٭ وقال معن
بن أوس المزني ٭ ألا من مبلغ عني رسولا ٭ عبيد الله إذ عجل الرسالا ٭
تعاقل دوننا أبناء ثور ٭ ونحن الأكثرون حصى ومالا ٭
إذا اجتمع القبائل جئت ردفا ٭ أمام الماسحين لك السبالا ٭
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم ٭ وقد تكفى المقادة والمقالا ٭
ومما قالوا في حمل القناة قوله ٭ (استنشئ للشدة الحاجة أو لسبب)
إلى امرئ لا تخطاه الرفاق ولا ٭ جدب الخوان إذا ما استنشئ المرق ٭
صلب الحيازيم لا هذر الكلام إذا ٭ هز القناة ولا مستعجل زهق ٭
وكما قال جرير بن الخطفى ٭ من للقناة إذا ما عي قائلها ٭ أم للأعنة يا شبث بن عمار ٭
قال ومثل هذا قول أبي الجحيب الربعي ما زال تحفظ أخلاقه حتى يأخذ القناة فيعتمد
عليها فيتقصد أو يسرد ما يقول إذا قام يخطب ٭ وفي كتاب جبل بن يزيد احفظ أخلاقه
الأمن نفسه ٭ وقال عبد الله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن أخطب بني تميم فقال خراش
بن لبيد بن شيبة يعني البعيث وإنما قيل له البعيث لقوله ٭

تبعت مني ما تبعت بعد ما أمرت · حبالي كل مرة شزرا ؛ وزعم مخيم بن جعفر أنه كان يقال أخطب بني تميم البعيث إذا أخذ القناة ، وقال يونس لعمري لئن كان مغلبا في الشعر لقد كان غلب في الخطب ، ومن الشعراء من يغلب شيء قاله في شعره على اسمه وكنيته فيسمى به منهم كثير ، فمنهم البعيث مرا ، ومنهم عوف بن حصن بن حذيفة بن بدر غلب عليه عويف القوافي لقوله :

سأكذب من قد كان يزعم أنني · إذا قلت شعرا لا أجيد القوافيا

فسمي عويف القوافي ، ومنهم يزيد بن ضرار التغلبي غلب عليه المزرد لقوله :

فقلت تزردها عبيد فإنني · لدرد الموالي في السنين مزرد

فسمي المزرد ، ومنهم عمرو بن سعد بن مالك غلب عليه المرقش وذلك لقوله :

الدار قفر والرسوم كما · رقش في ظهر الأديم قلم

فسمي مرقشا ، ومنهم شأس بن نهار العبدي غلب عليه الممزق لقوله :

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل · وإلا فأدركني ولما أمزق

فسمي الممزق ، ومنهم جرير بن عبد المسيح الضبعي غلب عليه المتلمس لقوله :

فهذا أوان العرض حي ذبابه · زنابيره والأزرق المتلمس

ومنهم عمرو بن رياح بن عمرو السلمي أبو خنساء بنت عمرو وغلب الشريد على اسمه لقوله :

تولى إخوتي وبقيت فردا · وحيدا في ديارهم شريدا

فسمي الشريد ومثل هذا كثير ، قال ودخل رجل من قيس عيلان على عبد الملك بن مروان فقال زبيري عميري والله لا يحبك قلبي أبدا ، قال يا أمير المؤمنين إنما يجزع من فقدان الحب المرأة ولكن عدل وإنصاف ، وقال عمر لأبي مريم الحنفي السلولي قاتل زيد بن الخطاب لا يحبك قلبي أبدا حتى تحب الأرض الدم المسفوح ، ومثل هذا مثل قول الحجاج والله لأقلعنك قلع الصمغة لأن الصمغة اليابسة إذا قربت من الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة والأرض لا تنشف الدم المسفوح ولا تمصه فمتى جف الدم وتحلب لم تره أخذت من الأرض شيئا ، ومن الخطباء الغضبان بن القبعثرى وكان محبوسا في سجن الحجاج فدعا به يوما فكلمه فقال إنك لسمين ، قال القيد والرتعة ومن يكن ضيف الأمير يسمن ، وقال يزيد بن عياض لما نقم الناس على عثمن خرج يتوكأ على مروان وهو يقول لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق لقد نقموا علي ما نقموا على عمر ولكن قمعهم وقمصهم والله إني لأقرب ناصرا وأعز نفرا فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء ، قال ورأيت الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعراعر الأودية وأهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه ، قال فقال الحجاج ما يزيد بأبي عذر

هذا الكلام فقيل له إن معه يحيى بن يعمر فحمل إليه فلما أتاه قال أين ولدت قال بالأهواز قال فأنى لك هذه الفصاحة قال أخذتها عن أبي ، عراعر الأودية أسافلها وعراعر الجبال أعاليها وأهضام الغيطان مداخلها والغيطان جمع غائط وهو الحائط ذو الشجر ، وقد أنبأهم يروون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى أأن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها ، قالوا الضهل القليل والشكر الفرج والشبر النكاح ، تطلها تذهب بحقها ، فإن كانوا إنما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة وإن كانوا إنما دونوه في الكتب وتذاكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج أو شعر الطرماح أو أشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على أكثر مما ذكروا ، ولو خاطب بقوله أأن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها الأصمعي لظننت أنه سيجهل بعض ذلك وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم ، أبو الحسن كان غلام يقعر في كلامه فأتى أبا الأسود الدؤلي يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الأسود ما فعل أبوك قال أخذته الحمى فطبخته طبخا وفنخته فنخا وفضخته فضخا فتركته فرخا ، فقال أبو الأسود فما فعلت امرأته التي كانت تشاره وتجاره وتهاره وتزاره ، قال طلقها فتزوجت غيره فرضيت وحظيت وبظيت ، قال أبو الأسود قد عرفنا رضيت وحظيت فما بظيت ، قال بظيت حرف من الغريب لم يبلغك ، قال أبو الأسود يا بني كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور خرأها ، قال أبو الحسن مر أبو علقمة النحوي ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يعضون إبهامه ويؤذنون في أذنه فأفلت من أيديهم فقال ما لكم تتكأكؤون علي كما تتكأكؤون على ذي جنة افرنقعوا عني ، قالوا دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية ، قال أبو الحسن وهاج بأبي علقمة الدم فأتوه بحجام فقال للحجام اشدد قصب الملازم وأرهف ظبات المشارط وأسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تردن آتيا ولا تكرهن آبيا ، فوضع الحجام محاجمه في جونته وانصرف ، فحديث أبي علقمة فيه غريب وفيه أنه لو كان حجاما ما زاد على ما قال وليس في كلام يحيى بن يعمر شيء من الدنيا إلا أنه غريب وهو أيضا من الغريب بغيض ، وذكروا عن محمد بن إسحق قال لما جاء ابن الزبير وهو بمكة قتل الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال إن ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة فأخطأت استه الحفرة والهف أم لم تلدني على رجل من محارب كان يرعى في جبال مكة فيأتي بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة ، وأول هذا الكلام مستكره وهو موجود في كل كتاب وجار على لسان كل صاحب خبر ، وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا في سبيله ولا يتعلق به ، وقال أبو يعقوب الأعور السلمي :

أبو عبيدة بظيت إتباع لحظيت

وخلجة ظن يستبق الطرف جرمها تشيف على غنم وتمكن من خجل
صدعت بها والقوم فوضى كأنهم بكار من رباع تبصبص للفحل
خلجة ظن أي خطبة سريع تشيف تشرف بكار من رباع أي نوق صغار قد أدنت للفحل من رباع
أي نوق ربيع والمرباع ربع الغنيمة في الجاهلية لصاحب الجيش قال ابن عنمة
لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول . وقال رجل من
بني يربوع . إلى الله أشكو ثم أشكو إليكما وهل تنفع الشكوى إلى من يزيدها .
حزازات حب في الفؤاد وعبرة أظل بأطراف البنان أذودها .
نحن فؤادي من مخافة بينكم حنين المزجى وجهة لا يريدها .
وقد أحسن الآخر حيث يقول .
وأكرم نفسي عن مطارح جمة وينقص مالي أن أنال العواليا . وقال آخر
وإذا العبد أغلق الباب دوني لم يحرم علي مثل الطريق . وقال
الخليع العكلي ربذي كنا بالبادية إذ نشأ عارض وملأ السماء قزعة معلقة وجاء السيل
فاكتسح أبياتا من بني سعد فقلت
فرحنا بني سهمي ثلاثين وادٍ فوقه حشا فلا بكاء ناصبا حاولا مسرجا .
لدى ظلة كأن ريق وبلها عجاجة صيف أو دخان تسرقعا .
فكان على قوم سلاما ونعمة وأخنى على آخرين وتسبعا .
وقال أبو عطاء السندي لعبيد الله بن العباس الكندي
قل لعبيد الله لو كان جعفر هو الحي لم يبرح وأنت قتيل .
ولو لي معشر أردوا أخاك وكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول .
فقال عبيد الله أقول عض أبو عطاء ببظر أمه فغلب عليه . قال أبو عبيدة قال أبو النصر
في أبي رهم السدوسي وكان يلي الأعمال لأبي جعفر ويقي
تأتيت أبا رهم يقرب منجما غلام أبي بشر ويجفو أبا بشر .
فقلت ليحيى كيف قرب منجما فقال له أيسر يهين على بشر .
قال أبو عثمن وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة في خطبها والقنا والقضيب
والاتكاء والاعتماد على القوس والخد في الأرض والإشارة بالقضيب بكلام مستنكر
نذكره في الجزء الثالث إن شاء الله . ولا بد من أن نذكر فيه كلام معوية ويزيد وعبد الملك
وابن الزبير وسليمن وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد [illegible]
من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذي يلحق بالخطب وبصناعة المنطق إلا اليسير
ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام وكيف خالف القرآن جميع الكلام

الموزون والمنثور وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع وكيف صار نظمه
من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج ولا بد من أن يكون فيه ذكر شأن إسمعيل وانقلاب
لغته وتبليه بعد أربع عشرة سنة وكيف نسي لغته التي ربي فيها وجرى على أعراقها وكيف
لفظ بجميع حاجاته بالعربية عن غير تلقين ولا ترتيب وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا
حبسة ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة . ولا بد من ذكر كلام المأمون وما فيه
وبعض ما يحضرني من كلام آبائه وجلة رهطه . ولا بد أيضا من ذكر من صعد المنبر فحصر
وخلط أو قال فأحسن ليكون الكتاب أكمل إن شاء الله . ولا بد من ذكر المنابر وعلة اتخذت
وكيف كانت الخطباء من العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام وهل كانت المنابر لأئمة غير
الأئمة وكيف كانت الحال في ذلك وقد ذكرنا أن الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم
والعلم أربع وهي العرب والهند وفارس والروم . وقال حكيم بن عياش الكلبي
ألم يك ملك الله ظاهرا بأن تبعة له متبيرينا . لحمير والنجاشي وابن كسرى وقيصر غير قول المفترينا
فما أدري بأي سبب وضع الحبشة في هذا الموضع . وأما ذكره لحمير فإن كان إنما ذهب إلى
تبع بنفسه في الملوك فهذا له وجه . وأما النجاشي فليس هو عند الملوك في هذا المكان ولو كان
النجاشي في نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش في هذا الموضع وهو
لم يفضل النجاشي لمكان إسلامه بدليل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر وكان وضع كلامه
على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك . والدليل على أن العرب أنطق وأن لغتها
أوسع وأن لفظها أدل وأن أقسام تأليف كلامها أكثر والأمثال التي ضربت أجود وأسير
والدليل على أن البديهة مقصورة عليها وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها وما الفرق بين
أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الفرس والروم شعرا وكيف صار النسيب في أشعارهم
وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم وهذا لا يصاب
في العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة
فتضع موزونا على موزون والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن
فتضع موزونا على غير موزون . وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب العي والحصر والغلط والغفلة
أبوابا طريفة ونذكر فيه النوكى من الوجوه ومجانين العرب ومن ضرب به المثل منهم ونوادر
من كلامهم ومجانين الشعراء ولست أعني مثل مجنون بني عامر ومجنون بني جعدة وإنما أعني مثل أبي
حية في أهل البادية ومثل جعيفران في أهل الأمصار ومثل أبي يسموس النوكى فيهم وسنذكر
أيضا بقية أسماء الخطباء والنساك وأسماء الظرفاء والملحاء إن شاء الله وسنذكر من كلام
الحجاج وغيره ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله . وقال أبو الحسن المدائني قال الحجاج
لأنس بن مالك حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله وكان خرج مع ابن الأشعث لا مرحبا بك

ولا أمثلا لعنة الله عليك بن شيخ جوال في الفتنة مرة مع أبي تراب ومرة مع ابن الأشعث والله لأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة ولأجردنك تجريد القضيب قال أنس من يعني الأمير أبقاه الله قال إياك أعني أصم الله صداك قال فكتب أنس بن مالك إلى عبد الملك فكتب عبد الملك إلى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب والله لقد هممت أن أركلك برجلي ركلة تهوي بها في نار جهنم قاتلك الله أخيفش العينين أصك الرجلين أسود الجاعرتين والسلام وكان الحجاج أخيفش منسلق الأجفان وكذلك قال الإمام بن أقرم النميري وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال

طليق الله لم يمنن عليه أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور

لأن طير الماء لا يكون أبدا إلا منسلق الأجفان والخفش من الغمش والغمص أن تغمض العين من غير ذات الشوك بالعقاب والصك الرجلين تصطك إحداهما الأخرى قال وخطب الحجاج فقال في خطبته والله ما بقي من الدنيا إلا مثل ما مضى ولهو أشبه به من الماء بالماء والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه المفضل بن محمد الضبي قال كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم أن ابعث إلي بالأدهم الجعفر الذي يقعدني ويقيمني فبعث إليه غرام بن شتير فقال الحجاج لله دره ما كنت إليه في أمر قط إلا فهم عني وعرف ما أريد قال أبو الحسن وغيره أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال أيها الناس إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني محمدا وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه في الأنصار إن رسول الله صلى الله عليه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ألا وإني قد أوصيته ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتي ألا وإنكم ستقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة ألا وإني معجل لكم الإجابة لا أحسن الله الخلافة عليكم ثم نزل وكان يقول في خطبته أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله وقال عمرو بن عتبة رحمه الله كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ومسيء بخذلان الله إياه ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء فما أولى من تمت عليه النعمة في نفسه ورأى العبرة في غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطي ما عليه منها ولا يتكثر مما ليس له منها فإن الدنيا دار فناء ولا سبيل إلى بقائها ولا بد من لقاء الله فأحذركم الله الذي حذركم نفسه وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة

قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا إليها فلا تقدرون على توبة وليست لكم منها أوبة وأنا أستخلف الله عليكم وأستخلفه منكم وقد روي هذا الكلام عن الحجاج وزياد أحق به منه

باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

قال جرير

تكلفني رد العوائد بعدما سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال الكميت بن معروف

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم وكونوا كمن سيم الهوان فأربعا

ولا تكثروا فيه الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

والمثل السائر من هذا سبق السيف العذل ومن أهل الأدب زكريا بن نعيم مولى بني سليم بن منصور صاحب سعيد بن عمرو الحرشي وقد كان مولى الذي يقول

لا تنكروا الشعير فضل نعمته لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى الحرشي الشرادق بن عبد الله السدوسي الفارسي ولما ظفر سلم بن قتيبة بالأزد كان من الجند في فعل الأزد انتهاب وإحراق وأمور قبيحة فقام شبيب بن شيبة إلى سلم بن قتيبة فقال أيها الأمير إن تميم بن عدي بن أبي طعمة وكان عدي منطيقا قال ليزيد بن عبد الملك في شأن المهالبة يا أمير المؤمنين إنا والله ما رأينا أحدا ظلم ظلمهم ولا نصر نصرهم ولا عفا عفوك فلا فعل الثالثة تقتلهما قال الهيثم بن عدي قام عبد الله بن الحجاج التغلبي إلى عبد الملك بن مروان وقد كان أراد الاتصال به وكان عبد الملك جفا عليه فأقام ببابه حولا لا يصل إليه ثم ثار في وجهه في بعض ركباته فقال

أدنو لترحمني وترتق خلتي وأراك تدفعني فأين المدفع

فقال عبد الملك إلى النار فقال

ولقد أذقت بني سعيد حرها وابن الزبير فرأسه متضعضع

فقال عبد الملك قد كان بعض ذاك وأنا أستغفر الله وقال أبو عبيدة كان بين الحجاج وبين العديل بن فرخ العجلي بعض الأمر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل

أخوف بالحجاج حتى كأنما يحرك عظم في الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي اليعملات عريض

ثم ظفر به الحجاج فقال له يا عديل هل نجاك بساطك العريض فقال أيها الأمير أنا الذي أقول فيك

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها لكان لحجاج علي دليل

خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى وخليل

بني قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسول

فقال له الحجاج اربع بنفسك واحقن دمك وإياك والأخرى فقد كان الذي بيني وبينك أقصر من إبهام الحبارى قال وقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطيبا بالمدينة وكان واليها ينعى معاوية ويدعو إلى بيعة يزيد فلما رأى روح بن زنباع إبطاءهم قال

أيها الناس إنا والله ما ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ولكنا ندعوكم إلى قريش من جعل الله له هذا
الأمر واختصه به وهو يزيد بن معاوية ونحن أبناء الطعن والطواعين وفضالات الموت وعندنا
إن أجبتم وأطعتم من المعونة والعائدة ما شئتم فبايع الناس ∴ قال وخطب إبراهيم بن
إسمعيل من ولد المغيرة المخزومي فقال أنا ابن الوحيد من شاء أحرز نفسه ∴

صقر يلوذ حمامه بالعرفج ∴ ثم قال ∴ اشتق سيفي الحمرة الوجين
سيفي حسام أسر حروبن ∴ ممن يغيرظن ويشتري بن ∴ ثم قال والله

إنه لا يبغض الفرس شيء أن يكون تلا يا عجبا لقوم يقال لهم من أبوكم فيقولون الأمثال من قريش
فتكلم رجل من عرض البادية وهو يخطب فقال له غيره صه بلا وح الإمام يخطب فقال إنما
الأمر بالأمر انصابت عنده الفرس لا عند مصاط الجمرة الوجين ∴ وقال آخر سمعت
ابن هبيرة على منبر الأعواد وهو يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من عدو يسري ومن
جليس يغري ومن صديق يطري ∴ قال أبو الحسن كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن
محرث خال مروان واليا على مكة والمدينة وكان شاهرا سيفه لا يغمده وبلغه أن فتى من قريش
يذكره بكل قبيح فلما أتي به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى لا تعجل علي ودعني أتكلم
قال وبك كلام قال نعم وأزيد يا نافع وليت الحرمين تحكم في دمائنا وأموالنا وعندك أربع
عقائل من العرب وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة وفي دار وأنت نافع بن علقمة بن نضلة
بن صفوان بن محرث أحسن الناس وجها وأكرمهم حسبا وليس لنا من ذلك إلا التراب فلم نحسدك
على شيء منه ولم ننفسه عليك ونفست علينا أن نتكلم فقال تكلم حتى تنقطع بكلامك ∴ قال
بن مجاهد عن جعفر بن أبي جعفر قال صعصعة بن صوحان ما أعييت في جواب أحد ما أعييت في جواب
عثمان دخلت عليه فقلت له أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله فقال نحن الذين أخرجنا
من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله فمنا من مات بأرض الحبشة ومنا من مات بالمدينة ∴ قال
وقال الحجاج على منبره والله لألحونكم لحو العصا ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم
ضرب غرائب الإبل يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوي الأخلاق إني سمعت
تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب وقد
عرفت أنها عجاجة تحتها قصف يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الإماء ∴ مسلمة
بن [illegible] قال ربما سمعت الحجاج يخطب ويذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فيقع في نفسي
أنهم يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج ∴ قال وقسم الحجاج مالا فأعطي
منه مالك بن دينار فقبل وأراد أن يدفع منه إلى حبيب أبي محمد فأبى أن يقبل منه شيئا ثم
مر حبيب بمالك وإذا هو يقسم ذلك المال فقال له مالك أبا محمد لهذا قبلناه فقال له
حبيب دع عنك هذا أسألك بالله آلحجاج اليوم أحب إليك أم قبل اليوم قال بل اليوم

فقال حبيب فلا خير في شيء أحببت إليك الحجاج ∴ وقدم غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن
عامر على نهر عبد الله الذي يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر
فقال غيلان أجل أيها الأمير يتعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ويكون لسقاء مياههم ومسيل
مياههم وتأتيهم فيه ميرتهم قال ثم مر غيلان يسابر زيادا على ذلك النهر وكان قد عادى
ابن عامر فقال زياد ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير
تنز منه دورهم ويغرق فيه صبيانهم ومن أجله يكثر بعوضهم ∴ فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا
مثل هذا المذهب فأما نفس حسن البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه ومن ذم البيان مدح العي
وكفى بذلك جهلا وخبالا ∴ ولخالد بن صفوان في الحسن كلام ذهب فيه هذا المذهب ∴ قال ورجع
طاوس عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما ظننت أن قول سبحان الله
يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف كلاما عن رجل فقال له رجل
في المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام فغضب ابن يوسف ∴ قال أبو الحسن وغيره قالوا
دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال على رجل أجرك
رسنك وسلطك على المسلمين لعنة الله فقال يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدبر
ولو رأيتني والأمر علي مقبل لاستعظمت من أمري ما استصغرت قال فقال سليمان أترى الحجاج
بلغ قعر جهنم بعد فقال يزيد يا أمير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك فاجعله
على يمين أبيك وشمال أخيك فضعه من النار حيث شئت ∴ قال وذكر يزيد بن المهلب يزيد
بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم وهم بأن يستكفيه مهما من أمره فقال له عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه ألا أدلك على من هو أزهد في الدينار والدرهم منه وهو شر الخلق قال
بلى قال إبليس ∴ قال وقال الأسلع بن الأحنف للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف أصلح الله
الأمير إذا ظننت ظنا فلا تحققه وإذا سألت الرجال فسلهم عما تعلم فإذا رأوا سرعة فهمك
لما تعلم ظنوا بك مثل ذلك فيما لا تعلم وربما يسأل عما لا تعلم وكان الأسلع بن الأحنف الأسدي
ذا بيان وأدب وعقل وحياء وهو الذي يقول فيه الشاعر ∴

ألا أيها الركب المخبون هل لكم ∴ بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا ∴
أسيلع من أكرم الخيل مكانه ∴ لعيش تدجا أو لأمر تشعع ∴
من النفر البيض الذين إذا انتموا ∴ وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا ∴
جلا الأذفر الأحوى من المسك فرقه ∴ وطيب الدهان رأسه فهو أنزع ∴
إذا النفر السود اليمانون حاولوا ∴ له حوك برديه أرقوا وأوسعوا ∴

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة ∴ الهيثم بن عدي قال قدمت وفود العراق على
سليمان بن عبد الملك بعدما استخلف فأمرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه فقال بعضهم

تغني تنز تندى

بزيد بن أبي ربيعة ... إن حققه ... الملكهم

انتجعوا

لعن عدو الله الحجاج كان عبدا زبابا قنور بن قنور لا نسب له في العرب فقال سليمن أي
شيء قال أن عدو الله الحجاج كتب إلي إنما أنت نغلة من مزابه فإن رأيت في ما رأى أبوك
وأخوك كنت له كما كنت لهما وإلا فلا قال الحجاج وأنت النغلة فإن شئت محوتها وإن شئت
أثبتها فالعنوه لعنه الله فأقبل الناس يلعنونه فقام ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري
فقال يا أمير المؤمنين أو لا نخبرك عن عدو الله بعلم قال هات قال كان عدو الله يتزين تزين
المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار فإذا نزل عمل عمل الجبابرة وأكذب
في حديثه من الدجال فقال سليمن لرجاء بن حيوة هذا وأبيك الشتم لا ما تأتي به هذه السفلة
وعن عوانة قال قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف فكتب إليهم الحجاج
من يوسف أما بعد فإنكم استخلصتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون وايم
الله إني لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلي خيل تنسف الطارف والتالد وتدع
النساء أيامى والأبناء يتامى والديار خرابا والسواد بياضا فلا تمار وقعة مرة بأهل ماء فأهل
ذلك الماء ضامنون لها حتى يصير إلى الماء الذي يليه تقدمة في الكلم والسعيد من وعظ بغيره
والسلام ⊙ مسلمة بن محارب قال كان الحجاج يقول أخطب الناس صاحب العمامة السوداء
بين أخصاص البصرة إذا شاء خطب وإذا شاء سكت يعني الحسن يقول إنه لم ينصب نفسه
للخطب ⁖ قال ولما اجتمعت الخطباء عند معوية في شأن يزيد وفيهم الأحنف قام رجل من
حمير فقال إنا لا نطيق أفواه الكمال يريد الجمال عليهم المقال وعلينا الفعال وهذا من
لغة حمير يدل على لسان خطباء نزار ⁖ سفين بن عيينة قال قال ابن عباس إذا ترك
العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله ⁖ وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من قال لا أدري
فقد أحرز نصف العلم لأن الذي له على نفسه معرفة القوة فقد دلنا على جودة التثبت
وكثرة الطلب وقوة المنة ⁖ قال وقيل للمسيح بن مريم صلى الله عليه من نجالس فقال من
يزيد في علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله ⁖ قال ومر
المسيح بقوم يبكون فقال ما لهؤلاء يبكون قالوا يخافون ذنوبهم فقال اتركوها تغفر
لكم ⁖ قال أبو عبيدة دخل الهيثم بن الأسود بن العريان وكان شاعرا خطيبا على عبد
الملك بن مروان فقال له كيف تجدك قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود واسود
مني ما كنت أحب أن يبيض واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ولان مني ما كنت أحب أن يشتد
ثم أنشد ⁖

إسمع أي تنبسط لا يكن أكبر ⁖ نوم العشاء وسعال بالسحر ⁖
وقلة النوم إذا الليل اعتكر ⁖ وقلة الطعم إذا الزاد حضر ⁖
وسرعة الطرف وتحميج النظر ⁖ وحذر الموت إذا الموت حذر ⁖
وتركي الحسناء في قبل الطهر ⁖ والناس يبلون كما يبلى الشجر ⁖

وقالوا مروا الأحداث بالمراء والكهول بالفكر ⁖ وقال عبد الله بن الحسن لابنه إياك في الغضب
فأخزى الله عقلا يأتيك به الغضب ⁖ وقالوا أربعة تشتد معاشرتهم الرجل المتواني
والرجل العالم والعروس المرح والملك الشديد المملكة ⁖ وقال غاز أبو مجاهد يعارضه
أربعة تشترهو وتشتهى النديم المطرب والجليس الأحمق والمغني التائه والسفلة إذا
تعرؤوا ⁖ وقال أبو شمر الغساني أقبل فلان على بالخط واللغط وما الكلام إلا زجر
أو وعيد ⁖ وقال عمير بن الحباب وددت أنه عنه بشعره ما أعرف على حي في الجاهلية
أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب ولا أحزم رجلا ولا أعجز امرأة من تغلب ⁖ قال
وقامت امرأة من تغلب إلى الحجاف بن حكيم حين أوقع بالبشر فقتل الرجال وبقر
بطون النساء فقالت له فض الله فاك وأصمك وأعماك وأطال سهادك وأقل رقادك
فوالله إن قتلت إلا نساء أسافلهن دمى وأعاليهن ثدى فقال الحجاف لمن حوله لولا
أن يلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن فقال إنما الحجاف جذوة من نار جهنم
قال وكان عامر بن الظرب العدواني حكيما وكان خطيبا رئيسا وهو القائل يا معشر
عدوان إن الخير ألوف عزوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه وإني لم أكن حكيما حتى
اتبعت الحكماء ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم ⁖ وقال الأعشى في شيبان ⁖

وما أنا في أمري ولا في خليقتي ⁖ بمهتضم حقي ولا قارع سني ⁖
ولا مسلم مولاي من شر ما جنى ⁖ ولا خائف مولاي من شر ما أجني ⁖
وإن فؤادا بين جنبي عالم ⁖ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني ⁖
وفضلني في القول والشعر أنني ⁖ أقول بما أهوى وأعرف ما أعني ⁖

وقال رجل من ولد العباس ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق في شيء من العلم إلا علم الأخبار
فأما غير ذلك فالنتف والشذو ⁖ وقال آخر ⁖

وصافية تغشي العيون رقيقة ⁖ رهينة عام في الدنان وعام ⁖
أدرنا بها الكأس الروية بيننا من الليل حتى انجاب كل ظلام ⁖
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا من العي نحكي أحمد بن هشام ⁖

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال أف
لكم علم المؤدبين وهمة المحتاجين ⁖ وقال ابن عتاب يكون الرجل نحويا عروضيا وقساما
فرضيا وحسن الكتاب جيد الحساب حافظا للقرآن راوية للشعر وهو يرضى أن يعلم أولادنا
بستين درهما ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض
بألف درهم لأن النحوي الذي لا أمتاع عنده كالنجار الذي يدعى ليعلق بابا وهو
أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف وصاحب الأمتاع يراد

في الحالات كلها . وقال عبد الله بن يزيد الشعبانية عودوا نفسك الصبر على الجليس السوء
فإنه لا يكاد يخطئك . وقال سهيل بن عبد العزيز من ثقل عليك بنفسه وغمك في سؤاله
فألزمه أذنا صماء وعينا عمياء . سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال كان أبو هريرة
إذا استثقل رجلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه وقال ابن أبي أمية :

مهرت الرقاشي في مجلس … وكان إلي بغيضا مقيتا
فقال اقترح كل ما تشتهي … فقلت اقترحت عليك السكوتا

وقال ابن عباس العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه . المدائني عن العباس
بن عامر قال خطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أخته فقال
الحمد لله رب العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء أما بعد فقد أحسن بك ظنا من
أودعك حرمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على ما في كتاب الله من إمساك
بمعروف أو تسريح بإحسان . قال وخطب أعرابي فأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد
ولا تمجيد فقال الحمد لله غير ملال لذكر الله ولا إيثار غيره عليه ثم ابتدأ القول في حاجته
وسأل أعرابي ناسا فقال جعل الله حظكم في الخير ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة
وكتب إبراهيم بن سيابة إلى صديق له كثير المال كثير الدخل إما مستسلفا وإما سائلا
فكتب إليه الرجل العيال كثير والدين ثقيل والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب
إليه إبراهيم إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت محجوجا فجعلك الله معذورا
وقال الشاعر : لعل مغيرات الزمان تعرني بطامح في غير شيء ببصيرها
وقال أعرابي اللهم لا تنزلني ماء سوء فأكون امرأ سوء . وقال أعرابي اللهم في عثرات الكرام
قال وسمع مجاشع الربعي رجلا يقول الشحيح أعذر من الظالم فقال أخزى الله شيئين خيرهما
الشح . قال وأنشدنا أبو قرورة :

أبي مرتحلا كاذبا فأثبتني … لنا أمر حتم ما ينال الكاذب
وأنشر علي من معاجه … ثلاثين عمرو ولا ابنه بأسهم المغلوب والثالث
قلت له خيرا وقال الخنا … كل على صاحبه كاذب

أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد قام خطيبا فقال
إن أبا ذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون . ولما
جلس عثمان بن عفان على المنبر قال أيها الناس إن الله قد فتح عليكم إفريقية وقد بعث
الحكم ابن أبي سرح عبد الله بن الزبير بالفتح قم يا ابن الزبير قال فقمت فخطبت فلما نزلت
قال يا أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن فإني لم أر لأبي بكر الصديق ولدا أشبه
به من هذا . وقال الحزين :

وأعددته ذخرا لكل ملمة … وسهم المنايا بالذخائر مولع

وذكر أبو العيناء جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

ومسوم للموت يركب ردعه … بين القواضب والقنا الخطار
يدنو وترفعه الرماح كأنه … شلو تنشب في مخالب ضار
فثوى صريعا والرماح تنوشه … إن الشراة قصيرة الأعمار
أدبا إذا ما جئتهم خطباؤهم … ضمنا كل كتيبة جرار

ولما خطب سفيان بن الأبرد الأصم الكلبي فبلغ في الترغيب والترهيب المبالغ ورأى
عبيدة بن هلال اليشكري أن ذلك قد فت في أعضاد أصحابه أنشأ يقول :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة … لما في صدور المسلمين غليل
لعمري لئن أعطيت سفيان بيعتي … وفارقت ديني إنني لجهول

وبت في غصري أي عبرتي وخوفي . وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الإسكندر
ميتا كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى
بعينه فقال :

بكيتك يا علي بدر عيني … فلم يغن البكاء عليك شيا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر … كذاك خطوبه نشرا وطيا
كفى حزنا بدفنك ثم أني … نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات … وأنت اليوم أوعظ منك حيا

قال ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية لابنها حين خاصمته إلى عامل الماء أما كان
بطني لك وعاء أما كان حجري لك فناء أما كان ثديي لك سقاء فقال ابنها لقد أصبحت خطيبة
رضي الله عنك لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب
بخطبته . وقال النمر بن تولب :

وقالت ألا اسمع نعظك بخطبة … فقلت سمعنا فانطقي وأصيبي
فلن تنطقي حقا ولست بأهله … فقبحت من قابل وخطيب

وقال أبو عباد كاتب ابن أبي خالد ما جلس أحد قط بين يدي إلا تمثل لي أني سأجلس بين
يديه قال الله عز وجل وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ليس يريد بلاغة اللسان وإن
كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة . قال وكانت خطبة قريش
في الجاهلية يعني خطبة النساء باسمك اللهم ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف باسمك
اللهم لك ما سألت ولنا ما أعطيت . ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد
ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولم أر مثلها ثوابا موت أمير المؤمنين
والخلافة بعده إنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة
انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله فقام إليه عبد الله بن همام فقال :

الله أعطاك التي لا فوقها … وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها

الرتيلا حتى قتلاه وما تطوقهما .. فبايع الناس .. وقيل لعمرو بن العاص في مرضه الذي
مات فيه كيف تجدك قال أجدني أذوب ولا أثوب وأجد نجوي أكثر من رزئي فما بقاء الشيخ
على ذلك .. وقيل لأعرابي كانت به أمراض عدة كيف تجدك قال أما الذي يعملني فحصر
وأسر .. وقال مقاتل سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال يا أهل العراق يا أهل
السبق والسباق ومكارم الأخلاق إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة قد زببت
لها الأشداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود
النمور .. بسم الله الرحمن الرحيم .. أول الثلث الثاني .. **قال أبو عثمان**
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة
أبدأ بعون الله وتأييده ذكر مذهب الجزء الثاني من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية
في طعنهم على خطباء العرب إذ وصلوا أيمانهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف
القسي والعصي وأشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا وفي كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق
والمثل السائر ولكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين
والسلف المتقدمين والجلة من التابعين الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة الأنام
وملح الأرض وحلي الدنيا والنجوم التي لا يضل معها الساري والمنار الذي إليه يرجع
الباغي والحزب الذي كثر الله به القليل وأعز به الذليل وزاد الكثير في عدده والعزيز
في ارتفاع قدره وهم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة وشحذوا بمنطقهم الأذهان
الكليلة فنبهوا القلوب من رقدتها ونقلوها من سوء عادتها وشفوها من داء القسوة
وغباوة الغفلة وداووا من العي الفاضح ونهجوا الطريق الواضح ولولا الذي أملت في تقديم ذلك
وتعجيله من العمل بالصواب وجزيل الثواب لقد كنت بدأت بالرد عليهم وبكشف قناع
دعواهم على أنا سنقول في ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا والله الموفق
وهو المستعان .. وعلى أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا
يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء ويسمون
التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الشوهاء وقال عمران
ابن حطان خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة
فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخا يقول هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن
وخطب أعرابي فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد قال
أما بعد بغير ملال لذكر الله ولا إيثار غيره عليه فإنا نقول كذا ونسأل كذا فرارا من أن تكون
خطبته بتراء وشوهاء .. وقال شبيب بن شيبة الحمد لله وصلى الله على رسول الله
أما بعد فلولا أنا نسأل كذا ونبذل كذا .. وبنا حفظكم الله أشد الحاجة إلى أن ينتظم كتابنا

هذا من الشيء القبيح والعيب الشنيع المعيب بل قد يجب أن يزيد في بهائه وتسهيل القلوب
إلى اجتبائه إذ كان الأمل فيه بعيدا وكان معناه شريفا ثمينا .. ثم اعلم بعد ذلك أن جميع
خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك (والوبر صح)
مكان يليق به وموضع يحسن فيه ومن الطوال ما يكون مستويا في الجودة ومشاكلا في استواء
الصنعة .. ومنها ذوات الغرر الحسان والنتف الجياد وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ
وإنما حظها التخليد في بطون الصحف ووجدنا عدد القصار أكثر ورواة العلم إلى حفظها أسرع
وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ووفيناه حقه من التمييز ورجونا
أن لا نكون قصرنا في ذلك والله الموفق .. وهذا سوى ما سمناه في كتابنا هذا من مقطعات
كلام العرب الفصحاء وجمل كلام الأعراب الخلص وأهل اللسن من رجالات قريش والعرب
وأهل الخطابة من أهل الحجاز ونتف من كلام النساك ومواعظ من كلام الزهاد مع قلة
كلامهم وشدة توقيهم ورب قليل يغني عن الكثير كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل
بل رب كلمة تغني عن خطبة وتنوب عن رسالة بل رب كناية تربي على إفصاح ولحظ
يدل على ضمير وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية قائما على النهاية ومتى شاكل أبقاك الله
ذلك اللفظ معناه وكان لذلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه
وسلم من فساد التكلف كان قمنا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه
من تناول الطاعنين ويحمي عرضه من اعتراض العائبين ولا تزال القلوب به معمورة
والصدور مأهولة ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا من جنسه وكان سليما
من الفضول بريئا من التعقيد حبب إلى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول
وهشت إليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق
ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض
فإن أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص
وينصح ولا يغش وكان مشغوفا بأهل الجماعة شنفا لأهل الاختلاف والفرقة جمعت له
الحظوظ من أقطارها وسيقت إليه القلوب بأزمتها وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على
محبته وجبلت على تصويب إرادته .. ومن أعاره الله من معونته نصيبا وأفرغ عليه من محبته
ذنوبا جلبت إليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أعفى المستمع من كد التكلف وأراح
قارئ الكتاب من علاج التفهم .. ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح ألفاظا
مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعا رديا ولا قولا مستكرها وأكثر ما نجد ذلك في خطب
المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كان ذلك منهم على جهة
الارتجال والاقتضاب أو كان من نتاج التحبير والتفكير .. ومن شعراء العرب من كان يدع

القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمانا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه فيجعل عقله زماما على رأيه ورأيه عيارا على شعره اشفاقا على أدبه وإحرازا لما خوله الله من نعمته وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا . وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد . والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم الفحل الخنذيذ والخنذيذ هو التام . قال الأصمعي قال رؤبة الفحولة هم الرواة . ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور . ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء

يا رابع الشعراء فيم هجوتني ... وزعمت أني مفحم لا أنطق

فجعله سكيتا مخلفا ومسبوقا مؤخرا . وسمعت بعض العلماء يقول طبقات الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وشعرور . قال والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس بن حجر . ومنهم تيم بن ضبة المفوف شاعر بني حميس وهو الشويعر ولذلك قال العبدي

ألا تنهى سراة بني حميس ... شويعرها فويلية الأفاعي
قبيلة تردد حيث شاءت ... كزائدة النعامة في الكراع

فويلية الأفاعي دويبة سوداء فوق الخنفساء . والشويعر أيضا صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث ويقال إن اسمه ربيعة بن عثمان وهو الذي يقول

فسائل جعفرا وبني أبيها ... بأبرق طخفة والملاح
وأفلتنا أبو ليلى طفيل ... صحيح الجلد من أثر السلاح

وقد زعم ناس أن الخنذيذ من الخيل هو الخصي وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر

يا ليلتي بالبيت لم أر مثلها ... أمر فريقيها وأكثر باكيا
وأكثر خنذيذا يجر عنانه ... إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

وقال بشر بن أبي خازم

وخنذيذ ترى الغرمول منه ... كطي الزق علقه التجار

وأبين من ذلك قول البرجمي : وخناذيذ خصية وفحولا . ويدل على ما قلنا قول العبسي

لم غوت بني سعد أبي بشر ... خناذيذ من سعد طوال السواعد

وكان زهير بن أبي سلمى يسمي كبار قصائده الحوليات . وقد فسر سويد بن كراع العكلي ما قلنا في قوله

أبيت بأبواب القوافي كأنما ... أصادي بها سربا من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما ... يكون سحير أو بعيدا فأهجعا
عواصي إلا ما جعلت أمامها ... عصا مربد تغشى نحورا وأذرعا
أهبت بغر الآبدات فراجعت ... طريقا أملته القصائد مهيعا
بعيدة شأو لا يكاد يردها ... لها طالب حتى يكل ويظلعا

أو بعيد خ

إذا خفت أن تروى علي رددتها ... وراء التراقي خشية أن تطلعا
وجشمني خوف ابن عفان ردها ... فثقفتها حولا جريدا ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة ... فلم أر إلا أن أطيع وأسمعا

ولا حاجة بنا مع هذه الأبيات إلى الزيادة في الدليل على ما قلنا ولذلك قال الحطيئة خير الشعر الحولي المحكك . وكان الأصمعي يقول زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من جود في جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يقال لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوا ورهوا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا . وإنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي ورؤبة ولذلك قالوا في شعره مطرف بآلاف وخمار بواف وكان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء . وكان أبو عبيدة يقوله ويحكي ذلك عن يونس . ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة وقصائد السماطين والطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما وإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدارا عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور ميثوه في صدورهم وقيدوه على أنفسهم فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ومصفى من الأدناس مهذبا

وقال الربيع بن أبي الحقيق في ذلك لأبي ياسر النضيري

فلا تكثر النجوى وأنت محارب ... تؤامر فيها كل نكس مقصر

وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول إياكي والرأي الفطير . وكان يستعيذ بالله من الرأي الدبري . وقال سحبان وائل شر خليطيك السؤوم المخرم لأن السؤوم لا يصبر والمخرم في الصبر والحزم صعب لا يعرف ما يراد به وليس الحزم إلا بالتجارب ولأن عقل الغريزة سلم إلى عقل التجربة ولذلك قال علي بن أبي طالب رحمه الله رأي الشيخ أحب إلي من جلد الشاب . ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل والمهارة إلا بعد طول الرياضة ولم يحولوا المعاليق مطاليع إلا بعد طول التقليع ولم يحلبوا الزبون إلا بعد الإبساس

المحزم خ

وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يسبقه إليه عربي ولم يشاركه فيه عجمي ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد مما صار مستعملا ومثلا سائرا . فمن ذلك قوله

يا خيل الله اركبي ، ومن ذلك قوله مات حتف انفه ، ومن ذلك قوله لا ينتطح فيه عنزان ، ومن
ذلك قوله الآن حمي الوطيس ، ولما قال عدي بن حاتم في قتل عثمن رضي الله عنه لا تحبق
فيه عناق ، قال له معوية بن ابي سفيان رحمه الله بعد ان فقئت عينه وقتل ابنه يا ابا
طريف هل حبقت في قتل عثمن عناق قال اي والله والتيس الاعظم فلم يصر كلامه مثلا
وصار كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ، ومن ذلك قوله لابي سفيان بن حرب
كل الصيد في جوف الفرا ، ومن ذلك قوله مؤونة على رجل وجماعة على اقدام ، ومن ذلك
قوله لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ، الا ترى ان الحرث بن حجر حين اراد الكلام عند
مقتل يزيد بن المهلب قال ايها الناس اتقوا الفتنة فانها تقبل بشبهة وتدبر ببيان
وان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين فضرب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل ثم قال
اتقوا عصبا تاتيكم من الشام كانها دلاء قد انقطع وذمها ، وقال ابن الاشعث لاصحابه
وهو على المنبر قد علمنا ان كنا نعلم وفهمنا ان كنا نفهم ان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين
وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات وانا استغفر الله من كل ما خالف الايمان واعتصم
به من كل ما قرب من الكفر ، وانا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله عليه وسلم
وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف
وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد وما انا من المتكلفين فكيف وقد عاب التشديق
وجانب اصحاب التقعيب واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر
وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولا يتكلم الا بكلام
قد حف بالعصمة وشيد بالتاييد ويسر بالتوفيق وهذا الكلام الذي القى الله المحبة عليه
وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام
مع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت
له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا افحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام
القصير ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب
الفلج الا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ
ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعا ولا اقصد لفظا ولا
اعدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكرم مطلبا ولا احسن موقعا ولا اسهل مخرجا ولا افصح
عن معناه ولا ابين في فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ولم ارهم يذمون
المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يذمون المتطرف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم
المتكلف الا في المواضع التي يذمونها قال قيس بن الخطيم

وما المال والاخلاق الا معارة ... فما استطعت من معروفها فتزود

واني

واني لاغشى الناس من متكلف ... يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
وقال ابن قميئة : وحمال اثقال اذا هي اعرضت ... عن الاصل لا يستطيعها المتكلف
وقال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب ما جاءنا عن احد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد جمعنا في هذا الكتاب جملا التقطناها من افواه اصحاب الاخبار ولعل بعض من
لم يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن انا تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزيين
والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره كلا والذي حرم التزيد على العلماء وقبح التكلف عند
الحكماء وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا الا من ضل سعيه ، فمن كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين ذكر الانصار فقال اما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع
وقال الناس كلهم سواء كاسنان المشط ، والمرء كثير باخيه ، ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى
لنفسه وقال الشاعر : سواء كاسنان الحمار فلا ترى ... لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا
وقال آخر : شبابهم وشيبهم سواء ... فهم في اللوم اسنان الحمار ، واذا حصلت تشبيه
الشاعر وحقيقته وتشبيه النبي عليه السلم وحقيقته علمت فضل ما بين الكلامين ، وقال رسول
الله عليه السلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم فتفهم
رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه ، وقال عليه السلم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدا
بمن تعول ، وقال لا تجن يمينك على شمالك ، وذكر الخيل فقال بطونها كنز وظهورها حرز
وقال خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة ، وقال خير المال عين ساهرة لعين نائمة ، وقال
نعمت العمة لكم النخلة تغرس في ارض خوارة وتشرب من عين خرارة ، وقال المطعمات في المحل
الراسخات في الوحل ، وقال الحمى في اصول النخل ، وذكر الخيل فقال اعرافها ادفاؤها
واذنابها مذابها والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، وقال ليس منا من حلق او
صلق او شق ، وقال نهيتكم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات ، وقال الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة ، وقال ما املق تاجر صدوق ، وجاء في الحديث ما قل وكفى خير
مما كثر والهى ، وقال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال
المبطلين وتاويل الجاهلين ، وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله الخير في السيف
والخير مع السيف والخير بالسيف ، وقال لا يلوى رجل محرب على ملح ، وقال لا تزال امتي صالحا امرها
ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما ، وقال راس العقل بعد الايمان مداراة الناس ولن يهلك
امرؤ بعد مشورة ، وقال المستشار مؤتمن ، وقال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء امسك
وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم ، وقال افصلوا بين حديثكم بالاستغفار ، وقال
استعينوا على طول المشي بالسعي ، وقال للختانة يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى
للوجه واحظى عند الزوج ، وقال لا تجلسوا على ظهور الطرق فان ابيتم فغضوا الابصار

قد دوا السلام واهدوا الضال واعينوا الضعيف . وقال ان الله يرضى لكم ثلثا ويكره لكم ثلثا
يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه
الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال . قال ويقول ابن آدم مالي مالي
وانما لك من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت . وقال لو ان لابن آدم
واديين من ذهب لتمنى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وقال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون . وقال ان احبكم
الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون
وقال اياكم والتشادق . وقال اياكم والعرج في الصلاة . وقال لا يؤمن ذو سلطان في سلطانه
ولا يجلس على تكرمته الا باذنه . وقال اياكم والمشارة فانها تميت الغرة . وقال لا ينبغي
لصديق ان يكون لعانا . وقال اعوذ بالله من الاخمسين وبوار الايم . وكان يقول اعوذ بالله
من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعمل لا ينفع . وقال رجل يا رسول الله اوصني بشيء ينفعني الله به
قال اكثر ذكر الموت يسليك عن الدنيا وعليك بالشكر فانه يزيد في النعمة واكثر الدعاء
فانك لا تدري متى يستجاب لك واياك والبغي فان الله قد قضى انه من بغي عليه لينصرنه
الله . وقال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم واياك والمكر فان الله قد قضى لا يحيق
المكر السيء الا باهله . وقيل يا رسول الله اي العمل افضل فقال اجتناب المحارم ولا يزال
فوك رطبا من ذكر الله . وقيل له اي الاصحاب افضل فقال الذي اذا ذكرت اعانك واذا نسيت
ذكرك . وقيل اي الناس شر قال العلماء اذا فسدوا . وقال دب فيكم داء الامم من
قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد
بيده لا تؤمنون حتى تحابوا او لا انبئكم بامر اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم
وقال تهادوا تحابوا . وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ربي
بتسع اوصاني بالاخلاص في السر والعلانية وبالعدل في الرضى والغضب وبالقصد في الغنى
والفقر وان اعفو عمن ظلمني واعطي من حرمني واصل من قطعني وان يكون صمتي فكرا ونطقي
ذكرا ونظري عبرا . وثلث كلمات رويت مرسلة وقد رويت لاقوام وقد يجوز ان يكون انما
حكوها ولم يسندوها منها قوله لو تكاشفتم لما تدافنتم . ومنها قوله الناس بازمانهم
اشبه منهم بابائهم . ومنها قوله ما هلك امرؤ عرف قدره . وقال اسمعيل بن عياش عن
عبد الله بن دينار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كره لكم العبث في الصلاة
والرفث في الصيام والضحك عند المقابر . وقال اذا اتهمت فترسل واذا امنت
فاحزم . وحدثنا اسمعيل بن عياش الحمصي عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر رفعه

وهو من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن الملق الا
في طلب العلم . ومن حديث انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتاب
قال ويقول الله لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صبا
ومن حديث عبد الله بن المبارك رفعه قال اذا ساد القبيل فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم
واكرم الرجل اتقاء شره فلينتظروا البلاء . ومن حديث ابن ابي ذئب عن المغيرة عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة
ومن حديث عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان . ومن حديث عبد الله بن المبارك قال كان رسول الله
يقول ان قوما ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه
بفأس فقالوا له ما تصنع فقال هو مكاني اصنع فيه ما شئت فان اخذوا على يديه نجا ونجوا وان
تركوه هلك وهلكوا . وقال علق سوطك حيث يراه اهلك . ودخل السائب بن ابي صيفي على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتعرفني قال كيف لا اعرف شريكي الذي كان لا يماريني
ولا يشاريني . وقال رسول الله يؤتى بالوالي يجلد فوق ما امر الله به فيقول له الرب عبدي لم جلدت
فوق ما امرتك به فيقول رب غضبت لغضبك فيقول اكان ينبغي لغضبك ان يكون اشد من غضبي
ثم يؤتى بالمقصر فيقول عبدي لم قصرت عما امرتك به فيقول رب رحمته فيقول اكان ينبغي
لرحمتك ان تكون اوسع من رحمتي قال فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لا احفظه الا انه صيرهما
الى النار . قال وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر عن قزعة قال قال لي ابن عمر اودعك كما
ودعني رسول الله صلى الله عليه وسلم استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك . وقال
كل ارض بسمائها . وروى سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن اشياخه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب لوائل بن حجر الحضرمي ولقومه من محمد رسول الله صلى الله عليه الى الاقيال العباهلة
من اهل حضرموت باقام الصلاة وايتاء الزكاة على التيعة شاة والتيمة لصاحبها وفي السيوب
الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار فمن اجبى فقد اربى وكل مسكر حرام . ومن حديث
راشد بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه قال لا تغالوا في النساء فانما هن سقيا الله . وقال رسول
الله صلى الله عليه خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه
على بعل في ذات يده . وقال مجالد عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه اللهم اذهب
ملك غسان وضع مهور كندة والذي يدل على ان الله قد خصه من الايجاز وقلة عدد اللفظ
مع كثرة المعاني قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واعطيت جوامع الكلم . ومما روي
عنه صلى الله عليه من استعمال الاخلاق الكريمة والافعال الشريفة وكثرة الامر بها والنهي عما
خالفها قوله من لم يقبل عذرا من متنصل صادقا كان او كاذبا لم يرد علي الحوض

وقال في آخر وصيته اتقوا الله في الضعيفين ٭ وكلمته جارية من السبي فقال لها من أنت فقالت
أنا بنت الرجل الجواد حاتم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا عزيزا ذل ارحموا غنيا افتقر
ارحموا عالما ضاع بين جهال ٭ وقال سعد المشي تذهب بهاء المؤمن ٭ وعن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأحاديث ستكثر عني بعدي كما كثرت عن الأنبياء من قبلي
فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عني قلته أو لم أقله ٭ وسئلت
عائشة رحمها الله عن خلق النبي صلى الله عليه فقالت خلقه القرآن وتلت قول الله وإنك
لعلى خلق عظيم ٭ وقال محمد بن علي أدب الله محمدا صلى الله عليه بأحسن الآداب فقال خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما وعى قال ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا واتقوا الله ٭ قال حدثنا علي بن مجاهد قال حدثنا هشام بن عروة قال سمع عمر
بن الخطاب رضي الله عنه رجلا ينشد ٭

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد ٭ فقال عمر
ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الناس يستحسنون قول الأعشى ٭
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
فلما قال الحطيئة البيت الذي كتبناه قبل هذا سقط بيت الأعشى ٭ وقال رسول الله صلى الله
عليه لا تزال المسروق منه في تهمة من هو بريء حتى يكون أعظم جرما من السارق ٭ وقال
أبو الحسن أجرى رسول الله صلى الله عليه الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقا فجثا
رسول الله على ركبتيه وقال ما هو إلا البحر ٭ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذب
الحطيئة حيث يقول ٭ وإن جياد الخيل لا تستعيرها ولا جاعلات العاج فوق المعاصم ٭
وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستعر سبق فرسه ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم
شأنها ٭ وكان رسول الله صلى الله عليه يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويلبس العباء
ويجالس المساكين ويمشي في الأسواق ويتوسد يده ويقص من نفسه ويلطع أصابعه ولا يأكل
متكئا ولم ير قط ضاحكا ملء فيه وكان يقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما
يشرب العبد ولو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت لم يأكل قط وحده
ولا ضرب عبده ولا ضرب أحدا بيده إلا في سبيل ربه ٭ ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه
إلا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال وذلك أنه حين دخل مكة عنوة
وقد قتلوا أعمامه وبني أعمامه وأوليائه وقادة أنصاره بعد أن حصروه في الشعاب وعذبوا
أصحابه بأنواع العذاب وجرحوه في بدنه وآذوه في نفسه وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده
فلما دخلها بغير حربهم وظهر عليهم على صغر منهم قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

وإنما نقول في كل باب بالجملة من ذلك المذهب والإخبار فيهم أول كل باب كثرتم خلفاء أن تعرفوا الأواخر
بالأوائل والمصادر بالموارد ٭

ومن خطبه صلى الله عليه خطبة حجة الوداع وهي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ٭ أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته
وأستفتح بالذي هو خير ٭ أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم
بعد عامي هذا في موقفي هذا ٭ أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا
ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم اشهد فمن كانت
عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ
به ربا عمي العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم نبدأ به دم
عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية
والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية
أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى
ذلك مما تحقرون من أعمالكم ٭ أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق
السماوات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد ٭ أيها الناس إن لنسائكم
عليكم حقا ولكم عليهن حق لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه
بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن
في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ٭ أيها الناس إنما المؤمنون إخوة
ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب
الله ألا هل بلغت اللهم اشهد ٭ أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم
وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل
بلغت اللهم اشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب ٭ أيها الناس إن الله قسم لكل

وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية في اكثر من الثلث والولد للفراش
وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلم عليكم ورحمة الله ۞ وعن الحسن قال جاء
قيس بن عاصم المنقري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه قال هذا سيد اهل
الوبر فقال يا رسول الله خبرني عن المال الذي لا يكون علي فيه تبعة من ضيف طارق او عيال
ان كثروا علي قال نعم المال الاربعون والاكثر الستون وويل لاصحاب المئين الا من
اعطى في رسلها ونجدتها واطرق فحلها وافقر ظهرها ونحر سمينها واطعم القانع والمعتر
قال يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها وما يحل بالوادي الذي اكون فيه اكثر من
ابلي قال فكيف تصنع بالطروقة قال تغدو الابل ويغدو الناس فمن شاء اخذ براس بعير فذهب
به قال فكيف تصنع في افقار الظهر قال اني لافقر البكر الضرع والناب المسنة قال فكيف
تصنع بالمنيحة قال اني لامنح في كل سنة مائة ؞ قال فاي المال احب اليك مالك ام مال
مواليك قال بل مالي قال فما لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او اعطيت
فامضيت وما سوى ذلك للوارث ؞ وذكر ابو المقدام هشام بن زياد عن محمد بن كعب
القرظي قال دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فجعلت
احد النظر اليه فقال لي يا ابن كعب ما لك تحد النظر الي قلت لما تحول من جسمك وتغير من
لونك قال فكيف لو رايتني بعد ثلاثة في قبري وقد سالت حدقتاي على وجنتي وابتدر منخراي وفي
صديدا ودودا لكنت اشد نكرة اعد علي حديثا كنت حدثتنيه عن ابن عباس قلت سمعت
ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل شيء شرفا وان اشرف
المجالس ما استقبل به القبلة من احب ان يكون اعز الناس فليتق الله ومن احب ان يكون
اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه
بما في يده ؞ ثم قال الا انبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع
رفده وجلد عبده ؞ ثم قال الا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يقيل
عثرة ولا يقبل معذرة ؞ ثم قال الا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال
من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ؞ ثم قال الا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله
قال من يبغض الناس ويبغضونه ؞ ان عيسى بن مريم قام خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني
اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تكافئوا الظالم
فيبطل فضلكم يا بني اسرائيل الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه
فاجتنبوه وامر اختلف فيه فكلوه الى الله ؞ وقال النبي صلى الله عليه كل قوم على بينة
من امرهم ومصلحة في انفسهم يزرون على من سواهم ويتبين الحق منه لذي المقايسة

بالعزل عند غروب الالباب من الناس ؞ وقال من رضي رفيقه فليمسكه ومن لم يرض فليبعه ولا
تعذبوا عباد الله ؞ وقال في اخر ما اوصى به اتقوا الله في الضعيفين ؞ ابن ثوبان عن ابيه
عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح
القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه او
منكبه ثم قال ان هذا لحق كما انك ها هنا او كما انك قاعد يعني معاذا ؞ صالح المري عن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم
بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء ؞ كثير بن هشام عن عيسى بن ابرهيم عن الضحاك
عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه الجمعة حج المساكين ؞ عوف عن الحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان وانما اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؞ الواقدي عن موسى بن محمد بن ابرهيم التيمي
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه ان الله يحب الجواد من خلقه ؞ ابو عبد الرحمن
الاشجعي عن يحيى بن عبد الله عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
ما خلا يهودي بمسلم قط الا هم بقتله ويقال حدثت نفسه بقتله ؞ ابو عاصم النبيل قال
حدثنا عبيد الله بن ابي زياد عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد قالت قال النبي صلى الله
عليه وسلم من ذب عن لحم اخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم لحمه على النار ؞ اسمعيل
بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر عن رجل عن معاذ بن جبل عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس من اخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم ؞ عنبسة بن عبد الرحمن عن
عبد الله بن ثمامة بن انس عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه قيدوا العلم بالكتاب
وقال فضل جاهك تعود به على اخيك الذي لا جاه له صدقة منك عليه وفضل لسانك تعبر
به على اخيك الذي لا علم له صدقة منك عليه وفضل قوتك تعود بها على اخيك الذي
لا قوة له صدقة منك عليه واماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على اهله ؞ وانما مدار
الامر والغاية التي يجري اليها الفهم ثم الافهام والطلب ثم التثبت ؞ وقال عمرو بن العاص
ثلاثة لا املهم جليسي ما فهم عني ودابتي ما حملت رحلي وثوبي ما سترني ؞ وذكر
الشعبي ناسا فقال ما رايت مثلهم اشد تناوبا في مجلس ولا احسن فهما عن محدث ؞ ووصف
سهل بن هرون رجلا فقال لم ار احسن منه فهما لجليل ولا احسن تفهما لدقيق ؞ وقال سعيد
بن سلم لامير المؤمنين المامون لو لم استحق الشكر الا على حسن ما ابلاني امير المؤمنين من قصده
الي بحديثه واشارته الي بطرفه لقد كان ذلك من اجل ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية
قال المامون لان امير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثته وحسن الفهم اذا

جدت ما لم يجز عند أحد فيمن مضى ولا يظن أنه يجز فيمن بقي. وقال له مرة: والله إنك
لتستمع حديثي وتعي عن مقاطع كلامي وتغيب عنه بما كنت قد أغفلته. قال أبو الحسن: قالت
امرأة لزوجها: ما لك إذا خرجت إلى أصحابك تطلقت وتحدثت، وإذا كنت عندي تعقدت وأطرقت؟
قال: لأني أجل عن دقيقك، وتدقين عن جليلي. وقال أبو مسهر بن المبارك: ما حدثت رجلا قط
إلا أعجبني إصغاؤه، حفظ عني أم ضيع. وقال أبو عقيل بن درست: نشاط القائل على قدر
فهم المستمع. وقال أبو عباد كاتب ابن أبي خالد: للقائل على السامع ثلاث: جمع البال، والكتمان،
وبسط العذر. وقال أبو عباد: إذا أنكر القائل عيني المستمع فليستفهمه عن منتهى
حديثه وعن السبب الذي أجرى له القول له، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث
وإن كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة، وعرفه بغفوله الاستماع والتفهيم
نحو المحدث. وأبو عباد هذا هو الذي قال: ما جلس بين يدي رجل قط إلا تمثل لي أني سأجلس
بين يديه. وذكر رجل من قريش عبد الملك بن مروان وعبد الملك يومئذ غلام فقال: إنه لآخذ
بأربع وتارك لأربع: آخذ بأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر
المؤونة إذا خولف، وبأحسن البشر إذا لقي. وتارك لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، ومماراة
السفيه، ومصاحبة المأبون. وذم بعض الحكماء رجلا فقال: يجزم قبل أن يعلم، ويغضب قبل
أن يفهم. وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في بعض رسائله: إن فطانة الفهم للفهم فيما تلجلج
في صدرك، ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال. وقال مجنون بني عامر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى … فصادف قلبي فارغا فتمكنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى أخيه عيينة بن أسماء:

أعيين هلا إذ شغفت بها … كنت استعنت بفارغ العقل

أقبلت ترجو الغوث من قبلي … والمستغاث إليه في شغل

وقال صالح المري: سوء الاستماع يعوق، ومن لا يفهم المستمع إلا بالتعب وقد يتعب أيضا
من لا يفهم. وقال الحارث بن حلزة:

وحديث بينها الركب أخرس في بعض الأمور وكنت ذا أخراس

وقال النابغة الجعدي:

أبى لي البلاء وأني امرؤ … إذا ما تبينت لم أرتب

وقال آخر:

تحلم عن الأدنين واستبق ودهم … ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم: العلم بالتعلم. وإذا كانت البهيمة إذا أحست
بشيء من أسباب القانص أحدث نظرها واستشعرت قوائمها في الاستعداد وجمعت بالها للتسمع
كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتحرز. ولما اتهم قتيبة بن مسلم أبا مجلز لاحق
بن حميد ببعض الأمر قال له أبو مجلز: أيها الأمير تثبت فإن التثبت نصف العفو. وقال

الأحنف: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم. وقال فيروز بن حصين: كنت أختلف إلى قراءة الاستخراج أتعلم
الغير. وقال سهل بن هارون: بلاغة اللسان رفق والعي خرق. وكان كثيرا ما ينشد قول شبيب
بن خوتلد:

ولا يشعبون الصدع بعد تفاقم … وفي رفق أيديكم لذي الصدع شاعب

وقال إبراهيم الأنصاري وهو إبراهيم بن محمد المفلوج من ولد أبي زيد: القارئ في الخلفاء والأئمة
وأمراء المؤمنين ملوك، وليس كل ملك يكون خليفة وإماما. قال: والدليل فصل بينهم أبو بكر رحمه
الله في خطبته، فإنه لما فرغ من الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أشقى
الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رؤوسهم، فقال: ما لكم أيها الناس إنكم لطعانون
عجلون، إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما عنده، ورغبه فيما في يدي غيره، وانتقصه
شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع
عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع،
جذل الظاهر حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره، وضحى ظله، حاسبه الله فأشد
حسابه وأقل عفوه، ألا إن الفقراء هم المرحومون، إلا من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه
صلى الله عليه، وإنكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة، وسترون بعدي ملكا عضوضا وملكا
عنودا وأمة شعاعا ودما مباحا، فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر
ويموت لها البشر، فالزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة
وليكن الإبرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر، أي بلادكم خرسة، إن الله سيفتح
عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها.

كلام أبي بكر لعمر رضي الله عنهما عند موته

إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار
لا يقبله بالليل، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه
يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون
ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق
لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا. إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم
وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألا أكون من هؤلاء، وذكر أهل النار
فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء،
وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا، ولا يتمنى على الله غير الحق،
ولا يلقي بيده إلى التهلكة. فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن
ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت، ولست بمعجز الله.

وأوصى عمر رضي الله عنه الخليفة من بعده فقال

أوصيك بتقوى الله لا شريك له وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالأنصار خيراً فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء العدو وجباة الفيء لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم وأوصيك بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يد وهم صاغرون وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة وأوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخش الناس في الله وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فإن في ذلك بإذن الله سلامة لقلبك وحطاً لوزرك وخيراً في عاقبة أمرك حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك وآمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك في أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله واجعل الناس عندك سواء لا تبالي على من وجب الحق ثم لا تأخذك في الله لومة لائم وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيماناً ورضواناً وإن غلبك فيه الهوى اقترفت به سخط الله وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي فإن عملت بالذي وعظتك وانتهيت إلى الذي أمرتك أخذت به نصيباً وافراً وحظاً وافياً وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضي الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصاً ورأيك فيه مدخولاً لأن الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس وهو داع إلى كل هلكة وقد أضل القرون السالفة قبلك وأوردهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات وكن واعظاً لنفسك أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم هذه وصيتي إياك وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام

رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما

رواها ابن عيينة وأبو بكر الهذلي ومسلمة بن محارب رووها عن قتادة وحدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلي عن أبي المليح بن أسامة أن عمر بن الخطاب

كتب إلى أبي موسى الأشعري بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي أمداً ينتهي إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً في ولاء أو قرابة فإن الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم إياك والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام عليك ۞ وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ۞

أول خطبة خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ۞

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فلا يرعين مرع إلا على نفسه فإن من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار أمامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر ملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بيده ولا سادس هلك من ادعى وردي من اقتحم فإن اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادة منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة إن الله داوى هذه الأمة بدوائين السوط والسيف لا هوادة عند الإمام فيهما فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين أما إني لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه يا ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له انظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فآزروا حق وباطل ولكل أهل ولئن أمر الباطل لقديماً فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما أدبر شيء فأقبل ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسعداء وإني لأخشى أن تكونوا في فترة وما علينا إلا الاجتهاد ۞ قال أبو عبيدة وروى فيها جعفر بن محمد ألا إن أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق ألا وبنا ترد ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم وبنا فتح وبنا يختم لا بكم ۞

ومن خطب علي أيضاً رضي الله عنه

قالوا أغار سفيان

بن عوف الازدي ثم الغامدي على الانبار زمان علي بن ابي طالب رحمه الله وعليها ابن حسان او
او حسان البكري فقتله وازال تلك الخيل عن مسالحها فخرج علي حتى جلس على باب السدة
فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال اما بعد فان الجهاد باب من ابواب
الجنة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذلة وشملة البلاء والزمه الصغار وسيم
الخسف ومنع النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هولاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا
وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم
وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات
هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان او ابن حسان البكري وازال خيلكم
عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المراة
المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع احجالها وقلبتها ورعثها ثم انصرفوا وافرين ما كلم
رجل منهم كلما فلو ان امرا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان عندي بها ملوما بل كان عندي
بها جديرا فيا عجبا من جد هولاء القوم في باطلهم وفشلكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا
حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون
فاذا امرتكم بالسير اليهم في الحر قلتم حمارة القيظ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا
امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم امهلنا حتى ينسلخ عنا القر كل هذا فرارا من الحر والقر
فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال ويا احلام الاطفال وعقول ربات الحجال وددت
ان الله قد اخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني الى رحمته من بينكم والله لوددت اني لم
اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما وورثت صدري غيظا وجرعتموني الموت انفاسا
وافسدتم علي رايي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ابن ابي طالب شجاع ولكن
لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل منهم احد اشد لها مراسا ولا اطول لها تجربة مني لقد
مارستها وما بلغت العشرين فها انا ذا قد نيفت على الستين ولكنه لا راي لمن لا يطاع
قال فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم اخذ بيد ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين
انا واخي كما قال الله رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو
حال دونه جمر الغضا وشوك القتاد قال فاثنى عليهما وقال لهما خيرا وقال اين تقعان
مما اريد ثم نزل

وخطبة له اخرى

بهذا الاسناد في شبيه بهذا المعنى قام فيهم خطيبا فقال ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم
كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوكم تقولون في المجالس كيت وكيت
فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم
اعاليل باضاليل وسالتموني التاخير دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل
باباطيل

ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ام مع اي امام بعدي تقاتلون المغرور والله
من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم
فرق الله بيني وبينكم واعقبني بكم من هو خير لي منكم لوددت ان لي بكل عشرة منكم رجلا
من بني فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم

وخطب ايضا علي بن ابي طالب رضي الله عنه

فقال اما بعد فان
الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وان المضمار اليوم
والسباق غدا الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن اخلص في ايام امله قبل حضور اجله نفعه
عمله ولم يضره امله ومن قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره امله الا
فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام
هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى تجر به الضلال الا
وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول
الامل

خطبة عبد الله بن مسعود رحمه الله

اصدق الحديث كتاب
الله واوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام واحسن السنن سنة
محمد صلى الله عليه وشر الامور محدثاتها وخير الامور عزائمها ما قل وكفى خير مما كثر والهى
نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها خير الغنى غنى النفس خير ما القي في القلب اليقين
الخمر جماع الاثام النساء حبالة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح
المعجزة من الناس من لا ياتي الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا اعظم الخطايا اللسان
الكذوب سباب المومن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه معصية من يتال على الله يكذبه
من يغفر يغفر له مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عفي عنه الشقي من شقي في بطن امه السعيد
من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملاك العمل خواتيمه احسن الهدى هدي الانبياء اقبح
الضلالة الضلالة بعد الهدى اشرف الموت الشهادة من يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف
البلاء ينكره

خطبة عتبة بن غزوان السلمي بعد فتح الابلة

حمد الله
واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال اما بعد فان الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد اذنت
اهلها بصرم وانما بقي منها صبابة كصبابة الاناء يصطبها صاحبها الا وانكم مفارقوها لا محالة
ففارقوها باحسن ما بحضرتكم الا وان من العجب اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الحجر الضخم يلقى في النار من شفيرها فيهوي فيها سبعين خريفا ولجهنم سبعة ابواب
ما بين البابين منها مسيرة خمس مائة سنة ولتاتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام ولقد
كنت مع رسول الله سابع سبعة ما لنا طعام الا ورق البشام حتى قرحت اشداقنا فوجدت
انا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بيني وبينه بنصفين والتقطت بردة فشققتها بيني وبينه

فأترك بعضها وآخذ بعضها، وما منّا أحد اليوم إلا وهو أمير على بعض من الأمصار، وإنه لم تكن
نبوّة قط إلا تناسختها جبرية، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وفي أعين الناس صغيرا
وستجربون الأمراء من بعدي فتعرفون وتنكرون ه

خطبة من خطب معوية بن أبي سفين رضي الله عنه

رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليقطري وغيره. قالوا لما حضرت معوية الوفاة قال لمولى له من بالباب
قال نفر من قريش يتباشرون بموتك. قال ويحك ولم، فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوءهم، وأذن
للناس فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال: أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن
شديد يعدّ فيه المحسن مسيئا ويزداد فيه الظالم عتوّا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا،
ولا نتخوف قارعة حتى تحلّ بنا، فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه من الفساد في
الأرض إلا مهانة نفسه وكلال حدّه ونضيض وفره، ومنهم المصلت لسيفه المجلب بخيله ورجله
والمعلن بشرّه، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر
يفرعه، ولبئس المتجر أن تراهما لنفسك ثمنا ولما لك عند الله عوضا، ومنهم من يطلب الدنيا
بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمّر
من ثوبه، وزخرف نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية. ومنهم من أقعده
عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه، فقصرت به الحال عن أمله، فتحلى باسم القناعة
وتزين بلباس الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى، وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر
المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، وخائف منقمع، وساكت مكعوم،
وداع مخلص، وموجع ثكلان، قد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة، فهم في بحر أجاج، أفواههم
ضامزة، وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملّوا، وقهروا حتى ذلّوا، وقتلوا حتى قلّوا، فلتكن الدنيا
في أعينكم أصغر من حثالة القرظ وقراضة الجلمين، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ
بكم من بعدكم، فارفضوها ذميمة، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم. وفي هذه
الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب، منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله
دعاهم معوية، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم وعما هم
عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه
بحال معوية. ومنها أنا لم نجد معوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد
ولا يذهب مذاهب العباد، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعنا والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم.

خطبة زياد بالبصرة البتراء

قال أبو الحسن المدائني
ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب وعن أبي بكر الهذلي قال قدم زياد البصرة واليا لمعوية
بن أبي سفين وضمّ إليه خراسان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر، قال فخطب

خطبة بتراء لم يحمد الله فيها. وقال غيرهما بل قال: الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه
وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا. أما بعد فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي
الموفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها
الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب
الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون
كمن طرفت عينه الدنيا، وسدّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون
أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من ترككم هذه المواخير المنصوبة
والضعيفة المسلوبة، في النهار المبصر، والعدد غير قليل. ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن
دلج الليل وغارة النهار، قرّبتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس.
كل امرئ منكم يذبّ عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معادا. ما أنتم بالحلماء، ولقد
اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا
وراءكم كنوسا في مكانس الريب. حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسوّيها بالأرض هدما
وإحراقا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف.
وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم
في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد قتل سعيد، أو تستقيم
لي قناتكم. إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي. من
نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه، فإياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت
دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم. وإياي ودعوى الجاهلية،
فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب
عقوبة، فمن غرّق قوما غرّقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن
نبش قبرا دفنّاه فيه حيا، فكفّوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر
من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه. وقد كانت بيني وبين أقوام إحن
فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا
فلينزع عن إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلّ من بغضي لم أكشف له قناعا
ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره. فاستأنفوا أموركم، وأعينوا
على أنفسكم، فربّ مبتئس بقدومنا سيسرّ، ومسرور بقدومنا سيبتئس. أيها الناس إنا أصبحنا
لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي
خوّلنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا
عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصّرت عنه فلن أقصّر عن ثلاث: لست محتجبا

عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه ولا مجمرا لكم بعثا
فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي إليه تأوون ومتى
يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له
حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل وإذا رأيتموني
أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم
أن يكون من صرعاي ۝ قال فقام إليه عبد الله بن الأهتم فقال أشهد أيها الأمير
لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له كذبت ذاك نبي الله داود صلى الله عليه . قال فقام
الأحنف بن قيس فقال إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنا لن نثني حتى نبتلي فقال له
زياد صدقت . فقام أبو بلال مرداس بن أدية وهو يهمس ويقول أنبأنا الله بغير ما قلت
قال الله وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأنت تزعم
أنك تأخذ البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر فسمعها زياد فقال إنا لا نبلغ ما نريد فيك
وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضا ۝ خلاد بن يزيد الأرقط قال سمعت من يخبر
عن الشعبي قال ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن
يسيء إلا زيادا فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاما . أبو الحسن المدائني قال قال الحسن
أوعد عمر فعفي وأوعد زياد فابتلي . قال وقال الحسن تشبه زياد بعمر فأفرط
وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس . قال أبو عثمان قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله
عليه وخطبه صدرا وذكرنا من خطب السلف جملا وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب
البلغاء ومواعظ النساك ونقتصر من ذلك على القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارئ
وأبعد من السآمة والملال ثم نعود بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله
ولا قوة إلا بالله ۝ قال أبو الحسن قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب بن أبي
صفرة في بعض أيامه مع الأزارقة فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال آنس الله
الإسلام بتلاحقكم فوالله لئن لم تكونوا أسباط نبوة إنكم لأسباط ملحمة . قال أبو الحسن
دخل الهذيل بن زفر الكلابي على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ونوائب نابته فقال
أصلحك الله إنه قد عظم شأنك عن أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تصنع شيئا
من المعروف إلا وأنت أكبر منه وليس العجب بأن تفعل ولكن العجب بأن لا تفعل فقال يزيد
حاجتك فذكرها فأمر له بها وأمر له بمائة ألف درهم فقال أما الحمالات فقد قبلتها وأما
المال فليس هذا موضعه . عيسى بن يزيد بن دأب عمن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس
قال قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه يا بني إني قد أمجدتكم في أمهاتكم وأحسنت
في مهنة أموالكم وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه والناكح مغترس فلينظر

امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما ينجب . قال فقال ابن عباس يا غلام اكتب لنا
هذا الحديث . قال ولما همت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان معاشر ثقيف لا تكونوا آخر العرب
إسلاما وأولهم ارتدادا . قال وسمعت أعرابيا ذكر قوما فقال كفى بهم شرفا أنهم
أقرب الناس نسبا برسول الله صلى الله عليه وأكثرهم بيتا من بيت الله . الأصمعي قال قيل
لعقيل بن علفة لم تجفو قومك قال الغنم إذا لم يصبها ما تشرب . قال وقيل لعقيل بن علفة
لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . قال وسأل عمر عمرو بن معديكرب
عن سعد فقال كيف أميركم قال خير أمير نبطي في جبوته عربي في نمرته أسد في تاموره يعدل
في القضية ويقسم بالسوية ينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر لشد ما تقارضتما الثناء
قال ولما قدم الحرث بن قيس الجهضمي بعبيد الله بن زياد منزل مسعود بن عمرو العتكي عن
غير إذن فأراد مسعود إخراجه من منزله قال عبيد الله قد أجارتني ابنة عمك عليك وعقدها
العقد الذي يلزمك وهذا ثوبها علي وطعامها في مذاخيري وقد التف علي منزلك وشهد له الحرث
بذلك . قال مر الشعبي بناس من الموالي يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه إنكم لأول من
أفسده . قال وتكلم عبد الملك بن عمير وأعرابي حاضر فقيل له كيف ترى هذا الكلام قال
لو كان كلام يؤتدم به لكان هذا . وقال جرير العذر طرف من البخل . وقال أيضا الخرس
خير من الخلابة . وقال أبو عمرو النمري البكم خير من البذاء . قال وقدم الهيثم بن الأسود بن
العريان على عبد الملك بن مروان فقال كيف تجدك قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود
واسود مني ما كنت أحب أن يبيض واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ولان مني ما كنت أحب
أن يشتد ثم أنشد

اسمع أنبئك بآيات الكبر . نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر . وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر . وتركي الحسناء في قبل الطهر
وحذرا أزداده إلى حذر . والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال أكثم بن صيفي الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل . وقال أكثم تباعدوا في الديار
تقاربوا في المودة . وقال آخر لبنيه تباذلوا تحابوا . قال ودخل عيسى بن طلحة بن عبيد
الله على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله فقال له عيسى والله ما كنا نعدك للصراع ولقد أبقى
الله لنا أكثرك أبقى لنا سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك وإحدى رجليك فقال له عروة
والله يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به . قال وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز
أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل . قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اقرؤوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ولن يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية
الله ولن يقرب من أجل ولن يباعد من رزق أن يقوم رجل بحق أو يذكر بعظيم . وقال
أعرابي لهشام أتت علينا ثلاثة أعوام فعام أكل الشحم وعام أكل اللحم وعام انتقى

تكن

العظم وحسن كم أموال فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله وإن كانت لعباد الله فادفعوها إليهم
وإن كانت لكم فتصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين قال فهل من حاجة غير ذلك قال ما ضربت إليك
أكباد الإبل لأمر ربع المعجم والخوض الرجال لحاجتهم ورنعام . قال شرآكه الحارثي ويكنى أبا
عبد الله قلت لأمة سوداء بالبادية لمن أنت يا سوداء قالت لسيد الحضر يا أصلع قال قلت أولست
بسوداء قالت أولست بأصلع قال قلت ما أغضبك من الحق قالت الحق أغضبك لا تسبب حتى تسب
ولأن تتركه أمثل . وقال الأصمعي قال عيسى بن عمر قال ذو الرمة قاتل الله أمة آل فلان ما
كان أفصحها سألتها كيف كان المطر عندكم قالت غثنا ما شئنا . وأنا رأيت عبدا أسود لبني
أسيد قدم عليهم من شق اليمامة فبعثوه ناطورا وكان وحشيا مجرما لطول تعربه كان في الإبل
وكان لا يلقى إلا الأكرة فكان لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم فلما رآني سكن إلي وسمعته
يقول لعن الله بلادا ليس فيها عرب . قاتل الله الشاعر حيث يقول

حر الثرى مستعرب التراب . أبا عثمان إن تميم العرب في جميع الناس كمقدار
الغرة في جميع جلد الفرس فلولا أن الله رق عليهم فجعلهم في حاشية لطمست هذه العجمان
آثارهم أترى الأعيار إذا رأت العتاق لا ترى لها فضلا والله ما أمر الله نبيه بقتلهم إذا أضعفه
بهم ولا ترك قبول الجزية منهم إلا تنزيها لهم . قال الأحنف أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء
من الفرار . قال ولما مات أسماء بن خارجة الفزاري فبلغ الحجاج موته قال هل سمعتم بالذي
عاش ما شاء ثم مات حيث شاء . وقال مسلم بن قتيبة رب المغرم أشد من الشراء . أبو هلال
عن قتادة قال قال الأسود إذا أردت أن تكذب صاحبك فلقنه . وقال أبو الأسود إذا
أردت أن تعظم فمت . وقال أبو الأسود إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا . قال
قيل لأعرابي ما يدعوك إلى نومة الضحى قال مبردة في الصيف مسخنة في الشتاء . وقال أعرابي
آخر نومة الضحى مجرة منخرة مجفرة . وجاء في الحديث الولد مجبنة مبخلة . قال
ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال أما والله لئن أثرتموه لتمسكن منه
بذنابي عيش أغبر . وقال أسماء بن خارجة إذا قدمت المصيبة تركت التعزية . وقال إذا
قدم الإخاء قبح الثناء . وقال إسحق بن حسان لا تشمت الأعداء ولا الأحبة فجاءت الفرما
وسئل أعرابي عن ناقة له فقال هو السارح الآخر الرائح الباكر الحالب العاصر الحالب
الكاذب . قال وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده ليكن أول ما تبدأ به من
إصلاح بني إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت
والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه
ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام
الكلام في السمع مضلة للفهم وتهددهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء

قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء وروهم سير الحكماء واستزدني بزيادتك إياهم أزدك
وإياك أن تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك لي إن شاء الله . محمد بن حرب الهلالي قال
كتب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي إلى المهدي يعزيه على ابنته أما بعد فإن أحق من عرف حق الله
عليه فيما أخذ منه من عظم حق الله عليه فيما أبقى له واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك وأن الباقي
بعدك هو المأجور فيك وإن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه
وقال سهل بن هرون التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وقال طلحة بن عبد
القدوس . لو يكن ما به أصبت جليلا . لم يكن عاب رزئي فيه الجليل . وقال لقمن
لابنه يا بني إياك والكسل والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق .
قال وكان يقال أربع لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفا أو أميرا قيامه من مجلسه لأبيه
وخدمته للضيف وقيامه على فرسه وخدمته للعالم . وقال بعض الحكماء إذا رغبت في المكارم فاجتنب
المحارم . وكان يقال لا تغترن بمودة الأمير إذا غشك الوزير . وكتب آخر أما بعد فقد
كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا ترض إلا بالكل منا لك . ووصف بعض البلغاء اللسان فقال في
اللسان عشر خصال أداة يظهر بها حسن البيان وشاهد يخبر عن الضمير وناطق يرد به الجواب وحاكم
يفصل به الخطاب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الأشياء ومعز
ينفى به الحزن ومؤنس تذهب به الوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع
يحرث المودة وحاصد يستأصل الضغينة وملهي يونق الأسماع . وقال بعض الأوائل إنما الناس
أحاديث فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل . ولما وصل عبد العزيز بن زرارة إلى
معوية قال يا أمير المؤمنين لم أزل أستدل بالمعروف عليك وأمتطي النهار إليك فإذا ألوى بي
الليل فقبض البصر وعفى الأثر أقام بدني وسافر أملي والنفس تلوم والاجتهاد يعذر وإذا
بلغتك فقطني . قال وقال لقمن ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم إلا عند
الغضب ولا الشجاع إلا في الحرب ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك إليه . وقال أبو العتاهية
أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه . فإذا احتجت إليه ساعة مجك فوه
وقال علي بن الحسين لابنه يا بني اصبر على النائبة ولا تتعرض للحقوق ولا تجب أخاك إلى شيء
ضرره عليك أعظم من منفعته له . وقال الأحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات
وقال رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه . وقال من كثر كلامه كثر سقطه . ومن
طال صمته كثرت سلامته . وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من جعل دينه غرضا
للخصومات أكثر التنقل . وقال محمد بن حرب الهلالي عن أبي الوليد الليثي قال خطب صعصعة
بن معوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة وهي أم عامر بن صعصعة فقال يا
صعصعة إنك أتيتني تشتري مني كبدي وأرحم ولدي عندي فخطت أو رددتك والحسيب

في الحسب والزوج الصالح أبٌ بعد أب وقد أنحلتكم خشيته ألا أجد مثله أبرّة من السر إلى العلانية
أنفع ابنا وأدوع ضيعًا فوثّا بالمعشر حذوا إن خرجت من بيتي ظهركم كرمتكم من غير رهبة ولا
رغبة فإن قسم لو قسم الحظوظ ما ترك الأول للآخر ما يعيش به. قال وقال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكنّ لها أهلا لا يرجون أحد منكم إلا
ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وإذا لم يعلم الشيء
أن يتعلمه واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس ذهب الجسد
وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان. قال وقال الأصمعي أثنى رجل على علي بن أبي طالب
فأفرط فقال علي وكان يتهمه أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. وقال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه قيمة كل إنسان ما يحسن. وقال له سلمة الأشتر كيف وجد أمير المؤمنين امرأته
قال كالخير من امرأة حرّة قبلاء قال وهل يريد الرجال من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين قال لا
حتى تدفئ الضجيع وتروي الرضيع. قال ووقف رجل على عامر الشعبي فلم يدع قبيحا إلا
رماه به فقال له عامر إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا فغفر الله لي. وقال إبراهيم
النخعي لسليمان الأعمش وأراد أن يماشيه فقال إن الناس إذا رأونا معا قالوا الأعور والأعمش
قال وما عليك أن يأثموا ونؤجر قال إبراهيم وما علينا أن يسلموا ونسلم. قال أبو الحسن كان هشام
بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب قال إن كانت السفن لتجري في جوده. قال مكتوب في
الحكمة التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والوحدة خير من قرين السوء. قال وكان
مسلمة بن عبد الملك يقول ما أشرّ طعام الكبير وينشد قول الشاعر

وتروض عرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم

وقال صالح المري
كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول ومن خطاء الكلام أشد حذرا من خطاء السكوت
وقال الحسن بن هانئ

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام
إنما السالم من ألجم ... فاه بلجام

قال أبو عبيدة وأبو الحسن تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فأسهبوا
في القول ثم افترع المنطق رجل من أخريات الناس فجعل لا يخرج من حسن إلا إلى أحسن
منه فقال مسلمة ما شبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء إلا بسحابة لبدت عجاجة. وقال
أبو الحسن علم أعرابي بنيه الحزم فقال ابتغوا الخلاء وأبعدوا من الملا واعلوا الضراء
واستقبلوا الريح وأجحوا إجحاء النعامة وامتسحوا بأشملكم. ويروى عن الحسن أنه قال
لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني
إذا أنا مت فسودوا أكابركم ولا تسودوا أصاغركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم
وعليكم باستصلاح المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس

فإنها

مولى الأشعث بن قيس

أخرى

فإنها أخر كسب الرجل. سئل دغفل النسابة عن بني عامر بن صعصعة فقال أعناق ظباء
وأعجاز نساء قيل فتميم قال حجر أخشن إن قاومته آذاك وإن تركته أعفاك قيل
فاليمن قال سيود وأنوك. قال وكانوا يقولون لا تستشيروا معلما ولا راعي غنم ولا كثير
القعود مع النساء. عقال بن شبة قال كنت رديف أبي فلقيه جرير على بغل فحيا أبي
وألطفه فقلت له أبعد ما قال لنا ما قال. قال يا بني أفأوسع جرحي. قال ودعا جرير رجلا
من شعراء بني كلاب إلى مهاجاته فقال الكلابي إن نسائي بأبياتهن ولم تدع الشعراء في نسائك
مترقعا. وقال جرير أنا لا أبتدي ولكني أعتدي. قال وكان الحسن في جنازة فيها نوائح
ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع
ذلك في دينك. قال أبو عبيدة لقي المخبل القريعي الزبرقان بن بدر فقال كيف كنت بعدي أبا
شذرة قال كما يسرك مخيلا مجربا. قال وكان عبد الملك بن مروان يقول جمع أبو زرعة يعني
روح بن زنباع طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز. وذكر لعمر بن
الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم فقال عمر حرفة أحدهم أشد علي من عيلته. وقال
عمر بن الخطاب حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس. وقال زياد لو أن لي ألف ألف درهم
ولي بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ولو أن عندي عشرة دراهم لا أملك غيرها
ولي حق لوضعتها فيه. وقال عمرو بن العاص البطنة تذهب الفطنة. وقال معاوية
بن أبي سفيان ما رأيت رجلا مستهترا بالنساء إلا تبينت ذلك في منّته. قال الأصمعي قال
أبو سليمان الفقعسي لأعرابي من طيء أيلام ابنك جمل قال لا وحرمته في السماء ما أدري
والله ما الملامة أن تشتال به وما أتيتهما إلا وهي ضبعة. قال أبو الحسن لما ابتنى يزيد بن
المهلب بستانا بخراسان في داره فلما ولي قتيبة خراسان جعله لإبله فقال له مرزبان
مرو إن هذا كان بستانا وقد اتخذته لإبلك فقال قتيبة إن أبي كان اشتربان يعني رئيس
الجمالين وأبو يزيد كان بستانبان. قال وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوما
لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذاك قال لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر
قال له لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب. قال ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح
المري فقال إن كانت مصيبتك في ابنك أحدثت لك عظة في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم
من مصيبتك في ميتك. قال وعزى عمرو بن عبيد أخاه على ابن مات له فقال ذهب أبوك
وهو أصلك وذهب ابنك وهو فرعك فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه. قال وكان
يزيد بن عمر بن هبيرة يقول اجزروا الحديث كما يجزره سلم بن قتيبة. قال وقال رجل
من بني تميم لصاحب له أتعجب ممن يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقه عليه. وعذل
عاذل شعيب بن زياد على شرب النبيذ فقال لا أتركه حتى يكون شر عملي. وقال المأمون

استر به ما استشفعته حتى اذا اسهل عليك فاتركه . وقال النبي عليه السلام اذا كتب احدكم
فليترب كتابه فان التراب مبارك وهو انجح للحاجة . ونظر صلى الله عليه الى رجل في الشمس
فقال تحول الى الظل فانه مبارك . وقال المغيرة بن شعبة لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب
وكان يقال ترك التعجب من العجب اعجب من التعجب من غير العجب . قال وقدم سعيد بن العاص على معوية
فقال كيف تركت ابا عبد الملك فقال منفذا لامرك ضابطا لعملك فقال معوية انما هو كصاحب
الخبزة كفي انضاجها فاكلها فقال سعيد كلا انه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كوقع النبل
سهما له وسهما عليك قال فما باعد ما بينك وبينه قال خفته على شرفي وخافني على مثله قال
فاي شيء كان له عندك في ذلك قال اسوءه حاضرا واسره غائبا قال يا ابا عثمن تركتنا
في هذه الحروب قال نعم تحملت الثقل وكفيت الحزم وكنت قريبا لو دعيت لاجبت ولو
امرت لاطعت . قال معوية يا اهل الشام هولاء قريش وهذا كلامهم . قال وكان الحجاج
يستثقل زياد بن عمرو العتكي فلما اثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك والحجاج حاضر قال
زياد يا امير المومنين ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي
لا تاخذه فيك لومة لايم فلم يكن بعد ذلك احد احب الى قلبه منه . وقال شبيب بن شيبة
لسلم بن قتيبة والله ما ادري اي يوميك اشرف ايوم ظفرك ام يوم عفوك . قال وقال
غلام لابيه وقد قال له لست في ابنائي انا اشبه بك منك بابيك ولانت اشد تحصينا لامي
من ابيك لامك . قال وكتب عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر في الحاجة حين
الى رجل من اخوانه اما بعد فقد عاقني الشك في امرك عن عزيمة الراي فيك ابتداتني بلطف
من غير خبرة ثم اعقبتني جفاء من غير ذنب فاطمعني اولك في اخايك وايسني اخرك من
وفايك فلا انا في اليوم مجمع لك اطراحا ولا انا في غد وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء
كشف بايضاح الراي في امرك عن عزيمة الشك فيك فاقمنا على ايتلاف او افترقنا على اختلاف
والسلام .

وكتب الى ابي مسلم ايضا من الحبس

من الاسير في يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه اما بعد فاتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية
والهمك عدل القضية فانك مستودع ودايع ومولى صنايع فاحفظ ودايعك بحسن صنايعك
فالودايع عارية والصنايع مرعية وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ولا مبلوغ
مداها فنبه للتفكر قلبك واتق الله ربك واعط من نفسك من هو تحتك ما تحب ان يعطيك
من هو فوقك من العدل والرافة والامن من المخافة فقد انعم الله عليك بان فوق امرك ما
النيل فاعرف لتانيس شكر المودة واغتفار مس المشقة والرضى بما رضيت والقناعة بما
هويت فان علينا من سمط الحديد وثقله اذى شديدا مع معالجة الاغلال وقلة رحمة
العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم

الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة
البلوى فمتى تمل الينا طرفا وترسل الينا منك عطفا تجد عندنا نصحا صريحا وودا صحيحا لا يضيع مثلك
مثله ولا ينبغي مثلك اهله فارع حرمة من ادركت بحرمته واعرف حجة من فلجت بحجته فان
الناس من حوضك رواء ونحن منه ظماء يمشون في الابراد ونحن نحجل في الاقياد بعد الخير
والسعة والخفض والدعة والله المستعان وعليه التكلان صريخ الاخيار منجي الابرار
الناس من دهرهم في رخاء ونحن منه في بلاء حين من الفارعون ورجع المقاربون رزقنا الله منك
التحنن وظاهر علينا منك التمنن فانك امين مستودع ورايد مصطنع . قال هشام بن
الكلبي حدثنا خلد بن سعيد عن ابيه قال شكت بنو تغلب السنة الى معوية فقال كيف
تشكون الحاجة مع اجتماع البكارة واختلاف المهارة . وقال ابن الكلبي

كتب معوية الى قيس بن سعد

اما بعد فانما انت يهودي
ابن يهودي ان ظفر احب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر ابغضهما اليك قتلك
ونكل بك وقد كان ابوك وتر قوسه ورمى غير غرضه فاكثر الحز واخطا المفصل فخذله قومه
وادركه يومه ثم مات طريدا بحوران والسلام .

كتبه له معوية وهو والي مصر لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه

فكتب اليه قيس بن سعد

اما بعد فانما انت وثن
ابن وثن دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد
كان ابي وتر قوسه ورمى غرضه وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ونحن
انصار الدين الذي خرجت منه واعداء الدين الذي دخلت فيه والسلام . وقال ابو عبيدة
وابو اليقظان وابو الحسن قدم وفد اهل العراق على معوية وفيهم الاحنف فخرج الاذن
فقال ان امير المومنين يعزم عليكم ان لا يتكلم احد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف
لولا عزمة امير المومنين لاخبرته ان رادفة دفت ونازلة نزلت ونايبة نابت ونابتة نبتت
كلهم بهم حاجة الى معروف امير المومنين وبره فقال حسبك يا ابا بحر فقد كفيت الغايب والشاهد
قال وقال غيلان بن خرشة للاحنف ما بقا ما في العرب قال اذا تقلدوا السيوف وشدوا العمايم
وركبوا الخيل ولم تاخذهم حمية الاوغاد قال وما حمية الاوغاد قال ان يعدوا التواهب
فيما بينهم ضيما . وقال عمر العمايم تيجان العرب . وقيل لاعرابي مالك لا تضع العمامة عن
راسك قال ان شيا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون . وقال علي رحمه الله جمال الرجل في
كمته وجمال المراة في خفيها . وقال الاحنف استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال . قال
وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه فقال الاحنف مالكم وماله ياكل رزقه ويحمل الارض
ثقله ويكفي قرنه . مسلمة بن محارب قال قال زياد لحرقة بنت النعمن ما كانت لذة ابيك قالت
ادمان الشراب ومحادثة الرجال . قال وقال سليمن بن عبد الملك قد ركبنا الفاره وتبطنا

نجشنا ولبسنا اللين حتى استخشناه وأكلنا الطيب حتى أجمناه ثم أنا اليوم إلى شيء أحوج
مني إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ، وأشاروا على عبيد الله بن زياد بالحقنة فتقحمها
فقالوا التمسوا لها مثل الطبيب فقال أنا بالصاحب آنس ، وقال معوية بن أبي سفيان للنجار
بن أوس العذري ابغني محدثا قال أو معي يا أمير المؤمنين قال نعم أستريح منك إليه ومنه
إليك ، قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي مريم الحنفي والله لا أحبك حتى تحب
الأرض الدم المسفوح قال فتمنعني لذلك حقا قال لا قال لا ضير ، وقال عمر لرجل همّ
بطلاق امرأته لم تطلقها قال لا أحبها قال أو كل البيوت بنيت على الحب فأين الرعاية والتذمم
قال وأتي عبد الملك بن مروان برجل فقال زبيري عميري والله لا يحبك قلبي أبدا قال
يا أمير المؤمنين إنما يبكي على الحب المرأة ولكن عدل وإنصاف ، عبد الله بن المبارك عن
هشام بن عروة قال نازع مروان ابن الزبير عند معوية فرأى ابن الزبير أن ضلع معوية
مع مروان فقال ابن الزبير يا أمير المؤمنين إن لك حقا وطاعة علينا وإن لك سطة وحرمة فينا
فأطع الله نطعك فإنه لا طاعة لك علينا إلا في حق الله ولا تطرق إطراق الأفعوان في أصول
السخبر ، أبو عبيدة قال قيل لشيخ مرة ما بقي منك قال يسبقني من بين يدي ويلحقني
من خلفي وأنسى الحديث وأذكر القديم وأنعس في الملإ وأسهر في الخلاء وإذا قمت قربت
الأرض مني وإذا قعدت تباعدت عني ، الأصمعي قال قلت لأعرابي معه ضاجعة من
شاء لمن هذه قال هي لله عندي ، قال ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعبا ودخل الكوفة
قال للهيثم بن الأسود النخعي كيف رأيت الله صنع قال قد صنع الله خيرا فخفف الوطأة
وأقل التثريب ، قال وقال ابن عباس إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله
قال وكانوا يستحبون أن لا يجيبوا في كل ما سئلوا عنه ، قال وقال ابن عمر من قال عند ما لا يدري
لا أدري فقد أحرز نصف العلم ، قال وقال ابن عباس إن لكل داخل دهشة فابدءوه
بالتحية ، واستشار رجل أبا سلم بن قتيبة فقال سلم لا ابن عونا أمر قد تخلصت منه
إلى الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه ، قال وكان يقال دعوا المعاذر فإن أكثرها
معاجز ، قال وقال إبراهيم النخعي لعبد الله بن عون تجنب الاعتذار فإن الاعتذار
يخالطه الكذب ، قال واعتذر رجل إلى أحمد بن أبي خالد فقال لأبي عباد ما تقول في هذا
قال يوهب له جرمه ويضرب على عذره أربع مائة ، وقد قال الأول عذره أعظم
من ذنبه ، قال وقيل لابن عباس ولد لعمر بن أبي ربيعة في الليلة التي مات فيها عمر بن
الخطاب فسمي باسمه فقال ابن عباس أي حق رفع وأي باطل وضع ، وقال عبد الله
بن جعفر لابنته يا بنية إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وإياك والمعاتبة
فإنها تورث الضغينة وعليك بالزينة والطيب واعلمي أن أزين الزينة الكحل والطيب

الطيب الماء ، قال ولما تنازع ابن الزبير ومروان عند معوية قال ابن الزبير يا معوية لا تدع مروان
يرمي جماهير قريش بمشاقصه ويضرب صفاتهم بمعاوله ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة
وأقل في نفوسنا من خشاشة ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقا تخافه فقال
معوية إن يطلب هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه وما أراكم
بمنتهين حتى يبعث الله إليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند ملمة يسومكم خسفا
ويوردكم تلفا ، فقال ابن الزبير إذن والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد
حافاتها الأسل لها دوي كدوي الريح تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة ، فقال
معوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عنفوان المكرع وليس
للآكل إلا الفلذة ولا للشارب إلا الرنق ، بكر بن الأسود قال قال الحسن بن علي لحبيب بن مسلمة
رب مسير لك في غير طاعة الله قال أما مسيري إلى أبيك فلا قال بلى ولكنك أطعت معوية على دنيا
قليلة فلعمري لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك ولو أنك إذ فعلت شرا قلت خيرا كنت
كما قال الله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنك كما قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال أبو الحسن سمعت أعرابيا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلث وخمسين ومائة وهو يقول
أما بعد فإنا أبناء سبيل وأنضاء طريق وفل سنة تصدقوا علينا فإنه لا قليل من الأجر ولا غنى عن
الله ولا عمل بعد الموت أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفي الصدر حزازة وفي القلب غصة ، وقال
الأحنف بن قيس يا بني تميم تحابوا تجتمع كلمتكم وتباذلوا تعتدل أموركم وابدءوا بجهاد بطونكم
وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم ، ومن كلام الأحنف السائر في أيدي الناس
الزم الصحة يلزمك العمل ، وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة نحن منابتنا
قصب وأنهارنا عجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب ، وقال الأحنف نحن أبعد منكم سرية
وأعظم منكم بحرية وأكثر منكم ذرية وأغذى منكم برية ، وقال أبو بكر الهذلي نحن أكثر
منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجاجا ، قال كتب صاحب لأبي بكر الهذلي إلى رجل
يعزيه عن أخيه أوصيك بتقوى الله وحده فإنه خلفك غدا وبعدك يوم القيامة وحده
والعجب كيف يعزي ميت ميتا عن ميت والسلام ، قال وقال رجل لابن عباس أيما أحب إليك
رجل قليل الذنوب قليل العمل أو رجل كثير الذنوب كثير العمل قال ما أعدل بالسلامة شيئا
وقال آخر جماعة صاحبي على أمرين ضررا منهما عليه ، شعبة أبو بسطام قال قال عبد الرحمن
بن أبي ليلى لا أماري أخي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه ، قال وأخذ على ابن أبي ليلى رجل
من جلسائه كلمة فقال ابن أبي ليلى أهد إلينا من هذا ما شئت ، قال ولما مات عمرو بن عبيد وابن
أبي ليلى قال أبو جعفر المنصور ما بقي أحد يستحيى منه ، قال ولما مات عبد الله بن عامر
قال معوية رحم الله أبا عبد الرحمن بمن نفاخر ، مسلمة بن محارب قال قال زياد ما قرأت

كتاب رجل وما الا عرفت عقله فيه . أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك
بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق قام خطيبا فقال إن أبا ذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون . ولما جاءه قتل مصعب بن الزبير قام خطيبا بعد خطبته
الأولى فقال إن مصعبا قدم أيره وأخر خيره، تشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حلبة أهل
الشام حتى غشيته في داره، ولئن هلك مصعب إن في آل الزبير خلفا منه . قال ولما قدم
ابن الزبير بفتح إفريقية أمره عثمان فقام خطيبا فلما فرغ من كلامه قال عثمان أيها الناس
انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن فإني لم أر في ولد أبي بكر الصديق أشبه به من هذا . قال
وسمع عمر بن الخطاب رحمه الله أعرابيا يقول اللهم اغفر لأم أوفى قال ومن أم أوفى
قال امرأتي وإنها لحمقاء مرغامة أكول قامة لا تبقي لها خامة غير أنها حسناء فلا تفرك وأم
غلمان فلا تترك . قال ودفعوا إلى أعرابية علكا لتمضغه فلم تفعل فقيل لها في ذلك فقالت
ما فيه إلا تعب الأضراس وخيبة الحنجرة . قال وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم
حين ورد عليه كتاب المنصور في القدوم عليه فلم يشر عليه بذلك فلما قتل أبو مسلم أذكره
ذلك فقال إني أخاف إبراهيم الإمام حدث عن أبيه محمد بن علي أنه قال لا يزال الرجل
يزداد في رأيه إذا انتصح لمن استشاره وكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك . وقال
الحمق والتغرير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحسن طلب الحاجة نصف العلم
قال وقال رجل لعمرو بن عبيد إني لأرحمك مما يقول الناس فيك قال أفتسمعني أقول فيهم
شيئا قال لا قال فإياهم فارحم . قال ومدح نصيب أبو الحجناء عبد الله بن جعفر فأجزل
له من كل صنف فقيل له أتصنع مثل هذا بمثل هذا العبد الأسود فقال أما والله لئن كان
جلده أسود إن ثناءه لأبيض وإن شعره لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وإنما أخذ
رواحل تنضى وثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى . قال ووقف أعرابي
في بعض المواسم فقال اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي وللناس تبعات قبلي فتحملها
عني وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعل قراي في هذه الليلة الجنة . قال
ووقف أعرابي فسأل قوما فقالوا له عليك بالصيارفة قال هناك والله قرارة اللؤم . وقال
مسلمة ثلاثة لا أعذرهم رجل أحفى شعره ثم أعفاه، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها، ورجل
كان عنده سراري فتزوج حرة . أبو إسحق قال قال حذيفة كن في الفتنة كابن لبون
لا ظهر فيركب ولا لبن فيحلب . وقال الشاعر وليس هذا الباب في الخبر الذي قبل هذا
ألم تر أن الناب تحلب علبة ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر
عتبة بن معروف قال قلت لرؤبة كيف خلفت ما وراءك قال التراب يابس والمرعى عابس
قال وقال معوية بن أبي سفيان لابن عباس إني لأعلم أنك واعظ نفسه ولكن المضرور

إذا لم ينفث جوي . قال وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أتقول الشعر مع
النسك والعقل والفقه قال لا بد للمصدور من أن ينفث . قال أبو الذيال قال سويس أنا والله
العربي لا أرقع الجربان ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة ولأنا أنسى من حجر وما قدمي
إلا الكرم . أبو الحسن وغيره قال قال عمرو بن عتبة بن أبي سفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك
ومعه بالبخراء من أرض حمص يا أمير المؤمنين إنك تستنطقني بالأنس بك وأكف عن ذلك
بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك أفأسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل ذلك
مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه وتعود فتقول قال فقتل بعد أيام .
قال كان أيوب السختياني يقول لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف . قال بعضهم
كنت أجالس ابن صعير في النسب فجلست إليه يوما فسألته عن شيء من الفقه فقال ألك بهذا
حاجة عليك بذاك وأشار إلى سعيد بن المسيب فجلست إليه فلا أظن أرجع إلا غيره، ثم تحولت
إلى عروة فثقبت به ثبج بحر . قال وقلت لعثمان البتي دلني على باب الفقه قال اسمع الاختلاف
قال وقيل لأعرابي عند من تحب أن يكون طعامك قال عند أم صبي راضع أو ابن سبيل شاسع
أو كبير جائع أو ذي رحم قاطع . وقال بعضهم إذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة . قال
قلت فمن أسوأ الناس حالا قال من اتسعت معرفته وبعدت همته وقويت شهوته وضاقت
مقدرته . وذكر عند عائشة الشرف فقالت كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل
لؤم دونه شرف فالشرف أولى به . قال ودخل رجل على أبي جعفر فقال له اتق الله وأكرم
وجهه فقال يا أمير المؤمنين عليكم نزلت ولكم قيلت وإليكم ردت . وقال رجل عند
مسلمة ما اشتهينا من حائط كسرة حتى جاء ماهر المروي فقال مسلمة أتقول هذا الرجل
سار إليه فيعاقب نيش في نفسه والعباس بن الوليد إن يزيد بن المهلب كان عظيما
وما تكرما . عبد الله بن الحسن قال قال علي بن أبي طالب رحمه الله خصصنا بخمس فصاحة
وصباحة وسماحة ونجدة وحظوة يعني عند النساء . علي بن مجاهد عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عائشة قالت جبلت القلوب قلوب الناس على حب من أحسن إليها وبغض
من أساء إليها . وقال الأصمعي كتب كتاب حكمة فبقيت منه بقية فقالوا ما نكتب فيه
فقال اكتبوا يسأل عن كل حاجة أهلها . وقال شبيب بن شبة للمهدي إن الله لم
يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك . قال
يحيى بن أكثم سياسة القضاء أشد من القضاء وقال إن من إهانة العلم أن تجاري فيه
كل من جاراك . قال وحمل رقبة بن مصقلة من خراسان رجلا إلى أمه خمس مائة درهم
فأبى الرجل أن يدفعها إليها حتى تكون معها البينة أنها أمه فقالت لخادم لها اذهبي حتى
تأتيني ببعض من يعرفنا فلما أتاها الرجل بدرت وقالت الحمد لله وأشكو إلى الله الذي أبرزني

وشمّر بالفاقة أهلي فلما سمع كلامها قال أشهد أنك أمة فردي الخادم فلا حاجة بنا الآن إلى التي
بالبينة • قال وكان الحسن يقول في خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد
فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة
من دينه ومنهاج واضح من أمره وقد خطب إليكم فلان وعليه نعمة من الله • عامر بن سعد
قال سمعت ابن يعمر يعني عبد الرحمن على بعض نسائه فقال وهو قائم على قبر مما لا يقصر
بعقل ولا يوحش بينته ولا يضع آخره رحمه الله وهو قائم واحسن الخلافة عليك • وقال
عمر بن الخطاب رحمه الله خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته
يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم • قال ولما أتى مصعب بن الزبير على طول
خطبته عشية عرفة فقال أنا قائم ومنكم جلوس وأتكلم ومنكم سكوت وتحصرون • وقال
موسى بن يحيى كان يحيى بن خالد يقول ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل
على مقدار عقل كاتبه والرسول على مقدار عقل مرسله والهدية على مقدار عقل مهديها
قال وذكر أعرابي أميرا فقال يقضي بالعشوة ويطيل النشوة ويقبل الرشوة
وقال يزيد بن الوليد إن النشوة تحل العقدة وتطلق الحبوة • وقال إياكم والغناء
فإنه مفتاح الزنا • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا توجه أحدكم في وجه
ثلاث مرات فلم يصب خيرا فليدعه • وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تكونن
كمن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر الناس بما
لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة
ذنوبه ولا يدعها في طول حياته • قال أعرابي خرجت حين انحدرت أيدي النجوم
وشالت أرجلها فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع الفجر • قال وسألت أعرابيا عن
مسافة ما بين بلدين فقال عمر ليلة وأديم يوم • وقال آخر سواد ليلة وبياض يوم
وقال بعض الحكماء لا تبصر أحب امرأة لا تعرفها • وقال رجل لأبي الدرداء فلان
يقرئك السلام فقال هدية حسنة ومحمل خفيف • قال وسمع عمر بن ذر ناجية مسلم فقيل
له إن من غل يأتي بما غل يوم القيامة يحمله على عنقه قال إذا والله أحملها طيبة الريح
خفيفة المحمل • قال ومن البخل ترك رد السلام • وقال ابن عمر لعمري إني
لأرى حق رجع الكتاب كرد السلام وجاء رجل إلى سلمان فقال يا أبا عبد الله فلان
يقرأ عليك السلام قال أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك • قال مثنى بن
زهير لرجل احفظ بكتابي حتى توصله إلى أهله فمن العجب أن الكتاب ملقى والسكران
موثق • وكان عبد الملك بن الحجاج يقول لأنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل
وقال إياك ومصاحبة الأحمق فإنه ربما أراد أن ينفعك فضرك • وكتب الحجاج إلى عامل

له بفارس ابعث إليّ بعسل من عسل خلار من النحل الأبكار من الدستفشار الذي لم تمسه
النار • وقال الشاعر • وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل
قال ونظر أبو الحارث جمين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
لو أن هذا البرذون متملج ما فعل به هذا • عمرو بن بحر قال قال سلم بن قتيبة
رب المعروف أشد من ابتدائه • وقال محمد بن واسع إبقاء على العمل أشد من العمل • وقال
يحيى بن أكثم سياسة القضاء أشد من القضاء • وقال محمد بن محمد الحمراني من التوقي ترك
الإفراط في التوقي • وقال أبو فروة الجوع للحمية أشد من العلة • وقال الحمار إن الحمية
إحدى العلتين • وقال العتبي من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه وفي شك مما يأمل
من الصحة • وذكر أعرابي رجلا فقال حمى المبتلي حنوط المعافى • وقال عمرو اعتبر
عزمه بحميته وحزمه بمتاع بيته • وقالوا أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد
وشدة الاعتذار • وقيل لرجل من الحكماء ما جماع البلاغة قال معرفة السليم من المعتل
وفصل ما بين المضمن والمطلق وفرق ما بين المشترط والمفرد وما يحتمل التأويل من المنصوص
المقيد • وقال سهل بن هرون في صدر كتاب له واجب على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد
قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها • وقال أبو السلام

إنا وجدنا الناس عودين طيبا وعودا خبيثا لا يبض على العصر
تزين الفتى أخلاقه وتشينه وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

وقال آخر في مثل هذا المعنى

سابق إلى الخيرات أهل العلى فإنما الناس أحاديث
كل امرئ في شأنه كادح فوارث منه وموروث

ولما قال حمل بن بدر لبني عبس والأسنة في ظهورهم والبوارق فوق رؤوسهم نوديه
السبق وندى الصبيان وتخلون بيننا وتسوقون العرب أنتم حذيفة وقال
أوليائه والكلام المأثور • وقال الشاعر

اليوم حمر ويثني في عد حية والله منشر من بين أنعام وأوباس

قال وقال أعرابي إن المسافر ومتاعه لعلى قلت إلا ما وقى الله • وقالوا السفر قطعة
من العذاب وصاحب السوء قطعة من النار • قال وجلس معوية رضي الله عنه بالكوفة
يبايع على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجاءه رجل من بني تميم فأراده على
ذلك فقال يا أمير المؤمنين نطيع أحياكم ولا نبرأ من موتاكم فالتفت إلى المغيرة فقال
إن هذا رجل فاستوص به خيرا • وقال الشاعر

قالت أمامة يوم برقة واصل يا ابن الغدير لقد جعلت تغير

أصبحت بعد زمانك الماضي الذي ممتن شيبته وعظته أكثر
شنجا على متن العصا ومشيعا لا تبتغي خبرا ولا تستخبر

وقالوا كان شريح في الفتنة يستخبر ولا يخبر. وكان الربيع بن خثيم لا يخبر ولا يستخبر وكان مطرف بن عبد الله يستخبر ويخبر. قالوا فينبغي أن يكون أعقلهم. وقال أبو عبيدة كان ابن سيرين لا يستخبر ولا يخبر وأنا أخبر وأستخبر. وقال أبو عمرو بن العلاء لا أمثل الكوفة لكن خلقة النبط وصلفهم ولنا أملاك فارس وأحلامهم. وأنشد الحارث بن حلزة اليشكري

لا أعرفنك إن أرسلت قافية تلقي المعاذير إن لم تنفع العذر
إن السعيد له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبر

ومعنى المعاذير ملامتنا على حد معنى قول الله تبارك وتعالى في القرآن بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره والمعاذير ها هنا الستور. وقال أراد رجل الحج فسلم على شعبة بن الحجاج فقال له أما إنك إن لم تعد الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك. قالوا كان علي رحمه الله بالكوفة فمنع الناس من القعود على ظهر الطريق فكلموه في ذلك فقال أدعكم على شريطة قالوا وما هي قال غض الأبصار ورد السلام وإرشاد الضال قالوا قد قبلنا فتركهم. وكان نوفل بن أبي عقرب لا يجلس على باب داره وكان عامرا بالمارة فقيل له إن في ذلك نشرة وصرف النفوس عن الأماني واعتبارا لمن اعتبر ومعتبرا لمن فكر فقال إن له لحقوقا نعجز عنها ابن خنتمة قالوا وما هي قال غض الطرف ورد التحية وإرشاد الضال وضم اللقطة والتعرض للطلاب الحوائج والنهي عن المنكر والشغل بفضول النظر الداعية إلى القول والعمل وعادة إن قطعتها اشتدت وحشتك وقطعت عن أمور من أولها. وقال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري دلني على جليس أجلس إليه قال تلك ضالة لا توجد. وقيل لبعض العلماء أي الأمور أمتع قال مذاكرة العلماء. وقيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة أي الأمور أمتع قال الأماني. وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو وقال عمر بن عدي بن أبي طحمة ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيد بن المهلب ما رأينا أحدا ظلم ظلمك ولا نصر نصرك فهل لك أن تعفو عفوك. قال وذم رجل رجلا فقال هو سيئ الروية قليل التقية كثير السعاية قليل النكاية. قال وقال معوية لمعوية بن حديج الكندي ما جرأك على قتل قريش قال ما أنصفتمونا تقتلون حلماءنا وتلوموننا على قتل سفهائكم وهو الذي قال لأم الحكم بنت أبي سفيان والله لقد نكحت فما استكرمت وولدت فما أنجبت. قال أبو بكر بن مسلمة عن أبي إسحق القيسي قال لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه وإن كان في فيه

فليلفظه وإن كان في صدره فلينفثه فعجب الناس من حسن ما فصل فقال ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم وما نجد إسنادا حسنا إلا منهم. عنبسة القطان قال شهدت الحسن وقال له رجل بلغنا أنك تقول لو كان علي يأكل الحشف بالمدينة لكان خيرا له مما صنع فقال الحسن يا لكع أما والله لقد فقدتموه سهما من مرامي الله غير سؤوم لأمر الله ولا سروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله فأحل حلاله وحرم حرامه حتى أورده ذلك رياضا مونقة وحدائق مغدقة ذاك ابن أبي طالب يا لكع. يزيد بن عقال قال سمعت عبد الملك بن صالح يوصي ابنه وهو أمير سرية ونحن ببلاد الروم فقال له أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تجر وإلا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك. وقال بعض الحكماء لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو لمخافة فحشه والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه فإذا اصطنعت إلى الكرام فازرع المعروف واحصد الشكر. قال وواضع المعروف في غير أهله كالمسرج في الشمس والزارع في السبخ ومثله البيت السائر في الناس

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاق الذي لاقى مجير أم عامر

وقالوا من لم يعرف سوء ما يولي لم يعرف حسن ما يولي. وقال ابن بلدة صاحب الصرح الذي اتخذ سلما لمناجاة الرب وهو الذي كان يقول من ضعة فاطمة القطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلم تجمع ويكثر ويجزين بالنعمة ثوابا وبالشيء عقابا إن من في الأرض عبيد لمن في السماء ملكت جزاءه وقبلت إياه وكذلك الصلاح والفساد من يشاء وأتبعوه ومن غوى فلا يضره كل شاة برجلها معلقة وإياه عنى الشاعر بقوله

ونحن إياد عبيد الإله ورهط مناجيه في السلم
ونحن ولاة حجاب العتيق زمان الرعاف على جرهم

تعزية امرأة للمنصور على أبي العباس مقدمه من مكة

قالت أعظم الله أجرك فلا مصيبة أجل من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك. وقال عثمن بن خريم للمنصور حين عفا عن أهل الشام في إخلابهم مع عبد الله بن علي عمه يا أمير المؤمنين لقد أعطيت فشكرت وابتليت فصبرت وقدرت فغفرت. وقال آخر يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين. وقال آخر من انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ أقصى حقه وإذا انتقمت فقد انتصفت وإذا عفوت فقد تطولت ومن أخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ولم يذكر في العالمين فضله وكظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي طرف من العجز ومن رضي ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا ستر

رفيق وجواب ضعيف فلم يجزم في تفضيل الحلم وفي ايراد شيئا من تزايد ثم وافي الظلم ولم
تر أهل الشتم والمنسوبين إلى الجهل والبغي مدحوا الحلم بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن
الصفح وبكثرة الاغتفار وشدة التغافل وبعد فالعفو مستعد العداوة الأولياء المذنب
والعقاب مستزع لشكرهم آمن من مكافاتهم أيام قدرتهم ولأن يثني عليك باتساع الصدر
خير من أن يثني عليك بضيق الصدر على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لإقالة عثرتك
من رب عباد الله وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله
قال والموت الفادح خير من اليأس الفاضح وقال الآخر ما أقل من الرجاء فقال الآخر بل
اليأس المريح . وقال عبد الله بن وهب الراسبي إن الرأي حرام الجواب مضلة للصواب
وليس الرأي بالارتجال وليس الحزم بالاقتضاب فلا تدعونك السلامة من خطاء موبق أو غنيمة
نلتها من صواب نادر إلى معاودته والتماس الأرباح من قبله إن الرأي ليس بنهبا
وخمير الرأي خير من فطيره ورب شيء غابه خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه
ولما قدم بعبد الجبار بن عبد الرحمن إلى المنصور قال يا أمير المؤمنين قتلة كريمة قال
تركتها وراءك يا ابن اللخناء . ولما اختال أبو الأزهر المهلب بن عبيثر المهري لعبد
الحميد بن ربعي بن خلد بن معدان وأسلمه إلى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد إلى المنصور
وطار إلى المنصور قال لا عذر فأعتذر وقد أحاط بي الذنب وأنت أولى بما ترى قال لست
أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم قال إن لم يكن فيّ مصطنع فلا حاجة
لي في الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اخرج فإنك جاهل
وأنت عتيقهم ما حييت . قال زياد بن ظبيان التيمي لابنه عبيد الله بن زياد وزياد
يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام ألا أوصي بك الأمير زيادا قال لا قال ولم قال
إذا لم تكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت . ودخل عمرو بن سعيد على معوية
بعد موت أبيه وعمرو بن سعيد غلام فقال له معوية إلى من أوصى بك أبوك قال إن
أبي أوصى إلي ولم يوص بي قال وبأي شيء أوصاك قال أوصاني أن لا يفقد إخوانه منه
إلا وجهه فقال معوية لأصحابه إن ابن سعيد هذا لأشدق . قال ولما داهن
سفيان بن معوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصار سفيان إلى المنصور
أمر الربيع بخلع سواده ووقف به على رؤوس اليمانية في المقصورة في يوم الجمعة ثم قال
يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده والذي
حاول من الفتنة والغدر والبغي وشق العصا ومعاونة الأعداء وقد رأى أمير المؤمنين
أن يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم . قال يونس بن حبيب المعجم يأتيه دون
ما يرضى ويطلب فوق ما يقوى . وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحريين فقال

البحر كثير العجائب وأهله أصحاب زوائد فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق وأدخلوا ما لا يكون
في باب ما قد يكون فجعلوا التصديق بالناس لهم في غرائب الأحاديث سلما إلى ادعاء المحال . وقال
بعض العرب حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن بني إسرائيل ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج
وجاء في الحديث كفى بالمرء حرصا ركوبه البحر . وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يصف
له البحر فقال يا أمير المؤمنين البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دود على عود . وقال
الحسن إملاء الخير خير من الصمت والصمت خير من إملاء الشر . وقال بعضهم مروا الأحداث
بالمراء والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت . عبد الله بن شداد قال أرى داعي الموت
لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب قد كان
مرغوبا إليه وطالب أصبح مطلوبا إليه والزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان
وإن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على حال وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا
أقل ما تكون في الباطن مالا . وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى وكف
الأذى ونصر المولى . وقيل لشيخ أي شيء أنت قال من طال أمده وكثر ولده ودق عظمه
وذهب جلده وذهب شبابه . وقال زياد ما يعرف من الجاهل كثرة الالتفات وسرعة الجواب
وقال عبد الرحمن بن أم الحكم لولا ثلث ما باليت متى مت تزاحم الأحرار إلى طعامي وبذل
الأشراف وجوههم لي في أمر أجد إليه السبيل وقول المنادي في الغلاء أيها الأمير . وقال
ابن الأشعث لولا أربع خصال ما أعطيت بشرا طاعة لو ماتت أم عمران يعني أمه ولو شاب
رأسي ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسي صغيرا . وقال معوية أعنت على علي بثلاث
خصال كان رجلا يظهر سره وكنت كتوما لسري وكان في أخبث جند وأشده خلافا وكنت
في أطوع جند وأقله خلافا وخلا بأصحاب الجمل فقلت إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهنا
في دينه وإن ظفروا به كانوا أهون علي شوكة منه وكنت أحب إلى قريش منه فكم شئت من جامع
إلي ومفرق عنه . جهم بن حسان السليطي قال قال رجل للأحنف دلني على حمد بلا مرزئة
قال الخلق السجيح والكف عن القبيح ثم اعلموا أن أدوأ الداء اللسان البذي والخلق الردي
وقال محمد بن حرب الهلالي قال بعض الحكماء لا يكونن منكم المحدث لا ينصت له ولا الداخل في سر
اثنين لم يدخلاه فيه ولا الآتي الدعوة لم يدع إليها ولا الجالس المجلس لا يستحقه ولا الطالب
الفضل من أيدي اللئام ولا المتعرض للخير من عند عدوه ولا المتحمق في الدالة

باب من ممزوج الكلام

قالوا قال رسول الله صلى الله
عليه في معوية رضي الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب . وقال رجل من بني
أسد مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه فقام إليه شيخ منا فقال اصبر أبا أمامة فإنه
فرط افترطته وخير قدمته وذخر ادخرته . فقال مجيبا له ولد دفنته وثكل تعجلته

وعيّب وعزّته والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد . قال الأصمعي قال ابن قيصر
خير الخيل الذي إذا استدبرته جبا وإذا استقبلته أقعى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى
ردى وإذا عدا دحا . ونظر ابن قيصر إلى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فأشار إلى فرس
منها فقال تجيء هذه سابقة قالوا وكيف قال رأيتها مشت فكتفت وخبّت فوجفت وعدت
فنشعت . وذكر امرأة تزوجها فقالت ذهب ذفره وأقبل بخره وفتر ذكره . وكان مالك
بن الأخطل قد بعثه أبوه ليسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال جرير
يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر فقال الذي يغرف من بحر أشعرهما

فقد كتبنا من مقطّعات الكلام وقصار الأحاديث بقدر ما أسقطنا

به مؤونة الخطب الطوال وسنذكر من الخطب المشهورة إلى أن يأتيها مقدار ما لا يستفرغ مجهود
من قرأها ثم نعود بعد ذلك إلى ما قصر منها وخفّ وإلى أبواب قد تدخل في هذه الجملة وإن لم
تكن مثل هذه بأعيانها والله الموفّق . قال أبو الحسن عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن
أبي بكر عن خالد بن صفوان قال دخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز مع العامّة
فلم يفجأ عمر إلا وهو ماثل بين يديه يتكلّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله
خلق الخلق غنيًّا عن طاعتهم آمنًا لمعصيتهم والناس يومئذ في المنازل والرأي مختلفون
والعرب بشرّ تلك المنازل أهل الوبر وأهل المدر تختار دون طيبات الدنيا ورفاغة
عيشها ميّتهم في النار وحيّهم أعمى مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه فلما أراد
الله أن ينشر فيهم رحمته بعث إليهم رسولًا منهم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه ولقّبوه في اسمه ومعه كتاب من الله ناطق
لا يرحل إلا بأمره ولا ينزل إلا بإذنه واضطرّوه إلى بطن غار فلما أمر بالعزمة أسفر لأمر
الله لونه فأفلج الله حجّته وأعلى كلمته وأظهر دعوته ففارق الدنيا تقيًّا نقيًّا صلى الله
عليه وسلم . ثم قام بعده أبو بكر رحمه الله فسلك سنّته وأخذ بسبيله وارتدّت العرب
فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه إلا الذي كان قابلًا منهم فانتضى السيوف
من أغمادها وأوقد النيران من شُعَلها ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل فلم يبرح
يفصل أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم حتى أدخلهم في الذي خرجوا منه وقرّرهم
بالذي نفروا منه وقد كان أصاب من مال الله بكرًا يرتوي عليه وحبشيّة ترضع ولدًا له
فرأى ذلك غصّة عند موته في حلقه فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه
وفارق الدنيا تقيًّا نقيًّا على منهاج صاحبه رحمة الله عليه . ثم قام من بعده عمر
بن الخطاب رحمه الله فمصّر الأمصار وخلط الشدّة باللين فحسر عن ذراعيه وشمّر
عن ساقيه وأعدّ للأمور أقرانها وللحرب آلتها فلما أصابه فتى المغيرة بن شعبة

أمر ابن عباس يسأل الناس هل يثبتون قاتله فلما قيل له فتى المغيرة استهلّ يحمد الله أن لا
يكون أصابه ذو حقّ في الفيء فيستحلّ دمه بما استحلّ من حقه وقد كان أصاب من مال الله بضعًا
وثمانين ألفًا فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده
وفارق الدنيا تقيًّا نقيًّا على منهاج صاحبيه رحمة الله عليه ثم إنك والله ما اجتمعنا
بعدهما إلا على ظلع ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها وألقمتك ثديها فلما
وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله فالحمد لله الذي جلا بك حوبتها وكشف بك كربتها
امض ولا تلتفت فإنه لا يغني من الحق شيء أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين
والمؤمنات قال ولما أن قال ثم إنك والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظلع سكت الناس كلهم
إلا هشامًا فإنه قال كذبت

خطبة عمر بن عبد العزيز

أبو الحسن قال حدثنا المغيرة
بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه قال خطب عمر بن عبد العزيز بخناصرة خطبة
لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثًا
ولم تتركوا سدى وإن لكم معادًا يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله
التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض واعلموا أن الأمان غدًا
لمن خاف ربه وباع قليلًا بكثير وفانيًا بباق ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها
من بعدكم الباقون كذلك حتى تردّ إلى خير الوارثين ثم أنتم في كل يوم تشيّعون غاديًا
ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيّبونه في صدع من الأرض ثم تدعونه غير
موسّد ولا ممهّد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب غنيًّا عما ترك فقيرًا إلى
ما قدّم وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي فأستغفر
الله لي ولكم وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سددناها ولا أحد منكم إلا وددت
أن يده مع يدي ولُحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم وايم الله أن لو أردت
غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان مني ناطقًا ذلولًا عالمًا بأسبابه ولكنه مضى
من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دلّ فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته ثم بكى
فتلقّى دموع عينيه بطرف ردائه ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد حتى قبضه الله

وخطبة أخرى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله

أما بعد فإنك
ناشئ فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدّت غمومها وتلوّنت مصايد عدوّ الله
فيها وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها فلن يهدّ عمودها ولن ينزع
أوتادها إلا الذي بيده ملك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم ألا وإن لله بقايا من عباده
لم يتحيّروا في ظلمتها ولم يشايعوا أهلها على شبهتها مصابيح النور في أفواههم تزهر

والسنتهم بحجج الكتاب تنطق وكبوا نحو السبيل وقاموا على العلم الاعظم ثم خصماء الشيطان
الرجيم وبهم يصلح الله البلاد وتدفع عن العباد فطوبى لهم وللمستضيئين بنورهم اسأل
الله ان يجعلنا منهم

خطبة ابي حمزة الخارجي

دخل ابو حمزة الخارجي مكة وهو احد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار
فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان
رسول الله صلى الله عليه كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وامره ووحيه انزل الله
له كتابا بين له فيه ما يأتي وما يتقي فلم يكن في شك من دينه ولا شبهة من امره ثم قبضه الله
اليه وقد علم المسلمين معالم دينهم وولى ابا بكر صلاتهم فولاه المسلمون امر دنياهم
فقاتل اهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رحمه الله وولي عمر بن الخطاب
فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفيء وفرض الاعطية وجمع الناس في شهر
رمضان وجلد في الخمر ثمانين وغزا العدو في بلادهم ومضى لسبيله رحمه الله ثم ولي عثمن
بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ثم سار في الست الاواخر بما احبط
به الاوائل ثم مضى لسبيله ثم ولي علي بن ابي طالب فلم يبلغ من الحق قصدا
ولم يرفع له منار ثم مضى لسبيله ثم ولي معوية بن ابي سفين لعين رسول الله وابن
لعينه اتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا ودينه دغلا ثم مضى لسبيله
ثم ولي يزيد بن معوية يزيد الخمور ويزيد القرود ويزيد الفهود الفاسق في بطنه
المابون في فرجه ثم اقتصهم خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر اعرض عنه ولم يذكره ثم قال
ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في بطنه المابون في فرجه الذي لم يؤنس منه رشد وقد قال
الله في اموال اليتامى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فامر امة محمد اعظم
ياكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة قومت بالف دينار قد ضربت فيها الابشار وهتكت
فيها الاستار واخذت من غير حلها حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا
اخذ الشراب منه كل ماخذ قد ثوبه ثم التفت الى احديهما فقال الا اطير نعم فطر الى لعنة
الله وحريق ناره واليم عذابه واما بنو امية ففرقة الضلالة وبطشهم بطش جبرية ياخذون
بالظنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب ويحكمون بالشفاعة وياخذون الفريضة
من غير موضعها ويضعونها في غير اهلها وقد بين الله اهلها فجعلهم ثمانية اصناف فقال
انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل فاقبل صنف تاسع ليس منها فاخذها كلها تلكم الفرقة الحاكمة
بغير ما انزل الله واما هذه الشيع فشيع ظاهرت بكتاب الله واعلنت الفرية على الله لم
يفارقوا الناس ببصر في الدين ولا بعلم في القرآن ينقمون المعصية على اهلها ويعملون

معنى قصمهم عابهم وذمهم ح
ثم قصمهم
تامه ح

88

اذا ولوا بها يصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها جفاة عن القرآن اتباع كهان
يؤملون الدول في بعث الموتى ويعتقدون الرجعة الى الدنيا قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم
قاتلهم الله انى يؤفكون ثم اقبل على اهل الحجاز فقال يا اهل الحجاز اتعيرونني باصحابي
وتزعمون انهم شباب وهل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا اما والله اني
لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق
ايديكم شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل ارجلهم
انضاء عبادة واطلاح سهر فنظر الله اليهم في جوف الليل منحنية اصلابهم على اجزاء القرآن
كلما مر احدهم باية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها واذا مر باية من ذكر النار شهق
شهقة كان زفير جهنم بين اذنيه موصول كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار
قد اكلت الارض ركبهم وايديهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله حتى اذا راوا السهام
قد فوقت والرماح قد اشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت
استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق
فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فاسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء
فكم من عين في منقار طير طال ما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت
عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ثم قال اه اه اه ثم بكى
ثم نزل

اوه اوه اوه ح

خطبة قطري بن الفجاءة

صعد قطري بن الفجاءة منبر الازارقة وهو احد بني مازن بن عمرو بن تميم فحمد الله واثنى عليه ثم قال
اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت
بالعاجلة وحليت بالامال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة
ضرارة وحائلة زائلة ونافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا هي تناهت الى امنية
اهل الرغبة فيها والرضى عنها ان تكون كما قال الله كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا مع ان امرءا لم يكن
منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا
ولم تطله غبية رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي
له خاذلة متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر عليه منها جانب واوبى وان
اتت امرءا من غضارتها ورفاهتها نعما ارهقته من نوائبها تعبا ولم يمس امرؤ منها
في جناح امن الا اصبح منها على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها
لا خير في شيء من زادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها
استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكي عينه كم واثق بها قد فجعته وذي طمانينة

خلبت ح

اولئنا قد صرعته وذي اختيال فيها قد خدعته وكم من ذي ابهة فيها قد صيرته حقيرا وذي
نخوة قد ردته ذليلا وكم من ذي تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق
وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام فطالبها سلع حيها بعرض
موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها
منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين
يدي الحكم العدل ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الستم
في مساكن من كان اطول منكم اعمارا واوضح منكم آثارا واعد عديدا واكثف جنودا
واعند عنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار
فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية او اغنت عنهم فيما قد املكتهم بخطب
بل قد ارهقتهم بالقوادح وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم بالمصائب وقد رايتم تنكرها
لمن دان لها واثرها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد الى آخر المسند هل زودتهم
الا الشقاء واحلتهم الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة
افهذه تؤثرون ام على هذه تحرصون ام اليها تطمئنون يقول الله من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في
الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فبئست الدار لمن اقام فيها
فاعلموا وانتم تعلمون انكم تاركوها لا بد فانما هي كما وصفها الله باللعب واللهو
وقد قال الله اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وذكر
الذين قالوا من اشد منا قوة ثم قال حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا
يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح اجنان ومن التراب اكفان ومن الرفات جيران
فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ان خصبوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا
جمع وهم آحاد جيرة وهم ابعاد متناؤون لا يزارون ولا يزورون حلماء قد ذهبت
اضغانهم وجهلاء قد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم وكما قال الله عز وجل
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين استبدلوا بظهر الارض
بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة
فرادى غير ان ظعنوا باعمالهم الى الحياة الدائمة والى خلود الابد يقول الله كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه
واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقنا واياكم اداء حقه

خطبة محمد بن سليمان يوم الجمعة وكان لا يغيرها

الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واؤمن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله

الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة
الوثقى وسعد في الآخرة والاولى ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر
خسرانا مبينا اسئل الله ان يجعلنا واياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه
ويجتنب سخطه فانما نحن له وبه . اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحثكم على طاعة الله
واوصي لكم ما عند الله فان تقوى الله افضل ما تحاث الناس عليه وتداعوا اليه
وتواصوا به فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتن الا وانتم مسلمون

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موت يزيد بن معوية وحين بلغه ان سلمة بن ذؤيب الرياحي قد جمع
الجموع يريد خلعه فقال يا اهل البصرة انسبوني فوالله ما مهاجر ابي الا اليكم وما مولدي
الا فيكم وما انا الا رجل منكم والله لقد وليكم ابي وما مقاتلتكم ان تعدون الفا فبلغ بهم
ثمانين الفا وما ذريتكم الا ثمانون الفا وقد بلغ بها عشرين ومائة الف وانتم اوسع الناس
بلادا واكثره جنودا وابعده مقادا واغنى الناس عن الناس انظروا رجلا تولونه امركم
يكف سفهاءكم ويجبي لكم فيئكم ويقسمه فيما بينكم فانما انا رجل منكم فلما ابوا
غيره قال اني اخاف ان يكون الذي يدعوكم الى تامير حداثة عهدكم بي

خطبة معوية

الهيثم بن عدي عن ابي بكر بن عياش
عن اشياخه قال لما حضرت معوية الوفاة ويزيد غائب دعا معوية مسلم بن عقبة المري
والضحاك بن قيس الفهري فقال ابلغا عني يزيد وقولا له انظر اهل الحجاز فهم اصلك
وعشيرتك فمن اتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعهده وانظر الى اهل العراق فان
سالوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل اهون عليك من سل
مائة الف سيف ثم لا تدري على ما انت عليه منهم ثم انظر اهل الشام فاجعلهم الشعار
دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمهم بهم فان اظفرك الله بهم فاردد اهل
الشام الى بلادهم ولا يقيموا في غير بلادهم فيتادبوا بغير ادبهم لست اخاف عليك
غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي فاما عبد الله بن عمر فرجل
قد وقذه الورع واما الحسين فاني ارجو ان يكفيكه الله بمن قتل اباه وخذل اخاه
واما ابن الزبير فانه خب ضب وفي غير هذه الرواية فان ظفرت بابن الزبير فقطعه
اربا اربا فمات معوية فقام الضحاك بن قيس خطيبا ثم قال ان امير المؤمنين معوية
كان انف العرب وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه فمن اراد
حضوره بعد الظهر فليحضر فصلى عليه الضحاك بن قيس ثم قدم يزيد ولده فلم

يقوم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فأنشأ يقول :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم … واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أصبح في الأقوام قد علموا … كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الدين كلهم … فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معوية الباقي لنا خلف … إذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك ه

يعني حين خلع سليمن بن عبد الملك ودعا لنفسه بعد موت عمر بن عبد العزيز ه

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي

قام بخراسان حين خلع فقال : أتدرون من تبايعون إنما تبايعون يزيد بن ثروان يعني هبنقة القيسي كأني بأمير من حاء وحكم قد أتاكم فحكم في أموالكم ودمائكم وأبشاركم ثم قال الأعراب وما الأعراب فلعنة الله على الأعراب جمعتكم كما يجمع قزع الخريف من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلفل وجزيرة ابن كاوان تركبون البقر وتأكلون القضب فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم الفيء قالوا مرنا بأمرك قال غروا غيري ه

وخطب مرة أخرى

فقال يا أهل العراق ألست أعلم الناس بكم أما هذا الحي من أهل العالية فنعم الصدقة وأما هذا الحي من بكر بن وائل فعلجة بظراء لا تمنع رجليها وأما هذا الحي من عبد القيس فما ضرب العير بذنبه وأما هذا الحي من الأزد فعلوج خلق الله وأنباطه وايم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم وأما هذا الحي من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان ه

وخطب مرة أخرى

فقال يا أهل خراسان قد جربتم الولاة قبلي أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأي وأمية الدين فكتب إلى خليفته إن خراج خراسان وسجستان لو كان في مطبخه لم يكفه ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوّم بكم ثلاثا لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية ثم لم يجب فيئا ولم ينك عدوا ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة منهم ابن الدحمة حصان يضرب في عانته ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد حتى إن الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جوار ه

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام فإن استشرف شنآنكم وأبى حسك صدوركم ففي أموالنا وسعة أحلامنا لنا ولكم سعة ه

خطبة جامع المحاربي

ومن محارب جامع وكان شيخا صالحا خطيبا لسنا وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط بنيتها في غير بلدك وأورثتها غير ولدك وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة . وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم وتسخط طريقتهم فقال جامع أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن إيقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك . قال الحجاج إني والله ما أرى أن أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف فقال أيها الأمير إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار فقال الحجاج الخيار يومئذ لله قال أجل ولكن لا تدري لمن يجعله الله فغضب الحجاج وقال يا هناه إنك من محارب فقال جامع :

وللحرب سمينا وكنا محاربا … إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

والبيت للخضري فقال الحجاج والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك فقال جامع إن صدقناك أغضبناك وإن غششناك أغضبنا الله فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله قال أجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الأمر وانسل جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوزهم إلى خيل العراق وكان الحجاج لا يخلطهم فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق وقيس العراق وتميم العراق وأزد العراق فلما رأوه اشرأبوا إليه وبلغهم خروجه فقالوا له ما عندك دافع الله لنا عن نفسك فقال ويحكم عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ودعوا التعادي ما عاداكم فإذا ظفرتم تراجعتم وتعاديتم أيها التميمي هو أعدى لك من الأزدي وأيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي وهل ظفر بمن ناواه منكم إلا بمن بقي معه منكم وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام فاستجار بزفر بن الحرث

خطب الحجاج

فقال اللهم أرني الغي غيا فأجتنبه وأرني الهدى هدى فأتبعه ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالا بعيدا والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ه

وخطبة له

الهيثم بن عدي قال أخبرني ابن عياش عن أبيه قال خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة فسمع تكبيرا في السوق فراعه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوي الأخلاق وبني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء والفقع بالقرقر إني سمعت تكبيرا لا يراد الله به وإنما يراد به الشيطان وإنما مثلي ومثلكم ما قال عمرو بن براقة الهمداني :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم … فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم
أما والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر

خطبة عمرو بن كلثوم

أما بعد فإنه لا يخبر
عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من
اعتماده إياهم برغبته وائتمانه إياهم على حرمته

خطبة يزيد بن الوليد

ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه
الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان قام خطيبا بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس
والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي إطراء نفسي
وإني لظلوم لنفسي ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي ولكني خرجت غضبا لله ودينه وداعيا
إلى الله وسنة نبيه لما هدمت معالم الهدى وأطفئ نور التقوى وظهر الجبار العنيد
المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق
بالثواب والعقاب وإنه لابن عمي في النسب وكفيئي في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله
في أمره وسألته ألا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي حتى أراح الله منه
العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي أيها الناس إن لكم علي ألا أضع
حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكري نهرا ولا أكنز مالا ولا أعطيه زوجة ولا ولدا ولا
أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فإن فضل فضل
نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه منه ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن
أهاليكم ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم
به عن بلادهم وأقطع نسلهم ولكم عندي أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى
تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم فإن أنا وفيت لكم فعليكم السمع
والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة وإن أنا لم أف لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني
فإن أنا تبت قبلتم مني وإن عرفتم أحدا يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه
مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه ودخل في طاعته أيها الناس لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فلما بويع مروان بن محمد نبشه
وصلبه وكانوا يقرؤون في الكتب يا مبذر الكنوز يا سجادا بالأسحار كانت ولايتك لهم رحمة
وعليهم حجة أخذوك فصلبوك

خطبة يوسف بن عمر

قام خطيبا فقال اتقوا الله عباد
الله فكم من مؤمل أملا لا يبلغه وجامع مالا لا يأكله ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل
جمعه ومن حق منعه أصابه حراما وورثه عدوا فاحتمل إصره وباء بوزره وورد على ربه

أشبعنا إلا جمعا من خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة والأحنف بن قيس

بشار بن عبد الحميد عن أبي ريحانة قال وفد هلال بن وكيع والأحنف بن قيس وزيد بن جبلة
على عمر فقال هلال بن وكيع يا أمير المؤمنين إنا لباب من خلفنا من قومنا وغرة من وراءنا
من أهل مصرنا وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزد ذلك الشريف
تأميلا وتكن لذوي الأحساب أبا وصولا وإلا تكن مع ما نمت به من فضائلك وتدلي به من
أسبابك كالجد الذي لا يحل ولا يرتحل نرجع بأنف مظلومة وجدود عاثرة فمحنا وأهالينا
بسجل من سجالك المترعة وقام زيد بن جبلة فقال يا أمير المؤمنين سود
الشريف وأكرم الحسيب وازرع عندنا من أياديك ما نسد به الخصاصة ونطرد به الفاقة
فإنا بقف من الأرض يابس الأكناف مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع وإنا من العرب اليوم
إذ أتيناك بمرأى ومسمع فقام الأحنف فقال يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير
بيد الله والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا واجعل
بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئا يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح
فإن كل امرئ إنما يجمع في وعائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين وتخونه الألسن
فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهل العراق
بعد الجماجم فقال يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب
والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ثم ارتفع فعشش
ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا
تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام
أو ينفعكم بيان ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم
للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا
وتنهزمون سراعا ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم
وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع
إلى أعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح
وقصمتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم
بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يا أهل العراق الكفرات
بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات إن بعثتكم إلى ثغوركم
غللتم وخنتم وإن أمنتم أرجفتم وإن خفتم نافقتم لا تذكرون حسنة ولا تشكرون

نعمة مثل استخفكم ناكث او استغواكم غاو او استنفركم عاص او استنصركم ظالم
او استعضدكم خالع الا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه وزجيتموه يا اهل العراق هل شغب
شاغب او نعب ناعب او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره يا اهل العراق الم تنهكم
المواعظ الم تزجركم الوقايع ثم التفت الى اهل الشام فقال يا اهل الشام انما انا لكم
كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها
من الضباب ويحرسها من الذياب يا اهل الشام انتم الجنة والرداء وانتم العدة والحذاء
وقال رجل لحذيفة اخشى ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا لم تخش ذلك وقال اخر
اعلم ان المصيبة واحدة ان صبرت وان لم تصبر فهما مصيبتان ومصيبتك بالاجر
اعظم من مصيبتك بميتك وقال صالح بن عبد القدوس
لان يكن ما به اصبت جليلا فذهاب العزاء فيه اجل وقال اخر تعزّ
عن الشيء اذا منعته لقلة ما تصحبه اذا اعطيته وما خفف الحساب وقلّله خير مما كثّره
وثقّله قال وحدثنا ابو بكر الهذلي واسمه سلمى قال اذا جمع الطعام اربعا فقد
كمل اذا كان حلالا وكثرت الايدي عليه وسمي الله في اوله وحمد في اخره

خطبة زياد

وخطب زياد فقال استوصوا بثلاثة
منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ فوالله لا ياتيني شيخ بشاب قد استخف به الا اوجعته
ولا ياتيني عالم بجاهل استخف به الا نكلت به ولا ياتيني شريف بوضيع استخف به الا
انتقمت له منه علي بن سليم قال قال حاتم طيء لعدي ابنه اي بني اني رايت ان الشر
يتركك ان تركته فاتركه قال وقال عدي بن حاتم لابن له قم بالباب فامنع
من لا تعرف واذن لمن تعرف قال والله لا يكون اول شيء وليته من الدنيا منع قوم
من طعام قال وقال مديني لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه اراك الله
في بنيك ما اراك ابوك فيك واراك بنيك فيك ما اراك في ابيك وقال ابن شبرمة
ذهب العلم الا غبرات في اوعية سوء الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن ابيه
قال خرج الحجاج الى العلو وسار فلقي اعرابيا في زرع فقال له ممن انت قال من اهل
عمان قال فمن اي القبايل قال من الازد قال كيف علمك بالزرع قال اني لاعلم من ذلك
علما قال فاي الزرع خير قال ما غلظ قصبه واعتم نبته وعظمت حبته وطالت
سنبلته قال فاي العنب خير قال ما غلظ عموده واخضر عوده وعظم عنقوده
قال فما خير التمر قال ما غلظ لحاؤه ودق نواه ورق سحاؤه

باب من التعريض والجواب

قالوا كان
الحطيئة يرعى غنما وفي يده عصا فمر به رجل فقال يا راعي الغنم قال تجرا من سلم

تغني عطاء قال او في ضيف قال للضيفان اعزبتهما وقال ابن سليم ان قيس بن سعد بن عبادة
قال اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال قال خالد
بن الوليد لاهل الحيرة اخرجوا الي رجلا من عقلايكم فاخرجوا اليه عبد المسيح بن عمرو
بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني وهو الذي بنى القصر وهو يومئذ ابن خمسين
وثلث مائة سنة فقال له خالد من اين اقصى اثرك قال من صلب ابي قال فمن اين خرجت
قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال اتعقل
لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال ما سنك قال عظم
قال ما تزيدني مسئلتك الا عما قال ما اجبتك الا عن مسئلتك قال اعرب انتم ام نبط
قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال فحرب انتم ام سلم قال بل سلم قال فما بال
هذه الحصون قال بنيناها للسفيه حتى يجيء الحليم فينهاه قال كم اتت عليك سنة
قال خمسون وثلث مائة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفا الينا في هذا الجرف
ورايت المراة من اهل الحيرة تاخذ مكتلها على راسها ولا تتزود الا رغيفا واحدا
فلا تزال في قرى مخصبة متواترة حتى ترد الشام ثم قد اصبحت خرابا يبابا وذلك داب
الله في العباد والبلاد قال وراى مرثد بن عبد الحارث رجل من بني يربوع فقال اما
ادخل قال وراءك اوسع لك فقال ان الشمس قد احرقت رجلي قال بل عليهما قال يا آل
يربوع قال كم ليلا دعوت يا بني حنيفة اطعمتكم طعاما او رحلة فما اكلتم جلتكم واعزمكم
على جلة الضيفان قال وقال الحجاج لرجل من الخوارج اجمعت القران قال امتفرقا
كان فاجمعه قال اتقرؤه ظاهرا قال بل اقرؤه وانا انظر اليه قال اتحفظه قال
اخشيت فراره فاحفظه قال ما تقول في امير المؤمنين عبد الملك قال لعنه الله ولعنك
معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال القاه بعملي وتلقاه بدمي وقال لقمن
لابنه وهو يعظه يا بني ازحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا
بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا
وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة
افضل من الصوم وكن كالاب لليتيم وكالزوج للارملة ولا تحاب القريب ولا تجالس
السفيه ولا تخالط ذا الوجهين البتة وسمع الاحنف رجلا يطري يزيد عند
معوية فلما خرج من عنده استغابه ثم ذمه فقال الاحنف مه ان ذا الوجهين لا يكون
عند الله وجيها وقال سعيد بن ابي عروبة لان يكون لي نصف وجه ونصف لسان
على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر احب الي من ان اكون ذا وجهين وذا لسانين
وذا قولين مختلفين وقال ايوب السختياني النمام ذو وجهين اخس الاسماع

وخالف في الإبلاغ . حفص بن عمر الأزدي عن عامر الشعبي قال كتب عمر إلى معوية
أما بعد فإني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلك ونفسي فيه خيراً . الزم خمس خصال
يسلم لك دينك وتأخذ فيه بأفضل حظك إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة أو
اليمين القاطعة وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط وتعهد الغريب فإنك إن لم
تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهله وإنما ضيع حقه من لم يرفق به وآس بينهم في لحظك
وطرفك وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء . أبو يوسف عن العرزمي
عن من حدثه عن شريح أن عمر بن الخطاب كتب إليه لا تشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع في
مجلس القضاء ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان . وقال عمر بن عبد العزيز إذا كان في القاضي
خمس خصال فقد كمل علم ما كان قبله ونزاهة عن الطمع وحلم عن الخصم واقتداء بالأئمة
ومشاورة أهل الرأي . قال المدائني لما ولى يزيد بن معوية سلم بن زياد على خراسان
قال له إن أباك كفى أخاه عظيماً وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر مني لك فقد
اتكلت على كفاية منك وإياك مني قبل أن أقول إياي منك فإن الظن إذا أخلف منك أخلف
فيك وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك وكن لنفسك
تكن لك واذكر في يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله

ومما قالوا في التشريف وفي ذكر الأشراف

قال المازني

من كان يزعم أن بشراً ملصق ... فالله يجزيه وربك أعلم
يشنيك ناظره وقلة لحمه ... وتشادق فيه ولون أسحم
إن الصريح المحض فيهم لا له ... والعرق منكشف لمن يتوسم
أما اللسان فاختبره قاعداً ... فتراه العربي عند الأعجم
إني لأرجو أن يكون مقالهم ... زوراً وشانيك الحسود المرغم

وفي مثله لك يقول مورق العنبري

قد علم الغربي والمشرق ... أنك في القوم صميم ملصق
عودك نبع وهشيم يورق ... وأنت جدب وربيع مغدق
وأنت ليل ونهار مشرق ... لولا عجوز فخمة ودردق
وصاحب جم الحديث موبق ... كيف الغوات والحلوب مورق
شيخ مغيظ ولسان يبرق ... وحنجر رحب وصوت مصلق
وشدق ضرغام وناب يحرق ... وشاعر بأبي الوشوم مفلق

باب في صفة الرائد للغيث وفي نعته للأرض

قال أبو الحسن . وصف رائد أرضاً جدبة فقال اغبرت جادتها وذرع مرتعها وقضم شجرها ورقت كرشها
وحرد عظمها والتقى سرحاها وتميز أهلها ودخل قلوبهم الوهل وأموالهم الهزل
قال الجادة الطريق إلى الماء والجمع جواد والتقى سرحاها يقول إذا أكل كل سارح ما يليه

النقيا عند الماء وإذا لم يكن للمال مرعى إلا الشجر وجزء ورقت أكراشه وقوله تميز أهلها
تفرقوا في طلب الكلأ ومرتع مزلج إذا كان بعيداً من الماء ومرتع قاصر إذا كان قريباً من الماء
ويقولون كلأ قاصر للغريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب إذا ألجأهم إلى طلبه من بعده
ووصف أعرابي أرضاً أخصبها فقال خلع شيحها وأبقل رمثها وخضب عرفجها واتسق
نبتها واخضرت قرياتها وأخوصت بطنانها واخلست إكامها واعتم نبت جراثيمها وأجرت
بقلتها ودرقها وخبراتها وجوزت خواصر إبلها وشكرت حلوبتها وسمنت قتوبتها
وعمرت ثراها وعقدت تلاعيها وأماهت ثمادها ووثق الناس بصائرتها . قال ويقال خلع
الشيح إذا أورق والخالع من العضاه الذي لا يسقط ورقه أبداً وكذلك السدر لا ينجرد وكل
شجر له شوك فهو عضة لولا القتادة ولا يعيك إلا الأرطى ويقال كلح الشجر وأخوصت
بطنانها إذا نبت فيه قضبان غض قلاق وخضب عرفجها يقول اسود وأخوص الشجر الذي
لا شوك له ومن العضاه فشس وفصص فإذا ايبست فهي عود . اتسق نبتها أي تتام
أجرت بقلتها أي نبت فيها مثل الجراء جمع جرو . العلقة ثمر الطلح والحبلة ثمر السلم
وجوزت خواصرها تشد أختانها على خواصرها كي لا تحبط والحبط انتفاخ بطنها
من كثرة الرعي . قيل للنبي صلى الله عليه أيضر الغبط قال نعم كما يضر الخبط . وشكرت
يقول غزرت . وقوله عمد ثراها فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب وهو أن تغيس السماء
بالمطر فيقول بلغت وضح الكعب ثم الرسغ ثم العظمة ثم المرفق ثم ينصب العضد
ثم يبلغ المنكب فإذا بلغ المنكب قيل عمد الثرى فيقال إن لم يحيا سنين والتنامي
واحدتها تنهية وهو مستقر السيل وعفرها أن يمر السيل مقبلاً حتى إذا انتهى منتهاه
دار بالأبطح حتى تلتقي طرفا السيل والصابرة الكلأ والماء . قالوا قاتل الحجاج ابن
الأشعث في المربد فخطب ابن الأشعث الناس فقال أيها الناس إنه لم يبق من عدوكم إلا
كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يميناً وشمالاً فما تلبث أن تموت فمر به رجل من بني
قشير فقال قبح الله هذا وذا يدي يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ويعدهم الأباطيل والبواطل
وناس كثير يرون أن ابن الأشعث هو المخسر وفي القشيري وقال بشار

وحمد كعضب البرد حملت صاحبي ... إلى ملك للصالحات قرين

وقال آخر

وبكر كنوة العطر باض حديثها ... تروق بوجه واضح وقوام

أبو الحسن قال كان معوية يأذن للأحنف أول من يأذن له فأذن له يوماً ثم أذن لمحمد بن الأشعث
فجاء ابن الأشعث حتى جلس بين معوية والأحنف فقال له معوية لقد أحسست من نفسك
ذلاً إني لم آذن له قبلك ليكون في المجلس دونك وإنا كما نملك أموركم كذلك نملك
تأديبكم فأريدوا ما يراد بكم فإنه أبقى لنعمتكم وأحسن لأدبكم . وقال النبي

صلى الله عليه لأصيل الخزاعي يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أخجن ثمامها وأمشر
سلمها وأعذق إذخرها فقال عليه السلام دع القلوب تقر . قال وسأل أبو زياد الكلابي
الصقيل العقيلي حين قدم من البادية عن طريقه فقال انصرفت من الحج فأصعدت إلى الربذة
في مقاط الحرة ووجدت بها صلالا من الربيع من خضرة وصليان وقرمل حتى لو شئت لأنفت
إبلي في أذناب الفقعاء فلم أزل في مرعى لا أحمض منه شيئا حتى بلغت أهلي . وقال سلام
الكلابي رأيت ببطن فلج منظرا من الكلأ لا أنساه ووجدت الصفراء والخزامى تضربان نحور
الإبل تحتها فقعاء وجربة قد أطلع وأمسك بأفواه المال أي لا تقدر أن ترعى ولو سمنا
وتركت الحوذان تدافعه في الأجارع . وذم أرضا فقال وجدنا أرضا مثل جلد الأجرب
تصبح حبابها ولا يسكت جريها ولا يقيد راكبها . وقال النضر قلت لأبي الخضير ما أعجب
ما رأيت من الخصب قال كنت أشرب رثيئة تجرها الشفتان جرا وقارصا قمارصا إذا تجشأت
جدع أنفي ورأيت الكمأة تدوسها الإبل بمناسمها والوضر يشمه الكلب فيعطس
قال الأصمعي قال المنتجع بن نبهان قال رجل من أهل البادية كنت أرى الكلب يمر بالخصفة
عليها الخلاصة فيشمها ويمضي عنها . محمد بن كناسة قال أخبرني بعض فصحاء الأعراب
طيئ قال بعث قوم رائدا فقالوا ما وراءك قال عشب وتعاشيب وكمأة متفرقة شيب
تقلعها بأخفافها النيب فقالوا لم تصنع شيئا هذا كذب فأرسلوا آخر فقالوا ما وراءك قال
عشب ثأد مأد موليّ وعهد متراكب جعد كأفخاذ نساء بني سعد تشبع منه الناب وهي
تعدو . قال لأن النبت إذا كان قليلا وقفت عليه الإبل وإذا كان كثيرا أمكنها الأكل
وهي تعدو . قالوا بعث رجل أولاده يرتادون في خصب فقال رأيت ماء غيلا يسيل
سيلا وخوصة تميل ميلا يحسبها الرائد ليلا . قال الثاني رأيت ديمة على ديمة في عهاد
غير قديمة تشبع منها الناب قبل الفطيمة . وقال أبو مجيب قيل لأعرابي من بني عنبر أين
وادي كذا وكذا أقلبت لنا قال وجدت بها حشيشا مرمى وعشبا شرمى قال والمرمى الذي
ليس له حالق إذا الوفد من يبسه وقدمه والشرم العشب الضخم يقال هذا عشب
شرم . وقال هرم بن زيد الكلبي إذا أحيا الناس قيل قد أكلأت الأرض واحرنفشت
العنز لأختها ولحس الكلب الوضر . وقال آخر تعاش العنز أن ينتعش شعرها وتنصب
روقيها في أحد شقيها لتنطح صاحبتها وإنما ذلك من الأشر حين أخصبت وأعجبتها
أنفسها ولحس الكلب الوضر لأنهم في الجدب لا يدعون للكلب شيئا يلحسه . قال
أبو مجيب إذا أخرب الرائد قال وجدت أرضا أرمى عشمى فأما العشمى فالتي يرى فيها
الشجر الأعشم وإنما يعشم من النبوة ويقال للشيخ إنما هو عشمة . فأما الأرمى
فالتي أرمت فليس فيها أصل شجرة . قال أبو عبيدة قال بعض الأعراب تركت جرادا

عمرا دا

كأنما نعامة باركة يريد التفاف نبتها ومنه من نبت بلاد تميم . وقيل لأعرابي ما
وراءك قال خلفت أرضا تظالم معزاها يقول سمنت وأشرت فتظالمت . وتقول العرب
ليس أظلم من حية وتقول العرب أظلم من ورل وأظلم من ذئب كما تقول أغدر من ذئب
وكما تقول أكسب من ذئب قال الأسدي

لعمرك لو أن الخلاصم حية إلى فقعس ما أنصفتني فقعس
إذا قلت مات الداء بيني وبينهم أتى حالب منهم بآخر يقبس
فما لكم طلسا إلي كأنكم ذئاب الغضى والذئب بالليل أطلس

وقال العجاج

ولو أن الخلاصم أفعى لثمت لثق أو الأساود من صم الأهاضيب
ولو أن الخلاصم ذئبا في أكيلته لجاء في جمعهم يسعى مع الذيب

يقول بلغ من ظلم قومنا لنا أنا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل في الظلم لقضوا
لهما علينا . وقالت العرب إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة يعني أن في قلة العشب وإنما
تلحسه الناقة لقلته وقصره . وحدثنا أبو زياد الكلابي قال بعث قوم رائدا لهم بعد
سنين تتابعت عليهم فلما رجع إليهم قالوا له ما وراءك قال رأيت بقلا يشبع منه الجمل
البروك وتشكت منه النساء وهم الرجل بأخيه . قال أما قوله الجمل البروك يقول لو قام
لما لم يتمكن منه لقصره وأما قوله وتشكت منه النساء فإنه مأخوذ من الشكوة والشكاء
أي عمر الوطاب يقول لم يكثر اللبن بعد فيمخض في الوطاب . وقوله وهم الرجل بأخيه
أي هم أن يدعوه إلى منزله كما يصنعون في أيام الخصب . وقال غيره الخصب يدعو إلى
طلب الطوائل وغزو الجيران وإلى أن يأكل القوي من هو أضعف منه . وقالوا في الكلأ
كلأ تشبع منه الإبل معقلة وكلأ حابس فيه كمرسل يقول من كثرته سواء عليك
حبستها أو أرسلتها . وتقول كلأ تيجع منه كبد المصرم وأنشد الباهلي

ثم مطرنا مطرة روية فنبت البقل ولا رعية

وأنشد الأصمعي

فجنبت الجيوش أبا زنيب وجاد على مسارحه السحاب

يكون أن يكون دعا عليه ويكون أن يكون دعا له . وقال الآخر

أمرعت الأرض لو ان مالا لو أن نوقا لك أو جمالا

وقال ابن الأعرابي
سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال تتابعت علينا الأسمية حتى منعت السفار
وتظالمت المعزى واجتلبت الدرة بالجرة . لقيط قال دخل رجل على الحجاج فسأله
عن المطر فقال ما أصابني من مطر ولكني سمعت رائدا يقول هلم أظعنكم إلى محلة تطفأ
فيها النيران وتتنافس فيها المعزى وتبقى بها الجرة حتى تنزل الدرة . أبو زيد قال
تخاصمت امرأتان إلى ابنة الخس في مراعي أبويهما فقالت الأولى إبل أبي ترعى الأراك شليح

فقالت ابنة الخس رغوة وصريح وسنام إطريح. قالت الأخرى مرعى إبل في الخلة. قالت ابنة
الخس سريعة الدرة والجرة. وقال الأحوص بن جعفر بعد ما كبر وعمي وبنوه يسوقون به
أي شيء ترعى الإبل قالوا غرب الثمام والصفعة قال سوقوا ثم إنها عادت فلا ترعى بمكان
آخر فقال أي شيء ترعى الإبل قالوا العضاه والقصة قال عود عويد شبع بعير. وقال
سوقوا حتى إذا بلغوا بلدا آخر قال أي شيء ترعى الإبل قال نصيا وصليانا قال مكمية
ربعها مطولة ليلا زاما ارتعوا واشبعوا ثم سألهم فقال أي شيء ترعى الإبل قالوا الرمث
قال خلقت منه وخلق منها. قال أبو صاعد قد زعم الناس أن أول ما خلقت الإبل خلقت
من الرمث وعلامة ذلك أنك لا ترى دابة تريده إلا الإبل. قال وقالت امرأة من الأعراب
أصبحنا ما يرقد لنا فرس وما ينام لنا حرس. قالوا كان أبو المجيب كثيرا ما يقول لا أرى
امرأة تصبر عينيها ولا شريفا يمينا بعيرا ولا امرأة تلتمس طلاق يمينه. وخطب بلال بن
أبي بردة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه فقال لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا
أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا. قال وقال عمر بن عبد العزيز ما قوم أشبه بالسلف
من الأعراب لولا جفاء فيهم. وقال غيلان أبو مروان إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع
دعاء الأعراب. قال رجل من بني سليم وسأله الحجاج عن المطر فقال أصابتنا سحائب ثلاث
سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كبار فكان الصغار للكبار لحمة ثم أصابتنا الثانية بسواء
فلبدت الرمال وصحصحت الغدران وصرعت الكمأة عن أماكنها ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين
فملأت الإناء خاثرا وأقعصت كل واد وأقبلنا في ماء يجر الضبع ويستخرجها من وجارها. وقال
رجل من بني أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال ظهر الأعصار وكثر الغبار وأكل
ما أشرف من الجنبة وأيقنا أنه عام سنة. قال أبو الحسن بن عياش بن عبد الرحمن بن يزيد
بن جابر إن الإسكندر كان لا يدخل مدينة إلا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه
فيها فخرج إليه فألطفه الإسكندر وأعظمه فقال له أيها الملك إن أحق من زين لك
أمرك وأنالك على كل ما تهويه لأنا وإن أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك
وأحب ألا تشفعني فيهم وأن تخالفني في كل ما سألتك لهم فأعطاه من ذلك ما لا يقدر على
الرجوع عنه فلما توثق منه قال فإن حاجتي أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها قال
ليس إلى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل
العبادة الصمت وانتظار الفرج. وقال يزيد بن المهلب ومن طال عليه حبس الحجاج
والبلاء على فرج في جبهة أسد وطلبه بأنياب الفيل. قال الأصمعي دخل أم زينب
بنت زياد العقيلي على بلال بن أبي بردة وهو في الحبس فعلم بلال أنها شامتة به فقال بلال
ما يسرني بنصيبي من الكرم حمر النعم فقالت أم زينب فقد أكثر الله لك منه.
قال الهيثم بن عدي

كان سجان يوسف بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماء الموتى فقال له عبد الله بن أبي بردة
بن أبي موسى الأشعري في قبض هذه العشرة الألف درهم عنا وارفع اسمي في الموتى قال فرفع
اسمه في الموتى فقال يوسف بن عمر جئني به فرجع إليه فأعلمه فقال ويحك اتق الله في فإني
أخاف القتل قال وأنا أيضا أخاف ما تخاف ثم قال فلك أموت من قبلي وما بد من قتلك
فوضع على وجهه مخدة فدمست نفسه مع المال. وأما عبد الله بن المقفع فإن صاحب
الاستخراج لما ألح عليه في العذاب قال لصاحب الاستخراج أعندك مال وأنا أربحك ما
ترضاه وقد عرفت وفائي وسخائي وكتماني فعينني مقدار هذا النجم فأجابه إلى ذلك فلما صار
له عليه مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله. وقال رجل لعمرو الغزال
مررت بك البارحة وأنت تقرأ قال لو أخبرتني أي آية كنت فيها لأخبرتك كم بقي من الليل
وسمع مؤرج البصري رجلا يقول أمير المؤمنين يرد على المظلوم فرجع إلى مصحفه فرد على
براءة بسم الله الرحمن الرحيم. وكان عبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه يعطش
وقيل له إن شربت الماء مت فأقبل ذات يوم بعض العواد فقال كيف حال أمير المؤمنين
قال أنا صالح والحمد لله ثم أنشأ يقول

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواجم

ويلكم اسقوني ماء وإن كان فيه تلف نفسي فشرب ثم مات. وكان حبيب بن مسلمة الفهري
رجلا غزاء للترك فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته فقالت له امرأته أين موعدك قال
سرادق الطاغية أو الجنة إن شاء الله قالت إني لأرجو أن أسبقك إلى أي الموضعين
كنت به فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك. ولما مدح الكميت بن زيد
الأسدي مخلد بن يزيد بن المهلب قال له ابن بيض إنك يا أبا المستهل لكجالب التمر
إلى هجر قال نعم ولكن تمرنا أجود من تمركم. وكان السيد الحميري مولعا بالشراب
فمدح أميرا من أمراء الأهواز ثم صار إليه بمديحه له فلم يصل إليه وأعجب الشراب
فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل إليه فجلس من بعيد فقربه وشم منه ريح الشراب
فقال له ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا ولكن نحتمل لمادح آل رسول الله أكثر من هذا
ثم قال يا جارية ملئي الدواة ثم كتب إلى بعض وكلائه ادفع إلى أبي هاشم
ما يأتي من ورق منحمجا فقال السيد لقد كنت أظن الأمير أبلغ مما هو قال وأي شيء رأيته
من العي قال جمعت بين حرفين وأنت تجتزي بأحدهما أفخم من هذه الخبيثة بخنجا ودع
منجا على حالها ففعل وحمل الكتاب فأخذ ما عين له. عبد الله بن واقد قال قالت امرأة
الحصين بن المنذر للحصين كيف سدت قومك وأنت بخيل وأنت دميم قال لأني سديد
الرأي شديد الإقدام. قال وقال مسلمة بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك كيف تطمع

في الخلابة وأنت بخيل وأنت جبان قال بلى إني حليم وإني عفيف. وقال ربّان:

إن تحتي بيزيراع جوف * كل خطيب منهم موهوب * أهوج لا ينفعه التثقيف

وقال لبيد بن ربيعة: وأبيض يجتاب الخروق على الوجى * خطيبا إذا التف المجامع فيصلا

وقال في تفضيل العلم والخطابة وفي مربح الانزاء نصاب ودم الشعب

ولقد بلوتك وابتليت خليقتي * ولقد كفاك معلمي تعليمي. وقال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يتأكلون مغالة وخيانة * ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

وقال زيد بن جندب: ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

وقال لقيط بن زرارة: إني إذا عاقبت ذو عقاب * وإن تشاغبني فذو شغاب

وقال ابن أحمر: وكم خلفا من تحتان سميدع * مطا في الندى بسطان بيناه مطعم

طوى البطن ثلاثا إذا ما بت الصبا * على الأمر عواصر في الحي شيظم

وقال آخر: وأغر منخرق القميص سميدع * يدعو لبغي وظلما فيجاب

قد مد أن تان الخيار من نوحا * وكأنما ساتها الظلاب

وقال آخر: كريم يغض الطرف عند حيائه * ويدنو وأطراف الرماح دواني

وكالسيف إن لاينته لان متنه * وحداه إن خاشنته خشنان

وقال آخر: يقطع طرفه عني سويد * ولم أذكر بسيئة سويدا

توق حرار شوط الأرض تسلم * وغير الأسد لا تحذر صيدا

وقال الآخر: لا تحسبن الموت موت البلى * فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

والحسين بن مطير: أرى رجلا أودى بوافر لحمه * طلاب المعالي واكتساب المكارم

خفيف الحشى ضربا كأن ثيابه * على قاطع من جوهر الهند صارم

فقلت لما لا تعجبن فإنني * أرى سمن الفتيان أحرى لمشتاتهم

وكان عمر بن الخطاب رحمه الله إذا رأى عبد الله بن عباس يقول في الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه غص غواص. وقال ابن أحمر:

مثل الذي قوم لموقف سايل * أو في مخاصمة اللجوج الأضيب

وقال لبيد بن ربيعة في التطبيق على قوله: يا هرم بن الأكرمين منصبا

إنك قد أوتيت حكما معجبا * فطبق المفصل واغنم طيبا. وقال آخر:

فلما أن بدا القعقاع لجت * على شرك تناقله نقالا

تعلقت الحديث وطبقته * كما طبقت بالنعل المثالا. وقال ابن أحمر

لو كنت ذا علم علمت وكيف لي * بالعلم بعد تدبر الأمر. وقال:

ليست بشوشاة الحديث ولا فتق * مغالبة على الأمر

تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعده نزر. وقال:

وخصم مضل في اللجاج تركته * وقد كان ذا شغب بقول مواتيا

وذكر علي بن أبي طالب رضي الله الأخطل بن شماخ العكلي فقال الصبيح الفصيح ومن أول من لغد بيت مال لنفسه في داره. عبد الله بن المبارك عن معمر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه قال سيكون بعدي أمراء يعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف. جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال غدوت إلى الجمعة فجلست قريبا من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال امرؤ زور عمله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه امرؤ كان عند قلبه زاجرا وعند همه ذاكرا امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله فإن قاده إلى طاعة الله قبله وتبعه وإن قاده إلى معصية الله كفه. وبعث عدي بن أرطاة إلى المهالبة أبا المليح الهذلي وعبد الله بن عبد الله بن الأهتم والحسن البصري فتكلم الحسن فقال عبد الله والله ما تمنيت كلاما قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ. قال وتنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير عليا رحمه الله فقال له أبوه والله ما بنى الناس شيئا إلا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فاستطاعت الدنيا هدمه ألم تر إلى علي كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمه والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعا إلى السماء وترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح والله لكأنما يكشفون عن الجيف. أبو الحسن قال قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء أي بني إني مؤد إليك حق الله في حسن تأديبك فأد إلي حق الله في حسن الاستماع أي بني كف الأذى وارفض البذاء واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول فإن للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشا فإنه يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وكان يقال من لانت كلمته وجبت محبته ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة ما لا يضره.

باب أن يقول كل إنسان على قدر طبعه وخلقه

قال قتيبة بن مسلم للحضين بن المنذر ما السرور قال امرأة حسناء ودار قوراء وفرس فاره مرتبط بالفناء. وقيل لضرار بن الحصين ما السرور قال لواء منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبد الملك بن صالح ما السرور فقال

كل الكرامة نلتها إلا التحية بالسلام. وقيل لعبد الله بن الأهتم ما السرور

قال رفع الأولياء وحط الأعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء ۞ وقيل للفضل بن سهل
ما السرور فقال توقيع جائز وأمر نافذ ۞ أبو الحسن المدايني قال قيل لامرأة من العرب أي شيء
تمنّين قالت شربة من ماء العنقلاس والنوم في ظل الشراع وتغادى تبرد اذا ۞ وقيل لطفيلي
كم اثنان في اثنين قال أربعة أرغفة ۞ وقال العلاء بن الفاص كان أصحاب رسول الله يوم بدر
ثلث مائة وستين عشر رجلا ۞ وقلت لملاح في دجلة وهو يبغر العضد في مضا انظر كم بين
عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض قال أكثر من فرسخين ونصف ۞ وقال آخر
وقع علينا اللصوص فأول رجلة كل علينا السفينة كان في طول منارة المربد وكلات
بجزء الفلك من هذا السكان واسود وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سوادا من هذا
القير ۞ وأردت العبور مرة في بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان يوم مطر وزلق
فزلق حماري فكاد يلقيني لجنبي لكنه تماسك فلا فعي على عجزه فقال الشيخ الملاح لا إله
إلا الله ما أخمص ما جلس على كفله ۞ ومررت بتل طين أحمر ومعي أبو الخميس الفارس
فلما نظر إلى الطين قال أي أواري يجي من هذا الطين ۞ ومررنا بنخل بغرح ابه فقال
أي أصطبلات يجي من هذا الموضع ۞ وقيل لبعضهم ما المروة قال طهارة البدن
والفعل الحسن ۞ وقيل لمحمد بن عمران ما المروة قال ألا تعمل في السر شيئا تستحي منه في
العلانية ۞ وقيل للأحنف ما المروة قال العفة والحرفة ۞ وقال طلحة بن عبيد الله
المروة الكاملة الثياب اللامعة ۞ وقيل لابن هبيرة ما المروة قال تقوى الله وإصلاح
الضيعة والغداء والعشاء بالأفنية ۞ قال ونظر بكر بن الأشعر وكان يتحامق إلى سوق
دار عجالة بن عيينة فقال لا إله إلا الله أي شيء يجي من هذا ۞ وقال إنسان صيرفي ما عندي
فلان عشرين جريبا وذا نفس وضعفه منا ۞ قال ونظر عثمان بن عفان رضي الله عنه
إلى عير مقبلة فقال لأبي ذر ما كنت تحب أن يكون معه فقال أبو ذر رجالا مثل عمر
وقيل للزهري ما الزهد في الدنيا قال أما إنه ليس بتشعث اللمة ولا قشف الهيئة ولكنه
ظلف النفس عن الشهوة ۞ وقيل للزهري ما الزهد في الدنيا قال ألا يغلب الحرام
صبرك ولا الحلال شكرك ۞ ونظر زاهد إلى فاكهة في السوق فلما لم يجد ما يبتاع بها
عزى نفسه وقال يا فاكهة موعدي وإياك الجنة ۞ قال ومر المسيح صلى الله عليه
على بني إسرائيل فشتموه فكلما قالوا شرا قال المسيح خيرا فقال له شمعون الصفا
أكلما قالوا شرا قلت خيرا قال المسيح صلى الله عليه كل امرئ يعطي مما عنده ۞ وقال
بعضهم قيل لامرئ القيس بن حجر ما أطيب عيش الدنيا قال بيضاء رعبوبة بالطيب
مشبوبة بالشحم مكروبة ۞ وسئل عن ذلك الأعشى فقال صهباء صافية تمزجها ساقية
من صوب غادية ۞ وقيل مثل ذلك لطرفة فقال مطعم شهي وملبس دفي ومركب

وطي ۞ قال كان محمد بن راشد البجلي يتغدى وبين يديه شبوطة وخياط يقطع له ثيابا وراءه
يلحظ الشبوطة فقال قد زعمت أن الثوب يحتاج إلى خرقة فكم مقدارها قال ذراع في عرض
الشبوطة ۞ ودخل آخر على رجل يأكل أترجة بعسل فأراد أن يقول السلام عليكم
فقال عسليكم ۞ ودخلت جارية رومية على راشد الشيخ لتسأل به عن مولاها فبصرت
بحمار قد أدلى في الدار فقالت فلانة مولاتي كيف أير حماركم ۞ أبو الحسن المدايني ۞ وأنشد
ابن الأعرابي ۞ وإذا أظهرت أمرا حسنا فليكن أحسن منه ما تسر ۞
فمسر الخير موسوم به ومسر الشر موسوم بشر ۞ وأنشد
ابن الأعرابي ۞ حسب الفتى من عيشه زاد يبلغه المحلا ۞
خبز وماء بارد والظل حين يريد ظلا ۞ وقال بعض
الأعراب ۞ وما العيش إلا شبعة وتشرق وتمر كأخفاف الرباع وماء ۞ وأنشد
ابن الأعرابي ۞ أرى الناس يبنون الحصون وإنما غوابر آجال الرجال حصونها ۞
وإن من الأعمال لو صالحا فصالحها يبقى ويهلك دونها ۞
محمد بن حرب الهلالي قال قلت لأعرابي أوصي لك بلوح قال وأي لك من قلبي لو أبدا ۞ قال وأتيت
أعرابيا في أهله مسلما عليه فلم أجده فقالت لي امرأته عشّر الله خطاك أي جعلها عشرة أمثالها
قال كان سلم بن قتيبة يقول لم يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل ۞ أبو الحسن
قال قال الحجاج لمعلم ولده علم ولدي السباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون من يكتب عنهم
ولا يصيبون من يسبح عنهم ۞ أبو عقيل بن درست قال رأيت أبا هاشم الصوفي مقبلا من جهة
النهر فقلت له في أي شيء كنت اليوم قال في تعلم ما ليس ينسى وليس لشيء من الحيوان عنه غنى
قال قلت وما ذاك قال السباحة ۞ حدثنا علي بن محمد وعيسى قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه إلى ساكني الأمصار أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل
وحسن من الشعر ۞ وقال ابن التوأم علم ابنك الحساب قبل الكتاب فإن الحساب أكسب من الكتاب
ومؤونته تعلمه أشد ووجوه منافعه أكثر ۞ وكان يقال لا تعلموا أبناءكم الكتاب ولا تروّوهم من
الشعر وعلموهم من القرآن ومن القرآن سورة النور ۞ وقال آخر بنو فلان يعجبهم أن يكون
في نسائهم أبو لاحيات ويأخذن بحفظ سورة النور ۞ وكان ابن التوأم يقول من تمام ما يجب على
الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة ۞ خطب رجل امرأة أعرابية
فقالت له سل عني بني فلان وبني فلان وبني فلان فعرفت قبائل قال وما علمهم بك قالت في كلهم
قد نكحت قال أراك جلنفعة قد خرمت الخراب قالت لا ولكني جوالة بالرجل عنتريس ۞
وقال الفرزدق لامرأته نوار كيف رأيت جريرا قالت رأيته ظلمته أولا ثم شغرت عليه برجلك
أخرى قال أي قالت نعم أما إنه قد غلبك في حلوه وشاركك في مره ۞ قال وتغدى صعصعة

بن صوحان عند معاوية يوماً فتناول من بين يدي معاوية شيئاً فقال يا ابن صوحان لقد انتجعت من بعيد قال من أجدب انتجع. وبصر الفرزدق بجرير محرماً فقال والله لأفسدن على ابن المراغة حجه ثم جاءه مستقبلاً له فجهر بمشقص كان معه ثم قال:

إنك لاق بالمشاعر من منى ... فخاراً فخبرني بمن أنت فاخر

فقال جرير لبيك اللهم لبيك ولم يجبه. قال ودخل مالك بن أسماء سجن الكوفة فجلس إلى رجل من بني مرة فاتكأ المري عليه يحدثه حتى أكثر وغمه ثم قال هل تدري كم قتلنا منكم في الجاهلية قال أما في الجاهلية فلا ولكني أعرف من قتلتم منا في الإسلام قال المري ومن قتلنا منكم في الإسلام قال أنا قد قتلتني غماً. قال دخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالي وهو عامل على أرمينية وقد بات في موضع غدير قريب منه فيه ضفادع فقال عبد الله المحاربي ما تركت أشياخ محارب تنام في هذه الليلة لشدة أصواتها قال المحاربي أصلح الله الأمير إنها أضلت برقعاً لها فهي في بغائه. أراد الهلالي قول الأخطل:

تنق بلا شيء شيوخ محارب ... وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربي قول الشاعر:

لكل هلالي من اللؤم برقع ... ولابن هلال برقع وقميص

وقال الأعشى:

ولكن إذا ما الشيب لاح بعارضي ... فأعرض عني بالخدود النواضر

وكن إذا أبصرنني أو سمعنني ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

لئن حجبت عني نواظر أعين ... رمين بأحداق المها والجآذر

فإني من قوم كرام أصولهم ... لأقدامهم صيغت رءوس المنابر

خلائف في الإسلام في الشرك قادة ... بهم وإليهم فخر كل مفاخر

وقال لبيد:

والشاعرون الناطقون أراهم ... سلكوا طريق مرقش ومهلهل

وقال آخر:

أمرّ لباب إذا ما اشتد جانبه ... ألد خصم بعيد الغور مغوار

وقال حاجب بن ذبيان المازني:

ونحن بنو الفحل الذي سال بوله ... بكل بلاد لا يبول بها فحل

أبى الناس والأقوام أن يحسبوهم ... إذا حصل الأخماس أو يحسب الرمل

الأخماس

فإن غضبوا شد المشارق منهم ... ملوك وحكام كلامهم فصل

وقال أعرابي من بني حنيفة وهو يمزح:

مر الجراد على زرعي فقلت له ... الزم طريقك لا تولع بإفساد

فقال منهم خطيب فوق سنبلة ... إنا على سفر لا بد من زاد

وقال آخر يهجو بعض الخطباء: ... يمان وما يموت وكان شيخاً

شديد اللقم صلفاً ما خطيبا ... ذهب إلى قول الأحوص:

ذهب الذين أحبهم فرطاً ... وبقيت كالمقمور في خلف

من كل مطوي على حنق ... متضجع يكفى ولا يكفي

وقال الحصين بن المنذر: ... إذا نابه أمر فإما كفيته ... وإما عليه بالكفي تشير

وقال آخر: ... عريني لا أعيي بما حل ساحتي ... أسود وأكفي إذ أطيع المسودا

وقال بشار: ... وفي العشيرات الغر صبر على الندى ... وأبلج من حر بيه أغلب

وأنا من يمشي ضبيعة إذ هم ... وتغلب لم تخطب إليهم محجب

وكذلك قول الأعشى في تغلبة:

ما ضر عازبة نزار أن يعارضه ... كلب وجرم إذا أبناؤها التقوا

قالت قضاعة إنا من ذوي يمن ... والله يعلم ما بروا ولا صدقوا

يرتاد لحم المنافي في منازلنا ... طيباً إذا حر في أغمر آبائنا المرق

وما خطبنا إلى قوم بناتهم ... إلا بأرعن في حافاته الحرق

قوله خطبنا هاهنا من الخطبة وقولهم في الشعر الأول من الخطابة. وقال العلاء بن قيس:

أبيت لنفسي الخسف لما رضوا به ... ووليتهم شتمي وما كنت مفحما

وقال العلاء بن قيس لسراقة بن مالك بن جعشم:

ألا أبلغ سراقة يا ابن مالك ... فبئس مقالة الرجل الخطيب

أترجو أن تؤوب بطعن ليث ... مداخيش تبصر من قريب

وقال منصور الضبي:

ليت الفتى عجرداً منا مكانهم ... وليتهم من وراء الأخضر الجاري

قد قام سيل بهم حران يخطبهم ... ما كان للخير حران بأمّار

قال تقول العرب الخلة تدعو إلى السلة. وكانوا إذا أسروا الأسير قالوا أناجح أم ثرى في مراجعة ولم يأسر في سلة وفي الحديث لا إسلال ولا إغلال. وفي المثل الحاجة تفتح باب المعرفة.

المذاكرة

ونذكر ههنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة

قال سويد لسراقة البارقي أو غيره:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراء الغميم القوافيا

فلسنا كمن كنتم تصيبون سلة ... فنقبل عقلاً أو نحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فينا مسلط ... فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

فإن قلتم إنا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا

وقد سار في ما جرّبت الحرب بيننا بني عمّنا لو كان أمرٌ أمرٌ إنّنا

وقال طارق بن الحرث • وربّ أمورٍ لا تضيرك ضيرةً ... وللقلب من مخشاتهنّ وجيبُ

وقال حارثة بن بدر • وقل للفؤاد إن نزا بك نزوةً من الروع أفرخ أكثر الروع باطله

وقال لبيد • واكذب النفس إذا حدّثتها إنّ صدق النفس يزري بالأمل

وقال الشاعر وهو حبيب بن أوس الطائي

وطول مقام المرء في الحيّ مخلقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدّد

وقال آخر • فإني رأيت الشمس زيدت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

هو الشمس إلا أن للشمس غيبةً وهذا الفتى الجرمي ليس يغيب

وقال آخر • يروح ويغدو ليس يغترّ ساعةً وإن قيل ناءٍ منك فهو قريب

خلا فالقوني من قبائله رأيه كما قيل قبل اليوم خالف تذكرا

وقال حارثة بن بدر • إذا ما امت سرّه بني تميم على الخمر ثاني لو يلقون مثلي

عدوّ عدوهم أبداً عدوّي كذلك شكلهم أبداً وشكلي

وهذا شبيه بقول الأعشى

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجلُ

وقال عمرو لمعوية من أصبر الناس قال من كان رأيه رادًّا لهواه • واختلفوا بحضرة الرشيد في معنى قول القائل فلان زاهد فقال الرشيد الزاهد الذي لا يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره • وقال ابن هبيرة وهو يوصي بعض بنيه لا تكوننّ أول مشير وإياك والرأي الفطير وتجنّب ارتجال الكلام ولا تشر على مستبدّ ولا على وغد ولا على متلوّن ولا على لجوج وخف الله في موافقة هوى المستشير فإنّ التماس موافقته لوم وسوء الاستماع منه خيانة • وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خلقه قلّ صديقه • وقال عمر للأحنف من كثر ضحكه قلّت هيبته ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلّ ورعه ومن قلّ ورعه ذهب حياؤه ومن ذهب حياؤه مات قلبه • وقال المهلّب يا بنيّ تباذلوا تحابّوا فإنّ بني الأمّ يختلفون فكيف بني العلّات إنّ البرّ ينسأ في الأجل ويزيد في العدد وإنّ القطيعة تورث القلّة وتعقب النار بعد الذلّة واتّقوا زلّة اللسان فإنّ الرجل تزلّ رجله فينتعش وتزلّ لسانه فيهلك وعليكم في الحرب بالمكيدة فإنّها أبلغ من النجدة فإنّ القتال إذا وقع وقع القضاء فإن ظفر فقد سعد وإن ظُفر به لم يقولوا فرّط • ولقي الحسين رضي الله عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال القلوب معك والسيوف عليك والنصر في السماء • وقال بعضهم حُجب أعرابي على باب السلطان فقال • أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولا يكرم النفس الذي لا يهينها •

وقال جرير • قومٌ إذا حضر الملوك وفودهم نُتفت شواربهم على الأبواب •

وقال آخر • تمنّيت جمع الخصم عند مخطّة يدبّر معانيه ورأيه ابن هشام •

فلمّا وردت الباب أيقنت أنّنا على الله والسلطان غير كرام •

وقال آخر • وإنّي لموجود لو افي من الذي يحمل بعد الحمالة فإنّ لبيس عوزك وم •

وقال الحصين بن المنذر •

وكلّ خفيف الشأن يسعى مشمّراً إذا فتح البوّاب بابك إصبعا •

ونحن الجلوس الماكثون توقّراً حياءً إلى أن يفتح الباب أجمعا •

وقال آخر • ونفسك أكرمها فإنّك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما •

اعتذر ابن عون إلى إبراهيم النخعي فقال له اسكت معذوراً فإنّ الاعتذار يخالطه الكذب أبو عمرو [illegible] قال كان عمرو بن عتبة عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من حشمه في ذلك اليوم شيئاً إلا قال لا فقال عمرو أقلّ من قول لا فإنّه ليس في الجنّة لا وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل ما يجد أعطى وإذا سئل ما لا يجد قال يصنع الله قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أكثروا لهنّ من قول لا فإنّ نعم تضريهنّ على المسألة قال وإنّما خصّ عمر بذلك النساء • وقال بعضهم ذمّ رجل الدنيا عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال عليّ الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مهبط وحي الله ومصلّى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنّة فمن ذا الذي يذمّها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وشبّهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيباً وترهيباً فيا أيّها الذامّ للدنيا المعلّل نفسه متى خدعتك الدنيا أم متى استذمّت إليك أبمصارع آبائك في البلى أم بمضاجع أمّهاتك في الثرى كم مرّضت بيديك وكم علّلت بكفّيك تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطبّاء غداة لا يغني عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك • وقال عمر رحمه الله ما بال أحدكم ثاني وساده عند امرأة مغيبة إنّ المرأة لحم على وضم إلا ما ذبّ عنه • وقال بعضهم مات ابن لبعض العظماء فعزّاه بعضهم فقال عش أيّها الملك العظيم سعيداً ولا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها • وقال لمّا توفّي معوية وجلس ابنه يزيد دخل عليه عطاء بن أبي صيفي الثقفي فقال يا أمير المؤمنين أصبحت قد رزيت خليفة الله وأعطيت خلافة الله وقد قضى معوية نحبه فغفر الله له ذنبه وقد أعطيت بعده الرياسة ووليت السياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية • ولمّا توفّي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنّئونه أم يعزّونه فأقبل غيلان بن سلمة الثقفي فسلّم عليه ثمّ قال يا أمير المؤمنين أصبحت قد رزيت خير الآباء

وسميت بخير الأسماء وأعطيت أفضل الأشياء فعظم الله لك على الرزية الصبر وأعطاك في ذلك
نوافل الأجر وأعانك على حسن الولاية والشكر ثم قضى لعبد الملك بخير القضية وأنزله بأشرف
المنازل المرضية وأعانك من بعده على الرعية فقال له الوليد من أنت فانتسب له قال
في كم أنت قال في مائة لم يبق فألحقه بأهل الشرف ولما توفي المنصور دخل ابن عتبة
مع الخطباء على المهدي فسلم ثم قال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله
لأمير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ولا عقبى
أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية واحتسب
عند الله أفضل الرزية وكتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعزيه
عن ابنه عبد الملك فكتب إليه عمر كتبت إلي تعزيني عن ابني عبد الملك وهذا أمر لم أزل أنتظره
فلما وقع لم أنكره وقال الشاعر

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ملآن مترع
ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

وقال متمم ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا وقال آخر

قليل التشكي للمصائب ذاكر من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

وقالوا أشد من الموت ما يتمنى له الموت وقال الفرزدق وهو يصف طعنة

يود لها الآسي لو مات قبلها يرون بها شرا عليه من القتل

قال وقيل للأحنف ما بلغ من حزمك قال لا آلي ما كفيت ولا أضيع ما وليت وقال آخر
لا تقيموا ببلاد ليس بها نهر جار وسوق قائمة وقاض عدل وقالوا لا تبنى المدن إلا على
الماء والمرعى والمحتطب وقال مسلم بن [illegible] لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره ويذكر
حسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنيعهم إليه حتى إنه ليخيل إلى السامع أنه صادق
مظلوم أبو عبد الله الثقفي عن عمه قال سمعت الحسن يقول لقد وقذتني كلمة سمعتها
من الحجاج قلت وأي كلام الحجاج يقذك قال نعم سمعته على هذه الأعواد يقول إن امرأ
ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحقيق أن تطول عليها حسرته وقال بعضهم كان
يقال ما وجدنا أحدا أبلغ في خير وشر من صاحب عبد الله بن مسلم قال دخل الزبرقان
بن بدر على زياد وقد كف بصره فسلم تسليما جافيا فأدناه زياد فأجلسه معه وقال
يا أبا عياش القوم يضحكون من جفائك قال وإن ضحكوا فوالله إن منهم رجل إلا يود أني
أبوه دون أبيه لغية أو لرشدة قال ونظر هشام بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيان
المري فقال جثوة من النار قال وكان يقال صاحب السوء قطعة من النار قال آخر وكان
يقال عجزان لا يتخرب لهما الداخل فيهما السفر الطويل والبناء الكثير وقال رجل من أهل

المدينة من ثقل على صديقه خف على عدوه ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون
وقال سهل بن هرون ثلاثة يعودون إلى أجل المجانين وإن كانوا أعقل العقلاء الغضبان
والغيران والسكران فقال له أبو المخلع الشاعر ما تقول في المنعظ فضحك حتى استلقى ثم قال

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

وقال أبو الدرداء أقرب
ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب قال وقال ناس البخل قيد والغضب جنون والسكر
مفتاح الشر وقال بعض العلماء ما تعب الناس لشيء تعبهم لتلافيهم يلزمونا الذم فيما
بيننا وبينهم ما لهم يلزمونا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا قال وقال إبراهيم بن عبد الله
بن حسن لأبيه ما شعر كثير عندي كما يصفه الناس فقال له أبوه إنك لن تضع كثيرا بهذا
إنما تضع بهذا نفسك قال وأنشد رجل عمر بن الخطاب رحمه الله قول طرفة

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي

فقال
عمر لولا أن أسير في سبيل الله وأضع جبهتي لله وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث
كما ينتقون أطايب التمر لم أبال أن أكون قد مت وقال عامر بن عبد قيس ما آسى من
العراق إلا على ثلاث على ظماء الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان لي منهم الأسود بن كلثوم
وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث رطب السكر وليل الخرير وحديث ابن أبي بكرة
وقال سهل بن هرون

ولكنني أبكي بعين سخينة على جلل تبكي له عين أمثالي
فراق خليل أو شجي يستشفني لخلة أمر لا يقوم لها مالي
فيا كبدي حتى متى القلب موجع بشكل حبيب أو تعذر إفضال
وما العيش إلا أن تطول بنائل وإلا لقاء الأخ ذي الخلق العالي

وقال أعرابي

لولا ثلاث هن عيش الدهر الماء والنوم وأم عمرو
لما خشيت من مضيق القبر

قال وقال الأحنف أربع من كن فيه كان كاملا
ومن تعلق بخصلة منهن كان من صالحي قومه دين يرشده أو عقل يسدده أو حسب
يصونه أو حياء يقدعه وقال المؤمن بين أربع مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر
يجاهده وشيطان يفتنه وأربع ليس أقل منهن اليقين والعدل ودرهم حلال
وأخ في الله وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما من أدام لم يعدم خصلة من أربع آية
محكمة أو قضية عادلة أو أخا مستفادا أو مجالسة العلماء وقالوا من أعطي أربعا
لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي
الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب وقال أبو حازم الأعرج
كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقالوا تعامل الناس بالدين حتى

ذهب الدين وبالحياء حتى ذهب الحياء وبالمروءة حتى ذهبت المروءة وقد صاروا إلى الرغبة والرهبة
وأجدر بهما أن تذهبا . وقال بعضهم جاء رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى طعام فقال
نأتيك على أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك ولا تدخر عنا ما عندك . وقال آخر كان شيخ يأتي ابن
المقفع فألح عليه يسأله الغداء عنده وفي ذلك يقول إنك تظن أني أتكلف لك شيئا لا والله
لا أقدم إليك إلا ما عندي قال فلما أتاه إذا ليس في منزله إلا كسر يابسة وملح جريش
ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فلما لم يذهب قال والله لئن خرجت إليك لأدقن
ساقيك فقال ابن المقفع للسائل إنك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق
وعده لم تراده كلمة ولم تقف طرفة عين . قال وكان يقال أول العلم الصمت والثاني
الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره . قال آخر كان يقال لا وحشة
أوحش من عجب ولا ظهير أعون من مشورة ولا فقر أشد من عدم العقل . وقال
مورق العجلي ضاحك معترف بذنبه خير من الباكي المدل على ربه . وقال خير من العجب
بالطاعة أن لا تأتي بطاعة . وقال شبيب لأبي جعفر إن الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعلن
فوق شكرك شكرا . وقال آخر لأبي جعفر في أول ركبة ركبها إن الله قد رأى أن لا
يجعل أحدا فوقك فقد نفسك أن لا يكون أحد أطوع لله منك . وسمع رجل يقول على
ابن له فقال ابنه والله ما أنا أشبه بك منك بأبيك ولأنت أشد تحصينا لأمي من أبيك لأمك
وقال عمرو بن عبيد لأبي جعفر إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها
وقال الأحنف ثلاث لا أناة فيهن عندي قيل وما هن يا أبا بحر قال المبادرة بالعمل الصالح
وإخراج ميتك وأن تنكح الكفو أيمك . وكان يقول لأن أدعى بخطة في ثلاحية بنتي أحب
إلي من أن يردني أذى عنها كفوا . وكان يقال ما بعد الصواب إلا الخطأ وما بعد منعهن
من الأكفاء إلا بذلهن للسفلة والغوغاء . وكان يقال لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة
إلى كذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ويباعدها وإن كانت قريبة ولا إلى أحمق
فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل
حاجتك وقاية لحاجته . وكان الأحنف يقول لا مروءة لكذوب ولا سؤدد لبخيل ولا
ورع لسيء الخلق . وقال الشعبي عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك
واجتنب الكذب في موضع ترى أنه ينفعك فإنه يضرك . وقالوا لا تضع حاجتك
إلى من معيشته من رؤوس المكاييل وألسنة الموازين . وقالوا انفرد الله عز وجل
بالكمال ولم يبرئ أحدا من النقصان . وقال قال عامر بن الظرب العدواني يا معشر
عدوان إن الخير ألوف عزوف ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه وإني لم أكن حليما حتى
اتبعت الحلماء ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم . قال وقال الأحنف لأن ادم عا

بورك فيك كلمة كانوا يدفعون بها السائل

من بعيد أحب إلي من أن أقصى من قريب . وكان يقول إذا أوسع صدر المجلس وإن صدر له صاحبه
فإنه مجلس قلعة . قال وقال زياد ما أتيت مجلسا قط إلا تركت منه ما لو أخذته كان لي
وترك ما لي أحب إلي من أخذ ما ليس لي . وقال الأحنف ما كشفت أحدا عن حاله عندي
إلا وجدته دون ما كنت أظن . قال وأثنى رجل على علي بن أبي طالب فأفرط وكان عليه
متهما فقال أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك . قال وكان يقال خمس خصال تكون في
الجاهل الغضب في غير غضب والكلام في غير نفع والعطية في غير موضع والثقة
بكل أحد وأن لا يعرف صديقه من عدوه . وأثنى أعرابي على رجل فقال إن خيره
لسريح وإن منعه لمريح وإن رفده لربيح . وقال سعيد بن سلم كنت واليا بأرمينية
فغبر أبو دهمان الغلابي على بابي أياما فلما وصل مثل بين يدي قائما بين السماطين
وقال والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه
مسكة لأرماقهم إيثارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشي أما والله إني لبعيد الوثبة
بطيء العطفة إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفك عني ولأن أكون مقلا مقربا
أحب إلي من أن أكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا إلا ونحن أكثر منه
وهذا الأمر الذي صار إليك وفي يديك قد كان في يدي غيرك فأمسوا والله حديثا إن خيرا
فخير وإن شرا فشر فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الحجاب فإن حب عباد الله موصول
بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج
عن سبيله . ودخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام على خالد بن عبد الله القسري
بعد حجاب شديد وكان عتبة سخيا فقال خالد يعرض به إن ههنا رجالا يدانون في
أموالهم فإذا فنيت ادانوا في أعراضهم فعلم القرشي أنه يعرض به فقال أصلح الله الأمير
إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروءاتهم فأولئك تبقى لهم أموالهم ورجالا تكون
مروءاتهم أكثر من أموالهم فإذا نفدت ادانوا على سعة ما عند الله فخجل خالد وقال إنك
لمنهم ما علمت . قال وقيل لعبد الله بن حسن ما لك أجبت أمير المؤمنين إذ سألك عن هلال
قال إنه إلي مستكثر حسدني وإن استقله حقرني . أبو الحسن قال وعظ عمرو بنيه
فقال تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين . ثم قال
الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم وإذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه ولتعلموا أن
عنده لها أخوات . قال وقال رجل لرجل هب لي درهما قال أتصغره لقد صغرت
عظيما الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف عشر
الدية . قال الأصمعي خرجت بالبادية قرحة في جوفه فبرق برقة خضراء فقيل له
قد برأت إذ نبت فيها خضراء قال والله لو لم يبق في الدنيا زمردة خضراء إلا بر فيها ما نجوت

سريح سهل ومريح يريد من كرب القلب

بن عمرو

بن يزيد بن أسد

مر الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان فرأى جارية فقال ويلك ما للجارية قال أعلمها القرآن قال فليكن الذي يعلمها أصغر منها . إسحق بن أيوب قال هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله يقول لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا قال ذاك القليل نريد . وهرب رجل من الطاعون إلى النجف أيام شريح فكتب إليه شريح أما بعد فإن الفرار لن يبعد أجلا ولن يكثر رزقا وإن المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل رزقا وإن من بالنجف من ذي قدرة لقريب

قالوا ودخل على الوليد فتى من بني مخزوم فقال له زوجني ابنتك فقال هل قرأت القرآن قال لا قال أدنوه مني فأدنوه منه فضرب عمامته بقضيب كان في يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل ضمه إليك فإذا قرأ القرآن فزوجناه . ولما استعمل يزيد بن أبي مسلم بعد الحجاج قال أنا كمن سقط منه درهم فوجد دينارا . وقال يزيد بن أبي مسلم قال لي الحجاج إنما أنت جلدة ما بين عيني وأنا أقول إنك جلدة وجهي كله . ومع هذا إنه صعد المنبر فقال علي بن أبي طالب لص ابن لص صب عليه شؤبوب عذاب فقال أعرابي كان تحت المنبر ما يقول أميركم هذا وفي قوله لص بن لص أعجوبتان إحداهما رميه علي بن أبي طالب أنه لص والأخرى أنه بلغ من جهله ما لم يجهله أحد أنه ضم اللام من لص

أبو بكر بن عبد العزيز الدمشقي قال سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولي الخلافة وهو يقول إذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لي عليكم وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لي عليكم وإذا جمرتكم فلا طاعة لي عليكم فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لأبيه يا أمير المؤمنين قتل أبي فديك وقال مرة أخرى يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان . قال وقال عبد الملك أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية قال ولحن الوليد على المنبر فقال [illegible] والله إن رأيته على هذه الأعواد قط فأمكنني أن أملأ عيني منه من كثرة ما في عيني وجلالته فإذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندي كبعض أعوانه . وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التي تذكر فيها الحاقة فقرأ يا ليتها كانت القاضية فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال أما إنه إن كان قالها [illegible] لا أجرانا الحريق . قالوا وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ولم يكن في ولده أفصح من هشام ومسلمة . قال وقال صاحب الحديث الأول أخبرني أبو [illegible] عن إسحق بن قبيصة قال كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة وكذلك كتب محمد فقلت لمولى لمحمد ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة فأخبره المولى بقولي فإذا كتاب قد ورد علي أما بعد فقد أخبرني فلان بما قلت وما أحسبك تشك أن قريشا أفصح من الأشعريين والسلام . ومن بني صريم الصدق بن علق وقد به الحجاج على الوليد بن عبد الملك فقال له ممن أنت فقال له من بني صريم قال له ما اسمك قال الصدق بن علق قال دعا في عنقه خارجي خبيث هذا يدل على أن عامة بني صريم كانوا خوارج . وكان منهم البرك الصريمي واسمه الحجاج الذي ضرب معوية بالسيف وله حديث . والخرج بن الصدق بن علق كان خطيبا وقال الشاعر في بني صريم

لا حي حيث تدركني ملامي ... وبئس الحي من بني صريم

فيا ما يطعنون على معد ... وكلهم على دين الخطيم

والخطيم باهلي . قال الأصمعي وأبو الحسن دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما نجدك تملك عشرين سنة وقال الآخر كذبت بل نجدك تملك ستين سنة قال فقال الوليد ما الذي قال هذا لا يبطرني بصغره ولا ما قال هذا يغرني مثله والله لأجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولأفرقنه تفريق من يموت غدا . وخطب الوليد فقال إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول إن الحجاج جلدة ما بين عيني ألا وإنه جلدة وجهي كله

باب اللحن

قال أبو عثمن عمرو بن بحر حدثنا هشام أبو يحيى عن الأعمش عن عمارة بن عمير قال كان أبو معمر يحدثنا فيلحن يتبع ما سمع . أبو الحسن قال أوفد زياد عبيد الله بن زياد إلى معوية فكتب إليه معوية إن ابنك كما وصفت ولكن قوم من لسانه وكانت في عبيد الله لكنة لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة وكان زياد زوجها من شيرويه الأسواري وكان قال مرة افتحوا سيوفكم يريد سلوا سيوفكم فقال يزيد بن مفرغ

ويوم فتحت سيفك من بعيد ... أضعت وكل أمرك للضياع

ولما كلمه سويد بن منجوف في المختار بن أبي ثور وقال له يا ابن الخطراء فقال له سويد كذبت نساء بني سدوس قال اجلس على است الأرض قال سويد ما كنت أحسب أن للأرض استا . وقالوا قال بشر بن مروان وعنده عمر بن عبد العزيز لغلام له ادع لي صالحا فقال الغلام يا صالحا فقال له بشر ألق منها ألف قال له عمر وأنت فزد في ألفك ألفا . وحدثهم يزيد مولى ابن عون قال كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء فكان إذا دعاها قال يا ضمياء بالضاد قال فقال له ابن المقفع قل يا ظمياء فناداها يا ضمياء قال فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال هي جاريتي أو جاريتك . قال نصر بن سيار لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك . وكان محمد بن الجهم ولى المكي صاحب النظام موضعا من مواضع كسكر وكان المكي لا يحسن أن يسمي ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه وكان اسم ذلك الموضع شانمشنا . وقيل لأبي حنيفة ما تقول في رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيده به قال لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس . وقال يوسف بن خالد السمتي لعمرو بن عبيد

ما تقول في دجاجة ذبحت من قفاها قال له عمرو احسن قال من قفاءها قال احسن قال من قفاها قال من علمك هذا اقول من قفاها واسترح ، قال وسمعت يوسف بن خالد يقول لا حتى يشجه بكسر الشين يريد حتى يشجه بضم الشين ، وكان يوسف يقول هذا احمر من هذا يريد هذا اشد حمرة من هذا ، وقال بشر المريسي قضى الله لكم الحوائج على احسن الوجوه واهنوها فقال قاسم التمار هذا على قوله

إن سليمى والله يكلوها ، ضنت بشيء ما كان يرزوها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر ، وقال مسلم بن سلام حدثني ابان بن عثمان قال كان زياد النبطي أخو حسان النبطي شديد اللكنة وكان نحويا قال وكان بخيلا ودعا غلامه ثلاثا فلما اجابه قال فمن لدن دعوتك إلى أن قلت لبي ما كنت تصنع يريد من لدن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع ، قال وكانت ام نوح وبلال ابني جرير اعجمية فقال لها لا تكلمي إذا كان عندنا رجال فقالت يوما يا نوح جرذان دخل في عجان امك وكان الجرذ أكل من عجينها ، قال ابو الحسن اهدي إلى فيل مولى زياد حمار وحش فقال لزياد اهدوا لنا همار وهش قال أي شيء تقول ويلك قال اهدوا لنا ايرا يريد عيرا قال زياد الثاني شر من الاول ، قال يحيى بن نوفل

لون تك ذيه فصيح اللسان خطيبا فإن استه تلحن

عليك بسط ودمامة وملح يدق ولا يطحن

وجلبيت كرمان والثاقبة وشمع يسخن في مدهن

فهذا الشعر في بعض معانيه يشبه قول ابن مناذر

إذا انت تعلقت بحبل من ابي الصلت ، تعلقت بحبل واهن القوة منبت

تحدث من شعر كيسان ومن اطعار سخت

وقال المرء ماسرجويه دار المرء من تحت

وقال ابن دخت

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ، وانف كمثل العود عما تتبع

تتبع لحنا في كلام مرقش ، وخلقك مبني على اللحن اجمع

وعيناك اقواء وانفك مكفأ ، ووجهك ايطاء فانت المرقع

وقال المسيلي في مجالسه اهل المدينة

ولحنكم بتقعير وفد وانتم من بين على النقار

علي بن معاذ قال كتبت إلى فتى كتابا فلا جاءني فإذا عنوان الكتاب إلى ابو الذي كتب إليه ، وقرأت على عنوان كتاب إلى ابو امية الشمري من بين الشمر زيدي للموت انا قبله ، وكتب ابن المراغي إلى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته ، وقال ابرهيم بن

خ الحبر

خ في قريض

سيابة انا لا اقول مت قبلك لاني إذا مت قبلك مت موتا بعدي ولكن اقول مت بدلك ، وكتب عقال بن شبة بن عقال إلى زهير بن المسيب للأمير المسيب بن زهير من عقال بن شبة بن عقال ، ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يشرك قال ابوه على خاتمه هذا اقبح من الشرك ، وقال عبد الملك بن مروان اللحن هجنة على الشريف والعجب آفة الرأي ، وكان يقال اللحن في المنطق اقبح من آثار الجدري في الوجه ، وقال يحيى بن نوفل في خالد بن عبد الله القسري

والحن الناس كل الناس قاطبة ، وكان يولع بالتشديق في الخطب

ودعا المدائني ان خالد بن عبد الله وكان يولع بالتشديق قال ان كنتم رجبيون فانا رمضانيون ولولا ان تلك العجائب قد جمعت على الوليد ما جوزت هذا على خالد ، قال وكتب الحصين بن ابي الحر كتابا إلى عمر فلحن في حرف منه فكتب إليه عمر ان قنع كاتبك سوطا ، وبلغني عن كثير بن احمد بن زهير بن كثير بن سيار انه كان ينشد بيت ابي ذؤيب

أ ينسيني الدرع قد طال عن الحرب جماحها ، فسألته عن ذلك فقلت

أنه انما قال ، أ ينسيني الدرع قد طال عن الحرب جماحها ، قال الله تبارك وتعالى ولتعرفنهم في لحن القول فاللحن في هذا الموضع غير اللحن في ذلك الموضع ، وكان سليمن بن عبد الملك يقول المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث يفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الاعراب وقال الشاعر في نحو ذلك

لعمري لقد فخمت حتى لقيتنا ، وانت بتقعيب الكلام جدير

وقال خلف الاحمر

وفي فعهن بتقعيبه كما قعد الرقيد بين السحاب

وقال الفيساني

ولحنكم بتقعيب وفد ، وانتم من يرب على النقار

وقال الاصمعي خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقفي رجلا إلى بلال بن ابي بردة فجعل عيسى يتتبع الاعراب وجعل الرجل ينظر إليه فقال له بلال لان يذهب بعض حق هذا احب إليه من ترك الاعراب فلا تتشاغل به واقصد لحجتك ، وقدم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان في دين له عليه فقال اصلح الله الامير لي عليه درهمان قال خصمه لا والله ايها الامير إن هي إلا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما ، قال خاصم رجل إلى الشعبي او إلى شريح رجلا فقال ان هذا باعني غلاما فصيحا صبيحا قال حدثنا محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ، قال مرة ماسرجويه لي في اجره خلقي قال انه يعمل بالعجم فلما جاوز قال انا احسن ان اقول بلغم ولكنه كلمني بالعربية فكلمته بالعربية ، وروى ابو الحسن ان الحجاج كان يقرأ انا من المجرمون منتقمون ، وقد زعم رؤبة بن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج

يتسع

دخل الحكس والامراء للمصنف ... ولكنه قال بالعربية فاجبته بعضها عمدا

وغلط الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله صادِ والقرآن والحرف الآخر وما تنزلت به الشياطون. أبو الحسن قال كان سابق الأعمى يقرأ الخالق البارئ المصوَّر وكان ابن جابان إذا لقيه قال يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه. قال وقرأ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقال ابن جابان وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم. وقال مسلمة بن عبد الملك إني لأحب أن أسأل مرار الشيخ يعني عمرو بن مسلم فما يمنعني منه إلا لحنه. قال وكان أيوب السختياني يقول تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض. وقال رجل للحسن يا أبي سعيد فقال أكسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد. قالوا وأول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي وأول لحن سمع بالعراق حيّ على الفلاح.

ومن اللحانين البلغاء ○

خالد بن عبد الله القسري وخالد بن صفوان الأهتمي وعيسى بن المدور. وقال بعض الشعراء أعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في أعمالنا ما نعرب. قال أخبرني الربيع بن عبد الرحمن السلمي قال قلت لأعرابي أتهمز إسرائيل قال إني إذاً لرجل سوء. قال قلت أفتجر فلسطين قال إني إذاً لقوي. وكان هشيم يقول حدثنا يونس عن الحسن يقولها بفتح الياء وكسر النون. وكان عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي يقول فأخذه فذبحه فطبخه فأكله يكسر هذا أجمع. وكان مهدي بن مهلهل يقول حدثنا هشام مجرومة ثم يقول ابن ويجرمه ثم يقول حسان ويجرمه لأنه حين لم يكن نحوياً رأى أن السلامة في الوقف. وأما خالد بن الحارث وبشر بن المفضل الفقيهان فإنهما كانا لا يلحنان ○ وممن كان لا يلحن البتة حتى كأن لسانه لسان أعرابي فصيح أبو زيد النحوي وأبو سعيد المعلم. قال خلف قلت لأعرابي ألقي عليك بيتاً قال على نفسك فألقه. وقال أبو الفضل العنبري لعلي بن بشير إني التقطت كتاباً من الطريق فأنبئت أن فيه شعراً أفتريده حتى آتيك به قال نعم إن كان مقيداً قال والله ما أدري أمقيد هو أم مغلول. الأصمعي قال قيل لأعرابي أتهمز الرمح قال نعم قيل له فقلها مهموزة فقالها مهموزة قيل له أتهمز الترس قال نعم فلم يدع سيفاً ولا ترساً إلا همزه فقال له أخوه وهو يسخر به دعوا أخي فإنه يهمز السلاح أجمع. وقال بعضهم ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث فقال إن أبونا مات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال فلا رحم الله أباك ولا نيح عظم أخيك قم في لعنة الله. وقال أبو شيبة قاضي واسط أتيتمونا بعدما أردنا أن نقوم. قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب من الجزء الأول وفي بعض الجزء الثاني كلاماً من كلام العقلاء البلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمحرومين من الأعراب ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل

المرة من الموسوسين ومن كلام أهل الغفلة من النوكى وأصحاب التكلف من الحمقى فجعلنا بعضها في باب الاتعاظ والاعتبار وبعضها في باب الهزل والفكاهة ولكل جنس من هذا موضع يصلح له ولا بد لمن استكد الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل. قال أبو عبيدة أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً له في حلبة فجاء سابقاً فقال لأبيه يا أبه بأي شيء أسميه فقال افقأ إحدى عينيه وسمه الأعور. وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد ويستخفون أحلامهم. قال عمر بن لجإ:

تصكلت الحيها على دلائها ۞ تلاطم الأزد على عطائها

وقال بشار:

وكأن غلي دنانهم في دورهم ۞ لغط العتيك على خوان زياد

وقال الراجز:

لبئس في أوفل في بجاد ۞ خازم جفوني وضربي بلادي ۞ أوجح الظلماء عن سواد
أمريد لشول بكرت صوادي ۞ كأنما أصواتها بالوادي ۞ أصوات حج من عمان غادي

وقال الآخر:

وإذا سمعت مريلهن حسبته ۞ لغط المعاول في بيوت هداد

وبسبب هذا يدخلون في هذا المعنى قبائل اليمانية. وقال ابن أحمر:

أخالد لما سمعت عزبلا فتحسبه ۞ إمارة العشر لئلا حين تنتشر

وقال الكميت:

كأن الغطامط من غليها ۞ أراجيز أسلم تهجو غفارا

فجعل الأراجيز التي شبهها في لغطها والتفاتها بصوت غليان القدر لأسلم دون غفار.

باب النوكى

قالوا ومن النوكى مالك بن زيد مناة بن تميم الذي لما أدخل على امرأته ورأت ما رأت به من الجفاء والجهل وجلس في ناحية متقبضاً مشتملاً قالت ضع عُلبتك قال يدي أحفظ لها قالت فاخلع نعليك قال رجلاي أحفظ لهما قالت فضع شملتك قال ظهري أولى بها فلما رأت ذلك قامت فجلست إلى جنبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها. ومن المجانين والموسوسين والنوكى ابن قنان وصباح الموسوس وريسموس اليوناني وأبو حية النميري وأبو ياسين الحاسب وجعيفران الشاعر وحجر نعش. ومنهم سارية الليل. ومنهم ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهي التي نقضت غزلها أنكاثاً فضرب الله تبارك وتعالى بها المثل وهي التي قيل لها خرقاء وجدت صوفاً. ومنهم دغة وجهيزة وشولة ودابغة المغيرية. ولكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها في موضعها إن شاء الله. فأما ريسموس فكان من موسوسي اليونانيين قال له قائل ما بال ريسموس يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله قال مثله مثل المسن الذي يشحذ ولا يقطع. ورآه رجل يأكل في السوق فقال ما بال ريسموس يأكل في السوق قال إذا جاع في السوق أكل في السوق. وألح عليه بالشتيمة رجل وهو ساكت فقيل له أيشتمك مثل هذا وأنت ساكت قال أرأيت إن نبحك كلب أتنبحه وإن رمحك حمار أترمحه. وكان إذا خرج مع البحر يريد الغمرات ألقى في الماء بابه حجراً

حتى لا يعطيه دفع بابه فإذا رجع وكان كلما رجع إلى بابه وجد الحجر موضوعًا والباب منصفقًا فعلم
أن أحدًا يأخذ الحجر من مكانه فكمن لصاحبه يومًا فلما دنا ليأخذ الحجر قال ما لك تأخذ ما ليس
لك قال لم أعلم أنه لك قال فقد علمت أنه ليس لك . وأما جعيفران الموسوس الشاعر فشهده
رجلًا أفطار في رمضان وقال له قل شعرًا على الجيم فأنشأ يقول :

عادني الهم فاعتلج كل هم إلى فرج . سل عنك الهموم بالكأس والراح تنفرج

وهي أبيات وكان يتشيع فقال له قائل أتشتم فاطمة وتأخذ درهمًا قال لا بل أشتم عائشة
وآخذ نصف درهم وهو الذي يقول : ما جعفر لأبيه ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير فكلهم يدعيه . هذا يقول بني وذا يخاصم فيه . والأم تضحك منهم لعلمها بأبيه
وهو الذي يقول في قوم لاطة : كأنهم والأيور عامدة صيارف في جلائه النشط .
وأما أبو ياسين الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكيره في مسألة فلما جن كان يهذي أنه سيصير
ملكًا وهذا لم يخرجه من الملاحم . وكان أبو نواس والرقاشي يقولان على لسانه أشعارًا
على مذاهب أشعار ابن عقب الليثي ويرويانها أبا ياسين فإذا حفظها لم يشك أنه الذي قالها
فمن تلك الأشعار قول أبي نواس :

منع النوم ادكاري زمنًا يحمل ويلي وأشياء تكر
واعتراك الروم في معمعة ليس فيها لجبان من مفر
كائنات ليس عنها مذهب خطها يوشع في كتب الزبر
وعلامات ستأتي قبله جمة أولها سكر النهر
ويليهم رجل من هاشم أقنص الناس جميعًا للحمر
يشتري في الحضر من مسجدهم للمصلين من الشمس ستر
وزجاج يشتري مظهرة ضخمة في وسطها طست صفر
فهنا كم حين تفشوا أمركم وهناكم تنزل الأمر الكبر
فابتعوا حيث ما سار بكم أيها الناس وإن طال السفر
وادعوا بالله أن يمتعوا به لعن الرحمن من منه سخر

والبصريون يزعمون أن أبا ياسين كان أحسب الناس . وأما أبو حية النميري فإنه كان
أجن من جعيفران وكان أشعر الناس وهو الذي يقول :

ألا حي أطلال الرسوم البواليا لبسن البلى مما لبسن اللياليا

وفي هذه القصيدة يقول :

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

وهو الذي يقول :

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم

وحدثني أبو المخوب قال قال أبو حية عن لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي فعارضه والله السهم
ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الخبارات وقال رميت والله ظبية فلما نفذ السهم ذكرت
بالظبية حبيبة لي فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه . وكان يكلم العمار ويخبر عن مغاوضتهم
الجن . وأما جحر نفش فإنه لما خلع الفرزدق لجام بغلته وأدنى رأسها من ثملة قال له جحر نفش
تغلتك بغلتك خلق الله سأقتلك قال ولم عافاك الله قال لأنك كذوب الخنجر وذا بني الكمر
قال أبو الحسن وبلغني أن الفرزدق لما أتى قال له جحر نفش ما قال ناداني بالبتي سدوس فلما
اجتمعوا إليه قال سودوا الجرنفش عليكم فإني لم أر فيكم أعقل منه . ومن مجانين الكوفة
عيناوة وطاق البصل . حدثني صديق لي قال قلت لعيناوة أيما أجن أنت أو طاق البصل
قال أنا شيء وطاق البصل شيء . ومن مجانين الكوفة بهلول وكان يتشيع فقال له إسحق بن
الصباح أكثر الله في الشيعة مثلك قال بل أكثر الله في المرجئة مثلي وأكثر في الشيعة مثلك
وكان حيول القفا فربما مر به من يحب العبث فيقعد يحشا فقفاه خرقا وجلس على قارعة
الطريق فكلما قعد إنسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به يا فتى شم ريحك فلم يعد بعدها
أحد يقعد . وكان يغني بغير إطار وينكت بدانق . وكانت بالكوفة امرأة يقال لها
مجيبة فقبر بهلولا فتى كانت مجيبة أرضعته فقال له بهلول كيف لا تكون أرضعت وقد
أرضعتك مجيبة فوالله لقد كانت تزوق لي الفرخ فأرى الزعفران في طرابه . قال حدثني
حجر بن عبد الجبار قال مر موسى بن أبي الروقاء فنادى صباح الموسوس يا ابن أبي الروقاء
أسمنت برذونك وأهزلت دينك أما والله إن أمامك لعقبة لا يجاوزها إلا المخف فحبس
موسى برذونه وقال من هذا فقيل له هذا صباح الموسوس فقال ما هو بموسوس هذا نذير
قال أبو الحسن دعا بعض السلاطين مجنونين ليضحكهما فيضحك مما يجيء منهما فلما أسمعاه
وأسمعهما غضب ودعا بالسيف فقال أحدهما كنا مجنونين فصرنا ثلاثة . وقال عمرو بن عثمان
شيعت عبد العزيز بن عبد الملك المخزومي وهو قاضي مكة إلى منزله وبباب المسجد مجنونة
تصفق وهي تقول : أرق عيني ضراط القاضي . فقال يا أبا حفص أتراها
تعني قاضي مكة . وقال تذاكروا الثلج فقال قوم أحسن الثلج ما كان على يبس وهو أن يصير
ثلاثة وقال آخرون على الرأي وهو أن يصير عينًا فقال مجنون البكرات أنا أيضًا الثلج إذا
أردت أن أقول شريطًا قلت رشيطًا . قال وبعث عبد الله بن عمرو بن عمرو الوليد إلى الوليد
بقطيفة حمراء وكتب إلى الوليد إني قد بعثت إليك بقطيفة حمراء حمراء فكتب إليه الوليد قد
وصلت إلي القطيفة وأنت يا أخي أحمق أحمق . وقال محمد بن بلال لوكيله زيد اشتر لي
طينًا سيرافيًا قال تريده سيرافيًا أو سيرافي سيرافي . وقال محمد بن الجهم البرمكي أراك
مستبصرًا في اعتقاد الخزي الذي لا يجزئ فينبغي أن يكون عندك حقًا حقًا قال أما أن يكون

عندي حقًا حقًا فلا ولكنه عندي حق . ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة
بنت الرشيد على أن يشتري طعامًا من طعامها في بعض الأيام فقال لها إني قد رأيت متاعك قالت
الهاشمية فلِمَ طعامك قال وقد أخذت بيدي فيه فإذا متاعك قد حمّ وحمي وكان مثل الحيقة قالت
يا أبا طالب ألست قد قلت للشعير فأعطنا ما شئت وإن وجدته فاسدًا . ودخل أبو طالب
على المأمون فقال كان أبوك يا أبا جعفر لنا منطك وأنت يا أبا النبيس تعدنا ولست تبعث إلينا
ونحن يا أبا تجارتك وجيرانك والمأمون في كل ذلك يتبسم . قيل للمثنى بن يزيد بن عمر
بن هبيرة وهو على اليمامة إن ههنا مجنونًا له نوادر فأتوه به فقال ما مجلة الشماش قال
الفلج الغادي فغضب ابن هبيرة وقال ما جئتموني به إلا عمدًا ما هذا بمجنون والشماش يوم
كان لقيس على حنيفة والفلج يوم كان لحنيفة على قيس وأنشدوا

تري القوم أشواءًا إذا احتسبوا معًا وفي القوم زيف مثل زيف الدراهم

وقال

فتى زاده عز المهابة ذلة وكل عزيز عنده متواضع

وقال

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

باب في الرثاء

قال جعفر بن أخت واصل كتب رجل
إلى صديق له بلغني أن في بستانك أمسًا تهمني فهب لي منه أمرًا من أمر الله عظيم . وقال
أبو عبد الملك مولى آل زيد كان يقال له حقاق كان عياش وثمامة في كان يعظمني تعظيمًا
ليس في الدنيا مثله فلما مات ثمامة صار ليس يعظمني تعظيمًا ليس في الدنيا مثله . وقال له
عياش بن القاسم بلغني شيء تزعمون أن أبا علي الأسواري أفضل من سلام أبي المنذر قال
بلى لأنه لما مات سلام أبو المنذر مشى أبو علي في جنازته فلما مات أبو علي لم يمش سلام
في جنازته . وكان يقول فيك عشر خصال من الشر أما الثانية فأما الرابعة كذا وأما
السابعة كذا وأما العاشرة كذا . قال قلنا للقعقعي كيف تثاؤبك على حمدان بن حبيب
قال هو والله عندي النكرة النكرة . وقال الحزمة الهدية أجركم الله وعظم أجركم وأجركم
فقيل له في ذلك فقال هذا كما قال عثمن بن الحكم بارك الله لكم وبارك عليكم وبارك فيكم
فلو الدنيا وتلك إن هذا مما يشبه ذلك . وكتب إلى بعض الأمراء أبقاك الله وأطال بقاءك
ومد في عمرك . وكان لبوادة رئيس السمارين يقول وأنت فلا صبحك الله إلا بالخير ويقول
وأنت فلا حياك الله وجهك إلا بالسلام وأنتم فلا يسكم الله إلا بالخير . ومر ابن أبي
طعمة فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه صغير تلان فقال له يا ذا القرنين
إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض . قال المهلب لرجل من بني ملكان أجرني عن يحيى
متى أنت قال أنا مع عتيبة بن الحرث بن شهاب وأقبل على رجل من الأزد فقال له متى أنت قال

أكلت من حيسة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر قال أطعمك الله لحمك وأنشد المعيطي

وإني في طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت الذي لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

قال وخطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد فقال هذا كما قال الله

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

وخطب والي اليمامة فقال إن الله لا يقار عباده على المعاصي وقد أهلك الله أمة عظيمة
في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم فسمي مقوم ناقة الله . وعدة كثيرة من الخلفاء والأعراب
المحرميين وأصحاب الغرة ... وعن قلة فقههم في الدين لو أخطبوا على المنابر فكأنهم في طباع
الخلفاء المجانين . وخطب وكيع بن أبي سود بخراسان إن الله خلق السموات والأرض في
ستة أشهر فقيل له إنما ستة أيام قال وأبيك لقد قلتها وأنا مستقلها . وصعد المنبر
فقال إن ربيعة لم تزل غضابًا على الله مذ بعث نبيه في مضر ألا وإن ربيعة قوم كشف
فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل في مناخرها فإن فرسًا لم يطعن في منخره إلا كان
أشد على فارسه من عدوه . وضربت بنو مازن الحتات بن يزيد المجاشعي فجاءت جماعة منهم
فيهم غالب أبو الفرزدق فقال يا قوم كونوا كما قال الله لا يعجز القوم إذا تعاونوا . وزعم
بنو تميم أن صبرة بن شيمان قال في حرب مسعود والأحنف إن جاء حتات جئت وإن جاء
الأحنف جئت وإن جاء جارية جئت وإن جاءوا جئنا وإن لم يجيئوا لم نجئ وهذا باطل . وقد سمعنا
لصبرة كلامًا لا ينبغي أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام . ولما سمع الأحنف
فتيان بني تميم يضحكون من قول الفرزدق

لحا الله قومًا شبوا جارهم إذا الشاء بالدوّ مميس الشعب
أري كل قوم رعوا جارهم وجار تميم دخان ذهب

قال تضحكون أما والله إن فيه لمعنى سوء . قال وكان قبيصة يقول رأيت عرفة فوق
النبت . ورأى جرادًا يطير فقال لا يهولنكم ما ترون فإن عامتها موتى وإنه في أول
ما خلق الجراد قبل جرادة ووضعها على عينيه على أنها من البلكون . وهذه الأشياء
ولدها الهيثم بن عدي عند صنيع داود بن يزيد في أمر تلك المرأة ما صنع . قال أبو الحسن
وتغدى أبو السرايا عند سليمن بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهد وقدامه جدي فقال
كل من كليته فإنه تزيد في الدماغ فقال لو كان هذا هكذا لكان رأس الأمير مثل رأس
البغل . قال أبو كعب كنا عند عياش بن القاسم ومعنا سيفويه القاص فأتينا بفالوذجة
حارة وابتلع سيفويه منها لقمة فغشي عليه من شدة حرها فلما أفاق قال مات لي ثلاثة
بنين ما دخل جوفي عليهم من الحرقة ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة . سعيد بن أبي

موقيعة بن المهلب

قال

سليط قال جالسني رجل بعقير لا يكلمني ساعة ثم قال لي جلست قط على رأس تنور فخريت فيه
آمنا مطمئنا قال قلت لا قال فإنك لم تعرف شيئا من النعيم قط ، قال وقال هشام بن عبد الملك
ذات يوم لجلسائه أي شيء ألذ قال له الأبرش بن حسان أصابك جرب قط فحككته قال
ما لك أجرب الله جلدك ولا فرج عنك وكان آنس الناس به ، ومن عجائب الحمقى المذهب
الذي ذهب إليه الكميت بن زيد في مديح النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

فاعتتب الشوق من فؤادي والشعر إلى من إليه معتتب ،
إلى السراج المنير أحمد لا تعدلني رغبة ولا رهب ،
عنه إلى غيره ولو رفع الناس إلي العيون وارتقبوا ،
وقيل أفرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون أو ثلبوا ،
إليك يا خير من تضمنت الأرض ولو عاب قولي العيب
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللجب

فمن رأى شاعرا مدح النبي صلى الله عليه وسلم فاعترض عليه واحد من جميع أصناف
الناس حتى يزعم أن ناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه ولقد مدح النبي صلى الله
عليه وسلم فما زاد على قوله :

فبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهل بذلك يثرب ،
يعني قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويثرب يعني المدينة ،
لقد غيبوا برا وحزما ونائلا عشية واراه الصفيح المنصب ،

وهذا شعر يصلح في عامة الناس ، وكتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب إنك
والله ما أنت بصاحب هذا الأمر صاحب هذا الأمر مغمور وموتور وأنت مشهور غير موتور
فقال له رجل من الأزد يقال له عثمن بن المفضل قدم ابنك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا
وقال جاءه ابن الجرنيع بن علي وكان ابن خال يزيد بن المهلب فقال ليزيد زوجني بعض ولدك
فقال له عثمن بن المفضل زوجه ابنك مخلدا فإنه إنما طلب بعض الولد ولم يستثن شيئا
ومن الحمقى كثير عزة ، ومن حمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحه بمديح استجاده
فقال له سلني حوائجك قال تجعلني في مكان ابن رمانة قال ويلك ذاك رجل كاتب وأنت
شاعر فلما خرج ولم ينل شيئا قال :

عجبت لأخذي خطة الغي بعدما تبين من عبد العزيز قبولها ،
فإن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكنني منها إذا لا أقيلها ،

قال أبو الحسن قال الطارقي قال ابن جلا لقي رجل رجلا ومعه كلبان فقال هب لي أحدهما
قال أيهما تريد قال الأسود قال الأسود أحب إلي من الأبيض قال فهب لي الأبيض قال

الأبيض أحب إلي من كليهما ، قال وقال رجل لرجل بكم تبيع الشاة قال أخذتها بستة
وهي خير من سبعة وقد أعطيت بها ثمانية فإن كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة ،
قال أبو الحسن قال الطارقي بن المبارك دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال كساني الأمير
ثوبين فاتزرت بالآخر وارتديت بالآخر ، قال ومرض فتى عندنا فقال له عمه أي شيء
تشتهي قال رأس كبشين قال لا يكون قال فرأسي كبش ، الطارقي قال وقع بين جار لنا وجار
له يكنى أبا عيسى كلام فقال اللهم خذ مني لأبي عيسى قالوا أتدعو الله على نفسك قال فخذ
لأبي عيسى مني ، أبو بكر الهذلي قال دخل عمرو بن سعيد على معوية وهو ثقيل فقال
كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت صالحا قال أصبحت عينك غائرة ولونك كاسفا
وأنفك ذابلا فاعهد عهدك ولا تخدعن عن نفسك ، قال وقال عبيد الله بن زياد بن
ظبيان التيمي يرحم الله عمر بن الخطاب كان يقول اللهم إني أعوذ بك من الزانيات
وأبناء الزانيات فقال عبيد الله بن زياد بن أبيه يرحم الله عمر كان يقول لم يقم جنين
في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقا ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون كونوا بلها كالحمام ، وقال قائل حمقة صاحبي علي أشد ضررا منها عليه ، وقالوا
شرد بعير لهبنقة القيسي وبحمقه يضرب المثل فقال من جاء به فله بعيران فقيل له
أتجعل في بعير بعيرين فقال إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان واسمه يزيد بن ثروان وكنيته
أبو نافع قال الشاعر :

عش بجد ولا يضرك نوك إنما عيش من ترى بالجدود ،
عش بجد وكن هبنقة القيسي نوكا أو شيبة بن الوليد ،

هبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، ولما خلع قتيبة بن مسلم سليمن بن
عبد الملك بخراسان قام خطيبا فقال يا أهل خراسان أتدرون من وليكم إنما وليكم يزيد
بن ثروان كنى به عن هبنقة وذلك أن هبنقة كان يحبس من إبله الإبل السمان ويدع المهازيل
ويقول إنما أكرم من أكرم الله وأهين من أهان الله وكذلك كان سليمن يعطي الأغنياء
ولا يعطي الفقراء ويقول أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله ، وقال الفرزدق
ما عييت بجواب أحد قط ما عييت بجواب مجنون بديرهم فلما دخلت فإذا هو مشدود إلى
أسطوانة فقلت بلغني أنك حاسب قال ألق علي ما شئت قال فقلت أمسك معك خمسة
وجلدتها قال نعم قلت أمسك معك أربعة وجلدتها قال نعم قلت كم معك قال تسعة
وجلدتها مرتين ، وكان زريق العزاري يمر بالليل وهو شارب فيشتمه أهل المجلس
فلما أن كان بالغداة عاتبوه قال نعم زنيت أمهاتكم مرارا عليكم ، قال وخطب يوما
حتاب بن ورقاء فقال مرارا كما قال الله تبارك وتعالى إنما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل

ما هو آتٍ قريب. قالوا له: إنّ هذا ليس من كتاب الله. قال: ما ظننت إلا أنّه من كتاب الله.

قال: وخطب عديّ بن أرطاة على منبر ... فقال: أقول كما قال العبد الصالح: ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. قالوا له: ليس هذا من قول عبد صالح، إنما هو من قول فرعون. قال: من قاله فقد أحسن. وقال أعرابي:

خلق السماء وأهلها في جمعة ... وأبوك يمدر حوضه في عام

قالوا: وكان عبد الملك بن مروان أول خليفة من بني أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدّم فيه وتوعّد عليه. وقال: إنّ جامعة عمرو بن سعيد بن العاصي عندي، وإني والله لا يقول أحد هذا إلا قلت به كذا. وفي خطبة له أخرى: إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف، يعني عثمان بن عفان، ولا أنا بالخليفة المداهن، يعني معاوية، ولا أنا بالخليفة المأبون، يعني يزيد بن معاوية. قال أبو إسحاق: والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العيوق. والله ما أخذتها من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة ولا ادّعيت فيها شورى ولا وصية. قال أبو الحسن: دخل كردم السدوسي على بلال بن أبي بردة فدعاه إلى الغداء، فقال: قد أكلت. قال: وما أكلت؟ قال: قليل أرز فأكثرت منه. ودخل كردم الدرّاع أرض قوم يذرعها، فلما انتهى إلى زنقة منها لم يحسن تذريعها، فقال: مهيم، ليس لكم. قالوا: ... وما ترى جعلنا فيها إنسان قط. قال: لا والله ما هي لكم. قالوا: فحصّل لنا حساباً لا نشكّ فيه. قال: عشرين في عشرين في ما بين. قالوا: من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا. قال: ودخل عكابة بن نميلة النميري على بلال بن أبي بردة فرأى ثوراً مجلّلاً فقال: ما أفرهه من بغل لولا أنّ حوافره مشقوقة. ومن النوكى وممن ربما عُدّ في المجانين وضُرب به المثل ابن ضبّ العتكي في قوله لجريع بن علي خال يزيد بن المهلب حيث يقول:

لولا المهلب يا جريع وسله ... تعدو وقليط لكنت كابن فلان

أنت المردّم في الجياد وإنما ... في سكينا كل يوم رهان

وقال آخر يهجو امرأة: يا أمّنا مصباح ...

ولو أنّ ... من بدينة كلما ... رجوت انتفاعاً شادني ... بعلوق

تبرد ... الشعر في ليلة الصبا ... وتستعمل الكانون في شهر ناجر

وفي خطباء العلماء

قال أبو الحسن: قال الشعبي: شاربت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بمكة يعني وبين أبي الزناد، فقال: بينكما عالم أهل المدينة. فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها. وقال طرفة بن العبد يهجو قابوس بن هند الملك:

لعمرك إنّ قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير

فقسمت الدهر في زمن رخيّ ... كذاك الحكم يقصد أو يجور

لنا يوم وللكروان يوم ... تطير البائسات ولا نطير

فأمّا يومنا فنظلّ ركباً ... وقوفاً ما نحلّ وما نسير

وأمّا يومهنّ فيوم سوء ... يطاردهنّ بالحدب الصقور

العلو شيكي

قال: قلت لأعرابي: أفي شيء تقرأ في صلاتك؟ قال: أمّ الكتاب ونسبة الرب وهجاء أبي لهب. وكان العلو شيكي ... وفي أحمق الناس وأعيا الخلق لساناً، وكان شديد العقل شديد اللعب بالودع. قال ابن جهيم له: وقفت على بقيّة تمر في بيدر فأردت أن أعرف قدر ما فيه من الجرين، ومعنا قوم يحسنون الخرص، وقد قالوا فيها واختلفوا، فهجم علينا العلو شيكي فقلت له: كم تحزر في هذا التمر؟ فقال: أنا لا أعرف الأكرار وحساب القفزان، ولكن عندي مرجل أطبخ فيه تمر نبيذي، وهو يسع مكوكين، وهذا التمر يكون فيه ما بين ... وستين مرجلاً. قال: فلا والله إن أخطأ بقفيز واحد. وقال المهلب والأزد حوله: أرأيتم قول الشاعر:

إذا عزّ المحالب ألا فتية ... يجيء على مناكبه القمائم

وإلى جنب غيلان بن خرشة شيخ من الأزد، فقال له: قد هو لابن الغيل. فقال المهلب: ويلكم ما جالستم الناس؟ وأنشد بعض أصحابنا:

ألكني إلى مولى الأكيمة وابنه ... وهل ينتهي عن أول الزجر أحمق

وذهب الهيثم بن عدي عن رجاله أنّ أهل بيت من أحمق بيت في تميم أخلاقاً وأقلّهم عقولاً. قال الهيثم: ومن النوكى عبيد الله بن الحر وكنيته أبو الأبرش. قال الهيثم: خطب قبيصة وهو خليفة أخيه على خراسان وأتاه كتابه، فقال: هذا كتاب الأمير وهو والله أهل لأن أطيعه، وهو أخي وأكبر مني. وكان بلال ... ابن سعيد الجرمي يقول: صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم. قال أبو الحسن: صعد عدي بن أرطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حصر، فقال: الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم. وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رآهم قد شقوا أبصارهم وفتحوا أسماعهم نحوه قال: نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم، فإنّ المنبر مركب صعب، وإذا يسّر الله فتح قفل تيسّر. قالوا: وصعد عثمان بن عفان رحمه الله المنبر فأرتج عليه، فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب. قال: وقالوا لابن الأحجم: لم لا تهجو جريراً؟ فقال: ألست الذي يقول:

كأنّ في لهاته ... سلمى جمارا خارجي يرمي كلابا

قالوا: بلى. قال: ليس بيني وبين هذا عمل. قال أبو الحسن: خطب مصعب بن حيّان أخو مقاتل بن حيّان خطبة نكاح فحصر، فقال: لقّنوا موتاكم قول لا إله إلا الله. فقالت أمّ الجارية: عجّل الله موتك ...

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَوْنًا لَهُ • وخطب أمير المؤمنين الموالي ومسكن القبة خطبة بنكاح فحصر فقال اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نشرك بك • وقال مولى لخالد بن صفوان زوجني أمتك فلانة قال قد زوجتكها قال فأدخل الحي حتى نخطب الخطبة فقال أدخلهم فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال أما بعد فإن الله أجل وأعز من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين وقد تزوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة • قال وقال إبراهيم النخعي لمنصور بن المعتمر سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس • قال ودخل كثير عزة وكان محمقا وكني أبا صخر على يزيد بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بن ضرار بقوله •

إذا الأرطى توسد أبرديه خدود جوازئ بالرمل عين

قال يزيد وما يضر أمير المؤمنين ألا يعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف واستحمقه وأخرجه • قالوا وكان عامر بن كريز يحمق قال عوانة قال عامر لأمه يا أمه مسست اليوم بزة العاص بن وائل السهمي فقالت ثكلتك أمك رجل بين عبد المطلب بن هاشم وبين عبد شمس بن عبد مناف يفرح أن تصيب يده بزة رجل من بني سهم • ولما حصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال له زياد أيها الأمير لو تعلم إن أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك • وقيل لرجل من الوجوه قم فاصعد المنبر وتكلم فلما صعد حصر وقال الحمد لله الذي يرزق هؤلاء وبقي ساكتا فأنزلوه • وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صلعة رجل فقال اللهم العن هذه الصلعة • وقيل لوازع اليشكري قم فاصعد المنبر وتكلم فلما رأى جمع الناس قال لولا أن امرأتي لعنها الله حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت وأنا أشهدكم أنها مني طالق ثلاثا ولذلك قال الشاعر •

وما ضرني ألا أقوم بخطبة وما رغبتي في ذا الذي قال وازع

قال ودخلت على أنس بن أبي شيخ وإذا رأسه على مرفقة والحجام يأخذ من شعره فقلت له ما يحملك على هذا قال الكسل قال قلت فإني لعمش قال بلي بنيه إياك والكسل وإياك والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق قال ذاك والله أشد لم يعرف لذة الكسولة • قال وقيل لبحر بن الأحنف ما يمنعك أن تكون مثل أبيك قال الكسل • وقال الآخر •

أطال الله كيس بني رزين وحمقي إن شريت لهم بدين
ألا كنت ابتليتهم شباء وفيها بربيع يصلح لما بنتا لبون
فما خلقوا بكيسهم دماء ولا ملحاة بعد فيعجبون

وذكر آخر الكيس في معاتبته لبني أخيه حيث يقول •

عقاريتا علي وأكل مالي وعجزا عن أناس آخرينا
فهلا غير عمكم ظلمتم إذا ما كنتم متظلمينا
فلو كنتم لكيسة أكاست وكيس الأم أكيس للبنينا

وقال بعضهم عيادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجيء في غير وقت • وعاد رجل رقبة بن الحر فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك إليه نفسه فقال له رقبة إذا دخلت إلى المرضى فلا تنع إليهم الموتى وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا • وسأل معوية ابن الكواء عن أهل الكوفة فقال أبحث الناس عن صغيرة وأتركه لكبيرة • وسئل شريك عن أبي حنيفة فقال أعلم الناس بما لا يكون وأجهل الناس بما يكون • وسأل معوية دغفلا النسابة عن اليمن فقال سيد وأنوط • وذكر عيينة بن حصن عند النبي صلى الله عليه فقال الأحمق المطاع • قال وجن أعرابي من أعراب المربد ورماه الصبيان فرجم فقالوا له أما كنت وقورا حليما فقال بلى بأبي أنتم وأمي والله ما استخففت إلا قريبا وكان أول جنونه من هيبة الناس به • ورمى إنسان فشجه فتعلق به وهو لا يعرفه وقدمه إلى الوالي فقال له الوالي لم رميته مرارا وشججته قال أنا لم أرمه هو دخل تحت رميتي • وكان وكيع بن الدورقية يحمق • قال الوليد بن هشام القحذمي أبو عبد الرحمن قال أخبرني أبي قال لما قدم أمية خراسان قيل له لم لا تدخل وكيع بن الدورقية في صحابتك قال هو أحمق فركب يوما وسايره فقال ما أعظم رأس برذونك قال قد كهله حمله ثم سايره قليلا فقال أصلحك الله أرأيت يوم لقيت أبا فديك ما منعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك قال اغرب قبحك الله وأمر به فنحي • وساير سعيد بن سلم موسى أمير المؤمنين والحربة في يد عبد الله بن مالك وكانت الريح تسفي التراب الذي تثير دابة عبد الله بن مالك في وجه موسى وعبد الله لا يشعر بذلك وموسى يحيد عن سنن التراب وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف أن يسير على محاذاته وإذا حاذاه نالته دابته بذلك التراب فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سلم فقال ألا ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا قال والله يا أمير المؤمنين ما قصر في الاجتهاد ولكنه حرم التوفيق • وساير البطريق الذي خرج إلى المعتصم من سور عمورية محمد بن عبد الملك والأفشين بن كاوس فساوم كل واحد منهما ببرذونه وذكر أنه يرغب عنهما أو يرغب فيهما فإذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم • ولما استخلص المعتصم بطريق خرشنة تربع ثم مد رجليه • وقال زياد ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي ما كتب إلي كتابا إلا في اجترار منفعة أو دفع مضرة وما كان في موكب قط فتقدم عنان

صح في أمر

دابته عثار دابتي ولا مسّت ركبتي ركبته ولا شاورت الناس قط إلا سبقتهم إلى الرأي
فيه ۞ وكان على شُرَط زياد عبد الله بن حصن صاحب مقبرة بني حصن والجعد بن قيس
النمري صاحب طاق الجعد وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة فإذا كان يوم الجعد حمل الحربة
سارا بين يديه معًا فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه فكان صوت الجعد أرفع
وصوت عبد الله أخفض فقال زياد لصاحب حرسه تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف
إلى منزله ۞ وحدا رجل من أهل العسكر بين يدي المأمون فلما انقضى كلامه قال له بعض
من يسير بقربه يقول لك أمير المؤمنين اركب قال المأمون لا يقال لمثل هذا اركب إنما
يقال لمثل هذا انصرف ۞ وكان الفضل بن الربيع يقول مسايلة الملوك عن أحوالهم من
تحية النوكى فإذا أردت أن تقول كيف أصبح الأمير فقل صبّح الله الأمير بالكرامة
وإذا أردت أن تقول كيف يجد الأمير نفسه فقل أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة
والمسألة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه ۞ وقال محمد
بن الجهم دخلت على المأمون فقال لي ما زال أمير المؤمنين إليك مشتاقًا فلم أدر ما جواب
هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء ۞ قال أبو الحسن
قال ابن جابان قال المهدي كان شبيب بن شيبة يسايرني في طريق خراسان فيتقدم في بعض
دابته فقال لي يومًا ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن
يسأله عن شيء لا يلتفت إليه ويكون من ناحية إذا التفت لم تستقبله الشمس قال فبينا
نحن كذلك إذ انتهينا إلى مخاضة فأقحمت دابتي ولم يقف واتبعني فملأ ثيابي ماء وطينًا
قال فقلت يا أبا معمر ليس هذا في الكتاب ۞ قال الهيثم بن عدي كنت قاعدًا إلى حميد بن قحطبة
فمرّ علي برذون فهاج البرذون ليبول فقال لي تنحّ لا يهريق عليك البرذون الماء ○
وجاء رجل إلى محمد بن حرب الهلالي بقوم فقال إن هؤلاء الفساق ما زالوا في مسيس
هذه الفاجرة قال ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي أن يكنّى عن الفجور بمسيس
وقلت لرجل من الحساب كيف صار البرذون المخصي على البغلة أحرص منه على الرمكة
والرمكة أشكل بطبعه قال بلغني أن البغلة أطيب خلوة ۞ وقال صديق لنا بعث
رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالًا له عليه فرجع إليه مضروبًا فقال ما بالك
ويلك قال سببته فسبني وضربني قال وبأي شيء سبك قال من الحمار في حر أم من أرسلك
قال دعني من افترائه علي أنت كيف جعلت أير الحمار من الحرمة ما لم تجعله لحر أمي فهلا
قلت أير الحمار في هن أم من أرسلك ۞ أبو الحسن قال كان رجل من ولد عبد الرحمن بن
سمرة أراد أن يثوب بالشام فحمل إلى المهدي فخلّى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه فقال
له يومًا أنشدني قصيدة زهير التي على الراء وهي التي أولها ۞

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن شهر ۞ فأنشده فقال
المهدي ذهب والله من يقول مثل هذا ۞ قال السمري ذهب والله من يقال فيه مثل هذا
فغضب المهدي واستحمقه وجفاه ولم يعاقبه واستحمقه الناس ۞ ولما دخل خالد
بن طليق على المهدي مع خصومه أنشد قول شاعرهم ۞

إذا القرشي لم يضرب بعرق خزاعي فليس من الصميم ۞

فغضب المهدي وقال أحمق فأنشد خالد فقال ۞

إذا كنت في دار تحاول رحلة فدعها وفيها إن أردت مقام ۞

فسكن عند ذلك المهدي ۞ وقال بشار ۞

خليليّ إن العسر سوف يفيق وإن يسارًا من غد لخليق ۞
وما كنت إلا كالزمان إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق ۞

قالوا ومن النوكى أبو الربيع العامري واسمه عبد الله وكان ولي بعض منابر اليمامة وفيه
يقول الشاعر ۞ شهدت بأن الله حق لقاؤه وأن الربيع العامري رقيع ۞
أقاد لنا كلبًا بكلب ولم يدع دماء كلاب المسلمين تضيع ۞
قالوا ومن النوكى ربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع وأخوه صبيع بن عسل ○
ووفد ربيعة على معاوية فقال له معاوية حاجتك قال زوّجني ابنتك قال اسقوا ابن عسل
عسلًا فأعاد عليه فأعاد عليه العسل ثلاثًا فتركه وقد كاد ينفد بطنه قال فاستعملني
على خراسان قال زياد أعلم بثغوره قال فاستعملني على شرطة البصرة قال زياد أعرف
بشرطته قال فاكسني قطيفة أو قال هب لي مائة ألف جذع لداري قال وأين دارك
قال بالبصرة قال كم ذرعها قال فرسخان في فرسخين قال فدارك في البصرة أو البصرة
في دارك ۞ قال عوانة استعمل معاوية رجلًا من كلب فذكر يومًا المجوس وعنده الناس
فقال لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمي
فبلغ ذلك معاوية فقال قاتله الله أترونه لو زادوه على مائة ألف فعل فعزله ۞
أبو الحسن وفد ربيعة بن عسل على معاوية وهو من بني عمرو بن يربوع فقال لمعاوية أعني
بعشرة آلاف جذع في بناء داري بالبصرة قال له معاوية كم دارك قال فرسخان في فرسخين
قال معاوية فهي في البصرة أم البصرة فيها قال بل هي في البصرة قال معاوية فإن البصرة
لا تكون هذا ۞ وقال أبو الأحوص الباهلي ۞

سوى دنس صح

ليس بني يربوع إلى العقل حاجة ولا دنس تسودّ منه ثيابها ۞
فكيف بنو ملط إن كعبتم لهم مضر أو كيف يغرّ كلابها ۞
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها ۞

الهيثم عن الصلت بن زبيد قال بينا معاوية بن مروان واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب
طحان وحمار له يدور بالرحى في عنقه جلجل إذ قال للطحان لم جعلت في عنق هذا الحمار
هذا الجلجل قال ربما أدركتني سآمة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قد قام
فصحت به قال معاوية أفرأيت إن قام ثم قال برأسه هكذا وهكذا وجعل يحرك رأسه يمنة
ويسرة ما يدريك أنت أنه قائم قال الطحان ومن لي بحمار يعقل مثل عقل الأمير ؞ ومعاوية
بن مروان هذا هو الذي قال في امرأته ملأتنا ابنتك البارحة بالدم قال إنها من نسوة يخبأن
لهن الأزواج ؞ وصعد يوسف بن عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد قتل الله
زيدا ونصر بن سيار يريد نصر بن خزيمة ؞ وقال في الأساورة حمير بن الخطاب معلق
بشعره قلت وما صيره إليك قال لما صنع بنصر بن سيار يريد نصر بن الحجاج بن علاط ؞ وقالوا
أحب الرشيد أن ينظر إلى أبي شعيب القلال كيف يعمل القلال فأدخلوه القصر وأتوه بكل
ما يحتاج إليه من آلة العمل فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه فلما رآه نهض قائما
فقال له الرشيد دونك ما دعيت له فإني لم آتك لتقوم إلي وإنما أتيتك لتعمل بين يدي
قال وأنا لم آتك ليسوء أدبي وإنما أتيتك لأزداد بك في كرمي صوابي فقال له الرشيد إنما
تعرضت لي حين كسدت سوقك قال أبو شعيب يا سيد الناس وما كساد عملي في جلال وجهك
فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال والله ما رأيت أنطق منه أولا ولا أعيا منه آخرا
ينبغي لهذا أن يكون أغفل الناس وأحمق الناس ؞ عبد الله بن شداد قال أرى داعي
الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع ومن بقي فإليه ينزع لا تزهدن في معروف فإن الدهر
ذو صروف فكم من راغب كان مرغوبا إليه وطالب قد كان مطلوبا إليه والزمان ذو ألوان
ومن يصحب الزمان ير الهوان ؞ الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن أبيه
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا
أكلوا الأموال دولا واتخذوا الأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق
أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وأكرم الرجل مخافة شره
وكان زعيم القوم أرذلهم وإذا لبس الحرير وشربت الخمور واتخذت القيان والمعازف
ولعن آخر هذه الأمة أولها فليترقبوا بعد ذلك ثلاث خصال ريحا حمراء ومسخا وخسفا
الهيثم قال أخبرنا الكلبي قال كانت قريش تعد أهل الجهل الذي في الرأي أبا العباس بن
عبد المطلب وأبا سفيان وابنه وأمية بن خلف ؞ قال وقال ابن عباس لم يكن في العرب
أمرد ولا أشيب أشد عقلا من السائب بن الأقرع قال حدثني الشعبي أن السائب شهد
فتح مهرجانقذق ودخل على الهرمزان وفي داره ألف بيت فطاف فيه فإذا ظبي
من جص في بيت منها مادا يده فقال أقسم بالله إنه ليشير إلى شيء انظروا فاستخرجوا

سفط كنز الهرمزان فإذا فيه ياقوت وزبرجد فكتب فيه السائب إلى عمر وأخذ منه فصا أخضر
وكتب إلى عمر إن رأى أمير المؤمنين أن يهبه لي فليفعل فلما عرض عمر السفط على الهرمزان
قال فأين الفص الصغير قال عمر سألنيه صاحبنا فوهبته له قال إن صاحبك لجوهري العالم
قال أخبرنا مجالد عن الشعبي قال قال السائب لجميل بن بصبهرى أخبرني عن مكان من القرية
لا يخرب حتى أقتطع ذلك المكان قال ما بين الماء إلى دار الإمارة قال فاقتطعت الثقيف في ذلك
الموضع ؞ قال الهيثم بت عندهم ليلة فإذا الليل مثل النهار ؞ أبو الحسن قال قال عبد الرحمن
بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية أما والله لو كنا على السواء بمكة لعلمت قال معاوية إذن
كنت أكون معاوية بن أبي سفيان منزلي الأبطح ينشق عني سيله وكنت أنت عبد الرحمن بن خالد
منزلك أجياد أعلاه مدرة وأسفله عذرة ؞ قال سهيل بن عمرو أشبه امرؤ بعض بزه فطار
مثلا ؞ وقال محرز بن علقمة ؞

لقد وارى المقابر من شريك ؞ كثير تحلم وقليل عاب ؞
صموتا في المجالس غير عي ؞ جديرا حين ينطق بالصواب ؞ وقال ابن الرقاع
إذا ما تداخلت الحتوف عليهم ؞ أبوابهم فتكشف كل غطاء ؞
فإذا الذي في حضنه مُحجر ؞ منهم كآخر مصحر بفضاء ؞
والمرء يورث مجده أبناءه ؞ ويموت آخر وهو في الأحياء ؞
والقوم أشباه وبين حلومهم ؞ بون كذاك تفاضل الأشياء ؞ وقال بعضهم
بيضاء ناصعة البياض كأنها ؞ قمر توسط جنح ليل مبرد ؞
موسومة بالحسن ذات حواسد ؞ إن الحسان مظنة للحسد ؞
وترى مآقيها تقلب مقلة ؞ حوراء ترغب عن سواد الإثمد ؞
خود إذا كثر الحديث تعوذت ؞ بحمى الحياء وإن تكلم تقصد ؞ وقال الآخر
لسانك خير وحده من قبيلة ؞ وما عد بعد في الفتى أنت فاعله ؞
سوى طبع الأخلاق في الجش والخنا ؞ أبت ذاكم أخلاقه وشمايله ؞ وقال الآخر
على إثر فتى من قريش نجي مصرعه ؞ كأنه من ذوي الأحلام من عاد ؞ وقال النابغة
أحلام عاد وأجسام مطهرة ؞ من المعقة والآفات والإثم ؞ وقالت الخنساء
حلال معضلة فراج مظلمة ؞ إن جاء معضلة هيأ لها بابا ؞
وعدد الأصمعي خصال معد فقال ؞
كانوا إذا ما عد ساداته ؞ أخلص فيه العرق الأعرب ؞
أو مريء عرقه دم مخرج ؞ أو سائل في لزبة راغب ؞
أو لمة يؤتى بها عافيه ؞ أو عقرة يحكمها آدب ؞

أو خابط من غير ما نعمة أو رجم مثنى بها جانب
أو خطبة من امرئ مفصولة يرضى بها الشاهد والغائب

وقال ابن نوفل يهجو

وأنت كساقط بين الحشايا يصير إلى الخبيث من المصير
ومثل نعامة تدعى بعيرا تعاظمها إذا ما قيل طيري
فإن قيل احملي قالت فإني من الطير المربّة بالوكور
وكنت لدى المغيرة عير سوء تبول من المخافة للزئير
لأعلاج ثمانية وشيخ كبير السن ذي بصر ضرير
تقول لما أصابك أطعموني شرابا ثم بلت على السرير

وقال عبد يغوث

ألا لا تلوما كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة صريحهم والآخرين المواليا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

كأن لم ترا

قال أبو عثمان وليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية. أبو عبيدة قال حدثني أبو عبد الله الفزاري عن مالك بن دينار قال ما رأيت أحدا أبين من الحجاج إن كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم إليه حتى أقول في نفسي إني لأحسبه صادقا وإني لأظنهم ظالمين له. قال وكانت العرب تخطب على رواحلها وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة. قال وأخبرني عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بن أنس قال الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة والقيام على الأقدام رخصة. وجاء في الأثر لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس. ووقف الهيثم بن مطهر الفأفاء على ظهر دابته على باب الخيزران ينتظر بعض من يخرج من عندها فلما طال وقوفه بعث إليه عمر الكلواذي فقال انزل عن ظهر دابتك فلم يرد عليه شيئا. وكرر الرسول إليه فقال إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي من عند الخيزران وأنا في موكبه خفت ألا أدركه فبعث إليه إن لم تنزل أنزلناك فبعث إليه قال موكبه حبيس في سبيل الله إن نزلت عنه إن لم تقمه شهرا فانظروا أيهما خير له واحد ساعة أو جوع شهر. قالوا له هذا الهيثم بن مطهر قال هذا شيطان. وقال أبو علقمة النحوي يا أمي إني

112

رجعت إلى المنزل وأنا سبنق لعس فأتيت بشنشنة من لوبية وكبد وقطع أفي قنعدر ومثله من سمن وزبد وشيء شطان وسعبط عطعط ثم تناولت عليها كأسا فقال له الطبيب خذ خريفا وسعنقفا وجز بقا قال ويلك أي شيء هذا قال وأي شيء ما قلت. قال الزبير فلان أحب صبياننا إلينا العريض الورك السبط الغرة الطويل الغرلة الأبله الغفول وأبغض صبياننا إلينا الأقيعس الذكر الذي كأنما ينظر من جحر وإذا سأله القوم عن أبيه هر في وجوههم. قال الهيثم قال الأشعث إذا كان الغلام سائل الغرة طويل الغرلة ملتاث الإزرة كأن به لوثة فما يشك في سودده. قال أبو الحنش كان الحنش أشدق خرطمانيا سائلا لعابه كأنما ينظر من قلتين كأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن كاهله كركرة جمل فقأ الله عيني ما رأيت إن كنت رأيت بعده ولا قبله مثله. قال وكان زياد جوف المنبر وبيوت الأموال والدواوين إلى الأزد وصلى بهم وخطب في مسجد الحدان فقال عمرو بن العرندس

فأضحى في الحدان يخطب آمنا وللأزد حزم تليد الإتلاد

وقال الأعرج
والقائلين فلا يعاب خطيبهم يوم المقامة بالكلام الفاصل

وقال ابن مفرغ
ومتى تقم يوم اجتماع عشيرة خطباؤنا بين العشيرة تفصل

وقال أيضا
فيا رب خصم قد كفيت دفاعه وقومت منه درأه فتنكبا

وقال آخر
وحامل ضب ضغن لم يضرني بعيد قلبه حلو اللسان

وقال
عهدت به منبرا وهند فخيرة عزل الحنش بليلة العشاء نؤوم
رداح الضحى ميالة بخترية لها منطق يصبي الحليم رخيم

وقال آخر
وخصم يركب العوصاء طاط عن المثلى قصار الرغاب
وملموم جوانبها رداح تزجى بالرماح لها شعاع

وقال محلم بن فراس يرثي منصورا و... ما ابني المنهال

كم فيهم لو تملينا حياتهم من فارس يوم روع الخيل مقدام
وعن فتى يملأ الشيزى مكللة شحم السديف بنيء اللحم مطعام
ومن خطيب غداة الحفل مرتجل ثبت المقام أريب غير مفحام

وقال خلد للقعقاع أنا جدك على أبيك أطعن بالرماح وأطعم للسماح وأنزل بالبراح قال لا بل على أبيك أفضل أبا وجدا وعما وقديما وحديثا. قال خلد أعطيت يوما من سأل وأطعمت حول من أكل وطعنت فارسا طعنة شككت فخذيه بجنب الفرس. قال القعقاع وأخرج تغلبيس فقال زيد ... عليهما أن يعيش مرثا عالم تشكل بيمين تميمية وكذا كان ملك بن الأخطل التغلبي وبه كان يكنى أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال لو وجدت جريرا يغرف من بحر ووجدت الفرزدق ينحت

من حجر فقال الأخطل الذي يعرف بن نمرا شعرا مثلا ؛ وقال بعضهم

وما خير من لا ينفع الأهل عيشه ... وإن مات لم تجزع عليه أقاربه
كهام على الأقصى كليل لسانه ... وفي بشر الأدنى حداد مخالبه

وقال العماني

إذا مشى لكل قرن مقرن ... ثم مشى القرن له كالأزعن
بطارم يغري ضيع الحوشن ... مقوطن حاب إلى مقرطن
يفضي إلى أم الفراخ الكمن ... حيث تقول الهامة اسقوني اسقني
كم لأبي محمد من موطن

وقال العماني

ومقول نعم لسان الخصم ... ألد يشتف بأمثال الكلم
بباطل يدحض حق الخصم ... حتى يصيروا كشعاب البكم

وقال أبو عبيدة في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين رأى فلانا يخطب فقال هذا الخطيب الشحشح قال هو الماهر الماضي قال الطرماح

كأن المطايا ليلة الخمس علقت ... بوثابة تنضو الرواسم شحشح

وقال ذو الرمة

لدن غدوة حتى إذا امتدت الضحى ... وحث القطين الشحشحان المكلف

يعني الحادي ؛ قال وكان أعين بن كرز يقال له خطيب الشيطان فلما استعمل ابنه على العراق قيل له خطيب الله فجرت إلى اليوم ؛ قال أبو المثلم الهذلي

أصخر بن عبد الله إن كنت شاعرا ... فإنك لا تهدي القريض لمفحم

وقال بلعاء بن قيس

أبيت لنفسي الخسف لما رضوا به ... ووليتهم سمعي وما كان مفحما

وقال عبد الله بن مصعب وقف معاوية على امرأة من كنانة فقال لها هل من قرى قالت نعم قال وما قراك قالت عندي خبز خمير ولبن فطير وماء نمير ؛ وقال أحيحة

والصمت أكرم بالفتى ... ما لم يكن عي يشينه
والقول ذو خطل إذا ... ما لم يكن لب يعينه

وقال أبو ثمامة الضبي

ومثل حصين كان في كل خطبة ... يقول أمام القوم ناطق متكلم

وقال عبيد بن ماوية الطائي وانتسب هو والحارث بن نبيه المجاشعي عند النعمان فقال

ترى بيوت وترى رماح ... ونعم مزنمة صحاح
ومنطق ليس له نجاح ... يا قصبا طارت به الرياح
وأذرعا ليست لها ألواح

وقال قيس بن الخطيم

وبعض القول ليس له عناج ... كمخض الماء ليس له إتاء

وهذا شبيه بقوله

كسالى إذا لاقيتهم غير منطق ... يلهى به المتبول وهو عناء

وقال أبو ثمامة

إذا خاصمتهم مرة قايما ... وأخشو إذا ما احتبوا للركب
إذا المنطق قاله صاحبي ... تعقبت آخر لا مستعقب

وقال الشماخ

ومرتبة لا يستقال بها الردى ... تركت بها الشك الذي هو عاجز
وردت بلا قرن بها حلمي عن الجهل حاجز

باب من الكلام المحذوف ثم نرجع بعده إلى الكلام الأول

هشيم عن يونس عن الحسن يرفعه أن المهاجرين قالوا يا رسول الله إن الأنصار قد فضلونا بأنهم آووا ونصروا وفعلوا وفعلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتعرفون ذلك لهم قالوا نعم قال فإن ذاك. ليس في الحديث غير هذا يريد أن ذاك شكر ومكافاة ؛ قال وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حاجة وجعل يمت بقرابة فقال عمر وإن ذاك ثم ذكر حاجته فقال لعل ذاك لم يزده على أن قال فإن ذاك ولعل ذاك أي فإن ذاك كما قلت ولعل حاجتك أن تقضى ؛ وقال عبد الله بن قيس (هو ابن الرقيات)

بكرت علي عواذلي ... يلحينني وألومهنه
ويقلن شيب قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنه

وقال الأسدي لعبد الله بن الزبير لا حملت ناقة حملتني إليك قال ابن الزبير إن وراكبها

عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي هاشم القاسم بن كثير عن قيس الخارفي أنه سمع عليا يقول سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر وثلث عمر وخبطتنا فتنة فما شاء الله. ليس في الحديث أكثر من هذا ؛ ولما كتب أبو عبيدة إلى عمر جواب كتاب عمر في أمر الطاعون فقرأ عمر الكتاب استرجع فقال له المسلمون مات أبو عبيدة قال لا وكأن قد ؛ وقال النابغة

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

وأنشدني ابن الأعرابي

إذا قيل أعمى قلت إني وربما ... أكون وإني من فتى لبصير
إذا أبصر القلب المروءة والتقى ... فإن عمى العينين ليس يضير
وإن العمى أجر وذخر وعصمة ... وإني إلى تلك الثلاث فقير

ابن أبي الزناد قال كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه فكتب إليه إنه يخيل إلي أني لو كتبت إليك أن تعطي رجلا شاة لكتبت إلي أضأن أم ماعز وإن كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي أذكر أم أنثى فإن كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي أصغير أم كبير فإذا أتاك كتابي في مظلمة فلا تراجعني والسلام ؛ وقال عمر بن الخطاب رحمه الله إني لأستعين بالرجل الذي فيه. ليس في الحديث غير هذا ثم ابتدأ الكلام فقال ثم أكون على قفائه إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف وأرحب ؛ وهو قول الأسدي

سوية فيه فلا نعدونا سواء ... أبيناه وإن نماه تاج

ولم يقل فيه كذا وفيه كذا ؛ وقال الراجز

بتنا بحسان ومعزاه تئط ... في سمن جم وتمر وأقط
حتى إذا كاد الظلام ينكشط ... جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

وقيل للمنتجع بن نبهان أو لأبي مهدية ما النضناض فأخرج طرف لسانه وحركه ؛ وقيل له ما الدلنظى فزحر وتقاعس

وبرج ما بين منكبيه . ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد
صاحبه كقول الله تبارك وتعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وقال لا يموت فيها ولا
يحيى وقال ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت . وسئل المفسر عن قوله لهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا قال ليس فيها بكرة ولا عشي . وقال لنبيه صلى الله عليه فإن كنت
في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك قالوا لم يشك ولم يسئل . وقال
عمر رحمه الله في جواب كلام قد تقدم وقول قد سلف منه متعتان كانتا على عهد رسول الله
صلى الله عليه أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما وهذا مثل قائل لو قال أتضربنا على الكلام
في الصلاة وعلى التطبيق إذا ركعنا فيقول نعم أشد الضرب إذا كان قد تقدم منه إليه فلامه
لأنا منهم بحال الناسخ والمنسوخ . وقد سأل رجل بلالا مولى أبي بكر رحمه الله وقد أقبل
من جهة الحلبة فقال له من سبق قال سبق المقربون قال إنما أسألك عن الخيل قال وأنا
أجيبك عن الخير فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له . حدثني عبد الملك بن شيبان
قال حدثني يعقوب بن الفضل الهاشمي قال كتب أبو جعفر إلى سلم يأمره بهدم دور من خرج
مع إبراهيم وعقر نخلهم قال فكتب إليه سلم بأي ذلك نبدأ بالدور أم بالنخل فكتب إليه
أبو جعفر أما بعد فإني لو كتبت إليك بإفساد تمرهم لكتبت إلي تستأذنني بأيه تبدأ
بالبرني أم بالشهريز وعزله وولى محمد بن سليمان . وقال ابن مسعود إن طول
الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل مئنة كقولك مخلقة ومجراة . قال الأصمعي
مئنة علامة . وقال عبد الله عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يختل إليه . ولما
أقدم عمر بن الخطاب رحمه الله عمرو بن العاص عليه من مصر قال له عمر لقد سرت سير
عاشق قال عمرو إني والله ما تأبطتني الإماء ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي فقال له عمر
والله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير
الفحل والبيضة منسوبة إلى طرقها وقام عمرو فدخل وقام عمر فقال لقد فحش أمير المؤمنين
علينا . وجاء في الحديث لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلاء . وقال أعرابي اللهم
لا تنزلني ماء سوء فأكون امرأ سوء . وقال بلعاء بن قيس

وكم كان في آل الملوح من فتى ... مناد ي معدي حيث تبلى سرائره

وكم كان في آل الملوح من فتى ... يجيب خطيبا لا تعاب عواثره

وقال آخر : ومخاصم قاومت في كبد ... مثل الدهان فصار لي العذر

وقال آخر : وجه قبيح ولسان ألكن ... ومشفر لا يتوارى أضجم

ولما رأى العزي فحم بن رباط الفقيمي على المنبر وكان أسود دميما قصيرا قال

بكى المنبر الشرقي إذ قام فوقه ... أمير فقيمي قصير الدوارج

يخطبانه

وقال : بكى المنبر الشرقي فيه وقام الناس إذ وثبوا عليه ... بفقيميا قصير العوائم

وإنما كان يعادي بني فقيم لأنهم قتلوا أباه غالبا . قال أبو عبيدة قال رجل ليونس بن حبيب
إذا أخذتم في مذاكرة الحديث وقع علي النعاس قال فأعلم أنك حمار في مسلاخ إنسان . قال
ودخل عبد الله بن خازم على عبيد الله بن زياد وهو يخطر في مشيته فقال المنذر بن الجارود وهو جليسه
فقال يا ابن خازم إنك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البغي ذيلها قال أما والله إني مع ذلك لا أبعد
بالشربة وأضرب هامة البطل المشيح ولو كنت وراء هذا الحائط لو ضعت أكثر شعرا وقد كان
قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ثم قال لعنك الله من دراهم والله ما تقومين بمؤونة خيلنا . وقال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه خذ الحكمة أنى أتتك فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في
صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها . وقال عمرو بن العاص لأهل الشام يوم صفين أقيموا
صفوفكم مثل قص الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه وإنما
هو ظالم أو مظلوم . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل عضوا على النواجذ من الأضراس
فإنه أنبى للسيوف عن الهام . وقال رجل ضع رجلك إذا اقتضيت بالسيف والعصا وأنت
مخير في دفعها ساعة المسالمة والموادعة . ولما أقاموا ابن قمئة بين العقابين قال له أبوه
ضع رجليك بالأرض واصبر لمضرار العرس واذكر أحاديث غد وإياك وذكر الله في هذا
الموضع فإنه من الفشل . قال وقيل للحجاج من أخطب الناس قال صاحب العمامة السوداء
بين أخصاص البصرة يعني الحسن . وقال الأحنف قال عمر تفقهوا قبل أن تسودوا . وقال
عمر اخرج من فلتات الشباب كلما أو دنت الشيب وأخلقت اللعب فإنه إن يغظ بعدما شاب
يستتر على ما لديه ندمه . ولما بنى عتبة بن غزوان وأصحابه بالبصرة بناء اللبن كتب إليهم عمر
قد كنت أكره لكم ذلك فإذ فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين
الخشب . ولما بلغه أنهم قد اتخذوا الضياع وعمروا الأرضين كتب إليهم لا تنهكوا وجه
الأرض فإن شحمتها فيه . وقال عمر ربع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال فرقوا بين
المنايا واجعلوا الرأس رأسين . وقال أملكوا العجين فإنه أحد الريعين . وقال إذا
اشتريت بعيرا فاجعله ضخما فإن أخطأك خير لم يخطئك سوق . وقال عمر العمائم تيجان
العرب . وقال نعم المستشار الاختبار . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كالإبل
ترى المائة لا تجد فيها راحلة . وأنشدوا

وكائن ترى من زمعر الجرامي والندى ... والأمحوان عليه ريطة برنس

وإذا تأمل جوله لم يلفه ... الأصمعي تسمع خاطب ... متوجس

خرجت عليه من الصراخ دواجن ... تحمت تحو ملاحه وإن أشوس

يسعى ويثمل والمعصب كلامه ... وفي برداه لمن وفي الأخرس

وقال الراعي ⁂ أبا خالد لا تنبذن نصاحة كوحي الصفا خطت لكم في قوائم بلا ⁂
وقال الشاعر ⁂ رب ظرف مدرج في ثيابه بما يحتبس ⁂ وقال آخر
بلحن القول والطرف الفصيح ⁂ وقال المثقب العبدي في استماع الشكوى
وتوجسه وجمع باله إذا أحس بشيء من أسباب القانص وذكر ناقة ⁂
كأنما أسمع من وجرة يضمه القفر وليل سدي ⁂ (الشدي الذي ينزل فيه الندى)
كأنما ينظر من برقع من تحت روق سلب مذود ⁂ (طويل)
تسمع للبناء أسماعها إصاخة الناشد للمنشد ⁂ (آمر للكلاب أغواها)
وتوجس السمع لتكرابه من خشية القانص والموسد ⁂
وقال بعض العبيد شعرا يقع في ذكر الخطباء وفي ذكر الشدق منهم وتشادقهم ⁂
أعرضه في أي موكب مزيدا سريع إلى داعي الطعام سروط ⁂
غلام أتاه اللؤم من نحو شيخه له نسب في الواغلين بسيط ⁂
له نجوة في الناس لو أنما تعود لسانا كان لوى الراعبي سليط ⁂
وقال الأول ⁂ لوى سليطا كاسمه سليط ⁂ وقال بعض العبيد في بعض العبيد
وقد كان مغبوق اللماء وشاعرا وأشدق يغري حين لا أحد يغري ⁂
وقال مورق العبد يتوعد مولاه ⁂ لولا عجوز حممة وحدرف
وصاحب جم الحديث موثق ⁂ كيف القوات والقلوب موبق ⁂ شيخ مغيظ ومثال يبرق
وحنجر رحب وصوت مصلق ⁂ وشدق مضغام وباب يخرق ⁂ وسأل رجل عمر بن عبد
العزيز عن الجمل وصفين فقال تلك دماء كف الله يدي عنها فلا أحب أن أغمس لساني فيها

ويقع في باب التطبيق قول الشاعر

لأنتم بتسنيع اللحم أعلم منكم بضرب السيوف المرهفات القواطع ⁂
وقال عمرو بن هداب إنما كنا نعرف سؤدد سلم بن قتيبة أنه كان يركب وحده ويرجع
في خمسين ⁂ وقال الأصمعي دخل حبيب بن شوذب الأسدي على جعفر بن سليمان بالمدينة
فقال أصلح الله الأمير حبيب بن شوذب واد الصدر جميل الذكر يكره الزيارة المملة
والفقرة المنسية ⁂ وفي الحديث زر غبا تزدد حبا ⁂ وقال بعضهم عن الثوري عن محمد
بن عجلان عن عياض بن عبد الله قال الدين يجمع لكل هم بالليل وذل بالنهار راية
الله في أرضه فإذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه ⁂ عمر بن ذر قال الحمد
لله الذي جعلنا من أمة تغفر لهم السيئات ولا تقبل من غيرهم الحسنات ⁂ ابن أبي
الزناد قال كنا لا نكتب إلا سنة وكان الزهري يكتب كل شيء فلما احتيج إليه عرفت (عرف)
أنه أوعى الناس ⁂ قال وقال فيروز بن حصين إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة

كان أول ما يتغير منه عقله ⁂ وقيل لمحمد بن كعب القرظي ما علامة الخذلان قال أن يستقبح
الرجل ما كان عنده حسنا ويستحسن ما كان عنده قبيحا ⁂ وقال محمد بن جعفر كن إلى الاستماع
أسرع منك إلى القول ومن خطل القول أشد حذرا من خطل السكوت ⁂ وقال
الحسن إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاستماع
كما تعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه ⁂ سفيان بن عيينة قال كان يقال العالم
مثل السراج من مر به اقتبس منه ⁂ وقال الشاعر
لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي وأخلفني منها الذي كنت آمل ⁂
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه وما كل ما يرجو الفتى هو نائل ⁂
وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى إلا ليال قلائل ⁂
وقال الآخر ⁂ وإن كلام المرء في غير كنهه لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها ⁂
وقال كعب الأحبار قرأت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام الهدية تفقأ
عين الحكيم وتسفه عقل الحليم ⁂ قال زحم رجل سالم بن عبد الله فزحم سالم الذي يليه
فقال له يا شيخ ما أحسبك إلا شيخ سوء فقال سالم ما أحسبك أبعدت ⁂ قال وسأل رجل
محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء في حمالات فقال محمد علي دية فقال عتاب
الباقي علي فقال محمد نعم العون اليسار على المروءة ⁂ وقال الآخر
فلو مد سروي بمال كثير لجدت وكنت له باذلا ⁂
فإن المروءة لا تستطاع إذا لم يكن مالها فاضلا ⁂ (تركه)
وقال يزيد بن لحجبة حين بلغه أن زياد بن حفصة تبعه ولم يلحق به ⁂
أبلغ زيادا أخي قد كفيته أموري وخليت الذي هو غالبه ⁂
وباب شديد راجه قد فتحته عليك وقد أعيت عليك مذاهبه ⁂
فبلت فما ترجو غناي ومشهدي إذا كان يوم تلتوي كواكبه ⁂
وقال آخر ⁂ ومنطق خرق بالعواسل ⁂ قال تجردت الحضرمية
لزوجها ثم قالت هل ترى في خلق الرحمن من تفاوت قال أرى فطورا ⁂ وقال آخر (فلا مسه)
راودت امرأة شيخا واستهدفت له وأبطأ عليه الانتشار فقال لها إنك لتفتحين بيتا
وأنا أنشر ميتا ⁂ علي بن محمد عن عمر بن مجاشع أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري
أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة
وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فأقم الحدود ولو ساعة من نهار وإذا
عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا
فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى وكن من خشية الله على وجل وأخف الفساق واجعلهم

بذا بنا ورجلا ورجلا وإذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا بيال فلان فإنما تلك
نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإمام
وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو يال ضبة وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها
خيرا قط ولا منع بها من سوء قط فإذا أتاك كتابي هذا فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم
يفقهوا وألصق بغيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح
بابك وباشر أمورهم بنفسك فإنما أنت امرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا وقد بلغ
أمير المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها
فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلا السمن
وإنما حتفها في السمن واعلم أن للعامل مردا إلى الله فإذا زاغ العامل زاغت رعيته
وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام ❊ عوانة قال قدم علينا أعرابي من كلب
وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه فقال له رجل أما لحديثك هذا آخر فقال إذا انقطع
وصلته ❊ قال قال معوية لأبي بسر الثقفي أتولني أطيب بطائفه بطيبا ومرعها قال أليس
لي ولك المرجع بعد إلى الله قال بلى فأستغفر الله ❊ رقبة بن مصقلة قال ما سمعت عمر
بن ذر يتكلم إلا ذكرت النفخ في الصور وما سمعت أحدا يحكيه إلا تمنيت أن يخلد ثم ليس
قال وتكلم عمر بن ذر فصاح بعض الرقابين صيحة فلطمه رجل فقال عمر بن ذر ما رأيت
ظالما قط أقرب مني من هذا ❊ قال وقال طاوس كنت عند محمد بن يوسف فأتاه رجل
عن بعض أعراضه كلاما فقال رجل من القوم سبحان الله فقال طاوس ما ظننت أن قول
سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم كأنه عنده إنما سبح ليظهر استعظام الذي كان
من الرجل ليوقع به ❊ وقال آخر ❊ لو كان عادات البطي المسهم
إذا أبدا منك الذي لا يكتم ❊ وجه قبيح ولسان أبكم ❊ ومشفر لا يتوارى أعجم
وقال آخر ❊ يعجب القول لكيلا تحسبه ❊ من الرجال الفصحاء المعربة
وهو إذا استنبته منكرة ❊ من نخلة نابتة في خربة ❊ قالت امرأة الحطيئة
للحطيئة حين تحول عن بني رياح إلى بني كليب بئسما استبدلت من بني رياح بعر الكبش
لأنهم متفرقون وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا ❊ علي بن محمد عن سلمة بن محارب
عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن الأسود عن أبيه قال قال بعثني وعمران بن حصين
عثمن بن حنيف إلى عائشة فقلنا يا أم المؤمنين أخبرينا عن مسيرك هذا أعهد عهده
إليك رسول الله صلى الله عليه أم رأي رأيته قالت بل رأي رأيته حين قتل عثمن
إنا نقمنا عليه ضربة السوط وموقع السحابة المحماة وإمرة سعيد والوليد فعدوتم
عليه فاستحللتم منه الحرم الثلاث حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام بعد

أن مصناه كما يماص الإناء فاستنقى فركبتم منه ما ركبتم ظالمين فغضبنا لكم من سوط عثمن
ولا نغضب لعثمن من سيفكم قلت فما أنت وسيفنا وسوط عثمن وأنت حبيس رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمرك أن تقري في بيتك فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض قالت وهل
أحد يقاتلني أو يقول غير هذا قلنا نعم قالت ومن يفعل ذلك أزنيم بني عامر ثم قالت هل
أنت مبلغ عني يا عمران قال لا لست مبلغا عنك خيرا ولا شرا قلت لكني مبلغ عنك فهات
ما شئت قالت اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمن تعني محمد بن أبي بكر وارم الأشتر بسهم من
سهامك لا يشوي وأدرك عمارا بخفرته في عثمن ❊ حدثنا يزيد بن عمرو قال أخبرنا
هشام بن حسان عن الحسن أن زيادا بعث الحكم بن عمرو على خراسان فأصاب مغنما فكتب
إليه زياد إن أمير المؤمنين معوية كتب إلي يأمرني أن أصطفي له كل صفراء وبيضاء فإذا
أتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك ❊ فكتب
إليه الحكم إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ووالله لو أن السموات والأرض
كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا والسلام ❊ ثم أمر المنادي فنادى
في الناس أن اغدوا على غنائمكم فغدوا فقسمها بينهم ❊ قال وقال خالد بن صفوان
ما رأيت أرضا مثل الأبلة أقرب مسافة ولا أطيب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر
ولا أخفى لعابد ❊ قال الكسائي لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف والشيء
بعد الشيء أقرنه بغيره فقال تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة منها أشبه شيء
بها وأبعد شيء منها منك ❊ ووصف أعرابي رجلا فقال ذاك والله ممن ينفع سلمه ويتواصف
حلمه ولا يستمرأ ظلمه ❊ وقال آخر لخصمه لئن ملحت إلى الباطل إنك لقطوف إلى الحق
قال رأى رقبة بن مصقلة العبدي جارية عند العطار فقال له ما تصنع هذه عندك قال
أكيل لها حناء قال أظنك والله تكيل لها كيلا لا يأجرك الله عليه ❊ محمد بن سعيد عن إبرهيم
بن حويطب قال قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم فيه
ليس بأول أمر قاده البلاء وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما ترى وما أبقت لنا هذه الحرب حياة
ولا صبرا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن كانت فانظر فيما بقي بغير
ما مضى فإنك رأس هذا الأمر بعد علي وإنما هو أمير مطاع ومأمور مطيع ومشاور مأمون
وأنت هو ❊ وقال عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله فقطعها يا أبا عبد الله
ما كنا نعد أعضاءك علينا وبقي أكثرك لنا ❊ قال أبو الحسن خطب الحجاج يوم جمعة فأطال الخطبة
فقال رجل إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فحبسه فأتاه أهل الرجل وكلموه
فيه وقالوا إنه مجنون فقال إن أقر بالجنون خليت سبيله فقيل له أقر بالجنون فقال
لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني ❊ قالت امرأة من هاشم السلولية ما ذكر الناس

مذكورا خيرا من الإبل أجتنا على أحد بعير إن حملت أثقلت وإن مشت أبعدت وإن نحرت
أشبعت وإن حلبت أروت . حدثني سليمن بن أحمد الجرشي قال حدثني عبد الله بن محمد بن حبيب
قال طلب زياد رجلا كان في الأمان الذي سأل له الحسن بن علي لأصحابه فكتب فيه الحسن إلى زياد
من الحسن بن علي إلى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا وقد ذكر لي فلان أنك
عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير فلما أتاه الكتاب ولم ينسبه الحسن إلى أبي سفين
غضب فكتب من زياد بن أبي سفين إلى الحسن أما بعد فقد أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفساق
من شيعتك وشيعة أبيك وايم الله لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك وإن أحب لحم إلي آكله
للحم أنت منه فلما وصل الكتاب إلى الحسن وجه به إلى معوية فلما قرأه معوية غضب وكتب
من معوية بن أبي سفين إلى زياد بن أبي سفين أما بعد فإن لك رأيين رأيا من أبي سفين ورأيا
من سمية فأما رأيك من أبي سفين فحلم وحزم وأما رأيك من سمية فكما يكون رأي مثلها
وقد كتب إلي الحسن بن علي أنك عرضت لصاحبه فلا تعرض له فإني لم أجعل لك إليه سبيلا
وإن الحسن بن علي ممن لا يرمى به الرجوان والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه أو إلى
أمه وكلته وهو ابن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه فالآن حين اخترت له والسلم
قدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات
الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في
الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان
من المفسدين وأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار بيده نحو الحجاز ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار بيده نحو العراق . قال كتب محمد بن كعب القرظي
يقيل له أولا تطارحه قال أكره أن آمن على الله بما لم أفعل . المدايني قال قام عمرو بن العاص
بالموسم فأطرى معوية وبني أمية وتناول بني هاشم ثم ذكر مشاهده بصفين فقال له ابن
عباس يا عمرو إنك بعت دينك من معوية فأعطيته ما في يدك ومناك ما في يد غيره فكان الذي
أخذ منك فوق الذي أعطاك وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته وكل راض بما أخذ
وأعطى فلما صارت مصر في يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقص حتى لو أن نفسك فيها
ألقيتهما إليه وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقلت علينا يومئذ وطأتك ولا نكتنا فيها حربك
وإن كنت فيها لطويل اللسان قصير السنان آخر الحرب إذا أقبلت وأول الفرار إذا أدبرت
لك يدان يد لا تبسطها إلى خير ويد لا تقبضها عن شر ووجهان وجه مونس ووجه موحش
ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحري أن يطول حزنه على ما باع واشترى لك بيان
وفيك خطل ولك رأي وفيك نكد ولك قدر وفيك حسد فأصغر عيب فيك أعظم عيب

في غيرك فقال عمرو أما والله ما في قريش أحد أثقل وطأة علي منك ولا لأحد من قريش
عندي مثل قدرك . قال ورأى عمرو بن عتبة بن أبي سفين رجلا يشتم رجلا وآخر يستمع
منه فقال للمستمع نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به فإن السامع
شريك القائل وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك ولو ردت كلمة جاهل
في فيه لسعد رادها كما شقي قائلها . فوائد قال اختصم إلى زياد رجلان في حق
كان لأحدهما على الآخر فقال المدعي أيها الأمير إن هذا ليسطو علي بخاصة ذكر أنها
له منك فقال زياد صدق وسأخبرك بما ينفعه ذلك إن يكن الحق له عليك أخذتك به
وإن يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه . قال ولما توفي أبو بكر الصديق
رحمه الله قامت عايشة على قبره فقالت نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد
كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها وللآخرة معزا بإقبالك عليها وإن كان أجل الأرزاء
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك فإن نجز من الله موعوده
فيك بالصبر عنك وأستخلصه بالاستغفار لك . وقامت فرعانة بنت أوس بن حجر
على قبر الأحنف بن قيس وهي على راحلة فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون رحمك الله أبا
بحر من مجن في جنن ومدرج في كفن فوالذي ابتلاني بفقدك وبلغني يوم موتك لقد
عشت حميدا ومت فقيدا ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد وأري الزناد
منيع الحريم سليم الأديم وإن كنت في المحافل لشريفا وعلى الأرامل لعطوفا ومن الناس
لقريبا وفيهم لغريبا وإن كنت لمسودا وإلى الخلفاء لموفدا وإن كانوا لقولك لمستمعين
ولرأيك لمتبعين ثم انصرفت . أبو الحسن قال قال عمرو بن العاص ما رأيت معوية قط
متكئا على يساره واضعا إحدى رجليه على الأخرى كاسرا إحدى عينيه يقول للذي
يكلمه يا هنتاه إلا رحمت الذي يكلمه . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله كونوا أوعية
الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضيركم ألا يكثر لكم . وكتب
معوية إلى عايشة أن اكتبي إلي بشيء سمعتيه من أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فكتبت
إليه سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول من عمل بما يسخط الله عاد حامده من
الناس له ذاما . أوصى بعض العلماء ابنه فقال أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك
عليك لسانك وابك على خطيئتك . بكر بن أبي بكر القرشي قال قال أعرابي ما غبنت
قط حتى يغبن قومي قيل وكيف ذاك قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . قيل لرجل من
عبس ما أكثر صوابكم قال نحن ألف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأنا ألف حازم
قال أبو الحسن أول من أجرى في البحر السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة والمدهونة
وغيرها ذوات الجآجئ وكان أول من عمل المحامل الحجاج قال بعض رجاز الأكرياء

أول عيش عمل الحمد مليا ؞ أخرت أرجي عاجلا وآجلا ؞ وقال آخر

شيب أصداغي فهن بيض ؞ تحامل الدهر مما ينقض ؞

قال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول لو تعلق رجل أخا شفيقا لم يأمن أن ينزو منه ما ينزو من الثوب في الخرق فرحم الله رجلا أغضى على الأقذاء واستمتع بالإخاء ؞ قال الأصمعي سمعت بعض الأعراب يقول من ولد الخير نتج له فراخا تطير بالسرور ومن ولد الشر أنبت له نباتا مرا مذاقه قضبانه الغيظ وثمره الندم ؞ أنشد النضر بن شميل

يحب بقائي المشفقون ومدتي ؞ إلى أجل لو يعلمون قريب ؞

وما أرتجي في أرذل العمر بعدما ؞ لبست شبابي قبله ومشيبي ؞

وأنشد ابن الأعرابي ؞

يا ابن الزبير جزاك الله لائمة ؞ هلا انتهيتم وفي الأقوال تعقيب

تنزو لتدركها من كعب عطارقة ؞ لا تستقي بسنا العرجون والهيب

كما ترى فرخ عش لا جراد به ؞ وفوقه من نسال الريش ترعيب

ماويكم قد علمنا من محافظة ؞ يوم الجفاظ ولا خير لمنكوب

وأنتم تحت أرواق البيوت إذا ؞ أمست شآمية لمرزن الجحاريب

أنتم مناخ الخنا فيها لحلتكم ؞ وكلكم يا بني الحلفاء مغصوب

يوم أن تمجوا من مطامعه ؞ كما تمج من الجحر الجناديب

ما بين أدبس لا تلج له دبر ؞ ومغصد القلب في ستين معصوب

خالي سماعة فاعلم لا خفاء به ؞ لقد هوى بك يا أوين شنخوب

صعب مناكبه تعيي الكماة به ؞ خرق وتضطاد ثم منه كلاليب

وأنشد ابن المعذل ؞

تواعد للبين الخليط لينتبوا ؞ وقالوا لراعي الذهر موعدك السبت

فعاجلني بغتا ولم أخش بينهم ؞ وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

متى لسليمى منك ما لم أرى لها ؞ سنون توالت بيننا خمس أو ست

وفي النفس حاجات إليكم كثيرة ؞ بربك ما يدري لو أخرت لو فت ؞

تأيمت حتى لامني كل صاحب ؞ رجاء سليمى أن تئيم كما ئمت ؞

لين بعت حظي منك يوما بغيره ؞ لبيس إذا يوم التغابن ما بعت ؞

تمنى رجال أن أموت وعهدهم ؞ بأن يتمنوا الوجيب إذا امت ؞

وقد علموا عند الحقائق أنني ؞ أخو ثقة ما لان ونبت ولا أنت ؞

وأني قد يسرت نيلي وأنني ؞ كأني وقد وقعت أنصالها رشت ؞

وقال أحمد بن المعذل أنشدني أعرابي من طيئ ؞

ولست بميال إلى جانب الغنى ؞ إذا كانت العلياء في جانب الفقر ؞

وإني لصبار على ما ينوبني ؞ وحسبك أن الله أثنى على الصبر ؞

حدثني محمد بن يحيى بن علي عن عبد الحميد عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجاءة حين انتشر النهار وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الخوارج فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال علي بالناس فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال ؞ أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ؞ متى أضع العمامة تعرفوني ؞ أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

قد شمرت عن ساقها فشمرا ؞ ثم قال ؞ هذا أوان الشد فاشتدي زيم

قد لفها الليل بسواق حطم ؞ ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم ؞ وقال أيضا ؞ قد لفها الليل بعصلبي

أروع خراج من الدوي ؞ مهاجر ليس بأعرابي

إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوي الأخلاق ما أغمز تغماز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت من الغاية إن أمير المؤمنين كب كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها عمودا فوجهني إليكم فإنكم طالما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العصا ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل إني والله لا أعد إلا وفيت ولا أخلق إلا فريت فإياي وهذه الجماعات وقال وقيل وما تقول وفيم أنتم وذاك أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله ثم دخل منزله

بسم الله الرحمن الرحيم ؞ أبو الحسن قال كتب الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة سلام عليك أما بعد فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية وقد علمت حيث تجرمت ذلك أنك عاص لله ولولاة أمره غير أنك أعرابي جلف أمي تستطعم الكسرة وتستشفي بالتمرة والأمور عليك حسرة خرجت لتنال شبعة فلحق بك طغام صلوا بمثل ما صليت به من العيش فهم يهزون الرماح ويستنشئون الرياح على خوف وجهد من أمورهم وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ثم أهلكهم الله

بشرحتين والسلم . فأجابه قطري بن الفجاءة . من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف
سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه فالحمد لله على ما أظهر
من دينه وأظلع به أهل السفال وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه
كتبت إلي تذكر أني أعرابي جلف أمي أستطعم الكسرة وأستشفي بالتمرة ولعمري
يا ابن الحجاج إنك لمتيه في جبلتك مطلخم في طريقتك واه في وثيقتك لا تعرف الله
ولا تجزع من خطيئتك يئست واستيأست من ربك فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقه
ولا تنازعه خناقه فالحمد لله الذي لو شاء أبرز لي صفحتك وأوضح لي صلعتك فوالذي
نفس قطري بيده لعرفت أن مقارعة الأبطال ليس كتصدير المقال مع أني أرجو أن يدحض
الله حجتك وأن يمنحني مهجتك . خالد بن يزيد الكلابي قال كتب معوية إلى عدي بن حاتم
في حاجة له ما لا ينسى يعني قتل عثمان فدفع عدي الكتاب إلى علي فقال إن المرأة لا تنسى
قاتل بكرها ولا أبا عذرها فكتب إليه عدي إن ذلك مني كليلة شيباء . وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله يا غلام ارفع ذيل لتشيل يعني رؤبة . وقيل له أين خرج هذا
الحبن قال تحت منكبي . وقيل لقتيبة أين خرج بك هذا الخراج قال بين الرانفة والصفنة
قال وقيل لرقبة ما بال القراء أشر شيء نهمة وغلمة قال أما الغلمة فلأنهم لا يزنون
وأما النهمة فلأنهم يصومون . وعرض عليه رجل القراءة فقال له يا هذا إن أقسمت
علي وإلا قد عقني . وقال مورق العجلي ما تكلمت بكلمة في الغضب أندم عليها في الرضى
وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابني ولا يئست منها أن لا أتكلم إلا فيما يعنيني
قال مكتوب في حكمة داود على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه مالكا للسانه مقبلا
على شأنه . قال ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير وكان هناك ما ظننت أنك تقدم
بلدا أنا فيه قال الفرزدق إني طالما خالفت رأي العجزة . وقال يونس بن حبيب
إذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب وإذا قالوا مغلب فهو المغلوب وقال بعضهم

إني امرؤ ينفع قومي مشهدي . أذب عنهم بلساني ويدي

وقال قتيبة بن مسلم إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصروا الشعور . قال ونظر مخنث
إلى شيخ قبيح الوجه في الطريق فقال ألم ينهكم سليمن بن داود عن الخروج بالنهار . قال
وعزى أعرابي ناسا فقال يرحم الله فلانا فلقد كان كثير الإهالة حرسها الأشداق وقال
الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم . كلون الراء لبده الصقيع

وقال أعرابي رحم الله فلانا إن كان لضخم الكاهل ثم جلس وسكت . وقال آخر كان والله
نقي الأظفار قليل الأشرار . وسأل رجل أعرابيا عن حديث فقال أجهضتني قال بل نسيت
قال وأنشد بن خليفة السعدي يهجو عبد الملك بن المهلب

لقد صبرت للذل أعواد منبر . تقوم عليها في يديك قضيب
بكى المنبر الغربي إذ قمت فوقه . وكادت مسامير الحديد تذوب
رأيتك لما شبت أدركك الذي . يصيب سراة الأزد حين تشيب
سفاهة أحلام وبخل بنائل . وفيك لمن عاب المزون عيوب
وقد أوحشت منهم رساتيق فارس . وبالمصر دور جمة ودروب
إذا عصبة ضجت من الخرج تلاسبت . مرونية إن النسيب نسيب

وقال بشار الأعمى في عمر بن حفص

ما بال عينك دمعها مسكوب . خربت فلانت بنومها مخروب
وكذاك من صحب الحوادث لم يزل . تأتي عليه سلامة ونكوب
يا أرض ويحك أكرميه فإنه . لم يبق للعتكي فيك ضريب
أبكي على خشب المنابر قائما . يوما وآخرهم أن تشب حروب
إن الرزية لا رزية مثلها . يوم ابن حفص في الدماء خضيب
لا يستجيب ولا يجيد لسانه . ولقد يجيد لسانه ويجيب
غلب العزاء على ابن حفص والأسى . إن العزاء بمثله مغلوب
إذ قيل أصبح في المقابر ثاويا . عمر وشق لواؤه المنصوب
فظللت أندب سيف آل محمد . عمرا وعز مثالك المندوب
فعليك يا عمر السلام فإننا . باكوك ما هبت صبا وجنوب

قال إسمعيل بن غزوان الأصوات الحسنة والعقول الحسان كثيرة والنبيل الجيد
والجمال البارع قليل . وذكر أبا الحارث صاحب مسجد ابن رغبان فقال إن حدثته سابقك
إلى ذلك الحديث وإن سكت عنه أخذ في الترهات . وقال أبو وهب أنا أستثقل الكلام
كما يستثقل حديث السكوت كما قال ابن شبرمة لإياس بن معوية شكلي وشكلك لا يتفقان
أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع . وقال أبو عقيل بن درست إذا لم
يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه وكان النقصان
الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه . وقال ابن بشار البرقي كان عندنا واحد
يتكلم في البلاغة فسمعته يقول لو كنت أنا إبليس أنا وأنا ابن من أنا منه لكنت أنا أنا
وأنا ابن من أنا منه فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه . وقالوا ثلث يسرع إليهن الخلف
الحريق والتزويج والحج . وقال المهلب ليس شيء أنمى من سيف فوجد الناس تصديق
قوله فيما نال ولده من السيف وطار فيهم من النماء . وقال علي بن أبي طالب رحمه الله بقية
السيف أنمى عددا وأكرم ولدا ووجد الناس ذلك بالعيان للذي صار ولده من نهك

السيف وكثرة الدين وكرم البخل قال الله ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب . وقال بعض الحكماء قتل البعض إحياء للجميع . وقال متمم [illegible] فلا شيء :

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة ... وفي العتاب حياة بين أقوام
قدمت قبلي رجالا لم يكن لهم ... في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي
لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم ... قبرا وأبعدهم من منزل الذام
حتى جعلت إذا ما حاجة عرضت ... بباب قصرك أدلوها بأقوام

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج والله لأعدنكم عدا ولأحصدنكم حصدا فقالت أنت تحصد والله يزرع فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق . ولم يظهر من عدد القتل مثل الذي ظهر في آل أبي طالب وآل الزبير وآل المهلب . وقال الشاعر في آل الزبير :

آل الزبير بنو حرة ... مروا بالسيوف صدورا حناقا
يموتون والقتل من دأبهم ... ويغشون يوم السباق السباقا
إذا فرج القتل عن عيصهم ... أبى ذلك العيص إلا اتساقا

قال أخبرت دار ثمامة فقالوا له ما أسرع خلف الخريبي قال فأتانا أستخرجه الله . وقال ثمامة سمعت قاصا بعبادان يقول في دعائه اللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين قال وتساقط الذبان على وجهه فقال الله أكبر كثر الله بكم القبور . قال وسمع أعرابي رجلا يقرأ سورة براءة فقال ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن فقيل له ولم قال رأيت عهودا تنبذ . وقال أبو عبد الله بن العريان القاص في قصصه ليت الله لم يكن خلقني وأنا الساعة أعور فحكيت ذلك لأبي عتاب الجرار فقال أبو عتاب بئس ما قال وددت والله الذي لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين . قال ولما استعدى الزبرقان على الحطيئة فأمر عمر بقطع لسانه قال الزبرقان نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تقطعه فإن كنت لا بد فاعلا فلا تقطعه في بيت الزبرقان فقيل له إنه لم يذهب مذهبك إنما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة . وتقول العرب قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها . وتقول في العطش والمسلط الذي بح وركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم . وتقول العرب فلان لسان القوم وفلان نابهم الذي يعشون عنه وهما أنف القوم وخراطيمهم . وكيسان لسان الأرض يوم القيامة . وفلان أصلمة الوادي وعين البلد . قال الأصمعي قال رجل لأبي عمرو بن العلاء أكرمك الله قال محددته . قال وكان أبو عون يقول كيف أنت أصلحك الله وكان الأصمعي يقول قولهم جعلت فداءك وجعلني الله فداءك محدث . وقد روى علماء البصريين أن الحسن لما سمع صراخا في جنازة أم عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فلما انتهت

في جنازة عند عبد الأعلى

قال له عبد الأعلى جعلت فداك أمره الله ما أمرت ولا شعرت . قال الأصمعي صلى أعرابي فأطال الصلاة وإلى جانبه ناس فقالوا ما أحسن صلاتك قال وأنا مع ذلك صائم . قال الشاعر :

صلى فأعجبني وصام فرابني ... عد القلوص عن المصلي الصائم

وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عوانة قال زياد بن أبيه من سعادة الرجل أن يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره . قال الأصمعي قيل لأعرابي ما بال المراثي أجود أشعاركم قال لأنا نقول وأكبادنا تحترق . قال أبو الحسن كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمراثي قيل ولم ذاك قيل لأنها تدل على مكارم الأخلاق . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم . وقال شعبة كان سماك بن حرب إذا كان له إلى الوالي حاجة قال فيه أبياتا ثم يسأله حاجته . قال أبو الحسن كان شظاظ لصا مغيرا على قوم من العرب فطرد نعمهم فسار فيها ليلته حتى أصبح فقال رجل من أصحابه لقد أصبحنا على قصد من طريقنا قال إن المحسن معان . وقال أبو الحسن أتي بغلام من بني علي على عبد الملك وعبد الملك يومئذ غلام فقال له كهمس من كهولهم لم ترَ ممسكا عن جواب المزري عليه لو شكوته إلى عمه انتقم لك منه قال انبسط يا كهمس فوالله لا أعد انتقام غيري انتقاما . قال أبو الحسن خاض جلساء عبد الملك يوما في قتل عثمان فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين في أي سنيك كنت يومئذ قال كنت دون المحتلم قال فما بلغ من حزنك عليه قال شغلني الغضب له عن الحزن عليه . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اشترى رقيقا قال اللهم ارزقني أنجحهم جلبا وأطولهم عمرا . وكان إذا استعمل رجلا قال إن العمل كير فانظر كيف تخرج منه . قال ومضى أبو عبد الله الكرخي إلى الربض فجلس على بابه ونفش لحيته وادعى الفقه فوثب عليه رجل فقال له إني أدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليها دم قال احتجم فقال جلست طبيبا أو فقيها . قالوا بينا الشعبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه وإذا شيخ يعرف به قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له إني أجد في قفاي حكة أفترى لي أن أحتجم فقال الشعبي الحمد لله الذي حولنا من الفقه إلى الحجامة . قال وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدة الاجتهاد فقال أعرابي كان شاهدا لكلامهم بئس الرجل هذا أيظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب . وقال ابن عون أدركت ثلاثة يتشددون في الورع وثلاثة يتساهلون في ... فأما

الذين يتسامتون بالحسن والشعبي والنخعي وأما الذين يتشددون فمحمد بن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة ۞ وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة ما رأيت أحسن أدبا من عبد الله بن المبارك والمعافى بن عمران ۞ قال أبو الحسن حدثني عبد الأعلى قال رأيت الطرماح مولعا بالرئي فلم أر أحدا آخذ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديثه منه ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء ۞ قال كان رجل يبلغه كلام الحسن البصري فبينا الرجل يطوف بالبيت إذ سمع رجلا يقول عجبا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولهم على آخرهم قال فقلت في نفسي هذا الحسن ۞ قال وأربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف وحويطب بن عبد العزى وعقيل بن أبي طالب وكان عقيل أكثرهم ذكرا لمثالب الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمّقوه وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول قد سمعت الرجل يحمّقه حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث فمنها قولهم ثلاثة حمقاء كانوا إخوة ثلثة عقلاء والأم واحدة علي وعقيل وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم وعتبة ومعوية ابنا أبي سفيان وأمهما هند بنت عتبة بن ربيعة وعبد الملك ومعوية ابنا مروان وأمهما عائشة بنت معوية بن المغيرة بن أبي العاصي وكيف وجعدة بن هبيرة يقول ۞

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلا ۞ ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى علي بخاله ۞ وخالي علي ذو الندى وعقيل

وقال قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون ۞

وخالي بغاة الخير تعلم أنه ۞ جدير بقول الحق لا يتوعّر
وجدي علي ذو التقى وابن أمه ۞ عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر
فنحن ولاة الخير في كل موطن ۞ إذا ما دعا عنه رجال وقصّروا
لئن خالي خطيب جابية الجو ۞ لان عند النعمان حين يقوم
وهو الصقر عند باب ابن سلمى ۞ يوم نعمان في الكبول سقيم
وسطت نسبتي الذوائب منهم ۞ كل دار فيها أب لي عظيم
وأبي في سميحة القائل الفاصل ۞ يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأي ۞ من القوم ظالع مكعوم
تلك أفعاله وفعل الزبعرى ۞ خامل في صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم المال ۞ وجهل غطى عليه النعيم
في الناس منكم إذا ابتسم الأشر ۞ من بني فصيح صميم

وقريش تجول منا لواذا ۞ أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم ۞ إنما يحمل اللواء النجوم

وكان عقيل رجلا قد كف بصره وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول وغاضب عليا وأقام بالشام فكان ذلك أيضا مما أطلق لسان الباغي والحاسد فيه ۞ وزعموا أنه قال له معوية هذا أبو يزيد لولا أنه علم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي ۞ وقال له مرة أنت معنا يا أبا يزيد قال ويوم بدر كنت معكم ۞ وقال معوية يوما يا أهل الشام هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه تبت يدا أبي لهب وتب قالوا نعم قال فإن أبا لهب عمه فقال عقيل فهل سمعتم قول الله عز وجل وامرأته حمالة الحطب قالوا نعم قال فإنها عمته قال معوية حسبنا ما لقينا من أخيك ۞ وذكروا أن امرأة عقيل وهي فاطمة ابنة عتبة بن ربيعة قالت يا بني هاشم لا يحبكم قلبي أبدا أين أبي أين عمي أين أخي كأن أعناقهم أباريق الفضة ترد آنفهم قبل شفاههم قال لها عقيل إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك ۞ وقيل لعمر رحمه الله فلان لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه ۞ قال وسمع أعرابي رجلا يقرأ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر فقالها بفتح الكاف فقال الأعرابي لا يكون فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الأعرابي يكون ۞

باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء

قال الشاعر ۞

تبا البرق من نحو الحجاز فشاقني ۞ وكل حجازي له البرق شائق
سرى مثل نبض العرق والليل دونه ۞ وأعلام أبلى كلها والأسالق

وقال الآخر ۞

أرقت لبرق آخر الليل يلمع ۞ سرى دائبا فيها يهب ويهجع
سرى كاحتساء الطير والليل ضارب ۞ بأرواقه والصبح قد كاد يسطع

حدثني إبراهيم بن السندي عن أبيه قال دخل شاب من بني هاشم على المنصور فسأله عن وفاة أبيه فقال مرض أبي رضي الله عنه يوم كذا ومات رضي الله عنه يوم كذا وترك رضي الله عنه من المال كذا ومن الولد كذا فانتهره الربيع وقال بين يدي أمير المؤمنين توالي بالدعاء لأبيك فقال الشاب لا ألومك لأنك لم تعرف حلاوة الآباء قال فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه ضحكا قط افتر عن نواجذه إلا يومئذ ۞ وحدثني إبراهيم بن السندي عن أبيه قال دخل شاب من بني هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى ادنه فقال قد تغديت يا أمير المؤمنين فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطائه فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء الستر دفع في قفاه فلما رأى ذلك

الحجاب منه فدعوا فيه فقاء حتى أخرجوه من الدار فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور فقال المنصور إن الربيع لم يقدم على مثل هذا إلا وفي يديه حجة فإن شئتم أغضيتم على ما فيها وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون قالوا فسله ودعا الربيع وقصوا قصته فقال الربيع هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف فاستأذن أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قرب ثم أمره بالجلوس ثم تبذل بين يديه وأكل ثم دعاه إلى طعامه ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التي صيره فيها أن قال حين دعاه إني قد تغديت وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل . حدثنا إبراهيم بن السندي عن أبيه قال والله إني لواقف على رأس الرشيد والفضل بن الربيع واقف في الجانب الأيسر والحسن اللؤلؤي يسائله ويحدثه عن أمور وكان آخر ما سأله عن بيع أمهات الأولاد فلولا أني ذكرت أن سلطان ما وراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحرس وأن سلطاني إنما هو على من خرج من حدود الدار لقد كنت أخرجته بضبعيه وأقمته فلما أن صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع أما والله لو كان هذا منطقه في مسايرة أو موقف لعلمت أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسه . وحدثني إبراهيم بن السندي قال بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقة يحدث المأمون والمأمون يومئذ أمير إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤي نمت أيها الأمير ففتح المأمون عينيه وقال سوقي والله خذ يا غلام بيده

قال وكنا يوما عند زيد بن محمد بن منصور بن زياد وقد مثل لنا الفضل بن محمد طعاما ومعنا في المجلس خادم وكان نديمهم فجاء رسول الفضل إلى ابن زياد فقال يقول لك أخوك قد أدرك طعامنا فتحولوا ومعنا في المجلس إبراهيم النظام وأحمد بن يوسف وقطرب النحوي في رجال من أدباء الناس وعلمائهم فلما مثل الخادم وقف بحذاء الرسول وأقبل عليه مبتسما الخادم فقال يا ابن الخناء تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتح الرجل من عرض الناس ألا تقول يا سيدي يقول لك أخوك تحب أن تصير إلينا بإخوانك فقد تهيأ أمرنا . وابتغت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك فمر به خادم من معارفه ممن قد خدم الملوك فقال له إن الأديب وإن لم يكن ملكا فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك فانظر أن تخدمه خدمة تامة قلت له وما الخدمة التامة قال الخدمة التامة أن تقوم في دارك لبعض الأمر وبينك وبين النعل ممشى خمسين خطوة فلا يدعك أن تمشي إليها ولكن يأخذها ويدنيها منك ومن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغي لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب ومن الخدمة التامة أن يكون إذا رأى متكئا يحتاج إلى مخدة أتاه

ينتظر أمرك وينظر إلى هيئة الدولة قبل أن تأمره أن يصب فيها ماء أو سواه ولا ينفض عنها الغبار قبل أن تأتيه بها وإن رأى بين يديك قرطاسا على طينه قطع رأسه ووضعه بين يديك على كسره وأشباه ذلك . قال ولما كلم عروة بن مسعود الثقفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ربما مس لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال له المغيرة بن شعبة نح يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا ترجع إليك فقال عروة يا غدر وهل غسلت رأسك من غدرتك إلا بالأمس . قال ونادى رجال من وفد بني تميم النبي صلى الله عليه وسلم باسمه من وراء الحجرات فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . وقال الله جل ذكره لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقال ابن هرمة أو غيره

لله در سميدع فجعت به يوم البقيع حوادث الأيام
هش إذا نزل الوفود ببابه سهل الحجاب مؤدب الخدام
فإذا رأيت شقيقه وصديقه لم تدر أيهما أخو الأرحام

قال أبو الحسن بينا هشام يسير ومعه أعرابي إذ انتهى إلى ميل عليه كتاب فقال للأعرابي انظر أي ميل هذا فنظر ثم رجع إليه فقال عليه محجن وحلقة وثلاثة كأطباء الكلبة ورأس كأنه رأس قطاة فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابي وكان عليه خمسة .

نوادر الأعراب

واستشهد أعرابيا على رجل وامرأة فقال رأيته قد تقمصها يحفزها بمؤخره ويجذبها بمقدمه وجيء على المسلط . وقال آخر رأيته قد تبطنها ورأيت خلخالا لها شائلا وسمعت نفسا عاليا ولا علم لي بشيء بعد . وقال أعرابي رأيت هذا قد تناول حجرا فلا أنبأ بهذا وحجر الناس بينهم وإذا هذا يسترمي . وقال بعضهم الشيب نذير الآخرة . وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية . وقال آخر الشيب توأم الموت . وقال الحكم شيب الشعر موت الشعر وموت الشعر علة موت البشر . وقال المعتمر بن سليمان الشيب أول مراحل الموت . وقال التميمي الشيب تمهيد الحمام . وقال العتابي الشيب تاريخ الكتاب وقال التميمي الشيب عنوان الكبر . وقال عدي بن زيد العبادي

وابيضاض السواد من نذر الشيب وهل مثله لحي نذير

وقال الآخر

أصبح الشيب في المفارق شاعا واكتسى الرأس من بياض قناعا
ثم ولى الشباب إلا قليلا ثم يأبى القليل إلا نزاعا

قال وقال رجل لأشعب ما شكرت معروفي عندك قال لأن معروفك جاء من عند غير محتسب فوقع إلى غير شاكر . وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد خففت صلاتك

جزاء فقال لأنه لم يجاهر بالإصرار

كلام بعض المتكلمين من الخطباء

الحمد لله كما هو أهله والسلام على أنبياء الله المقربين الطيبين أخي لا تغترر بطول السلامة
مع تضييع الشكر ولا تغفلن نعمة الله في معصيته فإن أقل ما يجب للمنعم ألا تجعلها ذريعة
في مخالفته واعلم أن النعم نوافر ولقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع
شاردها بالتوبة واستدم الراهن منها بكرم الجوار واستفتح باب المزيد بحسن التوكل
ولا تحسبن أن سبوغ ستر الله عليك غير متقلص عما قريب إذا لم ترج لله وقارا
وإني لأخشى أن يلابسك أمر الله بغتة أو قبل الإمهال فهو أولى بالمعتبة وأثبت في الحجة ولأن
لا تعلم ولا تعمل خير من أن تعلم ولا تعمل إن الجاهل لم يؤت من سوء نيته ولا استخفاف منه
بربوبية وليس كمن تمهدت له الحجة وأعرب له الحق عن نفسه فآثر الغفلة والتخميس
من الشهوة على الله تبارك وتعالى فلا سمحت نفسه عن الجنة وأسلمها إلى العقوبة فاستشعر
غفلتك وراجع نفسك واذكر نعم الله عندك وتذكر إحسانه إليك فإنه مجلبة للحياء
ومزعة للشهوة ومشجرة على الطاعة فقد أطلت البلاء أو كان قد وكفكف عنك غرب
شؤبوبه وجوائح سطواته بسرعة النزوع وطول التفريج ثلث من أسرع في العقل
من النار في يبيس العرفج إهمال الفكرة وطول التمني والاستغراب في الضحك إن الله
لم يخلق النار عبثا ولا الجنة هملا ولا الإنسان سدى فاعترف برق العبودية وعجز
البشرية فكل زائد ناقص وكل قرين مفارق وكل غني محتاج وإن عصفت به الخيلاء
وأبطره العجب وصال على الأقران فإنه مزال مدبر ومقهور مبتسر إن جاع سخط المحنة
وإن شبع بطر النعمة ترضيه اللمحة فيستشيط مرحا وتغضبه الكلمة فيستطير شغفا
حتى تنفسخ لذلك منته وتنتقض مريرته وتضطرب فريصته وتنتشر عليه حجته
والعجب من لبيب يتوب بعد الخيانة ويسلم مع الإضاعة ويؤتى من الثقة ولا يشعر بالعاقبة
إن الأمل عمى وإن علم شيء كيف لم يغن الحق مغفلا بغيه والتوكل لم يزل يحميه أعمى
عن الدلالة وعن وضوح الحجة أم آثر العاجل الخسيس على الآجل النفيس وكيف توجد
مزية الصبغة مع صحة العقدة واعتدال الفطرة وكيف يؤثر رائد العقل بإيثار القليل الفاني
على الكثير الباقي وما الظن الذي أقعدك عن تناول الحظ مع قرب مجتناه حتى صار لا يثنيك
زجر الوعيد ولا يفرحك في عمارة فوت الجنة وحتى ثقلت على سمعك الموعظة ونبت مجاورة
عن قلبك العبرة إلا طول التقصير واعتياد الراحة والأنس بالدنيا وإيثار الأخف
والفرح بالسوء فاذكر الموت وأدم الفكرة فيه فإن من لم يعتبر بما رأى لم يعتبر بما
لم ير وإن كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما أنت عليه
ومحبة ما أصبحت فيه من إيثار الباطل على حق الله واختيار الوهن على القوة والتفريط

على الحزم والإشغاف إلى الدون واضطلاع العار والتعرض للمقت وبسط لسان العائب
فمستنبطات العيب أحرى بالعجز عن تحريكها ونقلها عن سوء العادة التي أثرتها على ربطها
فاستحي للبيب واستبق ما أفضل الحزن لك من قوتك قبل أن يستولي عليه الطمع ويستبد
به العجز أو ما علمت أن المعصية شؤم لمن لها وتعل غرب اللسان مع السلاطة بل ما علمت
أن المستشعر بذل الخطيئة المخرج نفسه من كنف العفة المتحلي بدنس الفاحشة يطفي السنا
زمن المروءة قصي المجلس لا يشاور ومودود مزال لا يصدر ومع جميل الرواء يسالمه
من كان يسطو عليه ويضرع لمن كان يرغب إليه يخزل بحاله المبغض الشانئ ويثلب بعرضه
الغريب الداني غامض الشخص ضئيل الصوت نزر الكلام متلجلج الحجة يتوقع إثر سكتات
عند كل كلمة وهو يرى فضل مرتبته وصريح لبه وحسن فضيلته ولكن قطعه سوء ما جنى على
نفسه ولو لم تطلع عليه عيون الخليقة لحجب العقول بإذعانه وكيف يمتنع من سقوط
العزة وظن المتعرض من عرية من حلية التقوى وسلب طابع الهدى ولو لم يتغشه ثوب
مرتبته وقبيح ما اختص إليه من مخالعة ربه لأدحضت حجته وأقمعته ومن الخطيئة والقطعة
العلم بقبيح ما قارف عن اقتدار همومه في الطهارة في الكلام وإذ لا ملك لبرائه في التربية
منه خلال الغلط في عاجل الدنيا فإذا كان يوم الجزاء الأكبر فهو عان لا يفك وأسير
لا يفادى وعارية لا ترد فاحرز عادة العجز وإلف الفكاهة وحب الكفاية وقلة
الاكتراث بالخطيئة والتأسف على الفائت منها وضعف الندم في إغفالها أخي إن
إليك الغافي فإنه ميت وإن كان متحركا وأعمى وإن كان رائيا فاحذر الغفلة فإنهما
رأس الخطايا والإقدام على الطبيع ومن الشؤم إلغاء الفكرة والدامية العظام وإرادة تركهم
في حبائلهما وتستفيض من شرهما ولا بأس أن يعظ المقصر ما لم يكن متماديا ولن يهلك امرؤ
عرف قدره ورب حامل علم إلى من هو أعلم منه علمنا الله وإياكم ما فيه نجاتنا وأعاننا
وإياكم على تأدية ما كلفنا والسلام ۞ قال وقلت لحباب إنك تكذب في الحديث فقال
وما عليك إذا كان الذي أزيد فيه أحسن منه فوالله ما ينفعك صدقه ولا يضرك كذبه
وما يدور الأمر إلا على لفظ جيد ومعنى حسن ولكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك
وذهب كلامك ۞ قال أبو الحسن سمع أعرابي رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال يفعل
ماذا ۞ قال وكان يقال أول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع
العمل به والخامس نشره ۞ أبو الحسن قال قرأ رجل في زمن عمر بن الخطاب رحمه الله
رحيم فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور فقال الأعرابي لا يكون
قال ودخل على المهدي صالح بن عبد الجليل فسأله أن يأذن له في الكلام فقال تكلم فقال
إنه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول

الله صلى الله عليه وسلم بلا ظهار مما في اعتقادنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتمان في التقية ولا استراحين انتسبت بسببهم للتواضع ومعرفة الله وحمله كتابه إيثار الحق على ما سواه فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ليتم مؤدينا على موعود الأداء عنهم وقابلنا على موعود القبول أو يرد ذلك تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ويحلينا تحلية الكاذبين فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه يقولون من حجة الله عند العلم حق به على الجهل وأشد منه عذرا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها فأقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول فيه سمعة ورياء فإنه لا يخلطك مثال إعلام لما تجهل أو مواطاة على ما تعلم أو تذكير لك من غفلة فقد وطن الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التمادي ودلالة على المخرج فقال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم فأطلع الله على قلبك بما ينوي به القلوب من إيثار الحق وما بدئه الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك يرى أثرك وأثر الله عليك فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله ۝ قال ودخل رجل على معوية وقد سقطت أسنانه فقال يا أمير المؤمنين إن الأعضاء يرث بعضها بعضا فالحمد لله الذي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثك

وحدثنا إسمعيل بن علية قال حدثنا زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك فلما سوي عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما وأحاط به الناس فقال رحمك الله يا بني فقد كنت برا بأبيك وما زلت مذ وهبك الله لي بك مسرورا ولا والله ما كنت قط أشد سرورا بك ولا أرجى لحظي من الله فيك مني مذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيئاتك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد أو غائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره والحمد لله رب العالمين ثم انصرف ۝

وحدثني محمد بن عبيد الله بن عمرو قال أخبرني طارق عن ابن المبارك عن أبيه قال قال لي عمرو بن معوية بن عمرو بن عتبة جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر الأموال فكنت لا أكون في قبيلة إلا شهر أمري فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدي حرمي بنفسي قال فسرت إلى أن وافيت عند باب الأمير سليمن بن عبد الملك قال فلما أتيته فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشي مسدولة قال فقلت يا سبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها أمثل هذا يلبس من لباس هذا اليوم قال لا والله ولكن ليس عندي ثوب إلا أشهر مما ترى قال فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه قال فدخل ثم خرج إلي مسرورا قال فقلت له حدثنا ما جرى بينك وبين الأمير قال دخلت عليه ولم يرني قبل ذلك فقلت أصلح الله الأمير لفظتني البلاد إليك ودلني فضلك عليك فإما قبلتني غانما وإما رددتني سالما قال ومن أنت أعرفك قال فانتسبت له فقال اقعد فتكلم غانما سالما ثم أقبل علي فقال حاجتك يا ابن أخي قال فقلت إن الحرم اللاتي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفن لخوفنا ومن خاف خيف عليه قال فوالله ما أجابني إلا بدموعه على خديه فقال يا ابن أخي يحقن الله دمك ويحفظ حرمك ويوفر عليك مالك ولو أمكنني ذلك في جميع قومك فعلت قال فقلت أكون متواريا كظاهر فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه قال فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه فقال مهلا إن ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا ۝

ومن أخبار النوكى

حدثت عن أبي سعيد الرقاشي أنه سئل عن الدنيا والدار الآخرة فقال أما الدنيا فمن أتى أنتم فيها وأما الدار الآخرة فهي دار باقية من هذه الدار لم يشتغل أهلها بهذه الدار ولا بشيء من أمرها وكذلك نحن لم نسمع بشيء من أمرها إلا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قثاء وسقوفهم من قثاء وأنعامهم من قثاء وخيلهم من قثاء ومنهم في أنفسهم من قثاء وقثاء ومنهم أيضا من قثاء ۝ قالوا له يا أبا سعيد زعمت أن أهل تلك الدار لم يشتغلوا بهذه الدار ولا بشيء من أمرها وكذلك نحن لهم وأنت قد أخبرتنا عنهم بأخبار كثيرة قال فمن ثم أنا أتعجب زيادة ۝ قالوا ذم رجل عند الأحنف الكمأة بالسمن فقال رب ملوم لا ذنب له عبد الله بن مسلم عن شبة بن عقال أن رجلا قال في مجلس عبيد الله بن زياد ما أطيب الأشياء فقال رجل ما شيء أطيب من تمرة نرسيان كأنهما من ذا إن النوكى عليهما بزبدة وقال أوس بن حاجب لابن عامر ۝

ظلت عقاب النوكى تخفق فوقه رخو طعامه وقد بهم ذا الملعب
من ظل يوعدني وعيش وفيه خضراء خاشعة كعين العقرب

يعني يزيد بن عبد الله بن عمير الليثي وكان أخاه لأمه أمهما دجاجة بنت أسماء السلمية وقال ابن مناذر في خلد بن طليق الخزاعي وكان المهدي استقضاه وعزل عبيد الله بن الحسن العنبري

أتى دهر لا والدهر ليس بمعتب لكبدي والدهر جم الأذى وابد
بعزل عبيد الله عنا قباله خلافا وباستعمال في النوكى خالد
بعيران عن قصد السبيل تضرة خبأته سلام وعيبة فلابد ۝ وقال أيضا
قل لأمير المؤمنين الذي من هاشم في سرها واللباب ۝ يا عجبا من خالد كيف لا يخطي فيما مرة بالصواب

وقال خلد يحكم في الناس بحكم الجاثليق ۝ يا أبا الهيثم ما كنت لهذا بخليق ۝ لا ولا كنت لما حملت منه بمطيق أي قاض أنت للقتل وتعطيل الحقوق ۝ وقال ۝ يقطع كف الكاذب المفتي ويجلد اللص تمايلا شفقا ورعيا الدرهم خارج يعني كتاب السنة والدين

أصبح الحاكم بين الناس من آل طليق جالسا يحكم في الناس بحكم الجاثليق
يدع القصد ويعدو في ثنيات الطريق يا أبا الهيثم ما كنت لهذا بخليق
لا ولا أنت لما حملت منه بمطيق أي قاض أنت للقتل وتعطيل الحقوق

وقال زهير ∴ يا قوم من دل على عالم يعلم ما حاجي سارف ∴ وقال آخر
والي في لقاء على المقول واحدا ولو كلت بيننا في الخيش شارج ∴ الخنيس
تشتد للنوكى أمور كثيرة وفيها لأكياس الرجال مخارج ∴ وقال آخر
لا يعرفون الشر حتى يصيبهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا ∴ وقال
إذا اصطنعوا عن دار ضيم تعاودوا عليها وردوا وفدهم يستقيلها ∴
وقال النابغة ∴ ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب ∴
والعرب تقول أخزى الله الرأي الدبري ∴ وقالوا وجه الحجاج إلى مطهر بن عمار بن ياسر
عبد الرحمن بن سليم الكلبي فلما كان يخلو أن ابعد الحجاج مدده وعجل عليه بالكتاب
مع تحبيب الغلط وإنما قيل له ذلك لكثرة غلطه فمر تحيث بالمدد وهم يعرضون على النفيس
فلما قدم على عبد الرحمن قال له أين تركت مددنا قال تركتهم يختنقون بعار حبس
قال أو يعرضون على النفيس قال نعم اللهم لا تغلي في بار كيس ولما تم مقيس عرضه
وكان عبد الرحمن أراد أن يقول له ألا تغدى فقال له ألا تغدى قال قد فعلت أصلحك
الله قال ما هذا أردت قال صدقت ولكن الأمير غلط كما غلطنا ∴ فقال أنا غلطت من فمي وغلطت

باب من البله الذي يعتري من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب

ومن هنا قال أبو وائل أسمعكم تقولون الدانق والقيراط فما أيكم أكثر ∴ قالوا وكان
عامر بن عبد الله بن الزبير في المسجد وكان قد أخذ عطاءه فقام إلى منزله ونسيه فلما
صار في منزله ذكره فبعث رسولا ليأتيه به فقال له وأين تجد ذلك الآن قال سبحان الله فقيل
أو يأخذ أحد ما ليس له ∴ أبو الحسن قال قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيري سرقت
نعل عامر بن عبد الله الزبيري فلم يتخذ نعلا حتى مات وقال أكره أن أتخذ نعلا فلعل
رجلا أن يسرقها فيأثم ∴ وقالوا إن الخلفاء والأئمة أفضل من الرعية وعامة الحكام
أفضل من المحكوم عليهم ولهم لأنهم أفقه في الدين وأقوم بالحقوق وأرد على
المسلمين وعليهم بهذا أفضل من عبادة العباد لأن نفع ذلك لا يعدو قمم رؤوسهم
ونفع هؤلاء يخص ويعم والعبادة لا تدل له ولا تورث البله إلا لمن ترك التوخي وترك
معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة فمن هناك صاروا بلهاء حتى صار لا يجوز من عبدهم
حاكم ولا إمام ولا أحسن ما قال أيوب السختياني حيث يقول في أصحابي من أرجو دعوته
ولا أقبل شهادته فإذا لم يجز في الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد ∴ وقال الشاعر
وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا ∴
ومن عجز مس الباب قوله ∴
إذا ما الشيخ عوتب زاد شرا وتغيب بعد مسوية الوليد ∴

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج ∴ وقال الشاعر
إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فأضيق الأمر أدناه من الفرج ∴ وقال الفرزدق
إني وسعدا كالحواري وأمه إذا ولهينه لم يضره اعتماد ما ∴ وقال أعرابي
تعلمني بالعيش عرسي كأنما تبصرني الأمر الذي أنا جاهله ∴
يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلق حين يزايله ∴ وقال آخر
شهدت وبيت الله أنك بارد الثنايا يا لذيذ كشحها حين تلثم ∴ وقال آخر
الله يعلم يا مغيرة أنني قد رمت سنتها وشق الحصان لمنكل
وأخذتها أخذ المقصب شاته عجلان يشويها لقوم نزل ∴ وقال آخر — المقصب الجزار
شهدت وبيت الله أنك بارد الثنايا وأن الكشح منك لطيب ∴ عصيب
وأنك مشبوح الذراعين خلجم وأنك إذ تخلو بهن عفيف ∴ وقال آخر — محصنة
فملأ من وراء أو حصين حصينة فرح حاصنة كعاب ∴
وأقسم أنه قد حل منها محل السيف من قعر القراب ∴ وقال آخر
أترجو أن تسودهم ولن تعنى وكيف يسود ذو الدعة البخيل ∴ وقال القرشي
وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل ∴ وقال جرير بن الخطفى
تريدين أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذي يرضي الأخلاء بالبخل ∴ وقال إسحق بن نوح
وقد فرق الناس في كل قلب ثنية لها مصعد حزن ومنحدر سهل ∴
وود الفتى في كل نيل ينيله إذا ما انقضى لو أن نائله جزل ∴ وقال آخر
عزمت على إقامة ذي صباح لشيء ما يسود من يسود ∴ وقال آخر
وتعجب أن حاولت منك تنصفا وأعجب منه ما تحاول من ظلمي ∴
أبا حسن يكفيك ما فيك شاتما لعرضك من شتم الرجال ومن شتمي ∴ وقال الآخر
كما قال الحمار لسهم رام لقد جمعت من شتى لأمر ∴
أراك حديدة في رأس قدح ومن خلالك من ريش نسر ∴ وقال آخر
إذا ما مات مثلي مات شيء يموت بموته بشر كثير ∴
وأشعر منه عبدة بن الطبيب حيث يقول في قيس بن عاصم ∴
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما ∴
وقال امرؤ القيس في شبيه بهذا المعنى ∴
فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا ∴ وقال آخر
وتمتريني في صالح العيش أنني رأيتك ترديني في صالح العيش قلت ∴ وقال معن بن أوس
ولقد بدا لي أن قلبك ذاهل عني وقلبي لو بدا لك أذهل ∴

كلٌّ يجامل ومن يُخفي بغضَه إنّ الكريم على القلى يتجمّل ۞ وقال ركّاض
تراهنّ يفترين نحو منهنّ في الشوى وترمين لا يعدلن عن كبد سهما ۞
إذا ما لبسن الحلي والوشي أشرقت وجوه وكبّات يسلبن ما الحلما ۞
ولسن للسبوب خمرًا قرشيّة زبيرية يعلمن في لونها علما ۞ وقال آخر
أعلّل نفسي بما لا يكون كما يفعل المائق الأحمق ۞ وقال آخر
تولّت بهجة الدنيا فكلّ جديدها خلق ۞ وخان الناس كلّهم فما أدري بمن أثق
رأيت معالم الخيرات سُدّت مذاهبها الطرق ۞ فلا حسب ولا أدب ولا دين ولا خلق
وقال أبو الأسود الدؤلي ۞
تناجيه سرّ والمجارة بيننا فإن كره السرّ فالسرّ أكيس ۞
ومن خير ما ألصقت بالدار حائط تزلّ به صقع الخطاطيف أملس ۞ وقال آخر
عجبت لأمّ أتت بأكم ليس فيكم رجل غير مرتجي ۞
وإذا ما الناس عدوا واشرفوا كنتم من ذا الطرف بلا رجي ۞ وقال آخر
قد بلوت الناس بحمد الله أن أفتي البلا ۞ فلو ذاك هوا عيطه والحجر سواء ۞ وقال آخر
ولقد مررت على اللئيم فكنت ذا نفس ليعه ۞ أنت الرفيع بن الرفيع بن الرفيع بن الرفيعه
وقال آخر ۞ لكلّ أناس سلّم يرتقى به وليس إلينا في السلام لهم مطلع ۞
وغايتنا القصوى مجاز لمن به وكلّ مجاز إن تبطأ يلقع ۞
ويُنعى مثال كلّ وحش وينتمي إلى وحشنا وحش البلاد فيرتع ۞ وقال آخر
لو جرت خيل تكون صالحة تخيل فلا قد ۞ في لا خيل رجلا ولا خيل محا قد
رجال
جمال
وقال الحريمي ۞ إذا خلع ثيابًا بعد من أبي دلف وأمن ب من الجعاجة الصلف ۞
لا يعجبنك من أبي دلف وجه يضيء كدرّة الصدف ۞
إني رأيت أبي أبا دلف عند الفعال مولّد الشرف ۞
وأنشد في ابن الأعرابي ۞ أملكني بفلان ثقتي وظنوني بفلان حسنه
ليس يستوجب شكرًا رجل نلت خيرًا منه من بعد سنه ۞ كنت كالمادح من الطين إلى قطعة أدخله في مضجعة
زادني فيه ب صريع فلاقد أوفيتها من بعد فقر مسكنه ۞ وأنشد ثالث
إذا المرء أولا لا الهوان فلا وله هوانًا وإن كانت قريبًا أواصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فذره إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك قدرة وصمّم إذا أيقنت أنك عاقره
وقال بعض ظرفاء الأعراب ۞ وإذا خشيت من الفؤاد لجاجة فاضرب عليه بجرعة من آمر
ثم كن لها عن ذكره فاضطرب ضبًّا وكنت إذا عزمت لا أجيب
وقال بعض المحدثين ۞

ما أشبه الليلة أمرَه بالوصل وأشبه الهجران بالعزل ۞ وقالت الخنساء
لم تره جارة يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجار ۞
مثل الرديني لم تدنس عمامته كأنه تحت طيّ البرد أسوار ۞ وقال آخر
تلاحيت ميزاني وأبواب مغلقة ومثل ميزان سني فتحة الباب ۞
كالمندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجّاب ۞ وقال آخر
أرى كلّ ريح سوف تسكن مرّة وكلّ سماء ذات درّ ستقلع ۞
وليس بفوال إذا قام حاليا لك الويل لا تجهز لعلّك ترضع ۞
ولكن إذا جاء حدث بما لم وضاق جهرًا ولم تدر بما تتوسّع ۞ وقال آخر
تمنّى رجال أن أموت وغاية إلى أجل أقصى مداه قريب ۞ لو يعلمون
وما رغبتي في آخر الدهر بعد ما لبست شبابي كلّه ومشيب ۞
وأصبحت في قوم كأن لست منهم وبادي فرد وفي منهم وطر ۞ وأنشد
رأيت الناس لمّا قلّ مالي وأكثرت الغرامة ودّعوني ۞
فلمّا أن غنيت وثاب وفري إذا هم لا أبا لك راجعوني ۞ وقال آخر
وكنّا نستطبّ إذا مرضنا فصار سقامنا بين الطبيب ۞
فكيف نجير غصّتنا بشيء ونحن نغصّ بالماء الشروب ۞ وقال عدي بن زيد
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصّان بالماء اعتصاري ۞ وقال المولى
اليمامي ۞ على أيّ باب أطلب الإذن بعد ما حُجبت عن الباب الذي أنا حاجبه ۞ وقال آخر
لا تضجرن ولا تدخلك معجزة فالنجح يهلك بين العجز والضجر ۞ وقال محمد
بن يسير ۞ إنّ الأمور إذا انسدّت مسالكها فالصبر يفتح منها كلّ ما ارتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا ۞
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا ۞ وقال
بعض الأعراب ۞ فإن تك طعنًا ما أضمّ كحي وكنها العمر عندي في الحياة مباركه ۞
فمن أجلها أستوعب الناس كلّه ومن أجلها تهوي يدي فتداركه ۞
وقال آخر ۞ كأني لمّا تمشي السوط مغرم من العجم صعب أن يقاد نفور ۞
فكم قد رأينا من لئيم مؤطّأ صبور على مسّ السياط وقود ۞
وذي كرم في القوم تهز مشيّع جزوع على مسّ السياط ضجور ۞ وقال
أحيحة بن الجلاح ۞ استغن عن كلّ ذي قربى وذي رحم إنّ الغنيّ من استغنى عن الناس
والبس عدوّك في رفق وفي دعة لباس ذي إربة للدهر لبّاس ۞
ولا تغرّنك أضغان مزمّلة قد يضرب الدبر الدامي بأحلاس ۞

وقال الحطيئة أيضا : إذا نشحن أو مشت ولا يعزم ذلك وتشبه من ابن عم ولا عم ولا خال

إذا انكب على الزور أخو المال إن الكريم على الأقوام ذو المال :

يلوون ما عندهم من حق أقربهم وعن عشيرتهم والمال بالوالي :

وقال آخر : سأبغيك مالا بالمدينة إنني أرى عازب الأموال قلت فواضله :

وقال آخر : ولا خير في قول إذا لم يكن له على طول مر الحادثات بقاء :

وقال العباس بن الأحنف :

لم يصف حب لمعشوقين لم يرزقا وصلا يمر على من ذاقه العسل : منصفا

وقال بعض الأعراب : لا خير في الحب أبدا الستور :

أو يلتقي أشعرها وأشعري : ولا طبق الخصية فوق المبعر :

وقال الآخر : وخطة زور في كل عام موافقة على ظهر الطريق :

سلاما خاليا من كل شيء يعود به الصديق على الصديق :

وقال عطارد بن قران :

ولا يلبث الحبل الضعيف إذا التوى وجاذبه الأعداء أن يتجزما

وما يستوي السيفان سيف مؤنث وسيف إذا ما عض بالعظم صمما

وقال طريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

سعيت ابتغاء الشكر فيما صنعت بي فقصرت مغلوبا وإني لشاكر

لأنك تعطيني الجزيل بداهة وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر

فأرجع مغبوطا وترجع بالتي لها أول في المكرمات وآخر

وقد قلت شعرا فيك لكن تقوله مكارم فيما تبتني ومفاخر

قواصر عنها لم تحط بصفاتها يراد بها ضرب من الشعر آخر

وقال آخر : فكم من مليم لم يصب بملامة ومتبع بالذنب ليس له ذنب

وكم من محب صد عن غير علة وإن لم يكن في وصل خلته عتب :

وقال آخر : لعل له عذرا وأنت تلوم وكم من لائم قد لام وهو مليم

كما قال الأحنف رب ملوم لا ذنب له : وقال ابن المقفع :

فلا تلم المرء في شأنه فرب ملوم ولم يذنب ھ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري :

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب العصا : الحمد لله ولا حول

ولا قوة إلا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة هذا أبقاك الله الجزء

الثالث من القول في البيان والتبيين وما شابه ذلك من غرر الأحاديث وشاكله من عيون الخطب ومن الفقر المستحسنة والنتف المتخيرة والمقطعات المستخرجة وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى والمنثور الذي لم يقف وبالأرجاز عند المتح وعند مجاثاة الخصم وساعة المشاولة وفي نفس المجادلة والمحاورة وكذلك الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة واستعمال المنثور في خطب الحمالة وفي مقامات الصلح وسل السخيمة والقول عند المعاقدة والمعاهدة وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته حتى يخرج على غير صنعة ولا اختلاف تأليف ولا التماس قافية ولا تكلف لوزن مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي والاتكاء على أطراف القسي وخد وجه الأرض بها واعتمادها عليها إذا اسحنفرت في كلامها وافتنت يوم الحفل في مذاهبها ولزومهم العمائم في أيام الجموع وأخذ المخاصر في كل حال وجلوسها في خطب النكاح وقيامها في خطب الصلح وكل ما دخل في باب الحمالة وأكد شأن المحالفة وحقق حرمة المجاورة وخطبهم على رواحلهم في المواسم العظام والمجامع الكبار والتماسح بالأكف والتحالف على النار والتعاقد على الملح وأخذ العهد الموكد واليمين الغموس مثل قولهم ما سرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة ولذلك قال الحارث بن حلزة اليشكري :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء :

حذر الخون والتعدي وهل تنقض ما في المهارق الأهواء :

الخون الخيانة ويروى الجور : وقال أوس بن حجر :

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف :

وقال الكميت : كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هولوا : وقال الأول

حلفت بالملح والرماد وبالنار وباللات تسلم الحلقة : يعني السلاح

حتى يظل الجواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرقة : وقال الأول

حلفت لهم بالملح والجمع شاهد وبالنار واللات التي هي أعظم : الملح الرضاع

وقال الحطيئة في إضجاع القسي :

أمن لحظ مضجعين قسيهم صعر خدودهم عظام المفخر :

وقال لبيد بن ربيعة في خد وجه الأرض بالقسي والعصي :

نشين صحاح البيد كل عشية بعوج السراء عند باب محجب : ومثله

إذا اقتسم الناس فضل الفخار أطلنا على الأرض ميل العصا : ومثله

حكمت لنا في الأرض يوم محرّق أيامنا في الناس حكما فيصلا

وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي

ما إن أهاب إذا السرادق غمّه قرع القسيّ وأرعش الرعديد

وقال كثيّر في الإشارة بالكلام

إذا قرعوا المنابر ثم خطّوا بأطراف المخاصر كالغضاب

وقال أبو عبيدة سأل معاوية شيخا من بقايا العرب أيّ العرب رأيته أضخم شأنا قال حصن بن حذيفة رأيته متوكئا على قوسه يقسم في الحليفين أسد وغطفان وقال لبيد بن ربيعة في الإشارة

غُلْبٌ تشذّرُ بالذحول كأنها جنّ البديّ رواسيا أقدامها

وقال معن بن أوس المزني

ألا من مبلغ عني رسولا عبيد الله إذ عجل الرسالا

تعاقل دوننا أبناء ثور ونحن الأكثرون حصى ومالا

إذا اجتمع القبائل جئت ردفا وراء الماسحين لك السبالا

فلا تعطي عصا الخطباء يوما وقد تكفى المقادة والمقالا

فذكر عصا الخطباء كما ترى. وقال الآخر في حمل القناة

إني امرؤ لا تخطّاه الرفاق ولا جدب الخوان إذا ما استنشئ المرق

صلب الحيازيم لا هذر الكلام إذا هزّ القناة ولا مستعجل زهق زعق

وقال جرير بن الخطفى في حمل القناة

من للقناة إذا ما عيّ قائلها وللأعنّة يا عمرو بن عمّار

قالوا ومثل قول أبي المجيب الربعي حيث يقول لا تراه أن تعطف أخامه حتى يأخذ القناة يعني أنه لا يقتضب أو يرتجل. يقول إذا قام يخطب فقد قام المقام الذي لا بدّ من أن يخرج منه مذموما أو محمودا. وقال عبد الله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن أخطب بني تميم فقال خداش بن لبيد بن بيبة بن خالد يعني البعيث الشاعر وإنما قيل له البعيث لقوله

تبعّث مني ما تبعّث بعدما أمرّت حبالي كلّ مرّتها شزرا

وقال أبو اليقظان كانوا يقولون أخطب بني تميم البعيث إذا أخذ القناة فهزّها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها. قال يونس لعمري لئن كان مغلّبا في الشعر لقد كان غلّب في الخطب وإذا قالوا غلّب فهو الغالب وإذا قالوا مغلّبا فهو المغلوب. وفي حديث النبي صلى الله عليه أنه جاء إلى البقيع ومعه مخصرة فجلس فنكت بها الأرض ثم رفع

رأسه فقال ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار وهو من حديث أبي عبد الرحمن السلمي. ومما يدل على استخفافهم شأن المخصرة حديث عبد الله بن أنيس ذي المخصرة وهو صاحب ليلة الجهني وكان النبي عليه السلام أعطاه مخصرة وقال تلقاني بها في الجنة وهو مهاجري عقبي أنصاري وهو ذو المخصرة في الجنة. قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية القضيب للإيقاع والقناة للبقّار والعصا للقتال والقوس للرمي وليس بين الكلام وبين العصا سبب ولا بينه وبين القوس نسب وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضا على الذهن أشبه وليس في حملهما ما يشحذ الذهن ولا في الإشارة بهما ما يجلب اللفظ وقد زعم أصحاب الغناء أن المغني إذا ضرب على غنائه قصّر عن المغني الذي لا يضرب على غنائه وحمل العصا بأخلاق العبيد أشبه وهو بجفاء الأعراب وعنجهية أهل البدو ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل وبه أشبه قالوا والخطابة شيء في جميع الأمم وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة حتى إن الزنج مع الغثارة ومع فرط الغباوة ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج لتطيل الخطب وتفوق في ذلك جميع العجم وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ وألفاظها أخطل وأجهل وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس وأعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا وأحسنهم دلا وأشدهم فيه تحكما أهل مرو وأفصحهم بالفارسية الدرية وباللغة الفهلوية أهل قصبة الأهواز. فأما نغمة الهرابذة ولغة الموبذان فلصاحب تفسير الزمزمة. قالوا ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فلينظر إلى سير الملوك فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها فمن قرأ هذه الكتب عرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم وعرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني وتخير الألفاظ وتمييز الأمور أن يشيروا بالقنا والعصي والقضبان والقسي كلا ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم فحملتم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها في السفر وحملتموها في المدر بفضل عادتكم لحملها في الوبر وحملتموها في السلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب ولطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل جفا كلامكم وغلظت مخارج أصواتكم حتى كأنكم إنما تخاطبون الصمّ إذا كلمتم الجلساء وإنما كان جل قتالكم بالعصي ولذلك فخر

الأعشى على سائر العرب بقوله: لسنا نقاتل بالعصي ولا نرامي بالحجاره
وقال آخر: فإن تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشترى بالدراهم
جنادل أملاء الأكف كأنها رؤوس رجال حلقت بالمواسم
وقال جندل الطهوي: حتى إذا دارت رحى لا تجري صاحت عصي من قنا وسدر
وقال آخر: دعا ابن مطيع للبياع فجئته إلى بيعة قلبي لها غير آلف
فناولني خشناء لما لمستها بكفي ليست من أكف الخلائف
من الشثنات الكزم أنكرت مسها وليست من البيض الرقاق اللطائف
معاودة حمل الهراوى لقومها فروراً إذا ما كان يوم التسايف
وقال آخر: ما للفرزدق من عز يلوذ به إلا بني العم في أيديهم الخشب

قالوا: وإنما كانت رماحكم من مران، وأسنتكم من قرون البقر، وكنتم تركبون الخيل في الحرب أعراء، فإن كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدم، ولم تكن ذا ركاب، والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه، وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما. وكان فارسهم يطعن بالقناة الصماء، وقد علمنا أن الجوفاء أخف محملاً وأشد طعنة. وتفخرون بطول القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد، وإنما القنا الطوال للرجالة، والقصار للفرسان، والمطارد لصيد الوحش. وتفخرون بطول الرمح وقصر السيف، فلو كان المفخر بقصر السيف للراجل دون الفارس لكان الفارس يفخر بطول السيف. وإن كان الطول في الرمح إنما صار صواباً لأنه ينال به البعيد ولا يفوته العدو، فلأن ذلك يدل على شدة أسر الفارس وقوة أيده، فكذلك السيف الطويل. وكنتم تتخذون للقناة زجاً وسناناً حيث لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ويعتمد عند طعنته بفخذه، ويستعين بحمية فرسه. وكان أحدكم يقبض على وسط القناة، ويخلف منها مثل ما قدم. فإنما طعنتم الدرء والنهز والخلس والزج. وكنتم تتساندون في الحرب، وقد علم أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء: في الملك، والحرب، والزوجة. وكنتم لا تقاتلون بالليل، ولا تعرفون البيات، ولا الكمين، ولا الميمنة، ولا الميسرة، ولا القلب، ولا الجناح، ولا الساقة، ولا الطليعة، ولا النقاضة، ولا الدراجة، ولا تعرفون من الحرب الرتيلة، ولا العرادة، ولا المجانيق، ولا الدبابات، ولا الخنادق، ولا الحسك، ولا تعرفون الأقبية، ولا السراويلات، ولا تعليق السيوف، ولا الطبول، ولا البنود، ولا التجافيف، ولا الجواشن، ولا الخوذ، ولا السواعد، ولا الأجراس، ولا الوهق، ولا الرمي بالبنجكان، ولا الزرق بالنفط والنيران، وليس لكم في الحرب صاحب علم يرجع إليه المنحاز، ويتذكره المنهزم، وقتالكم إنما هو سلة، وإما مزاحفة، والمزاحفة على مواعد متقدمة، والسلة مسارقة، وفي طريق الاستلاب والخلسة. قالوا

النقاضة قوم يتقدمون أمام الملك ينفضون الطرق ويبنونها، والدراجة قوم يدرجون أمامه، والرتيلة أن يقام خلف الصف [illegible]

129

والدليل على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامري:
يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم
ويدل على ذلك أيضاً قول الحرث بن ظهار:
وحسوا إذ أتانا مستميتاً كسونا رأسه عضباً صقيلا
فلولا الليل ما آبوا بشخص تخبر أهلهم عنهم قليلا
وقال أمية بن الأشكر: ألم تر أن ثعلبة بن سعد غضاب حبذا غضب الموالي
تركت مصرفاً لما التقينا صريعاً تحت أطراف العوالي
ولولا الليل لم يفلت ضرار ولا رأس الحمار أبو جعال

فهذا ليس لكم فيما ذكرتم من هزيمة الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل، وقد يقاتل بالليل والنهار من يحول دون ماله المدن، ويحول الليل، وربما تحاجز الفريقان، وإن كان كل واحد منهما يرى البيات ويرى أن يقاتل إذا بيت. ومثل هذا كثير. والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك في قتل كعب بن مزيقيا الملك الغساني:
وليلة تبع وخميس سعد أتونا بعدما نمنا دبيبا
فلم نهدد لبأسهم ولكن ركبنا حد كوكبهم ركوبا
بضرب تعلو الهامات منه وطعن يفصل الحلق الصليبا
وقال بشر بن أبي خازم:
فأما تميم تميم بن مر فألفاهم القوم روبى نياما
يقول: شربوا اللبن الرائب فسكروا منه، وهو اللبن الذي قد أخرجت زبدته. وقال عياض السيدي:
ونحن جلبنا [illegible] من بني الجواء تشتهق
ويوم بجنب الدارين ثلاث أخاهم بأن ما جنا بالبيض موت محرق
ومنا حماة الجيش ليلة أقبلت إليهم يزجيها الهمام محرق
وقال آخر:
وعلى شنير راح منا رائح يا ليلة قبيصة كالفنيق المقرم
ترمي بشرعاب المعاوق بعد ما نشر النهار سواد ليل مظلم
وقال عياض بن البسيطي:
الهمام بشلام بن قيس بعد ما جنح الظلام بمثل لون العظلم
وقال أوس بن حجر:
باتوا يصيب القوم ضيفاً لهم حتى إذا ما ليلهم أظلما
قروهم شهباء ململمة مثل حريق النار أو أضرما
والله لولا قرزل إذ نجا وكان مثوى خده الأخرما
نجا به جيابش مريم كما أحميت ونشط الأوبر ليستعما

وبعد فقد قتل ذؤاب الأسدي عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي وسط الليل الأعظم حيث تبعوهم فلحقوهم. وكانوا إذا اجتمعوا للحرب دخنوا بالنهار وأوقدوا بالليل. قال

خزازى على نعالي هو المشهور منها

عمرو بن كلثوم وذكر وقيعة لهم ::

ونحن غداة أوقد في خزازى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا :: وقال الخضخام

السدوسي :: وأنا بالصليب ببطن فلج ... جميعا واضعين به لظانا ::

تدرّج بالنهار ليبصرونا ... ولا نخفى على أحد أتانا ::

وأما قولهم ولا يعرفون الكمين فقد قال أبو قيس بن الأسلت ::

وأحرزنا المغانم واستبحنا ... حمى الأعداء والله المعين ::

بغير خلابة وبغير مكر ... مجاهرة ولم يخبأ كمين ::

وأما ذكرهم للركب فقد أجمعوا على أن الركب كانت قديمة إلا أن ركب الحديد لم تكن في العرب إلا أيام الأزارقة وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها في الركب وإنما كانت تنزو نزوا :: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تخور قوى ما كان صاحبها ينزو وينزع يقول لا تنتكث قوته ما دام ينزع في القوس وينزو في السرج من غير أن يستعين بركاب :: وقال عمر الراحة عقلة وإياكم والسمنة فإنها عقلة وطين العلة قيل خالد بن سعيد بن العاص حين غشيه العدو وأراد الركوب ولم يجد من يحمله :: ولذلك قال عمر حين رأى المهاجرين والأنصار لما أخصبوا وهمّ كثير منهم بمقاربة عيش العجم تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا :: وقال احفوا وانتعلوا فإنكم لا تدرون متى تكون الجفلة :: وكانت العرب لا تدع اتخاذ الركاب للرحل فكيف تدع الركاب للسرج ولكنهم كانوا وإن اتخذوا الركب فإنهم لا يستعملونها إلا عند ما لا بد منه كراهية أن يتكلوا على ما يورثهم الاسترخاء والتفنخ ويضاهون أصحاب الترفه والنعمة :: قال الأصمعي قال العمري كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد وهو يومئذ ولي عهد هشام ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له أبوك يحسن مثل هذا فقال مسلمة لأبي مائة عبد يحسنون مثل هذا فقال الناس لم ينصفه في الجواب :: وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية :: وأما ما ذكروا من شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهمون وللرماح طبقات فمنها النيزك :: ومنها المربوع ومنها المخموس ومنها التام ومنها الخطل وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله فإذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر متمم بن نويرة أخاه مالكا فقال كان يخرج في الليلة الصنبر عليه الشملة الفلوت بين المزادتين النضوحين على الجمل الثفال معتقل الرمح الخطل فقالوا له وأبيك إن هذا لهو الجلد ولا تحمل الرمح الخطل

الجفلة الانهزام

التفنخ هو الضعف والترفه والاسترخاء

منهم إلا الشديد الأيد والمدل بفضل قوته عليه الذي إذا دار الفارس في تلك الهيئة ما به وحاد عنه فإن شد عليه كان أشد لاشتغال يديه :: والعلة الأخرى أن يخرجوا في الطلب بعقب الغارة فربما شد على الفارس المولي فيطعنه بأن يكون رمحه مربوعا أو مخموسا وعنزة لا يستعملون الطوال والنيزك أقصر الرماح وإذا كان الفارس المحارب يعوق الفارس الطالب زجه بالنيزك وربما ما به مخالطته فيستعمل الزج دون الطعن صنيع ذوي الأسنان بعتيبة بن الحارث بن شهاب :: وقال الشاعر ::

وأسمر خطيا كأن كعوبه ... نوى القسب قد أرمى ذراعا على العشر ::

وقال آخر :: ما بيت تحملني وأبيض صارما ... ومحربا في مارن مخموس :: وقال آخر

تولوا وأطراف الرماح عليهم ... بوالغ من بوعاتها وطوالها ::

قوادم

ومنهم قوم الغارات فيهم كثيرة وبعد كثرة الغارات كثر فيهم الطلب والفارس ربما لم في طول رمحه يخبر عن فضل قوته ويخبر عن قصر سيفه يخبر عن فضل نجدته قال كعب بن مالك :: نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدما ونلحقها إذا لم تلحق :: وقال آخر

إذا الكماة تنحوا أن ينالهم ... حد الظبات وصلناها بأيدينا ::

وقال رجل من بني تميم :: وصلنا الرقاق المرهفات بخطونا ... على الهول حتى أمكنتنا المضارب

وقال حميد بن ثور الهلالي :: ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا ... إذا ظن أن السيف ذو السيف قاصر

وقال آخر :: الطاعنون في النحور والكلى ... شزرا وموصلو السيوف بالخطا ::

وأما ما ذكروا من اتخاذ الزج لسافلة الرمح والسنان لعاليته فقد ذكروا أن رجلا قتل أخوين في تغلب أحدهما بعالية الرمح والآخر بسافلته وقدم في ذلك راكب من قبل بحير من على قتلة يستثبت الخبر من قبله فأثبته له وقال الآخر ::

إن لقيس عادة تعتادها ... سل السيوف وخطوا بها أقدامها ::

وقد وصفوا أيضا السيوف بالطول فقال عمارة بن عقيل ::

بكل طويل السيف في خبره ... وإنه جريء على الأعداء معتمد الشطب ::

وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس فأما الهند فإنما لهم معان مدونة وكتب مخلدة لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف وإنما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق وكان صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكير ودراسة

الكتب وحكاية الثاني علم الأول وزيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك
العقول عند آخرهم. وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليست هناك
معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى
رجز يوم الخصام أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة والمناقلة أو
عند صراع أو في حرب فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه
يقصد فتأتيه المعاني إرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه
ولا يدرسه أحدا من ولده. وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد
عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وله أقهر وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه
من البيان أرفع وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا
إلى تحفظ أو يحتاجوا إلى تدارس وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان
قبله فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف
ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب وإن شيئا هذا الذي في أيدينا جزء منه لبالمقدار الذي لا يعلمه
إلا من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب وهو الله الذي يحيط بما كان والعالم بما سيكون
ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ومن المنثور
والأسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من
الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا
أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير والنبذ القليل ونحن لا نستطيع أن نعلم
أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة
إذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان يستطيعون
أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير. وأخرى أنك متى أخذت بيد
الشعوبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلص ومعدن الفصاحة التامة ووقفته على شاعر
مفلق أو خطيب مصقع علم أن الذي قلت هو الحق وأبصر الشاهد عيانا فهذا فرق ما بيننا
وبينهم. فتفهم عني فهمك الله ما أنا قائل في هذا واعلم أنك لم تر قوما قط أشقى
من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل
غنما من أهل هذه النحلة وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد
نار الشنآن في قلوبهم وغليان تلك المراجل الغالية وتسعر تلك النيران المضطرمة ولو
عرفوا أخلاق أهل كل ملة وزي كل لغة وعللهم في اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم
وهيئاتهم وما علة كل شيء منها ولم اختلفوه ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم ولخفت
مؤونتهم على من خالطهم. والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ومن معدن

اجتلبوه

شريف ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل ولا يعترض عليها إلا معاند اتخاذ سليمان بن داود
صلى الله عليه العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب
فجعلها لتلك الخصال جامعة. قال الله عز وجل وقوله الحق فلما قضينا عليه الموت ما دلهم
على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين. والمنسأة هي العصا. قال أبو طالب حين قام يذم الرجل الذي ضرب
زميله بالعصا فقتله حين تخاصما في حبل وتجاذباه:

أمن أجل حبل لا أباك علوته ... بمنسأة قد جاء حبل وأحبل

وقال الآخر:

إذا دببت على المنسأة من كبر ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

قال أبو عثمان وإنما ذكرت سليمان صلى الله عليه لأنه من أبناء العجم والشعوبية
إليهم أميل وعلى فضائلهم أحرص ولمناقبهم أعظم ولذكرهم أكثر وصفا وذكرا. وقد جمع الله
لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى أن يفي ذلك
بعلامات عدة من المرسلين وجماعة من النبيين. قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه إن
هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما إلى قوله ولا يفلح الساحر حيث أتى
فلذلك قال الحسن بن هانئ في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه:

فإن تك من فرعون فيكم بقية ... فإن عصا موسى بكف خصيب

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصي ولا عارضهم موسى إلا بعصا
وقال الله عز وجل وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول
على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية
فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. وقال الله عز وجل
قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين
الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي
تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون. ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس
واسترهبوهم بالعصي والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل
للعصا وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه كقدرته على تصريف العصا. وقال الله
تبارك وتعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى
إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين. فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك
في تلك العصا وإنما العصا جزء من الشجرة. وقال الله عز وجل والأرض بعد ذلك دحاها
أخرج منها ماءها ومرعاها. وقالت الحكماء إنما تبنى المدائن على الماء والكلأ والمحتطب

أنبياء

فجمع بقوله أخرج منها ماءها ومرعاها ما النجم والشجر والملح والبقطين والبقل والعشب
فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنّن وما ينسطح وكل ذلك مرعى، ثم قال على النسق متاعاً لكم
ولأنعامكم، فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله، لأن الملح لا يكون إلا بالماء، ولا تكون
النار إلا من الشجر. وقال الله تبارك وتعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه
توقدون. وقال أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها
تذكرة ومتاعاً للمقوين. والمرخ والعفار والسواس والعراجين وجميع عيدان النار
وكل عود يقدح على طول الاحتكاك فهو غني بنفسه بالغ للمقوي وغير المقوي، وحجر المرو
يحتاج إلى قداحة الحديد، ومما يحتاجان إلى العطبة ثم إلى الحطب والعيدان من القداحة
وهي المؤونة ومن الحطب. قال الله عز وجل الذين هم يراءون ويمنعون الماعون. والماعون
الماء والنار والملح والكلأ. وقال الأسدي:

وكأن أرحلنا بجو محصّب ... بلوى عنيزة من مقيل الترمس
في حيث خالطت الخزامى عرفجاً ... يأتيك قابس أهلها لم يقبس

وإنما وصف خصب الوادي ولدونة عيدانه ورطوبة الورق، ومن هذا خلاف قوله

سقط هذا البيت عندنا

فلو أن البسان يركب المرخ من العفار ... أو يغدو على الأسس النوزم
وإن الذي بينهما كم عن طلابها ... يناغي نساء الحي في طرة البرزم
يعلّل والأيام تنقص عمره ... كما تنقص النيران من طرف الزند

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة، فقال أصلها ثابت وفرعها في السماء. وذكر رسول
الله صلى الله عليه حرمة الحرم فقال لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها. وقال الله عز
وجل وأنبتنا عليه شجرة من يقطين. وتقول العرب ليس شيء أدفأ من شجر ولا أظل
من شجر، ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة، وجعل أكثر آياته في عصاه وهي من الشجرة، ولم يمتحن
الله عز وجل صبر آدم وحواء وهما أصل هذا الخلق وأول الذرية إلا بشجرة، ولذلك قال ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، وجعل بيعة الرضوان تحت شجرة، وقال وشجرة تخرج
من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين. وسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى
شجرة، وشجرة سار تحتها سبعون نبياً لا تعبل ولا تسرف، وحين اجتهد إبليس في الاحتيال
لآدم وحواء صلى الله عليهما لم يصرف الحيلة إلا إلى الشجرة. وقال هل أدلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى. ومما يضرب من الأمثال بالعصى قولوا قال جميل بن بصبهرى حين شكا
إليه الدهاقين شر الحجاج فقال أخبروني أين مولده، قالوا الحجاز، قال ضعيف معجب،
قال فمنشأه، قالوا الشام، قال ذاك شر، ثم قال ما أحسن حالكم إن لم تبتلوا معه
بكاتب منكم يعني من أهل بابل، فابتلوا بزاذان فروخ الأعور، ثم ضرب لهم مثلاً

فقال إن فأساً ليس فيه عود ألقي بين الشجر فقال بعض الشجر لبعض ما ألقي هذا ها هنا لخير،
قال فقالت شجرة عادية إن لم يدخل في است هذا منكن عود فلا تخفنه. وقال يزيد بن مفرغ:

العبد يقرع بالعصى ... والحر تكفيه الملامة

قالوا أخذه من الفلتان الفهمي حيث يقول:

العبد يقرع بالعصى ... والحر تكفيه الإشارة

وقال مالك بن الريب:

العبد يقرع بالعصى ... والحر يكفيه الوعيد

وقال بشار:

الحر يلحى والعصى للعبد ... وليس للملحف مثل الرد

وقال آخر:

حاولت حين صرمتني ... والمرء يعجز لا محالة
والدهر يلعب بالفتى ... والدهر أروغ من ثعالة
والمرء يكسب ماله ... بالشح يورثه الكلالة
والعبد يقرع بالعصى ... والحر تكفيه المقالة

ومما يدخل في باب الانتفاع بالعصى أن عامر بن الظرب العدواني حكم العرب في الجاهلية
لما أسن واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصى إذا هو فه عن الحكم وجار عن القصد
وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس
وجمعة بنت حابس بن مليل الإيادي، وكان يقال لعامر ذو الحلم، ولذلك قال الحارث بن وعلة:

وزعمتم أن لا حلوم لنا ... إن العصى قرعت لذي الحلم

وقال المتلمس في ذلك:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصى ... وما علم الإنسان إلا ليعلما

وقال الفرزدق بن غالب:

فإن كنت أنساني حلوم مجاشع ... فإن العصى كانت لذي الحلم تقرع

ومن ذلك حديث سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة واعتزام الملك على قتل أخيه إن هو
لم يصب ضميره، فقال له سعد أبيت اللعن أتدعني حتى أقرع بهذه العصى أختها، فقال له
الملك وما علمه بما تقول العصى، فقرع بها وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها، ففهم المعنى
فأخبره ونجا من القتل. وذكر العصى يجري عندهم في معان كثيرة، تقول العرب العصى
من العصية والأفعى بنت حية، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير، ويقال طارت
عصى فلان شققاً، وقال الأسدي:

عصى الشمل من أسد أراها ... قد انصدعت كما انصدع الزجاج

ويقال فلان شق عصا المسلمين، ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق، وقال العتابي في مديح
بعض الخلفاء:

إمام له كف تضم بنانها ... عصا الدين ممنوع من البري عودها
وعين محيط بالبرية طرفها ... سواء عليها قربها وبعيدها

وقال مضرس الأسدي:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر

وقال المضرس أيضاً:

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت ... بأرجاء عذب الماء بيض محافره

ويقال لبني أسد عبيد العصى يعني أنهم يقتادون لكل من حالفوا من الرؤساء، قال بشر بن أبي خازم:

عبيد العصى لم يتقوك بذمة ... سوى سيب سعدى إن سيبك واسع

وتسمي العرب كل صغير الرأس رأس العصا قال سويد بن الحرث

فمن مبلغ رأس العصا أن بيننا ضغائن لا تنسى وإن قدم الدهر ⁘ وقال آخر

فمن مبلغ رأس العصا أن بيننا ضغائن لا تنسى وإن قيل سلت

رضيت لعبس بالقليل ولم تكن أخا راضيا لو أن نعلك زلت ⁘

وكان والبة صغير الرأس فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورؤوس قومه ⁘

رؤوس عصي كن من عود أثلة لها قادح يفري وآخر محرب ⁘

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصر في مجالسهم كما يتخذون القنا والقسي في المحافل قول الشاعر في بعض الخلفاء ⁘

في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرنينه شمم ⁘

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم ⁘ وقال الآخر

مجالسهم خفض الحديث وقولهم إذا ما قضوا في الأمر وحي المحاجم ⁘ وقال آخر

يصيبون فصل القول في كل خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر ⁘

قال وحدثني بعض أصحابنا قال كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر وكان لبثنا يطول عنده فقال له بعضنا إني رأيت أن تجعل لنا أمارة إذا ظهرت لنا خففنا ولم نثقل بالقعود فقد قال أصحاب معوية لمعوية مثل الذي قلنا لك فقال أمارة ذلك أن أقول إذا شئتم ⁘ وقيل ليزيد مثل ذلك فقال إذا قلت على بركة الله ⁘ وقيل لعبد الملك فقال إذا ألقيت الخيزرانة من يدي فأي شيء تجعل لنا أصلحك الله قال إذا قلت يا غلام الغداء ⁘ وفي الحديث أن رجلا ألح على النبي صلى الله عليه وسلم في طلب بعض المغنم وبيده مخصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله أقصني فلما كشف النبي عليه السلام له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه ⁘ وفي تثبيت شأن العصا وتعظيم أمرها والطعن على من ذم حاملها ⁘ قالوا كانت لعبد الله بن مسعود عشر خصال أو لقاء السواد وهو سرار النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام إذنك علي أن يرفع الحجاب وتسمع سوادي وكان معه مسواك النبي عليه السلام وكانت معه عصاه ⁘ قال ودخل عمير بن سعد على عمر بن الخطاب حين رجع إليه من عمل حمص وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا فقال له عمر ما الذي أرى بك من سوء الحال أم تصنع قال وما الذي تراني أولست تراني صحيح البدن معي الدنيا بحذافيرها قال وما معك من الدنيا قال معي جرابي أحمل فيه زادي ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي ومعي إداوتي أحمل فيها مائي لشرابي ومعي عصاي إن لقيت عدوا قاتلته وإن لقيت حية قتلتها وما بقي من الدنيا فهو تبع لما معي ⁘ قال الهيثم بن عدي عن شرقي بن القطامي وسأله سائل عن قول الشاعر

القرع بالعصا
الإتيان من بعد

لا تعولن إذا ويبس تضربهم نكبا صدره بأصحاب الجلالات ⁘ قال أيمن الجلالة الدلو والمقرحة والقرية والفأس قال فأين أنت عن العصا والصفن خير من الدلو وأجمع ⁘ وقال النمر بن تولب

أمرعت في حوضها صفني لتشربه في دارس خلق الأعضاد أهدام ⁘

وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسي بخصالها لفعلت ⁘ وتقول العرب في مديح الرجل الجلد الذي لا يتقعقع عليه الرأي ذلك الفحل لا يقرع أنفه وهذا كلام يقال للخاطب إذا كان على قدر الصحبة لأن الفحل اللئيم إذا أراد الضراب ضرب أنفه بالعصي ⁘ وقد قال ذلك أبو سفيان بن حرب بن أمية عند ما بلغه من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة وقيل له مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه والحمار الفارع يقصده الصوت وتطلبه المقرعة وأنشد لسلامة بن جندل ⁘

إنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب ⁘

وقال الحجاج والله لأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وذلك أن الأشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم العيدان ⁘ ودخل أبو مجلز على قتيبة بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصي فقال أيها الأمير إن الله قد جعل لكل شيء قدرا ووقت فيه وقتا فالعصا للأنعام والبهائم العظام ⁘ والسوط للحدود والتعزير والدرة للأدب ⁘ والسيف لقتال العدو والقود ⁘ ثم قال الشرقي خرجت من الموصل وأنا أريد الرقة مستخفيا وأنا شاب خفيف الحاذ فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله فذكر أنه تغلبي من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مزود وركوة وعصا فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمي بها في بعض الأودية فكنا نمشي فإذا أصبنا دواب ركبناها وإذا لم نصب الدواب مشينا فقلت له في شأن عصاه فقال لي إن موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم حين آنس من جانب الطور نارا وأراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له ألق عصاك واخلع نعليك فرمى بنعليه راغبا عنهما حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكي وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جان قال الشرقي إنه ليكثر من ذلك وإني لأضحك منها ومما يقول فلما برزنا على حمارينا تخلف المكاري فكان حماره يمشي فإذا تلكأ أكرهه بالعصا وكان حماري لا ينساق وعلم أنه ليس في يدي شيء يكرهه فسبقني الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ولم أقدر على البراح حتى وافاني المكاري فقلت هذه واحدة فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه فكنا نمشي فإذا أعيينا توكأنا على العصي وربما أحضر

ووضع العصى على وجه الارض فاعتمد عليها ومر كأنه سهم زالج حتى انتهينا الى المنزل
وقد تفسخت من الكلال واذا فيه فضل كثير فقلت مزية ثانية فلما كان اليوم الثالث
ونحن نمشي في ارض ذات أخاقيق وصدوع اذ هجمنا على حية منكرة فساورتنا فلم
تكن عندي حيلة الا اسلامه اليها والهرب منها فضربها بالعصى فثقلت
فلما نهشت له وبعث صدره ما ضربها حتى وقذها ثم ضربها حتى قتلها فقلت مزية
ثالثة ومن اعظمهن فلما خرجنا في الرابع وقد والله قرمت الى اللحم وأنا متارب مغرم
اذا ارنب قد اعترضت فحذفها بالعصا فما شعرت والله الا وهي معلقة وادركنا
ذكاتها فقلت مزية رابعة واقبلت عليه فقلت لو ان عندنا نارا لما أخرت أكلها
الى المنزل قال فان عندك نارا فأخرج عويدا من مزوده ثم حكه بالعصى فأورت
ايراء المرخ والعفار عند مثلها شيئا ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء والحشيش وأوقد
نارا والقى الارنب في جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما بغضها
الي فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها واعراضها ضربا رفيقا
حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس فقلت مزية خامسة
ثم انا نزلنا بعض الخانات واذا البيوت ملأى روثا وترابا ونزلنا بعقب جند وحراب
متعبين فلم نجد موضعا نظل فيه فنظر الى حديدة مسحاة مطروحة في الدار فأخذها فجعل جميع
العصى نصابا لها ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب وجرد الارض بها جردا حتى ظهر
بياضها وطابت ريحها فقلت مزية سادسة وعلى حال لم تطب نفسي ان اضع طعامي وثيابي
على تلك الارض فنزع والله العصا من حديدة المسحاة فوتدها في الحائط وعلق ثيابي
عليها فقلت مزية سابعة فلما صرت الى مفرق الطرق واردت مفارقته قال لي لو عدلت
معي فبت عندي كنت قد قضيت حق الصحبة والمنزل قريب فعدلت فأدخلني في منزل
يتصل ببيعة قال فما زال يحدثني ويطرفني ويلطفني الليل كله فلما كان السحر أخذ
خشبة ثم اخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس في الدنيا مثله
واذا هو احذق الناس فقلت له ويلك أما انت مسلم وانت رجل من العرب من ولد
عمرو بن كلثوم قال بلى قلت فلم تضرب بالناقوس قال جعلت فداك ان ابي نصراني
وهو صاحب البيعة وهو شيخ ضعيف فاذا شهدته بررته بالكفاية واذا هو شيطان
مارد واذا أظرف الناس كلهم واكثرهم ادبا وطلبا فخبرته بالذي أحصيته
من خصال العصى بعد ان كنت هممت ان ارمي بها فقال والله لو حدثتك عن منافع
العصا الى الصبح لما استنفدتها ، ومن جمل القول في العصى وما يجوز فيها
من المنافع والمرافق تفسير شعر غنية الاعرابية في شأن ابنها وذلك انه كان لها

ابن شديد العرامة كثير التلفت الى الناس مع ضعف أسر ورقة عظم فواثب مرة فتى من
الأعراب فقطع الفتى انفه واخذت غنية دية انفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم
واثب آخر فقطع اذنه فأخذت الدية فزادت دية اذنه في المال وحسن الحال ثم
واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته فأخذت دية شفته فلما رأت ما قد صار عندها من الابل
والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول
فيها ، أحلف بالمروة يوما والصفا ، انك خير من تفاريق العصا ، فقيل
لابن الأعرابي ما تفاريق العصا قال العصا تقطع ساجورا وتقطع عصا الساجور فتصير
أوتادا ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظاظا فان كان رأس الشظاظ كالفلكة صار
للبختي مهارا وهو العود الذي يدخل في انف البختي واذا فرق المهار جاءت منه توادي
والتوادي تكون للكلاب والاسرى من الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قتلى
بدر أناس من هؤلاء الأسارى يقادون الى حظوظهم بالسواجير واذا كانت قناة فكل شقة منها قوس
بندق فان فرقت الشقة صارت سهاما فان فرقت السهام صارت حظاء وهي سهام
صغار قال الطرماح ، كحظاء الغلام ، والواحدة حظوة وسروة فان فرقت
الحظاء صارت مغازل فان فرق المغزل شعب به الشعاب أقداحه المصدوعة وقصاعه
المشقوقة على انه لا يجد لها أصلح منها ، وقال الشاعر ،
نوافذ أطراف القنا قد شككنه ، كشكك بالشعب الإناء المثلما ،
فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصغار
ما لا يحصيه احد واذا فرقت ففيها مثل الذي ذكرنا واكثر فأي شيء يبلغ في المرفق
والرفق مبلغ العصا وفي قول موسى ولي فيها مآرب أخرى دليل على كثرة المرافق
فيها لأنه لم يقل ولي فيها مأربة أخرى والمآرب كثيرة والذي ذكرنا قبل هذا
داخل في تلك المآرب ولا أعرف شعرا يشبه معنى شعر غنية بعينه لا يغادر منه شيئا
ولكن زعم أصحابنا ان اعرابيين ظريفين من شياطين الاعراب حطمتهما السنة
فانحدرا الى العراق واسم احدهما حيدان فبينا هما يتماشيان في السوق اذا فارس
قد أوطأ دابته رجل حيدان فقطع اصبعا من اصابعه فتعلقا به حتى أخذا منه أرش
الاصبع وكانا جائعين مقرورين فحين صار المال في أيديهما قصدا لبعض الكرابج فابتاعا
من الطعام ما اشتهيا فلما اكل صاحب حيدان وشبع انشأ يقول ،
فلا غرثت ما كان في الناس كربج ، وما بقيت في رجل حيدان اصبع
ومعنى الشعر وشعر غنية من الظرف الناصع الذي سمعت به وظرف الاعراب لا يقوم له
شيء ، وناس كثير لا يشتغلون في القتال الا بالعصي منهم الزنج فيلسه كجونيه والنمل

الكرابج الحوانيت واحدها كربج

والكلاب وتكئوا وبنوا على ذلك يعتمدون في حروبهم ∴ ومنهم النبط ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة وأثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلت بالعصي وقتال المجارجات كلها
بالعصي ولهم مناطق ثقافة ومنظر حسن ولقتالهم منزلة بين السلة والعطب
والناس يضربون المثل بقتال البقار بعصاته ويقال في المثل ما هو إلا أبنة عصا وعقرة
رشا ويقال للراعي إنه لضعيف العصا إذا كان قليل الضرب بها شديد الإبقاء شفيقاً
عليها وقال الراعي ∴ ضعيف العصا بادي العروق ترى له ∴ عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا ∴
وإذا كان الراعي جلداً قوياً عليها قالوا صلب العصا ولذلك قال الراجز ∴

صلب العصا باقٍ على أذاتها ∴ وقال الآخر في معنى الراعي ∴
لا تضربا ضرباً واشهرا العصيا ∴ ويقولون قد أقبل فلان وليست عصاه إذا
أصابه السواف فرجع وليس معه إلا عصاه لأنه لا يفارقها فما كانت له إبل أم لا ∴ ويقولون
كلما قرعت عصا بعصا وعصا على عصا وعصا عصا قالوا أخذوا فلاناً بذلك وقال حميد بن ثور

اليوم تنتزع العصا من ربها ∴ ويلوك ثني لسانه المنطيق ∴
ويكتب مع قوله ∴ تخشى العصا والزجر إن قيل حل ∴ يرسلها التغميض إن لم ترسل
وقال آخر ∴ معداً وورد قبيل وسلس ∴ يغلي بها كل مسيم من غمس
رحمت من العود وأكباد الرسح ∴ من عشب أخوى وحمض مورس
وقائد جلد العصا لمنس ∴ إن قيل قم قام وإن قيل اجلس ∴
داست سماطي عصر مدغمس ∴ ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول
بشامة بن حزن النهشلي ∴

فدى لرعاء بالنخيرة ذبوا بأعصيهم والماء برد المشا ربه ∴
ألا لا نعيم لا يجوز بحوضه فقلت تعلل يا نعيم بن قل ربه ∴
فلو أن يا ما لم يكن ليرد ما وسنبه عن ماء النضيح المقا ربه ∴
أعرها أن جاءت ظماءً وبلغت بأعناقها برد النصاب الصبا صبه ∴
تناولن ما في الحوض ثم امترنه بجزع وأعناق طوال الذوائب ∴
ويقولون فلان ضعيف العصا إذا كان لا يستعمل عصاه ولذلك قال البعيث ∴
وأنت بذات السدر من أم سالم ضعيف العصا مستضعف متهضم ∴ وقال الآخر
وما صاديات حمن يوماً وليلة على الماء يخشين العصي حوان ∴
لوائب لا يصدرن عنه لوجهة ولا هن من برد الحياض دوان ∴
يرين حباب الماء والموت دونه فهن لأصوات السقاة روان ∴
بأوجع مني جهد شوق وغلة إليك ولكن العدو عدان ∴ وقال الآخر

يلوب لوباً إذا عطش

135

فما وجد ملواح من الهيم حليت عن الماء حتى جوفها يتصلصل ∴
تحوم وتغشاها العصي وحولها أقاطيع أنعام تعل وتنهل ∴
بأعظم مني غلة وتعطفاً إلى الورد إلا أنني أتجمل ∴ ويقال ضرب فلان
ضرب غرائب الإبل وفي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشر الضرب ∴ وقال
الحرث بن حلزة ∴ يضرب يزيل الهام عن سكناته كما يذاد عن ماء الحياض الغرائب ∴
وقال الآخر ∴ للهام ضراً يون بالمناصل ∴ ضرب المذيد غربات النواهل ∴
وفي جواهر العصا تفاوت ويقال ما هي إلا عض بان ∴ وقال ابن أحمر ∴
رود الشباب كأنها غصن بحرام مكة ناعم نضر ∴ وقال الآخر
إما تريني قائماً في حبل ∴ جم العثوق خلق مهمل ∴ مجاجر الأنفص عن تغتل
عند اغتلال من خط الغيل ∴ فقد أرى في البلق الرفل ∴ أصون للأنس جميل الدل
لدنا كخوط البانة المنتبل ∴ وتكون العصا مخراثاً وتكون مخصرة وتكون المخصرة
قضيب خيزرانة وعود ساجور ثم تكون توجيه ويقال للرجل إذا كانت فيه أبنة فلان يخبأ
العصا وقال الشاعر ∴ زوجك زوج صالح لا كنة يخبأ العصا ∴ وفي الأمثال
مجرقه بالقول كما تحرف الأرنب بالعصي ∴ وقال أوياس بن قتادة العبشمي ∴
سأنحر ولا معا وأحرف بالعصي على إرثها إني لما قلت عازم ∴ وقال ابن كناسة
في شرط الراعي على صاحب الإبل ليس لك أن تذكر أمي بخير ولا شر ولك حزقة بالعصا
عند غضبة أصبت أم أخطأت ولي مقعدي من النار وموضع يدي من الحار والقار ∴ وكان
العنبي يحدث في هذا بحديثين أحدهما قوله عن الأعرابي وكان إذا حدث الأنس عن الراي
حذق بالصواب كما تحرف الأرنب بالعصا ∴ وأما الحديث الآخر قد ذكر أن قوماً أضلوا الطريق
فاستأجروا أعرابياً يدلهم على الطريق فقال إني والله لا أخرج معكم حتى أشرط لكم وأشترط
عليكم قالوا له فهات ما لك قال يدي مع أيديكم في الحار والقار ولي موضعي من النار موسع
علي فيه وذكر والدي علیکم محرم قالوا فهذا لك فما لنا عليك إن أذنبت قال إعراضة
لا تؤدي إلى تعب ومجرة لا تمنع من مجامعة السفرة قالوا فإن لم تعتب قال حزقة بالعصا
أخطأت أم أصابت وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم وإنما قرأتهما في بعض الكتب من
المستحدثين ∴ ولأهل المدينة عصي في رؤوسها عجر لا تكاد أكفهم تفارقها إذا خرجوا
إلى ضياعهم ومتنزهاتهم ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة ∴ وكان أبو قيس
يقول إذا ظعنت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبوس والدبوس شبيهة بعصا العصا
التي في رأسها عجرة ∴ وقال جحشويه ∴ يا رجلاً قام بلباجه معتدل كالغصن مياد ∴
قام به غشان لما رأى أنزاله مثل عصا النجار ∴ ولم يزل يهوى أبو مالك كل فتى كالغصن مناد ∴

يُعجبه كلّ متين القوى للطعن في الأدبار معتاد ◦ وقالوا في تغميض الناقة عينيها كي
تركب العصيّ إلى الحوض وهو في معنى قول أبي النجم ◦ تغشى العصا والزجر إن قيل حل
يرسلها التغميض إن لم ترسل ◦ وبعضها مثل قول المعذّل ◦
ولأنت أشجع من أسامة إذ شدّ والمناطق فوقها الحلق ◦
حرد الشيوف على عواتقهم وعلى الأكف ودونها الدّرق ◦
كغماغم الثيران بينهم ضرب تغمّض دونه الحدق ◦
وقال حميد بن ثور الهلالي ◦ اليوم تنزع العصيّ من ربّها ويلوي بثنيي لسانه المنطيق ◦
ويقال رجل كالقناة وفرس كالقناة وقال الشاعر ◦
متى ما يجيء يومًا إلى المال وارثي يجد جمع كفّ غير ملأى ولا صفر ◦
يجد فرسًا مثل القناة وصارمًا حسامًا إذا ما هزّ لم يرض بالهبر ◦
وجاء في الحديث أجدبت الأرض على عهد عمر رحمه الله حتى ألقت الرعاة العصيّ وعطلت
النعم وكسر العظم فقال كعب يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم السنة
استسقوا بعصبة الأنبياء فكان ذلك سبب استسقائه بالعباس بن عبد المطلب
وساورت حيّة أعرابيًا فضربها بعصاه وسلم منها فقال ◦
لولا الهراوة والكفان لاغتلقت [علقا] خوص المنية فتّان لمن وردا ◦ وقال الآخر
دعا ابن مطيع للبياع فجئته إلى بيعة قلبي لها غير آلف ◦
فناولني خشناء لمّا لمستها بكفّي ليست من أكفّ الخلائف ◦
من الشثنات الكزم أنكرت مسّها وليست من البيض الرقاق اللطائف ◦
معاودة حمل الهراوى لقومها فرورًا إذا ما كان يوم التسايف ◦
وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك والله لأقلعنّك قلع الصمغة ولأعصبنّك عصب
السلمة ولأجردنّك تجريد الضبّ ◦ وقال عمر رحمه الله لا يأخذ منهم الجنيع والله لا أحبّ
حتى تجب الأرض الدم المسفوح لأن الأرض لا تقبل الدم فإذا جفّ الدم تقلّع جلبًا
وقد أخذ المتلمس حيث يقول ◦ أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمسّ دمٌ دما ◦
وأشدّ من ذلك منه قول أبي بكر الشيباني قال كنت أسيرًا مع بني عمّ لي من بني شيبان وفينا
من موالينا جماعة في أيدي الثعالبة فضربوا أعناق بني عمي وأعناق الموالي على وهدة
من الأرض فكنت والذي لا إله إلا هو أرى دم العربي يتمايز من دم المولى حتى أرى بياض
الأرض بينهما فإذا كان مجنيًا قام فوقه ولم يغش لقبه وأنشد الأصمعي ◦
يذدن ... وقد الغيث في قمع حفرة كما ذيد عن حوض العراك غرائبه ◦ وقال العباس
بن مرداس ◦ نقاتل عن أحسابنا برماحنا فنضربهم ضرب المذيد الخوامسا ◦

وقال الفرزدق بن غالب ◦ ذكرت وقد كادت عصا البين تنشظي خيالًا من سلمى وذو اللبّ ذاكر
وقال الأسدي ◦ إذا المرء أولاك الهوان فأوله هوانًا وإن كانت قريبًا أواصره ◦
ولا تظلم المولى ولا تضع العصا على الجهل إن طارت إليك بوادره ◦
وقال جرير بن عطية ◦ ألا ربّ مطلوب حملت على العصا وباب أشبه عن بنيه الملام ذابل
وقالوا في مديح العصا نفسها مع الأغصان وكرم جوهر العصيّ والقسيّ ◦ [أصيل]
إذا أقامت ليسجيها تشذّب كأن عطا منها من خيزران ◦ وقال المؤمل بن أميل
والقوم كالعيدان يفضل بعضهم بعضًا كذاك يفوق عودٌ عودا ◦
لو تستطيع عن الفضاء حيادة وعن المنية أن تصيب محيدا ◦
كأنت تقيد حين تنزل منزلًا فلأن طار لها الكلال قيودا ◦ وقال آخر
وأسلمها الباكون إلا حمامة مطوّقة ورقاء باتت فريها ◦
تجاوبها أخرى على خيزرانة يكاد يدنيها من الأرض لينها ◦ وقال الآخر
[المخبون] ألا أيها الركب المخبّون هل لكم بأخت بني معن عشية من عهد ◦
ألقت عصاها واستقرت بها النوى بأرض بني عبس فأبؤس لم ظعنت بعدي ◦ وقال الآخر
ألا متعت ورقاء في رونق الضحى على غصن غضّ النبات من الرند ◦
وقال آخر في امرأته وأمها في شارة وبزّة فظنّ بهما جمالًا فلما سفرت فإذا في غول فقال
وأظهرها ربي بحسن وقدرة عليّ ولولا ذاك متّ من الكرب ◦
فلما بدت سبّحت من قبح وجهها وقلت لها الساجور خير من الكلب ◦
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بقوم من هنا بعاد ... خطوطهم في السواجير
والساجور يسمّى الزمّارة ◦ قالوا وفي الحديث كان في الحجاج بسعيد بن جبير وفي عنقه
زمّارة ◦ وقال بعض المسجّنين ◦ ولي مسمعان وزمّارة وظلّ مديد وحصن أمق ◦
وكم عايد لي وكم زائر لو أبصرني زائرًا قد شمق ◦ المسمعان قيداني وسمّ الغلّ الذي في
عنقه زمّارة ◦ وأما قول الوليد ◦
اسقني يا زبير بالقرقارة قد ظمينا وحنّ للزمّارة ◦
اسقني اسقني فإن ذنوبي قد أحاطت فما لها كفّارة ◦
والزمّارة ها هنا المزمار وقال أيضًا صاحب الزمّارة في صفة السجن ◦
يبيت بأحضنه منه لا ثقيلا على عنق الساعد ◦
ولست بضيف ولا في كراء ولا مستعير ولا ماكد ◦
وليس بغصب ولا كالرهون ولا يشبه الوقف عن ماطل ◦
ولي مسمعان فلا ذا ولا ما يغني ويمسك في الخالط ◦

وأقصاهما ناظر في السماء عمرًا وأوسع من عاد رحلا . المستمعان بها معنا
أحدهما قيس، والآخر صاحب الجرس . قال الحضرمي الكلابي: قال فاملت بنو عم لي بعضهم
بعضًا فجعل بعضهم ينضم إلى بعض لواذًا مني وليس لي في ذلك مجير إلا قولي :

فجعلت تأوي إلى جثمانها . وكرسها العاد في من غطانها .

فلما تطلبوا القصاص قلت : ونكم يا بني عمي حفكم فنحن اللحم وأنتم الشفرة، إن ومنتم شكرت
وإن تقتلتم عقلت وإن اقتصصتم صبرت . قال سألت يونس عن قوله في نسيا منسيا
قال تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه انظروا أنساءكم وهي العصا والقدح
والشظاظ والحبل . قال فقلت إني ظننت أن هذه الأشياء لا ينساها أربابها إلا لأنها
أهون المتاع عليهم. قال ليس ذلك كذلك والمتاع الجافي يذكر بنفسه وصغار المتاع
تذهب عنها العيون وإنما تذهب نفوس العامة إلى حفظ كل شيء ثمين وإن صغر
جسمه ولا يفطنون على أقدار قرب المنافع عند الحاجة وفقد الحالات في الأسفار
وقال يونس النسي ما تقادم العهد به ونسي حين الحاجة إليه ولم تكن مريم لتضرب المثل
في هذا الموضع بالأشياء النفيسة في الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الشيء الثمين
في الأسواق . وقال الأشهب بن رميلة أو نهشل بن حري :

قال الأقارب لا تغررك كثرتنا . وأغن نفسك عنا أيها الرجل
على بني يشد الله أعظمهم . والنبع ينبت قضبانًا فيكتهل

وكان فرس الأخنس بن شهاب يسمى العصا والأخنس فارس العصا . وكان لجذيمة
الأبرش فرس يقال له العصا ولجعفر بن كلاب سحمة والغدير والعصا فسحمة
فرس جزء بن خالد والعصا فرس عوف بن الأحوص والغدير فرس شريح بن الأحوص
والعصا أيضًا فرس شبيب بن كعب الكلابي . وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وليس عصاه من عراجين نخلة . ولا ذات سير من عصي المسافر
ولكنها إما سألت فنبعة . وميراث شيخ من جياد الخناصر

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول لو كان في العصا سير
وكذلك قال حبيب بن أوس :

يا لك من همة وعزم . لو أنه في عصاه سير
رب قليل جدا كثير . كم مطر بدؤه مطير
صبرا على النائبات صبرا . ما يفعل الله فهو خير

وإذا لم يجعل للمسافر في عصاه سيرا سقطت من يده إذا نعس . وسئل عن قوله ولي
فيها مآرب أخرى قال لست أحيط بجميع مآرب موسى صلى الله عليه وسلم ولكني سأنبئكم
جملا تدخل في باب الحاجة إلى العصي من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل
الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول وكذلك فحول الحجور في المروج ويتوكأ

عليها الكبير الدالف والسقيم المدنف والأقطع الرجل والأعرج فإنها تقوم مقام رجل
أخرى وقال أعرابي مقطوع الرجل :

الله يعلم أني من رجالهم . وإن تخدد عن متني أطماري
وإن رزيت يدًا كانت تجملني . وإن مشيت على زج ومسمار

والعصا تنوب للأعمى عن قائده، وهي للقصار والفاشكار والدباغ ومنها المفأد للملة
ومخراط الشوي قال الشاعر :

إذا كان ضرب الخبز مسحًا بخرقة . والخبز في الطارق المتنور

كأنه يكره أن ينفض عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد أنضج خبزته يصفه بالبخل وهي للدق
الجص والجبسين والسمسم قال الشماخ بن ضرار : وجرد شوا بالعصا غير منضج
ولخبط الشجر وللقح وللمكاري فإنهما يحتاجان إلى المخاصر فإذا طال الشوط وبعدت الغاية
استعانا في حضرهما ومشيهما في أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الأرض وهي تعدل
من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المرتعش ويتخذها الراعي لغنمه وكل راكب لمركبه
ويدخل عصاه في عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر وربما كان أحد طرفيها
بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليهما حمل ثقيل وتكون إن شئت وتدا في حائط
وإن شئت ركزتها في الفضاء وجعلتها قبلة وإن شئت جعلتها مظلة وإن جعلت فيها زجا
كانت عنزة وإن زدت فيها شيئًا كانت عكازا وإن زدت فيها شيئا كانت مطردا وإن زدت
فيها شيئا كانت رمحا والعصا تكون سوطا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب بالقضيب وكفى بذلك دليلا على عظم غنائها وشرف حالها وعلى ذلك الخلفاء
وكبراء العرب من الخطباء وقد كان مروان بن محمد حين أحيط به دفع البردة والقضيب
إلى خادم له وأمره أن يدفنهما في بعض تلك الرمال ودفع إليه بنتا له وأمره أن يضرب
عنقها فلما أخذ الخادم في الأسرى قال إن قتلتموه ضاع ميراث النبي صلى الله عليه وسلم
فآمنوه على أن يسلم ذلك لهم . وقال في صفة قناة :

وأسمر عاتر فيه سنان . شراعي كساطعة الشعاع

وقال آخر :

مثقفة في الغنا تمتري فيه . كامتزار الفتاة تحت العقاب

ومما يجوز في العصا قول الشاعر :

لهام ضرابون بالمناصل . ضرب المذيد غرب النواهل

وقال العباس بن مرداس :

نطاعن عنا أحسابنا ماحنا . ونضربهم ضرب المذيد الخوامسا

وقال الآخر :

دافع عنها جلبي وحيشي . حمى كعود النبات الأحمش

وقال نصيب الأسود :

ومن يبق مالا عدة وصيانة . فلا الدهر مبقيه ولا الشح وافره
ومن يك ذا عود صليب يعده . ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

وقال آخر ⁂ تخيرت من نعمان عود أراكة لهند ولكن من يبلغه هندا ⁂
خليليّ عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا ⁂
وقولا لها ليس الضلال أجارنا ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا ⁂
وقال الآخر ⁂ فتلك ثيابي لم تدنس بغدرة وورى زندي في ذوي المجد ثاقب ⁂
ولو صادفت عوداً سوى عود نبعة ومعنيات أفنته الخطوب النوائب ⁂
وقال الآخر ⁂ عصا شريانة دمثت بزيت تدق عظامه عظماً فعظما ⁂
وليس هذا مثل قول لقيط بن زرارة ⁂
إذا هم معشر رماحهم برنت فإن رماح تيم لا تضير ⁂ وقال طلح بن عبد القدوس
لا تدخلن بنميمة بين العصا ولحائها ⁂ وقال شبل بن معبد البجلي
يرتقون ضروب الدم من كل جانب كما يبتري عن ذي اللحاء عسيب ⁂
وقال أوس بن حجر ⁂ لحوتهم لحو العصا فطردتهم إلى سنة جرذانها لم تحلم ⁂
وقال الآخر فلا شيء في صفة القناة التي تبرأ منها النفس ⁂
من شفق خضر بروصيات ⁂ صفر اللحاء وحلو فتيات ⁂ جردن حتى إذ صن كالعيدان
وشايعها عن موقنات ⁂ أنبتهن متمطرات ⁂ عمرو بن عصفور على استثبات
وقال محمد بن يسير ⁂
ومشمرين عن السواعد حسر عنها بكل رقيقة التوتير ⁂
ليس الذي تشوي يداه رمية فيهم بمغتفر ولا معذور ⁂
عطف السيات موانع في عطفها تعري إذا نسبت إلى عصفور ⁂
ثم عمد إلى قوله ⁂ في كفه معطية منوع ⁂ ومعذراً مثل قوله ⁂
خرقاء إلا أنها صناع ⁂ وهذا مثل قوله ⁂ عادين هداء وفجاً صحيحا ⁂
ومثل قوله ⁂ حتى نجا من جوفه وما نجا ⁂ وإذا أطال قيام الخطيب ضاربه
العنان وجنا ⁂ وقال الآخر شريد ⁂
أنا ابن الغلاة الذين إذا تلاقى من الأيام يوم ذو عجاج ⁂
كأن الكعب والخطار فيه فسي مثقف ذات اعوجاج ⁂
وعلى هذا قال الشماخ بن ضرار ⁂
فأضحت تعالى بالستار كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز ⁂ وقال الغاضري
علات يراض الرجال معتما ⁂ إذا رأى مقصر قام مقوما ⁂ ومر في الكف وأبدى المعصما
هراوة نبعية أو سلما ⁂ تنزل ملازم زفا فلازما ⁂ وقال أمية بن الأسكر
فلا سألت بنا إن كنت جاهلة في السؤال من الأعياء شافيها ⁂

تخيروا عنا معداً إنهم صدفوا ومن قبائل نجران يمانيها ⁂
ولا بجنانه تجر الخيل عابسة كأن مذرور ملح في مقاودها ⁂
قوم إذا أقرع الأقوال قلاف بهم ألفى العصى عصى الجهل باريها ⁂
قال والرجل إذا لم يكن معه عصى فهو باعل ولا معقلة إذا كانت بغير صرار
وقال الراجز ⁂ أعملها أيد معاً وشيحا ⁂ وذقت المزركوحي انشرحا ⁂
اختصرنا أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصي عند ذكر العصا
وقصرنا فيها في المنافع والذي نحن ذاكروه من ذلك في هذا الموضع قليل من كثير ما ذكرناه
في كتاب العرجان فإن أردتموه فهو هناك موجود إن شاء الله ⁂ قالوا ولما شاع
هجاء الحكم بن عبدل الأسدي لمحمد بن حسان بن سعد وغيره من الولاة والوجوه هابه
أهل الكوفة وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصا، فترك الوقوف بأبوابهم وصار
يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ولا يؤخر لقراءة
الكتاب ثم تأتيه الحاجة على أكثر ما قدر وأوفر ما أمل فقال يحيى بن نوفل ⁂
عصى حكم في الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب ⁂
وأما قول بشر بن أبي خازم ⁂ لله در بني الحذاء من نفر وكل جار على جيرانه كلب ⁂
إذا غدوا وعصي الطلح أرجلهم كما تنصب وسط البيعة الصلب ⁂
وإنما يعني أنهم كانوا عرجاً فأرجلهم كعصي الطلح وعصي الطلح معوجة وكذلك قال
مغران الأعمى في قصيدته الطويلة التي صنف فيها الغالية والرافضة والتيمية والزيدية
والذي طفقت الحذار من الذعر وقد بات قائم الأنعال ⁂
بعداً لها معاً بوجه متشيم وبساق كعود طلح بال ⁂
وقال بعض العرجان ممن جعل العصى رجلا ⁂
ما للكواعب يا دهماء قد جعلت تزور عني وتلوى دوني الحجر ⁂
لا أسمع الصوت حتى أستدير له ليلاً طويلاً يناجيني له القمر ⁂
وكنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على رجل من الشجر ⁂
وقال رجل من بني عجل ⁂
وشى بي واش عند ليلى سفاهة فقالت له ليلى مقالة ذي عقل ⁂
وخبرها أني عرجت فلم تكن كمن زملاء تجتني الملامة للبعل ⁂
وما بي من عيب الفتى غير أنني جعلت العصا رجلاً أقيم بها رجلي ⁂
وقال أبو ضبة في رجله ⁂ وقد جعلت إذا ما قمت أوجعني ظهري وقمت قيام الشارب الظهر ⁂
وكنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على رجل من الشجر ⁂

وقال أعرابي من بني تميم * وما بي من عيب الفتى غير أنني * أليفت فناة حين أوجعني ظهري
قال ودخل الحكم بن عبدل الأسدي وهو أعرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
بن الخطاب وهو أعرج وكان صاحب شرطه أعرج فقال ابن عبدل

ألق العصى ودع التخادع والتمس * عملاً فهذي دولة العرجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً * لكليهما يا قومنا رجلان
فإذا يكون أميرنا ووزيرنا * وأنا فإن الرابع الشيطان

ومما يدلك على أن للعصى موقعاً منهم وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول مزرد بن ضرار
فجاء على بكر تعال يكره * عصاه استه وجي العجاية بالفهر

ويقولون اعتصى بالسيف إذا جعل السيف عصا وإنما اشتقوا السيف من العصا لأن
عامة المواضع التي يصلح فيها السيوف تصلح فيها العصي وليس كل موضع تصلح فيه
العصى يصلح فيه السيف * وقال الآخر

ونحن صرفنا عامة ابن محرق * كذلك نعصي بالسيوف الصوارم
وقال عمرو بن الإطنابة * ونعتي نضرب الكتيبة بالسيف * إذا كانت السيوف عصيا
وقال عمرو بن كلثوم * تزلوا إليهم والسيوف عصيهم * وتذكروا أرماحهم وذخورنا
وقال الفرزدق بن غالب

إن ابن يوسف محمود خلائقه * سيان معروفه في الناس والمطر
هو الشهاب الذي يرمي العدو به * والمشرفي الذي تعصى به مضر

يقال عصى بالسيف واعتصى به * وقال الغريان بن الأسود في ابن له مات
ولقد تحمل لساء كريماً بين العود ماجد الأعراق * ذاك قولي ولا كقول نساء معولات يبكين للأفراق
وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب إن البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دكانهم
دود على عود * وقال وائلة السدوسي

رأيتك لما شبت أدركك الذي * يصيب سراة الأزد حين تشيب
سفاهة أحلام وبخل بنائل * وفيك لمن عاب المزون عيوب
لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها في يديك قضيب
وقد أوحشت منهم رساتيق فارس * وفي المصر منهم دمنة وذنوب
وأنشد الأصمعي * لقد غدت للضيقان كلباً ظارياً * ومعراوة مجلوزة من أزدي
ومعلم راكبا ووجهاً باسراً * وتشكياً عض الزمان الألزني
وشراة مزهوب الأذى قاذورة * خشن جوانبه ذلوط صنبري
ويفي بخبوط اليدين عن العلى * والباع مسود الذراع معجرن

مخروع

وتجنبا لم الذنوب وأتقي بغليظ جلد الوجنتين عشوزن * وقال جرير
تصف السيوف وغيركم يعصى بها * يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل * وقال الراعي
تبيت ورجلاها إوانان لإستها * عصاها استها حتى يكل قعودها *
وقال أعرابي للحطيئة ما عندك يا راعي الغنم قال عجراء من سلم قال إني ضيف قال
للضيفان أعددتها * وقال الشماخ بن ضرار

إلى بقر فيهن للعين منظر * وملهى لمن يلهو بهن أنيق
رعين الندى حتى إذا وقد الحصى * ولم يبق من نوء السماك بروق
تصدع شعب الحي وانشقت العصى * كذاك النوى بين الخليط شقوق

وقال امرؤ القيس * فو الله لو دان عبيد العصى ما غركم بالأسد الباسل *
وقال علي بن الغدير * وإذا رأيت المرء يشعب أمره * شعب العصا ويلج في العصيان *
فاعمد لما تعلو فما لك بالذي * لا تستطيع من الأمور يدان *
وقال الآخر * ومجناجة لا يملأ الليل صدره * إذا انكس أعصى طرفه غير أروع *
صحيح بريء العود من كل أبنة * وجماع شمل الخير من كل مجمع *
وقال مسكين الدارمي * تسمو إلى أعناق وتحبسها عنها عصي الذادة العجر *

خباب بن موسى عن مجالد عن الشعبي عن جرير بن قيس قال قدمت المدائن بعد ما ضرب
علي بن أبي طالب رحمه الله فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لي ما الخبر فقلت
ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها قال لو جئتمونا
بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه وقال الله تبارك وتعالى
وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر الآية * وقال الشاعر *

رأيت الغانيات نفرن مني * نفار الوحش من رام مطيف
رأين تغير جلدي وأردني * لدنا كغصن البان في الغض الوريف

وقال أبو العتاهية * عريت من الشباب وكان غضاً * كما يعرى من الورق القضيب *
ألا ليت الشباب يعود يوماً * فأخبره بما صنع المشيب *
وقال الآخر * فلئن عمرت لقد عمرت كأنني * غصن تثنيه الرياح رطيب
وكذاك حقاً من يعمر يبله * كر الزمان عليه والتقليب
حتى يعود من البلا وكأنه * في الكف أفوق ناصل معصوب
مرط القذاذ فليس فيه مصنع * لا الريش ينفعه ولا التعقيب

وقال عروة بن الورد * أليس ورائي أن أدب على العصا * فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي *
وأنشد * عصوا بسيوف الهند واعتركت بهم * براكاء موت لا يطير غرابها *

موضع الجوهر

وقال لبيد ⁂ أليس ورائي إن تراخت منيتي ⁂ لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
وقال آخر ⁂ نقيم العصي ما كان فيها لدونة ⁂ وتأبى العصي في يبسها أن تقوما
وقال الآخر ⁂ إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ⁂ ولن تلين إذا قومتها الخشب
وقال جرير ⁂ ما للفرزدق من عز يلوذ به ⁂ إلا بنو العم في أيديهم الخشب
سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ⁂ ونهر تيرى فما تعرفكم العرب
وقال جرير في مجابه بني جعيدة ⁂
أبناء نخل وحيطان ومزرعة ⁂ سيوفهم خشب فيها مساحيها
قطع الدبار وسقي النخل عادتهم ⁂ قدماً وما جاوزت هذا مساعيها
لو قيل أين مواديد الخيل ما علموا ⁂ قالوا ألا مجاز ما مرد مواديها
أو قيل أين حمام الموت آخركم ⁂ أو تلجموا فرساً قامت بواكيها
لما رأت خلداً بالعرض منزلها ⁂ قتلاً وأسلمها ما قال طاغيها
دانت وأعطت يداً للسلم طائعة ⁂ من بعد ما كاد سيف الله يفنيها
وقال سلامة بن جندل ⁂
كنا إذا ما أتانا صارخ فزع ⁂ كان الصراخ له قرع الظنابيب
وقال آخر ⁂ كأنهما إذ رفعت عصاهما ⁂ نعامة أو حرها وإلا ماما
وممن أصابوه إلى عصا داود ملكين اليشكري وقد كان ولي شرطة البصرة وجاء في الحديث أن أبا بكر رحمه الله أقاص من حج ومو يحرش بعيره بمحجنه ⁂ وقال الأصمعي المحجن العصا المعوجة ⁂ وفي الحديث أن رسول الله طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنه ⁂ والحرش أن يضرب بمحجنه ثم يجر به إليه يريد بذلك تحريكه ⁂ وقال الراجز
فألقى عصا طلح ونعلاً كأنهما ⁂ جناح السماني رأسها قد تصوعا
والعصا أيضاً فرس شبيب بن كريب الطائي ⁂ أبو الحسن عن علي بن سليمان قال كان شبيب بن كريب الطائي يصيب الطريق في خلافة علي بن أبي طالب رحمه الله فبعث إليه أحمر بن شميط العجلي وأخاه في فوارس فهرب شبيب وقال ⁂
ولما أن رأيت ابني شميط ⁂ بسكة طيء والباب دوني
تجللت العصا وعلمت أني ⁂ رهين مخيس إن يثقفوني
ولو أنظرتهم شيئاً قليلاً ⁂ لساقوني إلى شيخ بطين
شديد مجالز الكتفين صلب ⁂ على الحدثان مجتمع الشؤون
وقال النجاشي لأم كثير ابنة الصلت ⁂
ولست بعنزي ولكن صنيعة ⁂ على رجل لو تعلمين منير

وقال الأعشى ⁂ وأعجبني السوط والنوط والعصا ⁂ ولم تعجبني خلة لا ميسر
وكان الخلائف بعد الرسول كلهم أسوة خاشعا ⁂ شهيدين من بعد صديقهم وكان ابن صخر هو الرابعا
وكان ابنه بعده خامساً مطيعاً لمن قبله سامعا ⁂ ومروان سادس من قد مضى وكان ابنه بعده سابعا
وبشر يرابع عبد العزيز مضى ثامناً وأتى تاسعا ⁂ وأيهم ما يكن سائساً لما لم يكن أمره ضائعا
فأما ترابي حليف العصي فقد كنت من وثبه خامعا ⁂ فساوى في الذم حتى اشترى شبابي وكنت له مانعا
وقال عوف بن الخرع ⁂ ألا أبلغا عني جريبة آية ⁂ فهل أنت عن ظلم العشيرة مقصر
وإن ظعن الحي الجميع لطية ⁂ فأمرك معصي وشربك مغور
أبى صرمة عشر من أوبي دونها ⁂ فقشر تم عصاكم فانظروا كيف تقشر
دعمتم من المجد المظلل أنكم ⁂ ستنصركم عمرو علينا ومنقر
فيا شجر الوادي ألا تنصرونهم ⁂ وقد كان بالمروت رمث ومخبر
ألم تجعلوا تيماً على شعبتي عصا ⁂ فما ينطق المعروف إلا معذر
وقال رجل من محارب يرثي ابنه ⁂
ألم تك رطباً تعصر القوم ماءه ⁂ وما عوده للكاسرين بيابس
وقال حاجب ⁂ والله ما القعقاع برطب فيعصر ولا يابس فيكسر ⁂ وقال حماد عجرد
وجروا على ما عودوا ولكل عيدان عصاره ⁂ وقال أيضاً
فأنت أكرم من تمشي على قدم ⁂ وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو مج عود على قوم عصارته ⁂ لمج عودك فينا المسك والبانا
وقال آخر ⁂ وإنا وجدنا الناس عودين طيباً ⁂ وعوداً خبيثاً ما يبض على العصر
تزين الفتى أخلاقه وتشينه ⁂ وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري
وقال المؤمل بن أميل ⁂
كانت تعير حين تنزل عندنا ⁂ فاليوم صار لها الكلال قيودا
والقوم كالعيدان يفضل بعضهم ⁂ بعضاً كذاك يفوق عود عودا
وقالت ليلى الأخيلية ⁂ بنو الأخايل لا يزال غلامنا ⁂ حتى يدب على العصا مذكورا
انظر أنقذك الله في كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق وفي كم وجه صرفته الشعراء وضرب به المثل ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاصر البلغاء وعصي الخطباء لم نجد بداً من الاحتجاج لحملة المرسلين وكبار النبيين لأن الشعوبية قد طعنت في جملة هذا المذهب على قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته وعلى عصاه ومخصرته وعلى عصا موسى لأن موسى صلى الله عليه قد كان اتخذها من قبل أن يعلم ما عند الله فيها وإلى ما يكون مصير أمرها آلت إليه لما قال الله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى

قال في عصاه أتوكّأُ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى وبعد ذلك قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حيّة تسعى ومن يستطيع أن يدّعي الإحاطة بما فيها من مآرب موسى إلا بالتقريب وذكر ما خطر على البال وقد كانت العصى لا تفارق يد سليمان بن داود عليه السلام في مقاماته ولا صلواته ولا في موته ولا في أيام حياته حتى جعل الله تسليط الأرضة عليها وسليمن ميت وهو معتمد عليها من الآيات عند من كان لا يعلم أن الجن لم تكن تعلم إلا ما تعلم الإنس ولو علم القوم أخلاق كل ملّة وزيّ أهل كل لغة وعللهم في ذلك واحتجاجهم له لقلّ شغبهم ولكفونا مؤونتهم وسنذكر الرهبان في اتخاذ العصي من غير سقم ولا نقصان في جارحة ولا بدّ للجاثليق من فناع ومن مظلّة ومن برطلّة ومن عكّازة ومن عصا من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبرا ولا عجزا في الخلقة وما زال المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام ويتوكأ عليها عند المشي كأن ذلك زائد في التكميل والآلة وفي زي التخفف والخفة وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها قال الفرزدق

بهن ندوب مما يقول ابن غالب ... يلوح كما لاحت وسوم المصدّق

وقال الآخر

آثار حتى صدقت سماته ... وظهرت من كرم آياته

وأنشد أبو عبيدة

سقاها ميسم من آل عمرو ... إذا ما كان صاحبها جميشا

وذكر بعض الأعراب ضروبا من الوسم فقال

بين من خط ومن علط وسم ... وحلق في أخاليق نظم

معا نظام مثل خط بالقلم ... وقرمة ولست أدري من قرم

عرض وخبط لمحليها الذي سيم

وقال الله تبارك وتعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود وكما خالفوا بين الأسماء للتعارف وقال عز وجل وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم فعند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء والذي لا بد منه العمة والمخصرة وربما قام فيهم وعليه إزار قد خالف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامة وفي يده مخصرة وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة وفي القنا ما هو أغلظ من الساق وفيها ما هو أدق من الخنصر وقد تكون محككة الكعوب متقنة من الاعوجاج قليلة الأبن وربما كان العود نبعا وربما كان شوحطا وربما كان من آبنوس ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ومن تلك الملس المصقلة وربما كانت لب غصن كريم فإن للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت في خزائن الخلفاء والملوك ومنها ما لا تقربه الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح والعكاز إذا لم يكن في أسفله زج فهو عصا وإن أطول القنا أن يقال

141

رمح خطل ثم رمح فارع ثم رمح مخموس ثم رمح مربوع ثم رمح مطرد ثم عكاز ثم عصا ثم من العصي قضب المساحي والمرود والقدوم والفؤوس والمعاول والمساحل والطبرزينات ثم تكون من ذلك قضب السكاكين والسيوف والمشامل وكل سهام نبعية وغير ذلك من العيدان اعتمدها أوس بن حجر والشماخ بن ضرار وأحد من الشعراء فإن تمدح من عصا وكل قوس نبعية فإنما يمدحونها من زوص ومدح ببريها وصنعتها عضبون القواس وقال الأقيشر

أنعت قوسا نبعت ذي اتقاء ... جاء بها جالب بروصاء

عند اغتيام منه وانتطاء ... كاربة الطول على فتاء

مجلوزة الأكعب في استواء ... سالمة من أبن السيساء

فلم تزل مساحل البراء ... تأخذ من طوايف اللحاء

حتى بدت كالحية الصفراء ... ترنو إلى الطاير في السماء

بمقلة سريعة الإدراء ... ليست بكحلاء ولا زرقاء

وقال الآخر

قد أغتدي ملث الظلام بفتية للرمي قد حسروا الذي عن أذرع

متنكبين جرائط البنادق من بين مقصود وبين مرصع

بأكفهم قضبان نبع قد غدوا للطير قبل نهوضها للمرتع

تقري منيات الطيور عيونها يوما إذا رمدت بأيدي النزع

صفر البطون كأن ليط متونها سرق الحرير نواضر لم تشبع

وكانت العنزة التي كانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ربما جعلوها قبلة أشهر وأكثر من أن يحتاج في تثبيتها إلى ذكر الإسناد وكانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم إلى الحل في غير الأشهر الحرم أن يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهم العلائق وإذا أوجب أحدهم الحج تزيا بزي الحاج وإذا ساق بدنة أشعرها وخالفوا بين سمات الإبل والغنم وأعلموا البحيرة بغير علم السائبة وأعلموا الحامي بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الأغنام السائمة وإذا كانت الإبل من حباء ملك عززوا وإذا أشعرها الريش والخرق ولذلك قال الشاعر

يهب الجلاد بريشها ورعائها كالليل قبل صباحه المتبلج

وإذا بلغت الإبل ألفا فقؤوا عين الفحل فإن زادت فقؤوا العين الأخرى فذلك المفقأ والمعمى وقال شاعرهم

فقأت لها عين الفحيل تعيفا ... وفيهن رعلاء المسامع والحامي

وقال الآخر

وهبتها وأنت ذو امتنان ... تفقأ فيها أعين البعران

وقال الآخر

فكان شكر القوم عند المنن ... كي الصحيحات وفقأ الأعين

وإذا كان الفحل من الإبل كريما قالوا فحيل وإذا كان الفحل من النخل كريما قالوا فحال وقال الراعي

كانت نجائب منذر ومحرق ... أماتهن وطرقهن فحيلا

وكان الناس لا يلبس المصبّغ والعمامة لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه والحكم لا يفارق الوبر وكان لحزام النساء رنين وللكل مملوط رنين ولدوات الرايات رنين وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة وذكره الشاعر فقال :

وأشهد من عوف حلولا كثيرة ٭ يحجون سب الزبرقان المعصفرا [المزعفرا]

وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا اعتم لم يعتم معه أحد مكرا في الشعر ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتم ٭ بمكة غير مهتضم ذميم
إذا شد العصابة ذات يوم ٭ وقام إلى المجالس والخصوم
فقد حرمت على من كان يمشي ٭ بمكة غير مدخل سقيم

وقال :

وكان الفخر في عزاء جمع ٭ بذي أعصم بلعان الحطيم
بأن معرس سراة بني لؤي ٭ كجنح الليل راق على النجوم
هو البيت الذي بنيت عليه ٭ قريش في الزمن القديم
وسلطت ذوائب العز منهم ٭ فكانت للباب بهم لصميم

وقال غيلان بن خرشة للأحنف يا أبا بحر ما بقاء ما فيه العرب قال إذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم واستجادوا النعال ولم تأخذهم حمية الأوغاد قال وما حمية الأوغاد قال أن يعدوا التواهب ذلا . وقال الأحنف استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال والعرب تسمي السيوف بحمائلها أرديه . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوكذا الحسن بن مثنا قال تمام جمال المرأة في خفها وتمام جمال الرجل في كمته [قلنسوته] ومما يؤكد ذلك قول مجنون بني عامر :

أأعفر من جرا كريمة نافقي ٭ ووطي مغروس لوصل منازل
إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن ٭ إذا جئت أرجو صوت تلك الخلاخل
ولم تغن سحان العراقين نقرة ٭ ورفش القلنسي بالرجال الأطاول

والعصابة والعمامة سواء وإذا قالوا سيد معمم فإنما يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه وقال دريد بن الصمة :

أبلغ نعيما وأوفى إن لقيتهما ٭ إن لم يكن كان في سمعيهما صمم
فلا يزال شهاب يستضاء به ٭ يهدي المقانب ما لم تهلك الصمم
عاري الأشاجع معصوب بلمته ٭ أمر الزعامة في عرنينه شمم

وقال الكناني :

نخيفه للنسل وهي غريبة ٭ فجاءت به كالبدر خرقا معمما
فلو شاتم الفتيان في الحي ظالما ٭ لما وجدوا غير التكذب مشتما

ولذلك قيل لسعيد بن العاص ذو العصابة وقد قال القائل :

كعاب أبو عاد والعصابة وابنه ٭ وعثمان ما أكفاؤهم بكثير

يقولها خالد بن يزيد . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله العمائم تيجان العرب . قال وقيل لأعرابي إنك لتكثر لبس العمامة قال إن شيئا فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى من الحر والقر . وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال جنة في الحرب ومكنة من الحر ومدفأة من القر ووقار في الندي وواقية من الأحداث وزيادة في القامة وهي بعد عادة من عادات العرب . وقال عمرو بن امرئ القيس :

يا مال والسيد المعمم قد يبطره بعد رأيه السرف [الشرف]
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع وفي أسواق العرب كأيام عكاظ وذي المجاز وما أشبه ذلك التقنع إلا ما كان من أبي سليط طريف بن تميم أحد بني عمرو بن جندب فإنه كان لا يتقنع ولا يبالي أن يثبت عينه جميع فرسان العرب وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم . ولما أقبل حمصيصة الشيباني يتأمل طريفا قال طريف :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة ٭ بعثوا إلي عريفهم يتوسم
فتوسموني إنني أنا ذاكم ٭ شاك سلاحي في الحوادث معلم
تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة ٭ زغف ترد السيف وهو مثلم
ولكل بكر في أبي عراوة ٭ وأبو ربيعة شانئ ومحلم

وكان معروفا من شأنهم وقد تم مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسيما كان حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة حمراء وكان الزبير معلما بعمامة صفراء ولذلك قال حريم بن زيد :

إنك لاق غدا غواة بني ملكان فانظر ما أنت من تصب
يمشون في البيض والدروع كما تمشي جمال مصاعب قطف
ما بز سيماك يعرفوك كما يبدون سيماهم فتعترف

وكان المقنع الكندي الشاعر واسمه محمد بن عمير كان الدهر مقنعا والقناع من سيما الرؤساء والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يكاد يرى إلا مقنعا وجاء في الحديث حتى كأن الموضع الذي يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان . وكان المقنع الذي خرج بخراسان يدعي الربوبية لا يدع القناع في حال من الحالات وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة وادعى معاني من الوجه الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود والمؤمن والكافر أن باطله مكشوف

كالنهار ولا يعرف فيه شيء من الليل ولا يحل القول بالتناسخ إلا في هذه الفرقة من الغالية ومنها المقنع كان قصارا من أهل مرو وكان أعور ألكن فما أدري أيهما أعجب ادعاؤه بأنه رب أو إيمان من آمن به وقاتل دونه وكان اسمه عطاء. وقال الآخر:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه ... أنا السيد المفضى إليه المعمم

ولم يعطهم شيئا أبوا أن يسودهم ... وهان عليهم رغمه وهو ألوم

وقال آخر:

إذا كشف اليوم العماس عن استه ... فلا يرتدي مثلي ولا يتعمم

قالوا وكان مصعب بن الزبير يتعمم العقداء وهو أن يعقد العمامة في القفا. وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص الزبيدي قتله الحجاج يعتم الميلاء. وقال الفرزدق:

ولو شهد الخيل ابن سعد لقنعوا ... عمامته الميلاء عضبا مهندا

وقال ثعلبة بن أخزم الضبي:

جلبنا الخيل من أطراف نجد ... ترى فيها من الغزو ازورارا

بكل طمرة وبكل طرف ... يزين سواد مقلته العذارا

جوالي عاصب بالتاج منا ... جبين أغر يشتمل الدوارا

وبيس ما يزال عمد وبيس ... سوى ضرب القداح إذا استثارا

وأنشد:

إذا لبسوا عمائمهم طووها ... على كرم وإن سفروا أناروا

يبيع ويشتري لهم سواهم ... ولكن بالطعان هم تجار

وأنشد:

إذا ما كنت جار بني لؤي ... فأنت لأكرم الثقلين جار

وداهية جرها جارم ... جعلت رداءك فيها خمارا

وللذكر العمائم مواضع قال زيد بن كثوة العنبري:

منعت من العمائر أظهرانيه ... وبعض الرجال المدعين زناد

فجاءت به عبل العظام كأنما ... عمامته فوق الرجال لواء

لأن العمامة ربما جعلوها لواء ألا ترى أن الأحنف بن قيس يوم مسعود بن عمرو حين عقد لعبس بن طلق اللواء إنما نزع عمامة من رأسه فعقدها له. ومن تمام شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهدة وإذا الهالك العقبة. ولذلك قال شاعرهم:

فسيروا فقد جن الظلام عليكم ... فباست الذي يرجو القرى عند عاصم

دفعنا إليه وهو كالذيخ خاطيا ... نشد على أكبادنا بالعمائم

وقال الفرزدق:

بني عاصم إن تلحقوا بأبيكم ... ملاجئ للسوآت دسم العمائم

وقال آخر:

خليلي شدا لي بفضل عمامتي ... على كبدي لم يبق إلا صميمها

العرب تلهج بذكر النعال والفرس تلهج بذكر الخفاف وفي الحديث المأثور أن أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون. وأما قول شاعرهم:

إذا اخضرت نعال بني غراب ... بغوا ووجدتهم أشرى لئاما

لم يرد صفة النعل وإنما أراد بأنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طغوا وبغوا كما قال الآخر:

وأطول في دار الحفاظ إقامة ... وأقدر أحلاما إذا النعل أخضلا

ومثل قوله:

يا ابني هشام أهلك الناس اللبن ... فكلهم يسعى بسيف وقرن

وأما قول الآخر:

وكيف أرجي أن أسود عشيرتي ... وأمي من سلمى أبوها وخالها

وأنتم سودا جعادا وما لكم ... مخصرة بيض سباط نعالها

فلم يذهب إلى مديح النعال في أنفسها وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفي الجعودة والقصر عنهم. وقال النابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

يصونون أجسادا قديما نعيمها ... بخالصة الأردان خضر المناكب

قال وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حمارا قط ولم تلبس نعلا قط إذا انقبت وفي ذلك قال قائلهم:

ونلقي النعال إذا أنقبت ... ولا نستعين بأخلافها

ونحن الذوائب من وائل ... النبل تمرا بأعنافها

ومنهم ومنهم خالد بن المعمر الذي يقول فيه شاعرهم:

معاوي أمر خالد بن معمر ... فإنك لولا خالد لم تؤمر

وقال لهم الذي يقول:

أغاضبة عمرو بن شيبان أن رأت ... عديدين من لخم توءمة ودحيس

فلو شاء ربي كان أير أبيكم ... طويلا كأير الحارث بن سدوس

وكان عمر رحمه الله جعل رئاسة بكر لمجزأة بن ثور فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمر ثم ردها عثمان على شقيق بن مجزأة بن ثور فلما خرج أهل البصرة إلى صفين تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك علي إلى حضين بن المنذر فرضي كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير علي رحمه الله في ذلك. وأما قول الآخر:

يا ليت لي نعلين من جلد الضبع ... وشركا من استها لا تنقطع

كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع ... فهذا كلام محتاج والمحتاج يتحوز

وأما قول النجاشي لمنذر بن عاصم:

إذا الله حيا صالحا من عباده ... كريما فحيا الله منذر بن عاصم

وكل سلولي إذا ما لقيته ... سريع إلى داعي الندى والمكارم

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ... ولا تنتقي المخ الذي في الجماجم

وقال يونس كانوا لا يلبسون النعال معه ولا ينتعلون الا بالسبت وقال كثير
اذا نبذت لم تقلب الكلب ريحها وان وضعت في مجلس القوم شمت
وقال عتيبة بن الحرث وهو ابن قيس
اولئك معشر لا يخصفون نعالهم ولا يلبسون السبت ما لم يخصر
واذا امدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدا بمدح لابسها قبل ان يمدحها قال الله تبارك
وتعالى لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وقال بعض المفسرين كانت
من جلد غير ذكي قال الزبيدي ليس كما قال بل اعلمه حق المقام الشريف والمدخل
الكريم الا ترى ان الناس اذا دخلوا الى الملوك ينزعون نعالهم خارجا قال وحدثنا
سلام بن مسكين قال ما رايت الحسن الا وفي رجليه النعل رايته على فراشه وهي
في رجليه وفي مجلسه وهو يصلي وهي في رجليه وكان بكر بن عبد الله تكون نعله بين
يديه فاذا انهض الى الصلاة لبسها وقد وجدنا ذلك عن عمرو بن عبيد وهاشم الاوقص
وحوشب وكلاب وعن جماعة من اصحاب الحسن وكان الحسن يقول ما اعجب قوما
يروون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه فلما انفتل من الصلاة علم انه
قد كان وطي على كذا وكذا واشباه هذا من الحديث ثم لا ترى احدا منهم يصلي متنعلا
واما قوله وقام بنا في النعال حواسرا والصقن وقع السبت تحت القلايد
فان النساء ذوات المصايب اذا قمن في المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال وقال محمد بن يسير
كم ارى من مستعجب من نعال ورضا في منها بلبس البوال
كل جرداء قد تحيقها الخصف باقطارها بسرد النعال
لا تداني وليس تشبه في الخلقة ان برزت نعال الموالي
لا ولا عن تقادم العهد منها بليت لا ولا لكثر الليالي
ولقد قلت حين اوثر الوجه عليها بشروتي وجمالي
من تعالى من الرجال بنعل فسواء اذا ابين نعالي
او تعالى من الجمال فاني في سوامن زينتي وجمالي
في اخائي وفي وفائي ورائي وعفافي ومنطقي وفعالي
ما ولاني الجفا وبلغني الحاجة منها فاني لا ابالي
وقال خلف الاحمر
سعى حجاجا نوء الثريا على ما كان من مطل وبخل
هم جعلوا النعال فاحرزوها وسدوا دونها بابا بقفل
اذا المعزيات ما كهن وشاه وعشر دجائج بعثوا بنعل

ومشوا كبين طولهما راع وعشر من زمن في المقل خشل
وقال كثير
فان امقريت ذلك ليحملوني على نعل فدق الله رجلي
كان ابن ليلى حين يبدو فينجلي سجوف الخباء عن مهيب مشمت
مقارب خطو لا يغير نعله رهيب الشراك سهلة المتسمت
اذا طرحت لم تطب الكلب ريحها وان وضعت في مجلس القوم شمت
وقال بشار اذا وضعت في مجلس القوم نعلها تضوع مسكا ما اطاب وعنبرا
ولما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان في المنذر بن الجارود ما قال
قال صعصعة يا امير المومنين لئن قلت ذلك انه لنظار في عطفيه تفال في شراكيه
تعجبه حمرة برديه وذم رجل ابن التوام فقال رايته مشحم النعل درن الجوارب
مغضن الخف دنيق الحرباني وقال الهيثم يمين لا يحلف بها الاعرابي ابدا ان يقول
لا اورد الله لك صادرا ولا اصدر لك واردا ولا حططت رحلك ولا خلعت نعلك
وقال اخر علق الفواد بريق الجهل وابر واستغضى على الامثل
وصبا وقد شابت مقاتله سفها وكيف صبابة الكهل
ادركت معتصري وادركني حلمي ويسر قايدي نعلي
ثم رجع الكلام الى القول في العصا قال ابن عباس رحمه الله
في تعظيم شان عصا موسى عليه السلام الدابة ينشق عنها الصفا معها عصا موسى
وخاتم سليمن تمسح المومن بالعصا وتختم الكافر بالخاتم وجعل الله تبارك وتعالى اكبر
اداب النبي صلى الله عليه وسلم في السواك وحض عليه صلى الله عليه وسلم والمسواك
لا يكون الا عصا وقال ابو الوجيه قضبان المساويك البشام والضرو والعتم والاراك
والعرجون والجريد والاسحل وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس في الصيف كما
يلبسونها في الشتاء اذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء لان ذلك
اشبه بالاحتفال وبالتعظيم والاجلال وابعد من التبذل والاسترسال واجدر
ان يفصلوا بين مواضع انسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم وللخلفاء عمة وللفقهاء
عمة وللبقالين عمة وللاعراب عمة وللصوص عمة وللانباط عمة وللروم والنصارى
عمة ولاصحاب التشاجي عمة ولكل قوم زي فللقضاة زي ولاصحاب القضاة زي
وللشرط زي وللكتاب زي ولكتاب الجند زي ومن زيهم ان يركبوا الحمير وان كانت
البراذين لهم معرضة واصحاب السلطان ومن دخل الدار مراتب فمنهم من يلبس المبطنة
ومنهم من يلبس الدراعة ومنهم من يلبس القباء ومنهم من يلبس البازبكند ويعلق
الخنجر ويأخذ الجرز ويتخذ الجمة وزي مجالس الخلفاء في الصيف والشتاء فرش الصوف

وترى أن ذلك أجزل وأفخم وأنبل ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤوسها
التيجان وجلست على الأسرّة وظاهرت بين الفرش ومثل يملأ عيون الأغرار ويرعب
قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام إفراط التعظيم إلا تعظيم شأن السلطان
والزيادة في الأقدار إلا الآلات ومثل ذم وأوهم إلا في التهويل عليهم ومثل يصلحهم
إلا إخافتك إياهم ومثل ينقادون لها فيه الحظ لهم ويسلسون بالطاعة التي فيها
صلاح أمورهم إلا بتدبير يجمع المحبة والمهابة وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات
والأردية السود وكل ثوب مشهّر وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر
يتزيا بزي الماضين وكان له برد أسود يلبسه في الصيف فهجاه بعض الكتاب
من الشعراء فقال في قصيدة له

بع بردة الأسود قبل البرد ... في فروة تأبط ضاصرج

وكان لجربّان قميص بشار الأعمى وجبته
لبنتان وكان إذا أراد نزع شيء منها أطلق الأزرار فسقطت الثياب على الأرض
ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط وقد رأيت الغزوني الشجاعي لم يلبس قميصا قط
وهو اليوم حي وهو شيخهم وسعيد بن العاص الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط
وقد رأيت الشجاعي صر سعيد بن العاص الأموي وقال الحطيئة

سعيد فلا تغررك خفة لحمه ... تخدد عنه اللحم فهو صليب

وكان شديد
السواد نحيفا ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم فإذا
أشاروا بالعصي فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخر ويدل على ذلك قول الأنصاري
حيث يقول

وسارت لنا سيارة ذات سورة ... بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا ... ملوكا بأرض الشام فوق المنابر
يصيبون فصل القول في كل خطبة ... إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

وقال الكميت بن زيد

وزيد ومسلمة المهذب بالمؤنبة السوابر
بالمرهبات المعتبات لمعجم منا وشاعر ... أهل التجاوب في المحافل والمقاول بالمخاصر

وأيضا إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة
وذلك شيء خاص في خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم حتى إنهم ليذهبون
في حوائجهم والمخاصر في أيديهم إلفا لها وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها
وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلي ومن قيام في المناحات وعلى ذلك المثال ضربن الصدور
بالنعال وإنما يكون العجز والإلة في دخول الخلل والنقص على الجوارح فأما الزيادة
فيها فالصواب فيه وهل ذلك إلا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة القلانس العظام
في جمادى القيظ واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس فإن كانت القلانس مشقوقة زادوا

في طولها وجدتها رؤوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة وكذلك القناع لأنه أهيب
وعلى ذلك المعنى كان يتقنع العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى
وأشباه منهم وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر وإسحق بن عيسى ومحمد بن سليمان
ثم الفضل بن الربيع والسندي بن شاهك وأشباههما من الموالي لأن ذلك أهيب
في الصدور وأجل في العيون والمتقنع أروع من الحاسر ولذلك لم يفارقه الحجاب
وإن كان ظاهرا في الطرق وكان أشبه بمباينة العوام وسياسة الرعية وكرهوا
القناع ملابسة وابتذالا ومؤانسة ومقاربة والدليل على صواب هذا العمل من هاشم
ومن صنائعهم ورجال دعوتهم وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم وأن ذلك
هو صلاح شأنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس تقنعا والدليل على
أن ذلك كان في الأسلاف المتبوعين أنا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل
على ذلك ولذلك اتخذوا في الحروب الرايات والأعلام وإنما ذلك كله خرق سود
وحمر وصفر وبيض وجعلوا اللواء علامة للعقد والعلم في الحروب مرجعا لصاحب الجولة
وقد علموا أنها وإن كانت خرقا على عصي أن ذلك أهيب في القلوب وأهول في الصدور
وأعظم في العيون ولذلك أجمعت الأمم رجالها ونساؤها على إطالة الشعور لأن تكون الجمة
أضخم هامة وأطول قامة والكاسي أفخم من العاري ولولا أن حلق الرأس طاعة
وعبادة وتواضع وخضوع وكذلك السعي ورمي الجمار لما فعلوا ذلك وفي الحديث إنه
لا يفتح عمورية إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان وشعورهم شعور النساء وكل ما زادوا
في الأبدان ووصلوه بالجوارح فهو زيادة في تعظيم تلك الأبدان والعصي والمخاصر
مع الذي عددنا ومع الذي نحن ذاكروه من خصال منافعهما كلها باب واحد
في المعنى وقد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني والمتكلم قد يشير برأسه ويده على
أقسام كلامه وتقطيعه ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني
ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه وقال عبد الملك بن مروان لو ألقيت
الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي وأراد معاوية سحبان وائل على الكلام وقد
كان اقتضبه اقتضابا فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فلم تعجبه حتى أتوه
بمخصرته من بيته والمثل المضروب بعصا الأعرج يقولون أقرب من عصا الأعرج
ويضربون المثل بعصا النهدي قال علقمة بن عبدة في صفة فرس أنثى

سلاءة كعصا النهدي غل لها ... ذو فيئة من نوى قران معجوم

ويضربون المثل برمح أبي سعد وكان أبو سعد أعرج وقد في وفد عاد قال ذو الإصبع
العدواني

إن تكن شكتي رمح أبي سعد فقد أحمل السلاح معا

وقال عباس بن مرداس

جزى الله خيراً خيرنا لصديقه وزوده زاداً كزاد أبي سعد
وزوده صدقاً وبراً ونائلاً وما كان في تلك الوفادة من حمد

وقال آخر

فأنت بجذوى رامل وابن رامل عقود وأجذى من كليب بن وائل

ويقولون لو كان في العصا سير. ويقولون ما هو إلا استه عصا وعقده رشاء. ويقولون أخرج عوده كعصا النقار وأخرج أيضاً عوده كعصا الجابي. وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع وعصا شريان وعصا آبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان شريفة الأغصان وأزدية قطرية وركائب يمانية ونعالاً سبتية فقبل منها العصا واحدة ورد الباقي وبعث إليه مرة أخرى بنعل وكتب إليه

نعل بعثت بها لتلبسها تسعى بها قدم إلى المجد
لو كنت أقدر أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي

فقبلها

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام عوسج وأنه نودي من جوف العوسج وأن عصاه كانت من آس الجنة وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة وكان طولها طول موسى عليه السلام وقالوا من العليق

وقال آخر

صفراء من نبع كلون الورس أبد وملا بالأمن من قبل نفسي

وأنشد الأصمعي عن بعض الأعراب

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها لا تهزئي بي فقلما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارح اليعبوب خير علالة من الجذع المجرى وأبعد منزعا

معاً المزجّى

وقال إسحاق بن سويد: في رداء النبي أقوى ثم ليل ثم في القعب والعصا والقضيب

وقال أبو الشيص الأعمى في هارون الرشيد

يا بني هاشم أفيقوا فإن الملك منكم حيث العصا والرداء
ما لمروان في قريش نصيب وقريش ليست لهم أكفاء

وقال آخر

على خشبات الملك منه مهابة وفي الحرب عبل الساعدين قروح
يشق الوغى عن رأسه فضل نجدة وأبيض من ماء الحديد وقيع

ومما يجوز أيضاً في العصا قول أبي الشيص

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود

ومن هذا الباب قول عبد الله بن الزبعرى

فلئن مثلتم حيث أنعى على الحدثان إن طرقت طروقا
والصبر عند ضلالة الأمم منهم وأسلكهم بلا خرابة طريقا
شرنبت صلاحهم بتلاد مالي بعاد الغضى معتدلاً ورفيقا

ويقولون للرجل إذا أقام وأثرى وكثرت نعمته ضع عصاك وقد وضع عصاه

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

وتجزي الإله بالي في نعمة وقول تقولان ضع عصاك لدهر

ويقولون للمستوطن في البلد والمستطيب للمكان قد ألقى عصاه. وقال زهير بن أبي سلمى

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

كتاب الزهد

بسم الله الرحمن الرحيم. نبدأ باسم الله وعونه بشيء من كلام النساك في الزهد وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم. عوف عن الحسن قال لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث شبابه فيم أبلاه وعمره فيم أفناه وماله من أين كسبه وفيم أنفقه. قال وقال يونس بن عبيد سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن قول حسان بن أبي سنان ما شيء أهون من ورع إذا رابك شيء فدعه. وقول ابن سيرين ما حسدت أحداً على شيء قط. وقول مورق العجلي لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها فقيل لمورق ما هي قال ترك ما لا يعنيني. وقال أبو حازم الأعرج إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوي عنا. وقال أبو عبد الحميد لم أسمع أعجب من قول عمر لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت. وقال ابن صبان إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله. وقال زياد عبد عياش بن أبي ربيعة أنا من أن أمنع الدعاء أخوف مني من أن أمنع الإجابة. وقال له عمر بن عبد العزيز يا زياد إني أخاف الله مما دخلت فيه قال لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك ألا تخاف. وقال بعض النساك لبعض موعظة إنك لا تموت إلا بحياة ولا تحيا إلا بموت وهو الذي قال أعجب من تنسى مغرماً وقد غبطك وهو الذي قال لا تجعل بينك وبين الله منعماً وعد النعم منه عليك مغرماً. ودخل سالم بن عبد الله مع هشام بن عبد الملك البيت فقال له هشام سلني حاجتك قال أكره أن أسأل في بيت الله غير الله. وقيل لرابعة القيسية لو كلمت رجال عشيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤونة بيتك فقالت والله إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكها. وقال بعض النساك خياركم أمامكم وحياتكم بعد موتكم. وقال السموأل بن عادياء اليهودي

ميتاً خلقت ولم أكن من قبلها شيئاً يموت فمت حين حييت

السموأل على وزن فعوأل الأرض السهلة ومنه اسم السموأل

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه . الحسن بن بشر
قال رأى الحسن رجلا يكيد بنفسه فقال إن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله وإن أمرا
هذا أوله لجدير أن يخاف آخره . قال أبو حازم الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير
الحق ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم وقد خلفنا
بعدهم فينبغي لنا أن ننظر إلى الذي كرهنا منهم فنجتنبه وإلى الذي غبطناهم به
فنستعمله . موسى بن داود رفع الحديث قال النظر إلى خمسة عبادة النظر إلى الوالدين
والنظر إلى البحر والنظر في المصحف والنظر إلى الكعبة والنظر إلى البيت . عبد الله
بن شداد قال أربع من كن فيه برئ من الكبر من اعتقل البعير وركب الحمار ولبس الصوف
وأجاب دعوة الرجل الدون . وذكر عند أنس الصوم فقال ثلاث من أطاقهن فقد
ضبط أمره من تسحر ومن قال ومن أكل قبل أن يشرب . وقال أبو سعيد عبد الكريم
العقاري من أخر السحور وقدم الفطور وأكل قبل أن يشرب ثم لم يأكل فقد
ضبط نفسه . وقال الجمال ليس يقوى على الصوم إلا من كثر لقمه وأطاب أدمه
مجالد بن سعيد عن الشعبي قال حدثني مرة الهمداني قال مجالد وقد رأيته وحدثنا
إسماعيل بن أبي خالد أنه لم ير مثل مرة قط كان يصلي في اليوم والليلة خمس مائة ركعة
وكان مرة يقول لما قتل عثمن رحمه الله حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله
فصليت مائة ركعة فلما وقع الجمل وصفين حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من تلك
الحروب وزدت مائتي ركعة فلما كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها
وزدت مائة ركعة فلما كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت
مائة ركعة . وأنا أسأل الله أن يغفر لي على أني لا أعرف لبعض ما قال وجها لأنا لا نعرف
فيها من أهل الجماعة لا يستحل قتال الخوارج كما أنا لا أعرف أحدا منهم لا يستحل قتال
اللصوص وهذا ابن عمر وهو يلبس الحلبسية بن عمه قد لبس السلاح لقتال نجدة .
وقيل لشريح الحمد لله الذي سلمك من القتال في شيء من هذه الفتن قال فكيف أصنع بقلبي وهواه
وقال الحسن قتل الناقة رجل واحد ولكن الله عم القوم بالعذاب لأنهم عموه بالرضى
وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمن وخاذليه وناصريه فقال تلك دماء كف الله
يدي عنها فلا أحب أن أغمس لساني فيها . ودخل أبو الدرداء على رجل يعوده فقال
كيف تجدك قال أفرق من الموت قال فممن أصبت الخير كله قال من الله قال فلم تفرق ممن
لم تصب الخير كله إلا منه . ولما قذف إبراهيم عليه السلم في النار قال له جبريل عليه
السلم ألك حاجة يا خليل الله قال أما إليك فلا . وقال رأى بعض النساك صديقا له
من النساك مهموما فسأله عن ذلك فقال كان عندي يتيم أحتسب فيه الأجر فمات قال

فاطلب يتيما غيره فإن ذلك لا يعدمك إن شاء الله قال أخاف ألا أصيب يتيما في سوء خلقه قال
أما إني لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه . قال ودخل بعض النساك على صاحب له وهو
يكيد بنفسه فقال أطب نفسا فإنك تلقى ربا رحيما قال أما ذنوبي فإني أرجو أن يغفرها
الله لي وليس اغتمامي إلا لمن أدع من بناتي فقال له صاحبه الذي ترجوه لمغفرة ذنوبك
فارجه لحفظ بناتك . قال وكان مالك بن دينار يقول لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام
وقال يونس بن عبيد لو أمرنا بالجزع لصبرنا . وكان يقول كسبت في هذه السوق ثمانين
ألف درهم ما فيها درهم إلا وأنا أخاف أن أسأل عنه . قال وسمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن
بن حذيفة يقول قال الحطيئة إنما أنا حسب موضوع فقال عمرو كذب ترحه الله ذاك التقوى
وقال أبو الدرداء نعم صومعة المؤمن منزله يكف فيه نفسه وبصره وفرجه وإياكم والجلوس
في هذه الأسواق فإنها تلغي وتلهي . وقال الحسن ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما
جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير
فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم فيه الثواء ها هنا قليل والبقاء هناك طويل
أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون المعاينة فكأن قد
هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم فيا لها
موعظة لو وافقت من القلوب حياة أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم
ولا كتاب بعد كتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق
آخركم من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه فالوحا الوحا والنجا النجا علام تعرجون
أتيتم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فما تنتظرون إن الله تبارك
بعث محمدا عليه السلم على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل عليه كتابه وكان
صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض
وآتاه منها قوتا وبلغة ثم قال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فرغب أقوام عن
عيشه وسخطوا ما رضي له ربه فأبعدهم الله وأسحقهم ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها
عن قليل قبرك واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله
رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر واعتبر فأبصر وأبصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا
فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا يا ابن آدم اذكر قوله
وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك خذوا صفاء
الدنيا وذروا كدرها فليس الصفو ما عاد كدرا ولا الكدر ما عاد صفوا دعوا ما يريبكم

إلى ما لا يبرئكم ظهر الجفاء وقلت العلماء وعفت السنة وشاعت البدعة لقد صحبت أقواماً ما كانت
صحبتهم إلا قرة العين وجلاء الصدور ولقد رأيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد
عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما
حرم الله عليكم منها ما لي أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ذهب الناس وبقي النسناس لو تكاشفتم
ما تدافنتم تمادى بهم الأطباق ولم تتماحوا والتصايح قال ابن الخطاب رحمه الله امرءاً أهدى
إلينا مساوينا أعدوا الجواب فإنكم مسؤولون المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه
من قبل ربه إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم وما يصبر عليه إلا من عرف
فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه يا ابن
آدم الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل وكان إذا
قرأ ألهاكم التكاثر قال عم ألهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبيد هذا والله فضح القوم
وهتك الستر وأبدى العوار تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً وتمنع في حق الله درهماً
ستعلم يا لكع الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر
العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأذعن بالجزية وسمح بالضريبة
وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون
فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة ويلك قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته وكان
يقول رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة
من فضله وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله فقال
يا أهلي صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم جيرانكم إخوانكم إخوانكم مساكينكم مساكينكم
لعل الله يرحمكم فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال وكان يأمر أهله بالصلاة
والزكاة وكان عند ربه مرضياً يا ابن آدم كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارك وكيف
تكون مؤمناً ولم يأمنك الناس وكان يقول لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب
الناس بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه فإنه
إذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له أن يصلحه فإذا فعل ذلك
شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره وإنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرن
شيئاً من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيئاً من الشر وإن صغر
فإنك إذا رأيته ساءك مكانه وكان يقول رحم الله عبداً كسب طيباً وأنفق قصداً
وقدم فضلاً وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر الله فإن من كان
قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل ألا إن هذا الموت قد أضر
بالدنيا ففضحها فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحاً فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي

جماعها الضلالة وميعادها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل
فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجري دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم في
فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم وإذا عملوا سيئة
ساءتهم وسألوا الله أن يغفر لهم ابن آدم إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا
شيء يغنيك وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك ابن آدم لا تعمل شيئاً
من الحق رياء ولا تتركه حياء وكان يقول إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا
وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها وكان أهل الدنيا
يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم اليوم يبذلون علمهم
لأهل الدنيا رغبة في دنياهم فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا في علمهم لما
رأوا من سوء موضعه عندهم وكان يقول لا أذهب إلى من يواري عني غناه ويبدي لي فقره
ويغلق دوني بابه ويمنعني ما عنده وأدع من يفتح لي بابه ويبدي لي غناه ويدعوني إلى
ما عنده وكان يقول يا ابن آدم لا غناء بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة
أفقر مؤمن متهم وعلج أغتم وأعرابي لا فقه له ومنافق مكذب ودنياوي مترف نعق
بهم ناعق فاتبعوه فراش نار وذبان طمع والذي نفس الحسن بيده ما أصبح في هذه القرية
مؤمن إلا أصبح مهموماً حزيناً وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله الناس ما داموا في عافية
مستوون فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه والمنافق إلى نفاقه أي قوم
إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة
ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه وقال الحسن
في يوم فطر وقد رأى الناس وهيئاتهم إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه
يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب
من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون أما والله أن لو
كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب
وحدث عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه قال الناس طالبان فطالب يطلب الدنيا فارفضوها
في نحره فإنه ربما أدرك الذي طلب منها فهلك بما أصاب منها وربما فاته الذي طلب منها
فهلك بما فاته منها وطالب يطلب الآخرة فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه وحدث
عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه قال أيها الناس إنه أتى علي حين وأنا أحسب أن من قرأ
القرآن أنه إنما يريد به الله وما عنده ألا وقد خيل إلي أن أقواماً يقرؤون القرآن
يريدون به ما عند الناس ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم فإنما كنا نعرفكم
إذ الوحي ينزل وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحي وذهب

النبي عليه السلام بل انما اخبركم بما اقول لكم الا من اظهر لنا خيرا ظننا به خيرا واثنينا
به عليه ومن اظهر لنا شرا ظننا به شرا وابغضناه عليه اقرعوا هذه النفوس عن شهواتها
فانها طلعة وانكم الا تقرعوها تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مري وان
الباطل خفيف وبي وترك الخطية خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة
وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا ۞ وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك
بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل ۞ وقال ابو حازم الاعرج وجدت الدنيا شيئين شيئا
هو لي لن اعجله دون اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا هو لغيري لم انله فيما
مضى ولا اناله فيما بقي يمنع الذي لي من غيري كما يمنع الذي لغيري مني ففي اي هذين افني
عمري واهلك نفسي ۞ ودخل على بعض الملوك من بني مروان فقال يا ابا حازم ما المخرج مما
نحن فيه قال تنظر الى ما عندك فلا تضعه الا في حقه وما ليس عندك فلا تاخذه الا بحقه
قال ومن يطيق ذلك يا ابا حازم قال فمن اجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس اجمعين
قال ما مالك قال مالان قال ما هما قال الثقة بما عند الله والياس مما في ايدي الناس قال ارفع
حوائجك الينا قال هيهات رفعتها الى من لا تختزل الحوائج دونه فان اعطاني منها شيئا
قبلت وان زوى عني منها شيئا رضيت ۞ وقال الفضيل بن عياض يا ابن آدم انما يفضلك
الغنى بيومك امس قد خلا وغد لم يات فان صبرت يومك احمدت امرك وقويت على
غدك وان عجزت يومك اذن ضيعت امرك وضعفت عن غدك وان الصبر يورث البر وان
الجزع يورث السقم وبالسقم يكون الموت وبالبر تكون الحياة ۞ وقال الحسن يا فلان
ارضيت من الحال التي انت عليها للموت اذا نزل بك قال لا قال افحدثت نفسك بالانتقال
عنها الى حال ترضاها للموت اذا نزل بك قال حديثا بغير حقيقة قال افبعد الموت دار فيها
مستعتب قال لا قال فهل رايت عاقلا رضي لنفسه بمثل الذي رضيت به لنفسك ۞ قال
عيسى بن مريم صلى الله عليه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا
الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها
فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم ۞ وراوه يخرج
من بيت مومسة فقيل يا روح الله ما تصنع عند هذه قال انما ياتي الطبيب المرضى
وقال حين مر ببعض الخلق فشتموه ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شرا قال خيرا
فقال له رجل من الحواريين كلما زادوك شرا زدتهم خيرا حتى كانك انما تغريهم بنفسك
وتحثهم على شتمك قال كل انسان يعطي مما عنده ۞ وقال ويلكم يا عبيد الدنيا كيف
تخالف فروعكم اصولكم وعقولكم اهواءكم قولكم شفاء يبرئ الداء وعملكم داء لا يقبل
الدواء لستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها بل انتم كالسمرة

وقال قوم الحواريون المجاهدون وقال آخرون هم الصيادون وقال بعض المفسرين هم القصارون
وقال قوم هم الملوك ۞ وقال العلماء الحواريون خاصة اصحاب الانبياء قال رسول الله عليه السلام الزبير

التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ويلكم يا عبيد الدنيا جعلتم العمل تحت اقدامكم
من شاء اخذه وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يستطاع تناولها لا عبيد اتقياء ولا احرار
كرام ويلكم اجراء السوء الاجر تاخذون والعمل تفسدون سوف تلقون ما تحذرون يوشك
رب العمل ان ينظر في عمله الذي افسدتم وفي اجره الذي اخذتم ويلكم غرماء السوء تبدؤون
بالهدية قبل قضاء الدين بالنوافل تطوعون وما امرتم به لا تؤدون ان رب الدين لا يقبل
الهدية حتى يقضى دينه ۞ وكان ابو الدرداء يقول اقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا
غضب واحذر ان تظلم من لا ناصر له الا الله ۞ وقال ورد العبدي

لعمرك للمظلوم ما عاش انه ... وان اعجبته نفسه لذليل

يرى الناس انصارا عليه وماله ... من الناس الا الناصرون قليل

وقال شيخ من اهل المدينة المعرض بالناس تبقى صاحبه ولم يبق له ۞ وكان بكر بن عبد الله
يقول اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم ۞ وقال من كان له من نفسه واعظ عارضه
ساعة الغفلة وحين الحمية ۞ وقال علي لا شيء انظر في وجهي حين جرى بينه وبين
الاشعث بن قيس ما جرى ۞ وكانت العجم تقول اذا غضب الرجل فليستلق واذا
اعيي فليرفع رجليه ۞ وقال ابو الحسن كان لرجل من الشام شاة وكان معجبا بها
فجاء يوما فوجدها على ثلث قوائم فقال من صنع هذا بالشاة قال غلامه انا قال ولم قال
اردت ان اغيظك قال لا جرم لاغيظن الذي امرك بغيظي اذهب فانت حر ۞ سعيد
بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو
يقول ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه من ذلك الصبر الا كان ما عاضه
الله افضل مما انتزع منه ثم قرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ۞ اخبرنا
ابو الحسن علي بن محمد عن اصحابه قال حضرت عمرو بن عبيد الوفاة فقال لعديله نزل
بي الموت ولم اتاهب له اللهم انك تعلم انه لم يسنح لي امران لك في احدهما رضى ولي
في الاخر هوى الا اثرت رضاك على هواي فاغفر لي ۞ ولما حج ابو حازم سليمان بن
عبد الملك بن عبيد الله للمهتدين قال سليمان فاين رحمة الله قال ابو حازم قريب من المحسنين
قالوا وخرج عثمان بن عفان رحمه الله من داره فراى في مقليه اعرابيا في بيت الاشعث
على العتبتين مشرف الحاجبين فقال يا اعرابي اين ربك قال بالمرصاد وكان الاعرابي
عامر بن عبد قيس وكان ابن عامر سيره اليه ۞ قال وعدا اعرابي من طيء مع امراة
له فاحتلبا لبنا ثم قعدا يتمجعان فقالت له امراته انحن انعم عيشا ام بنو مروان قال
هم اطيب طعاما منا ونحن ادفا كسوة منهم وهم انعم منا نهارا ونحن انعم منهم ليلا
قال وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال لا يلهك الناس عن نفسك فان الامر يصير اليك

يتمجعان ياكلان التمر باللبن

وقتهم ولا تقطع النهار ساعة فإنه محفوظ عليك ما عملت وإذا أسأت فأحسن فإني لم
أر شيئا أشد طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم . قال كان بلال بن سعد
يقول زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر . مسلمة
بن محارب قال قال عامر بن عبد قيس الدنيا والدار للموت نافضة للمتبرم منجعة للعطية
وكل من فيها يجري إلى ما لا يدري وكل مستقر فيها غير راض بها وذلك شهيد بأنها ليست
بدار قرار . قال الحسن من أيقن بالخلف جاد بالعطية . وقال أسماء بن خارجة إذا
قدمت المودة سمج الثناء . وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي عظني قال لا
أرضى نفسي لك إني لا أصلي بين الغني والفقير فأميل على الفقير وأوسع على الغني
قال وقال الحسن ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . قال كان أبو بكر رحمه الله إذا
قيل له مات فلان قال لا إله إلا الله . وكان عثمن يقول فلا إله إلا الله . وكان أبو بكر كثيرا
ما ينشد لا تزال تنعى ميتا حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا فيموت دونه .
وركب سليمن بن عبد الملك يوما في زي عجيب فنظرت إليه جارية له فقالت إنك لمعني
ببيتي الشاعر قال وما هما فأنشدته

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب كان في الناس غير أنك فان

قال ويلك نعيت إلي نفسي . قال صام رجل سبعين سنة ثم دعا الله في حاجة فلم يستجب
له فرجع إلى نفسه فقال منك أتيت فكان اعترافه أفضل من صومه . وقال من تذكر قدرة
الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله . وقال الحسن إذا استطعت أن تنظر إلى الدنيا بعدك
فانظر إليها بغير عينك . وكان الحسن يقول ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن
ما وقر في القلب وصدقه العمل . قال مات ذر بن أبي ذر الهمداني من بني مرهبة وهو
ذر بن عمر بن ذر فوقف أبوه على قبره فقال يا ذر والله ما بنا إليك من فاقة وما بنا إلى أحد
سوى الله من حاجة يا ذر شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ثم قال اللهم إنك وعدتني
بالصبر على ذر صلواتك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر لذر فلا تعرفه
قبيحا من عمله اللهم وقد وهبت له إساءته إلي فهب لي إساءته إلى نفسه فإنك أجود
وأكرم فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا
ما نفعناك . سحيم بن حفص قال قال معاوية بن قبيصة لحرقة ابنة النعمن ورآها تبكي
ما لك تبكين قالت رأيت لأهلي غضارة ولم تمتلئ دار فرحا إلا امتلأت حزنا .
ونظرت امرأة أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنهم الصقور فقالت لقد ولدت
أمكن حزنا طويلا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه أسرعكن لحاقا بي

أطولكن يدا فكانت عائشة تقول أنا تلك أنا أطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش وذلك
أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعا تصنع بيدها وتبيعه وتتصدق به قال الشاعر
فما إن كان أكثرهم سواما ولكن كان أطولهم ذراعا . قال كان الحسن
يقول ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه فيها تبعة إلا ما كان من نعمته على سليمن صلى الله
عليه فإن الله عز وجل قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . قال
باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال
ذخرا قال أنا أجعل هذا المال ذخرا لي عند الله وأجعل الله ذخرا لولدي وقسم المال
وقال رجل صحبت الربيع بن خثيم سنتين فما كلمني إلا كلمتين قال لي مرة أمك حية
وقال لي مرة أخرى كم في تيم من مسجد . وقال أبو فروة كان طارق صاحب شرط
خالد بن عبد الله القسري فمر بابن شبرمة وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة

أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف عن قليل تقشع

اللهم لي ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة على القضاء بعد ذلك فقال له ابنه
أتذكر قولك يوم مر طارق في موكبه فقال يا بني إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك
مثلهم يا بني إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم . قال الحسن من خاف الله أخاف
الله منه كل شيء ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء . وقال الحسن ما أعطي رجل من
الدنيا شيئا إلا قيل له خذه ومثله من الحرص . قال مر مروان بن الحكم في العام الذي
بويع فيه ببني جزء في الكلاب وهم على مائهم فقال كيف أنتم آل جزء فقالوا بخير
ندعو الله فأحسن زرعنا وحصرنا فأحسن حصادنا . وقال الحسن ابن آدم إنما أنت
عدد فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك . مسلمة قال وقال الحسن ابن آدم إن كان
يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس
فيها شيء يغنيك . قال نزل الموت بفتى كان فيه رهق فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان
عند رأسه فقال ما لكما تبكيان قالا نتخوف عليك من الذي كان منك من إسرافك على نفسك
فقال لا تبكيا فوالله ما يسرني أن الذي بيد الله بأيديكما . أبو الحسن عن علي بن عبد
الله القرشي قال قال قتادة يعطي الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا والآخرة
ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا . أبو عوانة قال قال الحسن قدم علينا بشر بن مروان
أخو الخليفة وأمير المصرين وأشب الناس فأقام عندنا أربعين يوما ثم طعن في قدميه
فمات فأخرجناه إلى قبره فلما صرنا إلى الجبان إذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبا
لهم إلى قبره فوضعنا السرير فصلينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ثم حملنا بشرا
إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ثم انصرفوا وانصرفنا

ثم التفت الى الفاته فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشي فلم أر شيئاً قط كان أعجب منه . وقال عبد الله بن الزبعرى . والعطيات خساس بيننا وسواء قبر مثر ومقل . وتقول الحكماء ثلاثة أشياء يستوي فيها الملوك والسوقة والعلية والسفلة . الموت والطلوع والنزع
وقال الهيثم بن عدي عن رجاله بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يتذاكران أعاجيب الزمان وتغير الأيام وهما في عرصة إيوان كسرى وكان أعرابي من غامد يرعى شويهات له نهاراً فلما كان الليل صيرهن إلى داخل العرصة وفي العرصة سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه فصعدت غنيمات الغامدي إلى حد السرير فقال سلمان ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي على سرير كسرى . قال لما انصرف علي بن أبي طالب رضي الله عنه من صفين مر بمقابر فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم . الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا والحمد لله الذي منها خلقكم وعليها يحشركم ومنها يبعثكم طوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاف
وقال عمر رحمه الله استغزروا الدموع بالتذكر . وقال الشاعر . سمعن بهيجا أوجفت فذكرنه
ولا يبعث الأحزان مثل التذكر . وقال أعرابي .
لا تشربن بغا عار إنه ظرب ولا تغن إذا ما كنت مشتاقا . قال ابن الأعرابي
سمعت شيخا أعرابيا يقول إني لا أسر بالموت لا دين ولا بنات . علي بن الحسن قال قال صالح المري دخلت دار المورياني فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله استخرجتها حين ذكرت الحال فيها قوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وقوله ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون وقوله فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا قال فخرج إلي أسود من ناحية الدار فقال يا أبا بشر هذه سخطة المخلوق فكيف سخطة الخالق . قال وأصاب الناس مطر شديد وريح وظلمة ورعد وبرق فقال رجل من الشطار اللهم إنك قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك عوالة . قال قال عبد الله بن عمر كان عمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة عز النجر فأحرق سفينته واحترق . قال وطلق أبو الخندق امرأته أم الخندق فقالت أتطلقني بعد طول الصحبة فقال ما لك عندي ذنب غير ذنب . وكان أبو إسحق يقول ما لا أمها من كلمة . قال مر عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلما رأوه سكتوا فقال فيم كنتم قالوا كنا نتمنى قال فتمنوا وأنا أتمنى معكم قالوا فتمن قال أتمنى رجالا ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة إن سالما كان شديد الحب لله لو لم يخف الله ما عصاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح . شعبة عن عمرو بن مرة قال قدم وفد من أهل اليمن على أبي بكر رحمه الله فقرأ عليهم القرآن فبكوا فقال أبو بكر

هكذا كنا حتى قست القلوب . وقال أبو بكر طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام . وقال سعد بن مالك أو معاذ ما دخلت في صلاة فعرفت من عن يميني ولا من عن شمالي ولا شيعت جنازة قط إلا حدثت نفسي بما يقال له وما يقول وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيئا قط إلا علمت أنه كما قال . قال أبو الدرداء أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ولا يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربه أم راض وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل وموقفي بين يدي الله لا أدري أيؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار . سحيم بن حفص قال رأى إياس بن قتادة العبشمي شيبة في لحيته فقال أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته أعوذ بك من فجاءات الأمور وبغتات الحوادث يا بني سعد إني قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي ولزم بيته فقال له أهله إنك تموت هزلا فقال لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلي من أن أموت منافقا سمينا . وذكر قوم إبليس فلعنوه وتعاقلوا عليه فقال أبو حازم الأعرج وما إبليس لقد عصي فما ضر وأطيع فما نفع . قال وقال بكر بن عبد الله المزني الدنيا ما مضى منها فحلم وما بقي منها فأماني . قال ودخل أبو حازم مسجد دمشق فوسوس إليه الشيطان أنك قد أحدثت بعد وضوئك قال فقال له أو قد بلغ هذا من نصيحتك
وقال بعض الكتاب . عجبت من إبليس في كبره ، وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم في سجدة ، وصار قوادا لذريته
قال فأنشدتها مسمع بن عاصم فقال وأبيك لقد ذهب مذهبا . الفضل بن مسلم قال قال مطرف بن عبد الله بن الشخير لا تنظروا إلى خفض عيشهم ولين ثيابهم ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . قال أبو ذر لقد أصبحت وإن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من الحياة . قال دغفل لا لكني لا أقول ذلك . قال قال داود النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا صحة تطغيني ولا مرض يضنيني ولكن بين ذلك . قال وقال الحسن إن قوما جعلوا تواضعهم في ثيابهم وكبرهم في صدورهم حتى لصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحا من صاحب المطرف بمطرفه . وقال داود النبي صلى الله عليه إن لله سطوات ونقمات فإذا رأيتموها فبادروا فرحكم بالدعاء فإن الله تبارك وتعالى يقول لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صبا . قال اشترى محمد بن صفوان بردة بتسعة دنانير فقيل له تشتري بردة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها قال سمعت الله تبارك وتعالى يقول لكم فيها خير . وقيل لمحمد بن سوقة تحج وعليك دين قال هو أقضى للدين قال ورئي ناسك ومعه خف فقال ما تصنع بهذا قال أعده للشتاء قال كانوا يستحيون من هذا قال أبو حازم تختصمون وتفتصمون والموعد الله . قال الزبير يكفينا من خصمكم الفقم ومن نصحكم العشق . وقال أيمن بن خريم

رجوا بالشقاق لا أكل خضماً فقد رضوا الجنة من أكل الخضم أن يأكلوا القضم ، الزاهد
وقال عمرو لمعوية من أصبر الناس قال من كان رأيه راداً لهواه ، وتواصفوا حال الزاهد
بحضرة الزهري فقال الزهري الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره ، قال
وذكر عند أعرابي رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة فقال هذا رجل
سوء وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب ، قال أبو بكر ما أشبه تعالى
الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر وما أشبه تعالى الهوان لمن يريد هوانه وهو عليه قادر
وذكر أبو عمرو الزعفراني قال كان عمرو بن عبيد عند حفص بن سالم فلم يسئله أحد من أهله
وحشمه حاجة إلا قال لا فقال عمرو أقلل من قول لا فإنه ليس في الجنة لا قال وقال عمرو كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل ما يجد أعطى وإذا سئل ما لا يجد قال يصنع الله ، قال
وقال عمر بن الخطاب رحمه الله أكثروا لهن من قول لا فإن نعم تضريهن على المسئلة قال وإنما
يخص عمر بذلك النساء ، قال الحسن أدركت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد
عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ، قال أبو الدرداء من يشتري مني عاداً وأموالها
بدرهم ، ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المقابر فقال أما المنازل فقد سكنت وأما
الأموال فقد قسمت وأما الأزواج فقد نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال
والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام لأخبروا (لقالوا) أن خير الزاد التقوى ، قال أبو سعيد
الزاهد عيرت اليهود عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم بالفقر فقال من الغنا أتيتم
وقال آخر لو لم يعرف من شر الفقر إلا أنه لا ترى أحداً يعصي الله ليفتقر ، وهذا الكلام
بعينه مدخول ، قال سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف كيف تركته فقال تركته
عظيماً سميناً (بطيناً) قال ليس عن هذا أسألك قال تركته ظلوماً غشوماً قال أو ما علمت أنه أخي
قال أتراه بك أعز مني بالله ، وقال بعضهم تجد في التورية أو داود من بلغ السبعين اشتكى من
غير علة ، جعفر بن سليمان قال قال محمد بن حسان النبطي لا تسل نفسك الطعام ما أعطته
في الطعام النافع ، أبو إسحق بن المبارك قال قيل لخالد بن يزيد بن معوية ما أقرب شيء قال الأجل
قيل فما أبعد شيء قال الأمل قيل فما أوحش شيء قال الميت قيل فما آنس شيء قال الصاحب المواتي
وقال آخر لا آنس شيء من الموتى ، وقال آخر رئي عامر بن عبد الله بن الزبير غطا في المسجد فقيل
له قد أخرجت فقال سبحان الله وهل يأخذ أجراً ما ليس له ، جرير بن عبد الحميد عن عطاء
بن السائب عن عبيدة التيمي قال لا يشهد عليه الليل بنوم أبداً ولا يشهد عليه النهار
بأكل أبداً فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رحمه الله فعزم عليه وكان يفطر في العيدين وأيام
التشريق ، وقال الحسن بن أبي الحسن يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ويكون عابداً
ولا يكون عاقلاً وكان مسلم بن يسار عالماً عابداً عاقلاً ، وقال عبادة بن الصامت من الناس

من أوتي علماً ولم يؤت حلماً وشداد بن أوس أوتي علماً وحلماً ، قال إبراهيم كان عمرو بن عبيد
عالماً عاقلاً عابداً وكان ذا بيان وحلم وصاحب قرآن ، إبراهيم بن سعيد عن أبي عبد الله
القيسي قال قال لا يحزن المؤمن من شرار الناس إلا قبره ، وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه
الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حراثون ، عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال
ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب ، قال عمر رحمه الله لولا أن أسير في سبيل الله وأضع
جبهتي لله وأجالس أقواماً ينتقون لي أحسن الحديث كما ينتقى أطايب التمر لم أبال أن أكون
قد مت ، قال عامر بن عبد قيس ما آسى من العراق إلا على ثلث ظماء الهواجر وتجاوب المؤذنين
وإخوان لي منهم الأسود بن كلثوم ، وقال مورق العجلي ضاحك معترف بذنبه خير
من باك مدل على ربه ، وقال خير من العجب بالطاعة أن لا تأتي بطاعة ، قالوا كان الربيع بن خثيم
لا يطعم إلا صحيحاً ولا يكسو إلا جديداً ولا يعتق إلا سوياً ، وقال بعض الملوك لبعض العلماء إذ هم
في الدنيا فقال أيها الملك إن الآخرة لما تعطي الموردة بعدها الندم السالبة ما تكسو المورثة بعد
ذلك الفضوح تسد بالأرذل مكان الأفاضل وبالعجزة مكان الحزمة تجد في كل من كل خلفاً
وترضى بكل من كل بدلاً تسكن دار كل قرن قرناً وتطعم سؤر كل قوم قوماً ، وكان سعيد
بن أبي العروبة يطعم المساكين السكر ويتأول قوله ويطعمون الطعام على حبه ، قال وكان محمد
بن علي إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة وكان لا يسمع من داره للسائل بورك فيك ولا يا سائل
خذ هذا وكان يقول سموهم بأحسن أسمائهم ، قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشي فقال يزيد
سأتمنى كما تمنيتم قالوا تمن قال ليتنا لم نخلق وليتنا إذ خلقنا لم نمت وليتنا إذ متنا لم نبعث
وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب وليتنا إذ عذبنا لم نخلد ، قال
وقال رجل لأم الدرداء إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملاً
بعيداً قالت اطلع القبور واشهد الموتى ، ابن عون قال قلت للشعبي أين كان علقمة من
الأسود قال كان الأسود قواماً صواماً وعلقمة مع البطيء وهو يسبق السريع ، قال وقيل
لغالب بن عبد الله الجهضمي إنا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء قال هو لهما شفاء ،
محمد بن طلحة بن مصرف عن محمد بن جحادة قال لما قتل الحسين رضي الله عنه أتى قوم الربيع
بن خثيم فقالوا لنستخرجن اليوم منه كلاماً فقالوا قتل الحسين قال الله يحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون وأتته بنية له فقالت يا أبه أذهب ألعب فقال اذهبي فقولي خيراً
وافعلي خيراً ، وقال أبو عبيدة استقبل عامر بن عبد قيس رجل في يوم حلبة قال فقال من سبق
يا شيخ قال المقربون ، علي بن سليم قال قيل للربيع بن خثيم لو أرحت نفسك قال راحتها
أريد إن عمر كان كيساً ، وقال أبو حازم ليتق أحدكم على دينه كما يتقي على نعله ، جعفر
بن سليمان الضبعي قال أتى مطرف بن عبد الله بن الشخير يونس مجلس ملك بن دينار وقد قام
الى

الربيع بن خثيم يقول لا تطعم إلا صحيحاً

فقال أصحابه لو تكلمت قال من الظالمين حسن وإن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا
وقال رجل لآخر وباع منه ضيعة لقد أخذتها والله ثقيلة المؤونة قليلة المنفعة فقال
الآخر وأنت لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق . واشترى رجل من رجل دارا فقال
لصاحبها لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير فقال وأنت لو صبرت لبعتك الذراع
بدرهم . ورأى ناسك ناسكا في المنام فقال له كيف وجدت الأمر يا أخي قال وجدنا ما قدمنا
وربحنا ما أنفقنا وخسرنا ما خلفنا . قال وقال بكر بن عبد الله المزني اجتهدوا في العمل فإن قصر
بكم ضعف فكفوا عن المعاصي . قال قال أعرابي إنه ليقتل الحبارى جوعا ظلم الناس بعضهم
لبعض . قال قيل لمحمد بن علي من أشد الناس زهدا قال من لا يبالي الدنيا في يد من كانت . وقيل
له من أخسر الناس صفقة قال من باع الباقي بالفاني . وقيل له من أعظم الناس قدرا قال
من لا يرى الدنيا لنفسه قدرا . الأصمعي عن شيخ من بكر بن وائل أن معاوية بن قبيصة
أتى حرقة ابنة النعمان وهي باكية فقال لها لعل أحدا آذاك قالت لا ولكني رأيت غضارة في
أهلكم وقل ما امتلأت دار سرورا إلا امتلأت حزنا . وقالوا يهرم ابن آدم وتشب له خلتان
الحرص والأمل . الأصمعي قال قال محمد بن واسع ما آسى من الدنيا إلا على ثلث بلغة من عيش
ليس لأحد علي فيها منة ولا لله علي فيها تبعة وصلاة في جمع أكفى سهوها ويدخر لي أجرها
وأخ إذا ما اعوججت قومني . وقال آخر ما آسى من العراق إلا على ثلث ليل الخريف ورطب السكر
وحديث أبي بكرة . وقال آخر إذا سمعت حديث أبي نضرة وكلام ابن أبي بكرة فكأنما مع لسان
الخمرة . وقال أبو يعقوب الخريمي الأعور تلقاني مع طلوع الشمس سعيد بن وهب فقلت
أين تريد قال أدور على المجالس فلعلي أسمع حديثا حسنا ثم لم أجاوز بعيدا حتى تلقاني أنس
بن أبي شيخ فقلت له أين تريد قال عندي حديث حسن فأنا أطلب له إنسانا حسن الفهم حسن
الاستماع قال قلت حدثني فأنا كذلك قال أنت حسن الفهم ردي الاستماع وما أرى لهذا الحديث
إلا إسماعيل بن غزوان . هشام قال أخبرني رجل من أهل البصرة قال ولد للحسن بن أبي
الحسن غلام فقال له بعض جلسائه بارك الله لك في هبته وزادك في أحسن نعمه فقال الحسن
الحمد لله على كل حسنة وأسأل الله الزيادة في كل نعمة ولا مرحبا بمن إن كنت عائلا أنصبني
وإن كنت غنيا أذهلني لا أرضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحياة كدا حتى أشفق عليه
من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لا يصل إلي من همه حزن ولا من فرحه سرور . قال الحسن
للمغيرة بن مخارش التميمي إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير لك ممن أمنك حتى تلقى الخوف
وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ما أحسن الحسنة في إثر الحسنة وما أقبح السيئة في إثر
السيئة . الحسن قال ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من أمر نحن فيه
قال كان الحسن إذا ذكر الحجاج قال يتلو كتاب الله على لخم وجذام ويعظ عظة الأزارقة ويبطش

بطش الجبارين . وكان يقول اتقوا الله فإن عند الله حجاجا كثيرا . قال سنان بن سلمة بن قيس
اتقوا الله فإن عند الله أياما مثل شوال . وقال خالد بن صفوان بت ليلتي أتمنى فكسبت البحر
الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران . وكان الحسن
يقول إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على
ما تكرهون . ودخل قوم على عون بن أبي جميلة في مرضه فأقبلوا يثنون عليه فقال دعونا
من الثناء وأمدونا من الدعاء . وقال أبو حازم نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب
حتى نموت . وكان الحسن يقول يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه فإنك إن أحسنت إليه
ارتحل بحمدك وإن أسأت إليه ارتحل بذمك وكذلك ليلتك . وقيل لبعض العلماء من أسوأ الناس
حالا قال عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني في القائل عند موته دخلتها جاهلا وأقمت فيها حائرا
وأخرجت منها كارها يعني الدنيا . وقيل لآخر من أسوأ الناس حالا قال من قويت شهوته
وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقيل لآخر من شر الناس قال من لا يبالي
أن يراه الناس مسيئا . وقيل لآخر من شر الناس قال العالم فقيل له أيما شر الوقاح أم
الجاهل أم العالم قال العالم . ذكر أبو صفوان عن البطال أبي العلاء من بني عمرو بن تميم
قال قيل له قبل موته كيف تجدك يا أبا العلاء قال أجدني مغفورا لي قالوا قل إن شاء الله قال
قد شاء الله ثم قال أوصيكم بالخلة التلاد فلا تخالطكم الأعادي . قال ابن الأعرابي
كان العباس بن زفر لا يكلم أحدا حتى تنبسط الشمس فإذا انفتل عن مصلاه ضرب الأعناق
وقطع الأيدي والأرجل . وكان جرير بن الخطفى لا يتكلم حتى تطلع الشمس فإذا طلعت
قذف المحصنات . قال وعمرت جنان فبكى وقال آخر فتى هن الجنائز فقيل فلم تقذف
المحصنات قال يبدو لي ولا أصبر وكان يقول أنا لا أبتدي ولكني أعتدي . الحسن بن الربيع
الكندي بإسناد له قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني
الله وأحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس .
قال بلغني عن القاسم بن مخيمرة الهمداني أنه قال لا يدخل غلوق بابي فما يجاوز همي . قال
أبو الحسن وجد في حجر مكتوب ابن آدم لو أنك رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو
من أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولأقصرت عن حرصك وحيلك وإنما يلقاك غدا ندمك
لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا
أنت إلى أهلك بعائد ولا في عملك بزائد . وقال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم تعملون للدنيا
وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل . قال
أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه . وقال من هوان
الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها . قال مر عيسى عليه السلام

يقوم يبكون فقال ما بالهم يبكون فقالوا على ذنوبهم قال اتركوهم ما تغفر لكم . قال وقال زياد بن
ابي زياد مولى عياش بن ابي ربيعة دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رآني تحول عن مجلسه
وقال اذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تاخذ عليه شرف المجلس . وقال الحسن
ان اهل الدنيا وان دفقت بهم البغال ووطئ الناس اعقابهم فان ذل المعصية في قلوبهم
قالوا وكان الحجاج يقول اذا خطب انا والله ما خلقنا للفناء وانما خلقنا للبقاء وانما ننقل من
دار الى دار وهذا من كلام الحسن . ولما ضرب عبد الله بن علي تلك الاعناق قال له قائل
هذا والله جهد البلاء فقال عبد الله ما هذا وشرطة الحجام الا سواء وانما جهد البلاء فقر مدقع
بعد غنى موسع . وقال آخر اشد من الخوف الشيء الذي يشتد من اجله الخوف . وقال آخر
اشد من الموت ما يتمنى له الموت وخير من الحياة ما اذا فقدته ابغضت له الحياة . وقال اهل
النار يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون فلما لم يجابوا الى الموت قالوا افيضوا علينا
من الماء وقالوا ليس في النار عذاب اشد على اهله من علمهم بانه ليس لكربهم تنفيس
ولا لضيقهم ترفيه ولا لعذابهم غاية ولا في الجنة نعيم ابلغ من علمهم ان ذلك الملك
لا يزول . قالوا قارب الزاهد في الدنيا فلا تستوحش من الناس وهام على وجهه فقال زيد
بن علي يا زاهد ان لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء اشد عليك من ذنبك فقال
الزاهد الله اعلم حيث يجعل رسالاته ورجع الى ماله واهله واصحابه . قال ابن المبارك
افضل الزهد اخفاه . الاوزاعي عن مكحول قال ان كان في الجماعة الفضيلة فان في
العزلة السلامة . اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن يزيد قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله كره لكم اللعب في الصلاة والرفث في الصيام والضحك في المقابر . وقال
ازدشير خره احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع . وقال واصل بن عطاء
المؤمن اذا جاع صبر واذا شبع شكر . وقيل لعامر بن عبد قيس ما تقول في الانسان قال
ما عسى ان اقول في من اذا جاع ضرع واذا شبع طغى . قال ونظر اعرابي في سفره الى
شيخ قد صحبه وراء يظله فسكن اليه فلما قال انا صائم اوثاب به فانشا يقول

صلّى فاعجبني وصام فرابني ... عُدّ القلوص عن المصلي الصائم

وهو الذي يقول

لم يخلق الله مسجونا تسائله ... ما بال سجنك الا قال مظلوم

الثوري عن حبيب
بن ابي ثابت عن يحيى بن جعدة قال كان يقال اعمل وانت مشفق ودع العمل وانت تحبه
قال وقيل لرابعة القيسية هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شيء فخوفي
من ان يرد علي . وقال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين لا تنظرن
الى سلعة قد بارت على من كان قبلك تريد ان تجوز عنك . الحسن قال كان من قبلكم ارق
قلوبا واصفق ثيابا وانتم ارق منهم ثيابا واصفق قلوبا . عبد الله بن المبارك قال كتب
ارق منهم

عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله الحكمي ان استطعت ان تدع مما احل الله لك ما يكون
حاجزا بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل فانه من استوعب الحلال كله تاقت نفسه الى الحرام
وقال ابو بكر رحمه الله لخالد بن الوليد حين وجهه احرص على الموت توهب لك الحياة . وقال رجل
انا احب الشهادة فقال رجل من النساك احببتها ان وقعت عليك ولا تحبها حب من يريد ان تقع
عليها . وقال رجل لداود بن نصير الطائي العابد اوصني فقال اجعل الدنيا كيوم صمته واجعل
فطره الموت فكان قد والسلام . قال زدني قال لا يراك الله عند ما نهاك عنه ولا يفقدك عند
ما امرك به . قال زدني قال ارض باليسير مع سلامة دينك كما رضي قوم بالكثير مع هلاك دينهم
قال رجل ليونس بن عبيد تعلم احدا يعمل بعمل الحسن قال والله ما اعرف احدا يقول بقوله
فكيف يعمل بمثل عمله قال فصفه لنا قال كان اذا اقبل فكانما اقبل من دفن حميمه واذا جلس
فكانه اسير قد امر بضرب عنقه وكان اذا ذكرت النار عنده فكانها لم تخلق الا له
وهيب بن الورد قال بينا انا ذات يوم في السوق اذ اخذ آخذ بقفاي فقال لي يا وهيب اتق الله
في قدرته عليك واستحي الله في قربه منك . وقال عبد الواحد بن زيد الا تستحيون من طول
ما لا تستحيون . الهيثم قال كان شيخ من اعراب طيئ كثير الدعاء بالمغفرة له فقيل له في ذلك
فقال والله ان دعائي بالمغفرة مع قبح اصراري للؤم وان تركي الدعاء مع قوة كرمه
لعجز . قال ابو بشر صالح المري ان تكن مصيبتك في اخيك احدثت لك خشية فنعم المصيبة
مصيبتك وان تكن مصيبتك باخيك احدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك . وقال عمرو
بن عبيد لرجل يعزيه كان ابوك اصلك وابنك فرعك فما بقاء شيء ذهب اصله ولم يبق فرعه
وقال الحسن ان امرأ ليس بينه وبين آدم الا اب قد مات لمعرق في الموت . وقالوا اعظم
من الذنب الياس من الرحمة واشد من الذنب المماطلة بالتوبة . ابن لهيعة عن سيار
بن عبد الرحمن قال قال لي بكير بن الاشج ما فعل خالك قلت لزم بيته قال اما لئن فعل لقد
لزم قوم من اهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمن فما خرجوا منها الا الى قبورهم . وقال الحسن
ان لله ترايك في خلقه لولا ذلك لم ينتفع النبيون واهل الانقطاع الى الله بشيء من امر
الدنيا وهي الامل والاجل والنسيان . وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا بني لا يلهينك
الناس عن نفسك فان الامر خالص اليك دونهم اولئك لم تر شيئا هو اشد طلبا ولا اسرع
دركا من توبة حديثة لذنب قديم . وفي الحديث ان ابا ميسرة مر بمروان وهو يبني دارا
فقال يا ابا عبد الغزة ابن شديدا واملّ بعيدا وعش قليلا وكل خضما والموعد الله
قال كان عمرو بن خولة ابو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وامه خولة من المسامعة
وكان ناسكا يجتمع اليه القراء والعلماء يوم الخميس فقال الشاعر

واضحى تزورك زوار الخميس اليك كمن عشية وليلة ... وقال الآخر في ابن سيرين

فما أنت بالليل ضيف لا حريم له ولا بالنهار على سمت ابن سيرين . قال ابن الأعرابي
قال بعض الحكماء لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . قال وصلى محمد بن المنكدر على
عمران بن بقرة فقيل له في ذلك فقال إني لأستحيي من الله أن أرى أن رحمته تعجز
عن عمران بن بقرة . باب ______ وقال محمد بن يسير
كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتيه وأغشاه . محمد صار إلى ربه يرحمنا الله وإياه .
وقال الآخر . لعل حادثا أو أمر اصنع تصيبني ما كان عندي إذ أعطيت مجهودي .
فضل المقل إذا أعطاه مصطبرا ومكثر في الغنا سيان في الجود .
لا يعدم السائلون الخير أفعله إما نوالي وإما حسن مردود .
وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا
وننتظر آجالنا . وقال ابن المقفع الجود بالمجهود منتهى الجود . قال مطرف بن عبد الله
كان يقال لم يلتق مؤمنان إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه وكنت أرى أني أشد حبا
لمذعور بن طفيل منه لي فلما سير لغيبتي نبلا فحدثني فقلت كم مضى من الليل قال ساعة ثم قلت
كم مضى من الليل قال ساعة فعلمت أنه كان أشد حبا لي مني له فلما أصبح سيره ابن عامر مع عامر
قال وقالوا لعيسى بن مريم من نجالس قال من تذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه
ويرغبكم في الآخرة عمله . إسحق بن إبراهيم قال دخلنا على كهمس العابد فجاءنا
بإحدى عشرة بسرة حمراء فقال هذا الجهد من أخيكم والله المستعان . الأصمعي عن
الشكر الحرشي قال اشتريت من أبي المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهما فقلت تكون
عندك حتى أبعث بالثمن فقال ألست مسلما قلت بلى قال فخذها فأخذتها ثم انطلقت بها فأتيته
بالستين فأخرج منها خمسة دراهم وقال اعلفها بهذه . وقال مساور الوراق لابنه
شمر قميصك واستعد لقائل واحكك جبينك للقضاء بثوم
واجعل صحابك كل حبر ناسك حسن التعهد للصلاة صؤوم
من ضرب حماد هناك ومسعر وسماك العبسي وابن حكيم
وعليك بالغنوي فاجلس عنده حتى تنال وديعة ليتيم
قال بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خالد والغلام يصب عليه إذ خر
الغلام ميتا فقال سليمان . قرب وضوءك يا حصين فإنما هذي الحياة تعلة ومتاع .
ونظر سليمان في مرآة فقال أنا الملك الشاب فقالت جارية له .
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان . قيل لسعيد
بن المسيب إن محمد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة سقط عليه حائط فقتله فقال إن كان لوصوله
لرحمه فكيف يموت ميتة سوء وقال الأصمعي .

عيرتني خلقا أبليت جدته وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا . وتمثل عبد الملك
بن مروان فقال . وكل جديد يا أميم إلى بلى وكل امرئ يوما يصير إلى كان .
وقال آخر . فلا تحمل على مهل فإنك ميت واكدح لنفسك أيها الإنسان .
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكأن ما هو كائن قد كانا .
قال وكان عثمن بن عفان رحمه الله يقول إني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر فيه إلى عهد
الله يعني المصحف قال وكان عثمن رضي الله عنه حافظا وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف
فقيل له في ذلك فقال إنه مبارك جاء به مبارك . ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره
وهي تقول . اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا .
حدثني بكر بن المعتمر عن بعض أصحابه قال قال أبو عثمن النهدي أتت علي ثلاثون ومائة
سنة ما مني شيء إلا وقد أنكرته إلا أملي فإنه يزيد . وقال مسور بن مخرمة لجلسائه
لقد وارت الأرض أقواما لو رأوني معكم لاستحييت منهم وأنشد في أعرابي .
ما متع الناس شيئا جئت أطلبه إلا أرى الله يكفي فقد ما منعوا . وجزع بكر
بن عبد الله على امرأته فوعظه الحسن فجعل يصف فضلها فقال الحسن عند الله خير منها
فتزوج أختها فلقيه بعد ذلك فقال يا أبا سعيد هي خير منها وأنشد .
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يطرق كل ليله . عوف عن الحسن
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلم على أخيه ست خصال يسلم عليه إذا لقيه وينصح
له إذا غاب ويعوده إذا مرض ويشيع جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعا ويشمته إذا عطس
وقال أعرابي . تبجح في بالعيش عرسي كأنما تبجح في الأمر الذي أنا جاعله .
يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى وكلا كأن لم يلق حين يزايله .
أنشد أبو طلح . ومشيد دارا ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن
وكان طلح المريد أبو بشر ينشد في قصصه . وأنشد غيره
فبات يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل . وقال الآخر
إذا أقبلت الدنيا على المرء رغبة فما فاته منها فليس بضائر
فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن زف من جناح لطائر
فما رضي الدنيا ثوابا لمؤمن وما رضي الدنيا عقابا لكافر . وقال الآخر
أبعد بشر أسيرا في بيوتهم يرجو الخفارة في آل لهلام
فلن أصالحكم ما دمت ذا فرس واشتد قبضا على السيلان إبهامي
فإنما الناس بالله أمنهم أكايل الشر أو جار بلا ذام
منهم يهلكون ويبقى بعد ما صنعوا كأن آثارهم خطت بأقلام

وأنشد لمحمد بن يسير ⁂ عجباً لي ومن تصابي بحالي أنا منها على شفا تغرير ⁂
عالماً لا أشك أني إذا مت إلى حفرة وعذاب السعير ⁂
كلما مر بي على أهل ناد كنت حيناً بهم كثير المرور ⁂
قيل من ذا على سرير المنايا قيل هذا محمد بن يسير ⁂
وأنشد ⁂ لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد ⁂
فهم جيرة الأحياء أما محلهم فدان ولكن اللقاء بعيد ⁂
وقال أبو العتاهية ⁂ ستعرض في الملكوت آية ليلة مخضت بوجه صباح يوم الموقف ⁂
لو أن عيناً وهمتها نفسها ما في القيامة مصوراً لم تطرف ⁂
وقال أبو العتاهية ⁂ يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ⁂
إن التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم ⁂
وقال الآخر ⁂ تلادا أمما بفراق بينهما الزمان فأسرعا ⁂
لم يزل الزمان
وكذاك كان الزمان مفرقاً ما جمعا ⁂
وقال الآخر ⁂ يا ويح هذي الأرض ما تصنع أكل حي فوقها تصرع ⁂
إذا أينعوا
تزرعهم حتى إذا ما أتوا عادت لهم تحصد ما تزرع ⁂
وقال الآخر ⁂ ذكرت أبا أروى فبت كأنني برد الأمور الماضيات وكيل ⁂
لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل ⁂
وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل ⁂
وقال محمد بن المنتشر إذا أيس الرجل ابتلي بأربعة موت الحميم يشتفي منه وامرأته تستوي عليها وداره يهدمها ويبني غيرها ودابته يستبدل بها وقال الآخر ⁂
يجري الأخوان لنا كل هالك ونسرع نسياناً ولم يأتنا أمن ⁂
وإنا ولا كفران لله ربنا لكالبدن لا تدري متى يومها البدن ⁂
الأوزاعي عن مكحول قال إن كان في الجماعة فضل فإن في العزلة سلامة. أبو جناب الكلبي عن أبي المحجل عن ابن مسعود قال ثلاث من كن فيه لم يدخل الجنة من إذا عرف حق الله عليه لم يؤده وكان عمله الصالح في العلانية على قوام من السريرة وكان قد جمع مع ما قد عمل صلاح ما يؤمله. وقال كعب موعظة إنك لا تحيا إلا بموت ولا تموت إلا بحياة. وقال أبو نواس ⁂
دب في الفناء علواً وسفلاً وأراني أموت عضواً فعضوا ⁂
ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله نضوا ⁂
وقال الآخر ⁂ وكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكلات دهر ⁂

وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري ⁂ وقال الآخر
كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله ⁂ وقال آخر
واستيقني بظلم البيوت انظر إن لم تقتلي تموتي ⁂ وقال عنترة
بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل ⁂
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل ⁂
إن المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل ⁂
وقال أبو العتاهية ⁂ أذن حي تسمعي اسمعي ثم عي وعي ⁂
عشت تسعين حجة ثم وافيت مضجعي ⁂ أنا رهن لمصرعي فاحذري مثل مصرعي ⁂
ليس زاد سوى التقى فخذي منه أو دعي ⁂ وقال الخليل بن أحمد ⁂
عش ما بدا لك قصرك الموت لا مهرب منه ولا فوت ⁂
بينا غنى بيت وبهجته زال الغنى وتقوض البيت ⁂
وقال أبو العتاهية ⁂ اسمع فقد أسمعك الصوت إن لم تبادر فهو الفوت ⁂
نل كل ما شئت وعش سالماً آخر هذا كله الموت ⁂
وقال النوبيري ⁂ وأعلم أني سأصير ميتاً إذا سار النواجع لا أسير ⁂
وقال السائلون من المسجى فقال المخبرون لهم وزير ⁂
وقال أبو العتاهية ⁂ الخوف أوسع من معالجة الهوى ومضيقه ⁂
لا تعرضن لكل أمر أنت غير مطيقه ⁂ والعيش يصلح إن مزجت غليظه برقيقه ⁂
لا يغررنك زخرف الدنيا بحسن بريقه ⁂ وإذا رأيت الرأي مضطرباً فخذ بوثيقه ⁂
ولربما غص البخيل إذا استقل بريقه ⁂ وقال أيضاً ⁂
من أجاب الهوى إلى كل ما يدعوه مما يضل ضل وتاها ⁂
من رأى عبرة ففكر فيها آذنته بالبين حين يراها ⁂
ربما استغلقت أمور على من كان يأتي الأمور من مأتاها ⁂
وتسليني إلى يد كل ما أتاني وتأتي إلى يد حسامها ⁂
قد تكون النجاة تكرهها النفس وتأتي ما كان فيه رداها ⁂ وقال أيضاً
لو أن عبد الدهر أمن ما في الأرض ما عاش خوف إملاق ⁂ يا عجباً كلنا يحيد عن الحين وكل لحينه لاق
كأن حياً قد قام نادبه والتفت الساق منه بالساق ⁂ واستل منه حياته ملك الموت خفياً وقيل من راق
وقال السموأل بن عاديا ⁂
تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل ⁂
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهول ⁂

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
فنحن كماء المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل
وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قبيل
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم وليس سواء عالم وجهول

وقال الربيع بن أبي الحقيق:

ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى تثلمه كما ثلم الإناء
وكل شديدة نزلت بحي سيأتي بعد شدتها رخاء
وبعض خلائق الأقوام داء كداء الشيخ ليس له شفاء (البطن)

وأنشد: قد حال من دون ليلى معشر قزم وهم على ذاك من دوني مواليها
والله يعلم أني إن نأت حججا وحيل من دونها أن لست ناسيها

وأنشد: وليل يقول القوم من ظلماته سواء بصيرات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة مسوحا أعاليها وساجا كسورها

وقالوا أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو عامل سليمان بن عبد الملك فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له فوعده أن يقضيها فلم يفعل وأتى عمر بن عبد العزيز فكلمه فقضى حاجته فقال سعيد:

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي تولى سواكم شكرها واصطناعها
أبى لك فعل الخير رأي مقصر ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حثته على الخير مرة عصاها وإن همت بشر أطاعها
سيكفيك ما ضيعت منها وإنما يضيع الأمور سادرا من أضاعها
ولاية من ولاك سوء بلائها وولي سواك أجرها واصطناعها

وأنشد: إذا ما أطعت النفس قال بك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال

وأنشد: حسب الفتى من عيشه زاد يبلغه المحلا
خبز وماء بارد والظل حين يريد ظلا

وأنشد:
وما العيش إلا شبعة وتشرق وتمر كأخفاف الربائع وماء

قالوا استبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة في مسيره إلى الروم فكتب إليه:

لمن الظعائن سيرهن تزحف مثل السفين إذا تقاعس يجدف

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب إليه:

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

أبو عبيدة في المصنف: لم يترمرم إذا سكت، وقال المبرد في الكامل: لم يترمرم أي لم يتحرك.

ومسلمة هو القائل عند ما دلي بعضهم في قبره، فتمثل بعض من حضر فقال:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان هلا قلت:

إذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

وكان مسلمة شجاعا خطيبا وبارع اللسان جوادا ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده. وقال بعض الأعراب يهجو قوما:

تصبر للبلاء الجم صبرا إذا جاوزت حتى في أبان
أقاموا الديذبان على يفاع وقالوا لي أخرس للديذبان
فإن أبصرت شخصا من بعيد فصفق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خرسا يقيمون الصلاة بلا أذان

وفي غيره: أخرس من الديذبان، والديذبان ربيئة القوم وعينهم وهو الناطور.

وقال بعض الأعراب يمدح قوما:

وسار تعناه المبيت فلم يدع له طارق الظلماء والليل مذهبا
رأى نار زند من بعيد فخالها وقد كربته النفس والظن كوكبا
رفعت له بالكف نارا تشبها شآمية نكباء أو عارض صبا
وقلت ارفعوها بالصعيد كفى بها منير لساري ليلة أن تأوبا
فلما أتانا والسماء تبله نقول له أهلا وسهلا ومرحبا
وقمت إلى البرك الهواجد فاتقت بكوماء لم يذهب لها الني مذهبا
فرحبت أعلى الجنب منها بطعنة دعت مستكن الجوف حتى تصببا

وقال الآخر: واستيقني في ظلم البيوت أنك إن لم تقتلي تموتي

وقال أبو سعيد الزاهد من عمل للعافية فيمن دونه أعطي العافية ممن فوقه. وقال عيسى بن مريم عليه السلام في المال ثلاث خصال قالوا وما هي يا روح الله قال يكسبه من غير حله قالوا فإن كسبه من حله قال يمنعه من حقه قالوا فإن وضعه في حقه قال يشغله إصلاحه عن عبادة ربه. قال قيل لرجل مريض كيف تجدك قال أجدني لم أرض حياتي لموتي. سعيد بن بشير عن أبيه أن عبد الملك حين ثقل ورأى غسالا يلوي ثوبا بيده وددت أني كنت غسالا لا أعيش إلا بما أكتسب يوما فيوما فذكر ذلك لأبي حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه. الهيثم قال أخبرنا موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن خراش الغفاري قال قال أبو ذر فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومضى من الجمعة إلى الجمعة مرة ولا والله لا أزداد عليه حتى ألقاه . قال وكان يقول إنما مالك لك أو للجائحة أو للوارث فلا تغش ولا تكن أعجز الثلاثة . فضيل بن عياض عن المطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم مولى يزيد بن معوية عن أبي أمامة الباهلي قال قال عمر أدبوا الخيل وتسوكوا واقعدوا في الشمس ولا تجاوروا الخنازير ولا يرفعن فيكم صليب ولا تأكلوا على مائدة تشرب عليها الخمر وإياكم وأخلاق العجم ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام إلا بمئزر ولا امرأة إلا من سقم فإن عائشة حدثتني قالت حدثني خليلي على مفرشي هذا قال إذا وضعت المرأة خمارها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله فلم تناه دون العرش .

نساك البصريين وزهادهم

عامر بن عبد قيس . وبجالة بن عبدة العنبري . وعثمن بن أدهم . والأسود بن كلثوم وصلة بن أشيم . ومذعور بن الطفيل . **ومن بني منقر** . جعفر وحرب ابنا جرو قاس . وكان الحسن يقول إني لا أدري كالجعفرين جعفرا يعني جعفر بن جرو قاس وجعفر بن زيد العبدي . **ومن النساء** . معاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم . ورابعة القيسية . **زهاد الكوفة** . عمرو بن عتبة . وهمام بن الحارث . الربيع بن خثيم أويس القرني . وقال الراجز

من عاش دهرا فسيأتيه الأجل . والمرء تواق إلى ما لم ينل
الموت يتلوه ويلهيه الأمل .

وقال آخر . لا يغرنك عشاء ساكن . قد يوافي بالمنيات السحر .

وقال الآخر . كلنا يأمل مدا في الأجل . والمنايا هي آفات الأمل .

وقال الآخر . أنت وبيت العتيقة السلامه . والمحجة يعار فيها الغالب .
وعما مثل الجراد السارب . متاع أيام وكل ذاهب .

وقال المسعودي . إن الكرام مناهبوك المجد كلهم فتناهب .
أخلف وأتلف كل شيء زعزعته الريح ذاهب . وقال التيمي

إذا كانت السبعون سنك لم يكن . لدائك إلا أن تموت طبيب .
وإن امرأ قد سار سبعين حجة . إلى منهل من ورده لقريب .
إذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم . وخلفت في قرن فأنت غريب . وقال حسان

حل العذار . ابيض مني الرأس بعد سواده . ودعا المشيب حليلتي بعلام .
واستحضر القرن الذي أنا منهم . وكفى بذلك علامة لحصاد .

قال كان علي بن موسى بن ماهان كثيرا ما يقول ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكان كثيرا ما يقول ويل للظالمين من الله . وقال محمد بن واسع الإبقاء على العمل أشد من العمل . وكان أبو وائل الخشني يقول في أول كلامه إن الدهر لا يدوم وفي طعم الفراق

ولا يزيد عمله وإنما تتعسون في ليل وتظعنون في نهار فيوشك شاهد الدنيا أن يغيب وغائب الآخرة أن يشهد . وقال سأل رجل رجلا حاجة فقال له المسؤول اذهب بسلام فقال له السائل قد أنصفنا من ردنا إلى الله . الخزامي عن سفين بن حمزة عن كثير بن الصلت أن حكيم بن حزام باع داره من معوية بستين ألف درهم فقيل له غبنك والله معوية فقال والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمر أشهدكم أنها في سبيل الله فانظروا أينا المغبون . قال سفين الثوري ليس من ملالة إلا عليها زينة فلا تعرضن بشيء لمن يبغضه البله . وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل . وأتاه مسلمة نظرا إليه يعوده فقال له مثلي لا يعزى مثلك ولكن انظر إلى ما زهدنيه الخامل فارغب فيه . وكان الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي يلقب ذا الدمعة فإذا عوتب في كثرة البكاء قال وهل تركت النار والسهمان لي مضحكا يريد زيد بن علي أباه ويحيى بن زيد أخاه . وقيل لشيخ من الأعراب قمت مقاما أخفنا عليك منه قال أالموت أخاف شيخ كبير ورب غفور لا دين ولا بنات

قال أبو العتاهية . وكما تبلى وجوه في الثرى . فكذا يبلى عليهن الحزن .

وقال بشار . كيف يبكي لمحبس في طلول . من سيقضي لمحبس يوم طويل .
إن في البعث والحساب لشغلا . عن وقوف بكل رسم محيل .

وقال محمود الوراق . أليس عجيبا بأن الفتى . يصاب ببعض الذي في يديه .
فمن بين باك له موجع . وبين معز مغذ إليه .
ويسلبه الشيب شرخ الشباب . فليس يعزيه خلق عليه .

وقال أيضا . بكيت لقرب الأجل . وبعد فوات الأمل . ووافد شيب طرا . بعقب شباب رحل .
شباب كأن لم يكن . وشيب كأن لم يزل . طواه بشير البقاء . وحل بشير الأجل .

وقال محمود أيضا . رأيت صلاح المرء يصلح أهله . ويعديهم داء الفساد إذا فسد .
يعظم في الدنيا بفضل صلاحه . ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد .

وقال الحسن بن هانئ .
أية نار قدح القادح . وأي جد بلغ المازح .
لله در الشيب من واعظ . وناصح لو حظي الناصح .
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى . ومنهج الحق له واضح .
فاسم بعينيك إلى نسوة . مهورهن العمل الصالح .
لا يجتلي الحوراء من خدرها . إلا امرؤ ميزانه راجح .
من اتقى الله فذاك الذي . سيق إليه المتجر الرابح .

وقال أيضا .
خل جنبيك لرام . وامض عنه بسلام .
مت بداء الصمت خير . لك من داء الكلام .
إنما السالم من ألجم . فاه بلجام .
ربما استفتحت بالمزح . مغاليق الحمام .
رب لفظ ساق آجال . نيام وقيام .
فالزم الصمت فإن الصمت . أنقى للحمام .
والمنايا آكلات . شاربات للأنام .
شبت يا هذا وما تترك . أخلاق الغلام .

وقال أيضًا ∴ كن من الله يكن لك واتق الله لعلك ∴ لا تكن إلا معدًّا للمنايا فكأنك
إن للموت لسهمًا واقعًا ونك أو بك ∴ نحن نجري في الغاية سكون وتحرك
فعلى الله توكل وبتقواه تمسك ∴ وقال ∴ يا ثوابي تفكر وتعز وتصبر
ساعة الأمر يشي ولما ستراه أكبر ∴ يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر ∴ وقال سعد بن ربيعة
بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ∴
ألا إنما هذا الملال الذي ترى وإدبار جسمي من ردى العثرات ∴
وكم من خليل قد تجلدت بعده تقطع نفسي بعده حسرات ∴
وهذا من قديم الشعر ∴ وقال الطرماح في هذا المعنى ∴
وشيبني ألا أزال مناهضًا بغير قوى أنزو بها وأبوع ∴
أمخترمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصي به وأطيع ∴
ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد ومنحوجة الأخيم اللص السعدي ∴
لا ما أعق ولا أجوب ولا أغير على مضر ∴ لكنما أغزو إذا ضج المطي من الدبر
وقال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ∴
وإن قلت رجال قد تولى زمانكم وذا زمن جديد ∴
فما ذهب الزمان لنا بمجد ولا حسب إذا ذكر الجدود ∴
وما كنا لنخلد إذ ملكنا وأي الناس دام له الخلود ∴
وقيل لأعرابي بعد أن رأوه خماة لقد خطك الزمان وعضك الحدثان فقال ما بعد ناس عيشنا إلا الفضول ∴ وقال عروة بن أذينة الكناني ∴
تراع إذا الجنائز قابلتنا ويحزننا بكاء الباكيات ∴
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات ∴ وقالت خنساء بنت
عمرو ∴ ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار ∴ وقال أبو النجم
ألم تكن من قبل راتعات ∴ ما أقرب الموت من الحياة ∴ وقال سليمان
بن الوليد ∴ رب مغروس يعاش به عدمته كف مغترسه ∴
وكذاك الدهر مأتمه أقرب الأشياء من عرسه ∴ وقال آخر ∴
يا راقد الليل مسرورًا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا ∴
وقالت امرأة في بعض الملوك ∴
أبعد ملك النعيم والأنس بل المعالي والراح والفرس ∴
أبكي على فارس مجعبه أرملني قبل ليلة العرس ∴

أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر

قال مغيرة بن أبي ومنيب

إن مقال المرء في غير كنهه لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها ∴ وقال الأخر
والقول لا تملكه إذا نمى كالسهم لا يرجعه رام رمى ∴ وإني منذ لم أنه
عامر الشعبي حيث يقول وإنك على إيقاع ما لم توقع أقدر منك على رد ما أوقعت وأنشد
فداويته بالحلم والمرء قادر على سهمه ما دام في كفه السهم ∴
وقال الأنصاري ∴ وبعض القول ليس له عناء كمخض الماء ليس له إتاء
وبعض خلائق الأقوام داء كداء الشيخ ليس له دواء ∴
وقال الآخر ∴ ومولى كداء البطن أما لقاؤه فحلم وأما غيبه فظنون ∴
وقال الآخر ∴ تقسم أولاد الملمة مغنمي جهارًا ولم يغلبك مثل مغلب ∴
وقال البلب ∴ ومن شر غالب لمن غلب ∴ وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا
كتب أحدكم فليترب كتابه فإن التراب مبارك وقال هو أنجح للحاجة وذكر الله عز وجل
آدم الذي هو أصل البشر فقال إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ولذلك كنى
النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا أبا تراب قالوا وكانت أحب الكنى إليه ∴ وقال الآخر ∴
وإن جئت الأمير فقل سلام عليك ورحمة الله الرحيم ∴
وأما بعد ذاك على غريم من الأعراب قبح من غريم ∴
له ألف علي ونصف ألف ونصف النصف في صك قديم ∴
دراهم ما انتفعت بها ولكن وصلت بها شيوخ بني تميم ∴ وقال الكميت
حلفت برب الناس ما أم خالد بأمك إذ أصواتنا لعل وإنما ∴
ولا خالد يستطعم الماء فاتما يعذبك والداعي إلى الموت ينعب ∴ وقال ابن نوفل
تقول لما أصابك أطعموني شرابًا ثم بلت على السرير ∴
لأعلاج ثمانية وشيخ كبير السن ذي بصر ضرير ∴ وقال ابن هرمة
قراء إذا ما أبصر الضيف كلبه يكلمه من حبه وهو أعجم ∴
وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه ∴ وقال الشاعر
رزقت لبًّا ولم أرزق مروءته وما المروءة إلا كثرة المال ∴
إذا أردت مساماة تقاعد بي عن ما ينوه باسمي رقة الحال ∴ وقال الأحنف
فلو مد سروي بمال كثير لجدت وكنت له باذلا ∴
فإن المروءة لا تستطاع إذا لم يكن مالها فاضلا ∴ وقال جرير بن يزيد
خير من البخل للفتى عدمه ومن تميس أعقه عقمه ∴
قال ومشى رجال من بني تميم إلى عتاب بن ورقاء ومحمد بن عمير في عشر ديات فقال محمد
بن عمير علي دية فقال عتاب علي الباقية فقال محمد نعم العون على المروءة المال

وقال آخر ۔ ولا خير في وصل إذا لم يكن له ۔ على طول مر الحادثات بقاء

وقال الآخر ۔ شفاء الحب تقبيل وشم ۔ وضم بالبطون على البطون

وأنشد ۔ والله لا أرضى بطول ضم ۔ ولا بتقبيل ولا بشم

إلا بهز يسلي همي ۔ يسقط منه فتحي في كمي ۔ لمثل هذا ولدتني أمي

وقال آخر ۔ لا ينفع الجارية الخضاب ۔ ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تلتقي الأركاب ۔ وتلتقي الأشباب والأسباب ۔ ويخرج الزب له لعاب

وقال آخر ۔ ولقد بدا لي أن قلبك ذاهل ۔ عني وقلبي لو بدا لك أذهل

كل يجامل وهو يخفي بغضه ۔ إن الكريم على القلى يتجمل

وقال الآخر ۔ وتحفظ زورة في كل عام ۔ مواقفة على ظهر الطريق

سلاما خاليا من كل شيء ۔ يعود به الصديق على الصديق

وقال الآخر ۔ وزعمت أني قد كذبتك مرة ۔ بعض الحديث فما صدقتك أكثر

وقال الآخر ۔ أميتوا مطاياكم فإني وجدته ۔ يموت على البرذون موت الفتى الندب

وقال الآخر ۔ لا يجعل البرذون من بطء حواشيه ۔ ولا تبالي على من راحت الإبل

وقال الآخر ۔ ألا لا أبالي البرذون من جرة فضله ۔ كما لا تبالي مهرة من يقودها

وقال الآخر ۔ وإني لأرثي للكريم إذا غدا ۔ على حاجة عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من مجلس عند بابه ۔ كمرثيتي للطرف والعلج راكبه

وقال الفرزدق ۔ أترجو ربيع أن تجيء صغارها ۔ بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

وقال الشاعر ۔ ألم تر أن سنين الخير ريث ۔ وأن الشر راكبه يطير

وقال ابن يسير ۔ تأتي المكاره حين تأتي جملة ۔ وترى السرور يجيء في الفلتات

قيل لبلال بن أبي بردة لم لا تولي أبا العجوز بن أبي شيخ العراف وكان بلال منشئ صغارفينه وهو من المتحنيم قال لأني رأيت منه ثلاثا رأيته يتختم في بيوت إخوانه ورأيت عليه مظلة

وهو في الظل ورأيته يتأخر بنيض البقيلة ۔ كان عندي شيخ عظيم البدن جهير الصوت

يستفتي الأعراب وقد ولده رجل من أهل الشورى وكان يقرأ في عبد أسود دميم العظم

دميم الوجه ورآني كبيرا فقال لي حين نهض وقد رأى عظما يا أبا عثمن لا والله إن يساوي

ذلك العظم البالي بصرت عيني به في الحمام وتناول قطعة من بخار فأعطاها رجلا وقال

له حكه بها ظهري أفتظن هذا يا أبا عثمن يفلح أبدا ۔ قال أبو الحسن سأل الحجاج غلاما

فقال له غلام من أنت قال غلام سيد قيس قال ومن ذلك قال زرارة بن أوفى قال كيف

يكون سيد قيس وفي داره التي هو لها سكان ۔ قال وقال رجل لابنه إذا أردت أن تعرف

عيب مجاصم شيخا من قدماء جيرانك قال يا أبه لو كنت إذا خاصمت جاري لم يعرف عيبي

غيري فكان هو له زائدا ولكن جاري لا يعرف عيبي حتى يعرفه عدوي وقد أخطأ الذي وضع

هذا الحديث لأن آباه نهاه ولم يأمره ۔ وقال الآخر ۔

إصطنعني وأقلني عثرتي ۔ إنها قد وقعت مني بغز

واعلمن أن ليس كل الغادرين لمديحي وهجائي يختبر

يذهب المال ويبقى منطق ۔ شائع يأثره أهل الخبر

ثم إن ميكن بوجه بارز ۔ لست أمشي لعدوي بخمر

وقال الأشهب بن رميلة يوم صفين لابن يا بني تميم قالوا قد ذهب الناس فقال

تهربون وتعتذرون ۔ قال ونهض الحارث بن حوط الليثي إلى علي بن أبي طالب وهو

على المنبر فقال أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال قال يا حار إنه ملبوس

عليك إن الحق لا يعرف بالرجال فاعرف الحق تعرف أهله ۔ وقال عمر بن الخطاب لا أدركت

أنا وأنت زمانا يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الأزواج قال وبعث قسامة

بن زهير العنبري إلى أهله بثلاثين شاة ونحي صغير فيه سمن فسرق الرسول

شاة وأخذ من رأس النحي شيئا من السمن فقال لهم الرسول ألكم إليه حاجة أخبره بها

فقالت له امرأته أخبره أن الشهر محاق وأن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثوما

فاسترجع منه الشاة والسمن ۔ قال سليمن بن علي لروبة ما بقي من باهك يا أبا الجحاف

قال يمتد ولا يشتد وأستعين بيدي ثم لا أولجه وأطيل الفشي ثم أفتر قال ذلك

الكبر قال لا ولكنه طول الرعاث ۔ قيل لأعرابي أي الدواب آكل قال برذونة رغوث

وقيل لغيره لم صارت اللبوة أشرق وعلى الجم أحرص قال في الرغوث ۔ قال وقال

عبد الله بن عمر اتقوا من تبغضه قلوبكم ۔ وقال إسمعيل بن غزوان لا تنفق درهما

حتى تراه ولا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه فالصابر هو الذي يشكر والجازع هو

الذي يكفر ۔ عامر بن يحيى بن أبي كثير قال لا تشهد لمن لا تعرف ولا تشهد على من لا

تعرف ولا تشهد بما لا تعرف ۔ أبو عبد الرحمن الضرير عن علي بن زيد بن جدعان

عن سعيد بن المسيب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الإيمان بالله

التودد إلى الناس ۔ وقالت عايشة لا سمر إلا لثلثة ۔ مسافر ومصل وعروس

وقال معوية يوما من أفصح الناس فقال قايل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا

عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليست لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية

حمير ۔ قال من هم قال قريش قال ممن أنت قال من جرم ۔ وقال الراجز ۔

إن تميما أعطيت تماما ۔ وأعطيت مآثرا عظاما ۔ وعددا وحسبا قمقاما

وباذخا من عزها قداما ۔ في الدهر أعيى الناس أن يراما ۔ وإذا أتيت منهم الأجساما

والدلّ والشيمة والكلاما ۞ وأمّ رعلا وقصرا وهماما ۞ عرفت أن لم يخلفوا طعاما ۞
ولم يكن أبوكم مشقاما ۞ لم ترني من يأكل الطعاما ۞ أقلّ منهم سقطا وذاما ۞
تقول العرب لو لم يكن في الإبل إلا أنها رقوء الدم ۞ قال جندل بن صخر وكان عبدا مملوكا
وما فعدت في ذات دل خرنبج ۞ ولا شان مالي صدقة وعقول ۞
ولكن نماني كل أبيض خضرم ۞ فأصبحت أدري اليوم كيف أقول ۞
وقال الفقيمي وهو قاتل غالب أبي الفرزدق ۞
وما كنت نوّاما ولكن ثائرا ۞ أناخ قليلا فوق ظهر سبيل ۞
وقد كنت مجرور اللسان ومفحما ۞ فأصبحت أدري اليوم كيف أقول ۞
وقال المغيرة بن شعبة من دخل في حاجة رجل فقد ضمنها ۞ وقال عمر رحمه الله لكل
شيء شرف وشرف المعروف تعجيله ۞ وقال رجل لإبراهيم النخعي أعد الرجل الميعاد
قال متى قال إلى وقت الصلاة ۞ قال وقال لي بعض القرشيين من خاف الكذب أقلّ من المواعيد
وقالوا أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ۞ قال إبراهيم النظام
قلت لخبير كوز ممرور الزيادي بين اقعد ههنا حتى أرجع إليك فقال أما حتى ترجع فلا وفي
لا أضمن لك ولكني أقعد لك حتى إلى الليل ۞

هذه رسالة إبراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغني أن عامة أهل بغداد تحفظونها في تلك الأيام وهي كما ترى وأولها ۞
للأمير الجواد الواري الزناد الماجد الأجداد الوزير الفاضل الأشم الباذل اللباب
الحلاحل من المستكين المستخذي البائس الضرير فأبقى أخي الله نعم الغرة القدير المليك ولي
الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فاغنم واسلم واعلم أنه من يرحم
يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق إليّ تغضب عليّ
والواجد لي وعقلته عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أتنبه ولا أرقد فلست بحي صحيح
ولا بميت مستريح فرددت بعد الله منك إليك وتحملت بك عليك وإن له قلت ۞
أسرعت بي حتى إليك خطاي ۞ ما تأخرت بين خوف ورجاء ۞
راغب راهب إليك أرجي ۞ منك عفوا عنه وفضل عطاء ۞
ولعمري ما من أصر ومن تا ۞ ب مقرا من ذنبه بسواء ۞
فإن رأيت أراك الله ما تحب وأبقاك في خير أن لا تمر بما ترى من تضرعي وتخشعي وتذللي
وتضعضعي فإن ذلك ليس مني بخيرة ولا طبيعة ولا على وجه تصنع ولا تخرج ولكنه تذلل
وتخشع وتضرع من غير ضارع لا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له
عزة ورفعة وشرف ۞ محمد بن حرب الهلالي قال دخل زفر بن الحرث على عبد الملك

بعد الصلح فقال ما بقي من حبك للضحاك فقال ما لا ينفعني ولا يضرك قال شد ما أحببتموه
معاشر قيس قال أحببناه ولم نواسه ولو كنا آسيناه لقد كنا أدركنا ما فاتنا منه قال فما
منعك من مواساته يوم المرج قال الذي منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار وقال الشاعر
لكل كريم من الأيام قومه ۞ على كل حال خاسر ورابح ۞ قالوا وقال
سليمان بن سعد لو صحبني رجل فقال اشترط عليّ خصلة واحدة لا تزيد عليها لقلت
لا تكذبني ۞ قال كان يقال أربع خصال يسود بها المرء العلم والأدب والعفة والأمانة
وقال الشاعر ۞ لئن طبت نفسا عن ثنائي فإنني ۞ لأطيب نفسا عن نداك على عسري ۞
فلست إلى جدواك أعظم حاجة ۞ على شرة الإعسار منك إلى شكري ۞
وقال الآخر ۞ ألآن سميتني خلا بعقب جنايته ۞ سقطت ومن يأب المذلة يعذر ۞
فما أنا مستبق ضيفي لا من جناية جنيتها ولكن من تجنيك فاغفر ۞
وقال إياس بن قتادة ۞ وإن من السادات من لو أطعته ۞ دعاك إلى نار يفور سعيرها ۞
وقال الآخر ۞ عرمت على إقامة ذي صباح ۞ لأمر ما يسود من يسود ۞
وقال الهذلي ۞ وإن سيادة الأقوام فاعلم ۞ لها صعداء مطلبها طويل ۞
وقال حارثة بن بدر ۞ إذا الهم أمسى وهو داء فأمضه ۞ ولست بممضيه وأنت تعادله ۞
ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ ۞ إذا رام أمرا عوقته عواذله ۞
وقل للفؤاد إن نزا بك نزوة ۞ من الروع أفرخ أكثر الروع باطله ۞
وقال الآخر ۞ وإني بقوم سودوك لفاقة ۞ إلى سيد لو يظفرون بسيد ۞
وقال آخر ۞ وما سودتك فيهم أن فضلك عمهم ۞ ولكن مر الجد في الناس يقسم ۞
وقال حارثة بن بدر ۞ خلت الديار فسدت غير مسود ۞ ومن الشقاء تفردي بالسودد ۞
العقل بن تميم قال قال المغيرة من لم يغضب لم يعرف حلمه ۞ وقال الشاعر ۞
ما بال ضبع ظل يطلب ما ابن إبراهيم بينه بين الأسود الضراغم ۞
وقال الآخر ۞ ذكرت بها عهدا على الهجر والقلى ۞ ولا بد للمشتاق أن يتذكرا ۞
وقال الآخر ۞ إذا ما شفيت النفس أبلغت عذرها ۞ ولا لوم في أمر إذا أبلغ العذر ۞
وقال الآخر ۞ لعمرك ما الشكوى بأمر حزامة ۞ ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر ۞
وقال الآخر ۞ لولا ثلاث هن عيش الدهر ۞ الماء والنوم وأم عمرو ۞
لما خشيت من مضيق القبر ۞ وقال لقيط بن زرارة ۞
شتان هذا والعناق والنوم ۞ والمشرب البارد في ظل الدوم ۞ وقال والبة
ما العيش إلا في المدام وفي الشام وفي القبل ۞ وإرادة الظبي الغرير تسومه ما لا يحل
وقال شيخ من أهل المسجد ما كنت أريد أن أجلس إليهم إلا وفيهم من يحدث عن الحسن

أجزرت الفصيل وجزرته إذا شققت لسانه لئلا يرضع والرواية الصحيحة وقد كنت مجرور اللسان

ويُبشر للفرزدق ∴ وقال أبو مُحيّب لا ترى امرأة مُصبّرة العيش ولا امرأة عليها طلاق يمينه
ولا شريفاً يمشي بعيراً ∴ وقال أبو سراج ثم سبّ الغيلان فما ترى فتى مُعرّق الشعر بالدهن
مُعلّقاً نعله ولا يكتني في خطار ولا صديقاً له صديق إن غمر معاداً وإن عوقب جزع وإن خلا
بصديق فتى خبثه وإن ضرب افترى وإن طال حبسه ضجر ولا ترى فتى يحسن أن يمشي في قيده
ولا يخاطب أميره ∴ قال أبو الحسن قال أبو عباية ترى زوائق براقش وبساتين هزاراً دمن
ما كان يبلغه غلام إلا بحقّه ومع اليوم يختبر فوته قلت هذا من صلاح العشاق قال لا ولكن
من فسادهم ∴ التفطر في قال قيل للطفيل العرائس كم اثنان في اثنين قال أربعة أرغفة
وقال رجل لرجل أنتظرتك على الباب بقدر ما يأكل الإنسان جرذم فتيش ∴ عبد الله بن مصعب
قال أرسل علي بن أبي طالب رحمه الله عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال إيت الزبير
ولا تأت طلحة فإن الزبير ألين وإنك تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعوبة ويقول
هي أسهل فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق
فما عدا مما بدا لك قال فأتيت الزبير فقال مرحباً يا ابن لبابة أزائراً جئت أم سفيراً قلت كل ذلك
وأبلغته ما قال علي فقال الزبير أبلغه السلام وقل له بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة
واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف فنحل ما أحلت
ونحرم ما حرمت فلما كان من الغد حرش بين الناس غوغاؤهم فقال الزبير ما كنت أرى أن
مثل ما جئتنا له يكون فيه قتال ∴ قال ومن جيد الشعر قول جرير

لئن عمّرت تيم زماناً بغرة ∴ لقد حُدِيَت تيم حداء عصبصبا ∴
فلا يضغمنّ الليث تيماً بغرة ∴ وتيم يشمّون الفريس المنيّبا ∴

وقال أعرابي كحلني بالميل الذي تكحل به العيون الدامية ∴ وقال ابن أحمر

بمُقلِ من فساد الفرا امي تمادى الجزيئية به الجنينا ∴
بها تيرخ الفلع السواري وجن الخاز يأزر به جنونا ∴
تكاد الشمس تخشع حين تبدو لهن وما يزلن وما عيينا ∴

وقال الحكم الخضري ∴ كوم تظاهر نيّها وتربعت بقلاً بعينهم والحمى محنونا ∴
والمجنون المصروع ومجنون بني عامر ومجنون بني جعدة وواد مجنون النبات قيل قد جن ∴ قال الشنفرى
وجلّت ودقّت واستكرت وأنضرت ∴ فلو جنّ إنسان من الحسن جنّت ∴
قال وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغي طفلاً فقال مجنونة أو أم صبي ∴ وقال أبو ثمامة
بن عازب ∴ وكلهم قد ذاقنا وكأنما يرون علينا جلد أجرب مارل ∴
وقال التغلبي ∴ يرى الناس منّا جلد أسود سالخ وفروة ضرغام من الأسد ضيغم ∴
وأنشد الأصمعي ∴ مُهرت الشيء من عود فزكمل ∴ كأنما قمص من ليط جعل ∴

وقال نصيب لعمر بن عبد العزيز إن لي بنية نفضت عليها من سوادي ∴ وقال عبد الملك للوليد
لا تغترن أخالك عبد الله عن مصر وانظر عمك محمد بن مروان فأقره على الجزيرة وأما الحجاج
فأنت أحوج إليه منه إليك وانظر علي بن عبد الله فاستوص به خيراً فضرب علياً بالسياط
وعزل أخاه وعمه ∴ وقال أبو نخيلة

أنا ابن سعد وتوسطت العجم ∴ فأنا فيما شئت من خال وعم ∴

وأنشد ∴ هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم ∴
يتعلون ذلك من قول الله تبارك وتعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيداً ∴ وأنشد

ولو لا خلة سبقت إليه ∴ وأخو كان من عرف المرام ∴
لعفت له بأنيض مشرفي ∴ كما يدنو المصافح للسلام ∴ وقال يزيد بن ضبة
لا تبذين مقالة مأثورة ∴ لا تستطيع إذا مضت إدراكها ∴

وقال ابن ميادة ∴ يا أيها الناس ردوا القول واستمعوا وكل قول إذا ما قيل يستمع ∴
وقال الآخر ∴ ما المدلج الغادي إليه بسخرة إذا ما كل آخر قاعد لم يبرح ∴
وقال العلاء بن المنهال الغنوي في شريك بن عبد الله حين قبض فيقصر عن مقالته شريك
فليت أبا شريك كان حياً ∴ فيقصر عن مقالته شريك ∴
ويترك من تدرّيه علينا ∴ إذا قلنا له هذا أبوكا ∴ وقال طارف
بن ثقال الكلابي ∴ ما إن يزال ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين ∴
أعطاهم الله أموالاً ومنزلة من الملوك بلا عقل ولا دين ∴
ما شئت من بغلة سفواء ناجية ومن أثاث وعقل غير موزون ∴

وقال منقذ بن مرار الملالي ∴
لا تشركن إن صنيعة سلفت منك وإن كنت لست تنكرها ∴
عندامرئ أن تقول إن ذكر يوماً من الدهر لست أذكرها ∴
فإن إحياءها إماتتها وإن من مثلها يكدرها ∴

وقال بعض الحكماء صاحب من ينسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه ∴ وقال منقذ
بن مرة المنقري ∴ وإن خفت من أمر فوائدك قوله سواك وعن ذا إن لا ذي فتحول ∴
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل ∴
ونظر أبو الحارث جمّين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
لو هملج هذا البرذون لم يجعل للراوية ∴ وأنشد
لا خير في كل فتى نؤوم ∴ لا يعتريه طارق الهموم ∴ وأنشد

اجعل أبا حسن كمن لم تغترب • وانجز معتشما وإن لم تجلب
آخ الكرام المنصفين وصلهم • واقطع مودة كل من لم ينصف

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

ما زال عصياننا لله يسلمنا • حتى دفعنا إلى يحيى ودينار
إلى عليجين لم تقطع ثمارهما • قد طال ما سجدا للشمس والنار

وشاتم أعرابي أعرابيا فقال أنكم لتغتصبون العقلاء وتعيرون النساء وتبيعون الماء. وقال أبو الأسود الدؤلي

لتاجرة شر والتجارة بيننا • قليل فخذ وسط الشر فالشر أكيس
ومن خير ما ألصقت بالدار حائط • تزل به صفع الخطاطيف أملس

وأنشد

إذا لم يكن للمرء بد من الردى • فأكرم أسباب الردى سبب الحب

وقال الآخر

وإذا شئت فتى شبيت حربه • وإذا سمعت غناء لم أطرب

وأنشد المسروحي لكامل بن عكرمة

لها كل عام موعد غير منجز • ووقت إذا ما أتى حول تجرما
فإن وعدت شرا أتى قبل وقته • وإن وعدت خيرا أراث وعتما

وقال الآخر

ألم تر أن سير الخير ريث • وأن الشر راكبه يطير

وقال ابن بسير

تأتي المكاره حين تأتي جملة • وترى السرور يجيء في الفلتات

وقال الآخر

إذا ما بريد الشام أقبل نحونا • ببعض الدواهي المفظعات فأسرعا
فإن كان شرا سار يوما وليلة • وإن كان خيرا قصد السير أربعا

وقال آخر

وإذا نهضت إلى النهوض برايم • وإذا انكببت تواثبت النكبات

وقال آخر

وتعجبنا الرؤيا فنجذل حديثنا • إذا الحق أضحى الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت • وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلا

قيل لأعرابي ما أعددت للشتاء قال خلة ترموضا وصيصية سلوكا وشملة مكودا وفر موصا دفيا وناقة مجالحة. وقيل لآخر ما أعددت للشتاء قال شدة الرعدة. وقيل لآخر كيف ليلكم قال سحر كله. وقيل لآخر كيف البرد عندكم قال ذلك إلى الريح

وقال معن بن أوس المزني

فلولا أبي حبيب ما نعاه من رضى • ربيعة من موالي
وكان هو الغني إلى غناء • وكان من العشيرة في مكان
تكنفه الوشاة فأزعجوه • ودس من قطاعة غير واني
فلولا أن أم أبيه أمي • وأن من قد هجاه فقد هجاني
إذا ما الأصابع جيء مجادا • يمر به الرويد على لساني
أعلمه الرماية كل يوم • فلما اشتد ساعده رماني

وقال بعض الهذليين

ولو كنت أرضى لا أبالك بالذي • به القاتل الختام في الخفض قانع
إذا ما قرت عندي الهموم وأصبحت • علي وعندي للرجال صنائع

ذكر ما قالوا في المهالبة

إن المهالبة الكرام تحملوا • دفع المكاره عن ذوي المكروه
زانوا قديمهم بحسن حديثهم • وكريم أخلاق بحسن وجوه

وقال أبو الجهم العدوي في معوية بن أبي سفين

نقلبه لنخبر حالتيه • فنخبر منهما كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنا • نميل إذا نميل على أبينا

وقال الآخر في هذا الشكل

إن أخي علقمة بن سيف سيفه • لا أجزه ببلاء يوم واحد
لأحبني حب الصبي ورمني • رم الهدي إلى الغني الواجد
ولقد شفيت غليلتي فنقعتها • من آل مسعود بماء بارد

وقال بكير بن الأخنس

نزلت على آل المهلب شاتيا • فقيرا بعيد الدار في سنة محل
فما زال بي إلطافهم وافتقادهم • وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال في كلمة له أخرى

وقد كنت شيخا ذا تجارب جمة • فأصبحت فيهم كالصبي المدلل

ورأى المهلب وهو غلام فقال

خذوني به إن لم يسد سرواتهم • ويبرع حتى لا يكون له مثل

وقال الحسن بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وأمه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله

فإن تك يا طلح أعطيتني • جمالية تستحق السفارا
فما كان نفعك لي مرة • ولا مرتين ولكن مرارا

وقال أبو الطمحان

سأمدح مالكا في كل ركب • لقيتهم وأترك كل رذل
فما أنا والبكارة من مخاض • عظام جلة سدس وبزل
وقد عرفت كلابكم ثيابي • كأني منكم ونسيت أهلي
نمتكم من بني شمخ زناد • لها ما شئت من فرع وأصل

وقال أبو الشغب

ألا إن خير الناس قد تعلمونه • أسير ثقيف موثقا في السلاسل
لعمري لئن أعمرتم السجن خالدا • وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهاضا بكل ملمة • ومعطي اللهى عمرا كثير النوافل
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه • ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ومن هذا الباب قول أعشى همدان في خالد بن عتاب بن ورقاء

رأيت ثناء الناس بالغيب طيبا • عليك وقالوا ماجد وابن ماجد
بني الحرث السامين للمجد إنكم • بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئا لما أعطاكم الله واعلموا • بأني سأطري خالدا في القصائد
فإن يك عتاب مضى لسبيله • فما مات من يبقى له مثل خالد

ومن شكل هذا الشعر قول الحسين بن مطير الأسدي

ألمّا على معنٍ وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معنٍ كنت أول حفرةٍ ... من الأرض خُطّت للسماحة موضعا
ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدّعا
فلما مضى معنٌ مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تعزّ أبا العباس عنه ولا يكن ... جزاؤك من معنٍ بأن تتضعضعا
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أسدى أبوك وما سعى
تمنّى أناسٌ شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظُلّعا

وهذا مثل قول مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد

قبر ببرذعة استسرّ ضريحه ... خطراً تقاصر دونه الأخطار
أبقى الزمان على معدٍّ بعده ... حزناً كعمر الدهر ليس يُعار
نفضت بك الأحلاس نفض إقامة ... واسترجعت نزّاعها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنةٍ ... أثنى عليها السهل والأوعار

نكت وحروف من الآداب من حديث بني مهزم وغيرهم

قيل إذا رسخ الرجل في العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة. مسلمة قال كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلا يلحنان فقال الحاجب قوما فقد أوذيتما أمير المؤمنين فقال عمر أنت أشد أذى لي منهما. المدائني قال قعد قدام زياد رجل طايعي من عربية باليمن يقال له ضياع وقد بنى زياد داره فقال له أيها الأمير لو كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها وباب مغربها من قبل مشرقها فقال أنّى لك هذه الفصاحة قال إنها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من كثرة العقل فقال ويلك الثاني شر. شعبة عن الحكم قال قال عبد الرحمن بن أبي ليلى لا أماري أخي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه. ابن أبي الزناد قال إذا اجتمعت حرمتان تركت الصغرى للكبرى. وعن أبي بكر الهذلي واسمه سلمى قال إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل إذا كان حلالاً وكثرت عليه الأيدي وسمّي الله على أوله وحمد على آخره. وقال ابن قتيبة
والمسوف كعب لا تقصير لا صغير ... بين أيدي أولئك طعام

وقال حماد عجرد

حبيش أبو الصلت ذو خبرة ... بما يصلح المعدة العاسرة
تخوّف تخمة أصحابه ... فعوّدهم أكلةً واحدة

وقال سويد المراثد

إذا ما الغلام ببيت شكه ... وبرت بطاير لمن بيتا قل
وبرا الأصغياء من إخوانهم ... وألح من حجر التهم الكلكل

أدع لتي هي أزين الخلات في ... عند الحفيظة للتي هي أجمل

ومما يكتب في باب العصا

قالت أمامة يوم برقة واسط ... يا ابن الغدير لقد جعلت تغيّر
أصبحت بعد زمانك الماضي الذي ... ذممت شبيبته وغضّ الأخضر
شيخاً دعامته العصا ومشيّعاً ... لا تبتغي خبراً ولا تستخبر

ويتم البيت الأخير إلى قوله

وملك الفتى ألّا يراح إلى الندى ... وألّا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا
ومن يتمتع في الليالي يلقني ... إذا ما أتى أضلع الرأس أشيبا

وقال بعض الحكماء أعجب من العجب ترك التعجب من العجب. وقيل لشيخ منهم أي شيء تشتهي قال أسمع بالأعاجيب. وأنشد

عريض البطان جديد الخوان ... قريب المراث من المرتع
فنصف النهار لكرياسه ... ونصف لمأكله أجمع

ومما يضم إلى العصا قوله

لعمري لئن جليت عن منهل الصبى ... لقد كنت ورّاد المشرب العذب
ليالي أغدو بين بردين لاهياً ... أميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلامٌ على سير القلاص مع الركب ... ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية ... سوى نظر العينين أو شهوة القلب

وقال حاجب بن ذبيان المازني بن زرارة

عجلت مجيء الموت حين عجزتني ... وفي القبر مجز نائل وارطويل

وقال الآخر

ألم تعلمي عمرك الله أنني ... كريم على حين الكرام قليل
وأني لا أخزى إذا قيل مملق ... جواد وأخزى أن يقال بخيل
وإلا يكن عظمي طويلاً فإنني ... له بالخصال الصالحات وصول
إذا كنت في القوم الطوال فضلتهم ... بعارفة حتى يقال طويل

ابن الأنباري في العارفة النفس الصابرة

وقال زياد بن زيد

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده ... أطال فأملى أم تناهى فأقصرا
ويخبرني عن غائب المرء فعله ... كفى الفعل عما غيّب المرء مخبرا

وقال آخر

أبت قمبان إلا حماقة ونوكاً ... وإن كانت كثير المخارجة

وقال ابن الرقاع

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها ... حتى أقوّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدها
وعلمت حتى لست أسأل عالماً ... عن حرف واحدة لكي أزدادها

ما الأسماء واحدها

تصعّد في شيء ... إن الله تعالى
سأرهقه صعودا وأصل الصعود
العقبة

وقال بعض الأعراب ۞ لولا مشقة أقوام تصعدني أو الشماتة من قوم ذوي إحن ۞
ما سرني أن إبلي في مباركها وأن أمرا قضاه الله لم يكن ۞

وقال الآخر ۞ وإني لأهوى ثم لا أتبع الهوى وأكرم خلاني وفي صدود ۞
وفي النفس عن بعض الأمور ضغاطة وفي العين عن بعض البكاء جمود ۞

وقال كثير ۞ ترى القوم يخفون التبسم عنده وينذرهم عور الكلام نذيرها ۞
فلا هاجرات القول يؤثرن عنده ولا كلمات النصح مقصى مشيرها ۞

وقال المقشعر ۞ بغير يعجبني أن أرى بصرا لقى وحضر عيي رجالي وغي أنا حاضره ۞

وقال الكميت ۞ أجشن منهم بلاد خامسة في الورد أو فيلق يجالد ما ۞

وقال طلح بن مخراق في كلام له لولا أن الله تبارك وتعالى قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم لأنبأتكم أني لا أكرهه ۞ وقال الآخر ۞ تركت الركاب لأربابها وأكرمت نفسي على ابن العق
جعلت يدي وشاحا له وبعض الفوارس لا يعتنق ۞ قال وقال عمر بن عبد العزيز يوما في مجلسه من أم النعمان بن المنذر فقال روح بن الوليد بن عبد الملك سلمى بنت عطاء فقال إنه ليقال ذلك يا حاجب أحسن إذنه ۞ وقالوا عشر خصال في عشرة أقبح من الناس منها في غيرهم الضيق في الملوك والغدر في الأشراف والكذب في القضاة والخديعة في العلماء والغضب في الأبرار والحرص في الأغنياء والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء والتهزؤ في الفقراء والفخر في القراء والنشر ۞

ولا تقبلوا عقلا وأموا بغارة في عبد شمس بين دومة والنقب ۞
ومروا وأصدور المشرفي كأنما يغض بهام القوم في حنظل رطب ۞

ويضم إلى بيت الكميت وبيت المقشعر قول الحكمي ۞
أحسن عندي من انكباب يد بالعبس ملحا به على وتر
وقوف ريحانة على أذن وسير كأس إلي من بيد ۞

وفي باب غير هذا يقول حسان بن ثابت ۞ ما أبالي أنب بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيب لئيم ۞
وأنشدوا ۞ حسبت أن طويلنا يعتادنا بعصبة تستحل الأقوالا ۞
ما ضر سادة تمثيل أمجادهم أم قام في عرض الحوض فبالا ۞

وقال الفرزدق في هذا المعنى ۞ ما ضر تغلب وائل أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران ۞
وقال الآخر في هذا المعنى ۞ ما يضير البحر أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر ۞

ومما يراد في باب ذكر العصا قول جرير بن الخطفى
ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم شهود ۞
وقد سلبت عصاك بنو تميم فما تدري بأي عصا تذود ۞
وقال الحسين بن عرفطة بن نضلة ۞

التشام من القول مقصور يكون للخير والشر ويكتب بالألف لأنه من الواو وتقول منه [illegible]

لتهنك بغضي في الصديق وبغضتي ۞ وتحريشك الشنآء الذي أنت كاذبه ۞
وأنك مهداء الخنا نطف الندا شديد السباب رافع الصوت غالبه ۞
وأنك مشنو إلى كل صاحب بلاه ومثل الشر يكره جانبه ۞
ولم أر مثل الجهل أدعى إلى الردى ولا مثل بعض الناس غمض حاجبه ۞

وقال قتادة بن خرجة الثعلبي ۞ من بني عجب
خليلي يوم السلسلين لو انني بهضب الهوى أنكرت ما قلتما ليا ۞
ولكنني لم أنس ما قال صاحبي نصيبك من ذل إذا كنت ثاويا ۞

وقال خلد بن نضلة ۞ إذا كنت في قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب ۞

وقال أحمد بن يوسف وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد ۞
إن يحيى بن سعيد يشتهي أن أشتهيه ۞ فهو ملقاني بتوريم وأحيانا بتيه ۞

وقال أبو سعيد مولى بني مخزوم في مهاجاة دعبل ۞
ولولا انتشار لطاق العطا ولم يبق حي ولا مغفل ۞
وأخرجت الأرض أثقالها وإذ دخل في استه دعبل ۞

وقال ۞ حرق الإحال آجال والهوى للمرء قتال ۞ والهوى صعب مراكبه وركوب الصعب أهوال ۞
ليس من شكلي فأشنه دعبل والناس أشكال ۞ همتي في التاج ألبسه وله في الشعر آمال ۞

وقال ۞ هذا الثباني يحوي جوائز الخلفاء ۞ فمع جرام مدحي وفي جرام هجائي ۞
وفي جرام وإن كنت سيد الشعراء ۞ وقال محمد بن يسير
في جرام الناس كلهم وأنا في معد من أد لهم ۞ لست تدري حين تخبرهم أين أدناهم من أفضلهم ۞

وقال ۞ إذا ما جاوز الجرمي خمسا يرب البيت والسلا في الأديب ۞
فلا يزني جرام فتى تماما وأيسر في جرام فتى مجيب ۞

وقال سلم الخاسر ۞
يهتزون قدر الملك في مستقره فأشرقت الدنيا وأينع نورها ۞
وليس بلا يلم المكارم غاية تتم بها إلا وأنت أميرها ۞

وقال بشار ۞ من فتاة صب الجمال عليها في حديث كلذة النشوان ۞
ثم فارقت ذاك غير ذميم كل عيش الدنيا وإن طال فان ۞

وقال مزاحم العقيلي ۞ تزين سنا الماوي كل عشية على غفلات الزين والمتجمل ۞
وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي ۞

وقال المسعودي ۞ إن الكرام مناسبوك المجد كلهم فتناسب ۞
أخلف وأتلف كل شيء زعزعته الريح ذاهب ۞

قال شيخ من الاطباء الحمد لله فلان يسر احمتنا في الطب ولم يختلف الى البيمارستان تمام خمسين
سنة ٭ وحدثني محمد بن عبد الملك صديق لي قال سمعت رجلا من فرسان طبرستان يقول
فلان يدعي الفروسية ولو كلف ان يخلي فروج فرسه متحدرا من جبل لما قدر عليه ٭ وقال
بعض العبيد ٭ أيبعثني في الشأو ابن مخيلد على مجمة قد لوحتها الطبايح ٭
متى كان حمران الشبابي راعيا وقد راعه بالدو اشوه سانح ٭
وقال كثير في عمر بن عبد العزيز رحمه الله ٭
تكلمت بالحق المبين وانما تبين آيات الهدى بالتكلم ٭
الا انما يكفي الفتى بعد زيغه من الأود البادي ثقاف المقوم ٭
الاصمعي قال قال يونس بن حبيب ما رأيت الناس بشيء ما هم اولادا اذا اختلج في صدر الرجل شيء
وجد من يفرج عنه ٭ قال البعيث في ابرهيم بن عربي ٭
ترى منبر العبد اللئيم كانما ثلاثة غربان عليه وقوع ٭ وقال الافشى
رب رفيعة فتة ذلك اليوم واسرى من معشر اقتال ٭ وقالوا لا وكس
ولا شطط ٭ وقال الشاعر ٭ لا متعنتا ولا مستسلم ٭ وقال زهير ٭
دون السماء وفوق الارض قدرهما عند الذنابى فلا فوت ولا درك ٭
وقالوا خير الامور اوساطها وشر السير الحقحقة ٭ قال والمثل السائر والصواب المستعمل
لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ ٭ وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ان هذا الامر
لا يصلحه الا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ٭ وكان الحجاج يجاوز العنف الى الخرق
وكان كما وصف نفسه فانه قال انا حديد حقود ودو قسوة حسود ٭ وقال آخر وقال كان
شرا من حبي ٭ وقال اكثم بن صيفي تباعدوا في الديار وتواصلوا في المزار ٭ وكان غابتهم الشهور
يقول اللهم باعد بين نسائنا وقارب بين رعاتنا واجعل الاموال في سمحائنا ٭ وقال آخر ٭
شتى مراجلهم فوضى نساؤهم وكلهم لابيه ضيزن سلف ٭ وقال الآخر ترك
الوطن احد السبائين ٭ وقالوا من اجدب انتجع ٭ وقال آخر من قل اكثر الملامة ومن قصر عن
شيء عابه ٭ وقال الآخر ٭ رجعنا سالمين كما بدأنا وما خابت غنيمة سالمينا ٭
وقال امرؤ القيس بن حجر ٭ لقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب ٭
وقيل لابن عباس ايما احب اليك رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات او يقل من الحسنات
والسيئات قال ما اعدل بالسلامة شيئا ٭ وقالت اعرابية ٭
ولا تجهدوا في الزيارة انني ازوركم الا اجد متعللا ٭
ذم رجل الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هزمت اهل الشام وموته هزم
اهل العراق ٭ ابو الحسن قال ارسلت الخيل ايام يعقوب بن داود قال
... بن مروان فسبق فرس عبد الملك بن بشر

فقال له اسمعيل بن الاشعث والله ما رأيت كاليوم قط مع فرسه فرسا لا يفرب ان ابا امير
العراق فجاء فرس اسمعيل سابقا فقال الم اعلمك ٭ وقال ابو العتاهية ٭
كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك عن يديا ٭
فهونك خطوب الدهر بعدك كنت خطوبه نشرا وطيا ٭
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيا ٭ وقال الآخر
ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس بين ترب وجندل ٭
اذكر بالبقيا على من اصابني وبقياي اني جاهد غير مؤتل ٭
يقول هذا البقيا ٭ قال قيل لشريك بن عبد الله كان معوية حليما قال لو كان حليما ما سفه
الحق ولا قاتل عليا ولو كان حليما ما حمل ابناء العبيد على حرمه ولما انكح الا الاكفاء ٭
واصوب من هذا قول الآخر كان معوية يتعرض ويحلم اذا اسمع ومن تعرض للسفيه فهو سفيه ٭
وقال آخر كان يحب ان يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك فكان يحب ان يزداد في ذلك ٭
وقال الفرزدق ٭ وكان يجير الناس من سيف مالك فاصبح يبغي نفسه من يجيرها ٭
وكان كعنز السوء قامت بظلفها الى مدية تحت التراب تثيرها ٭
وقال الثوب التمامي ٭ على اي باب اطلب الاذن بعد ما حجبت عن الباب الذي انا حاجبه ٭
ومن امثل قوله ٭ والشيب المانع حظ العاقل ٭ هو الذي سبب رزق الجاهل ٭
ومثله ٭ ورب حزم كان للسقم علة وعلة برء الداء حظ المعقل ٭
وقال آخر ٭ يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه ٭
وقال عثمن بن الحويرث لعمرو بن العاص ٭
له ابوان فهو يدعى اليهما وشر العباد من له ابوان ٭
وقد حكما فيه لتصدق امه وكان لما علم به بيان ٭
فقالت صراحا ومتى تعلم غيره ولكنما تهذي بغير لسان ٭ وقال الآخر
يطلبن بالقوم حاجات تضمنها بذر بكل لسان يلبس المرحا ٭
كان قبض يديه قبل مسألة باب السماء اذا ما بالحيا انفتحا ٭
وكنت بالدهر عينا غير غافلة من جود كفك تأسو كلما جرحا ٭
ومثله ٭ اذا افتقر المنهال لم ير فقره وان ايسر المنهال ايسر صاحبه ٭
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من افضل العبادة الصمت وانتظار الفرج ٭ وقال
يزيد بن المهلب وكان في سجن الحجاج لمنعى على طليته بمائة الف وفرج في جبهة اسد ٭ وانشد
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ٭ وانشد
قد ...نت وكان الخير بما كرهته واحببت امرا كان فيه شبا القتل ٭

مثل قول الله تبارك وتعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم • وكان يقال خذ مقتصر العراق ومختصر الحجاز • وقال الآخر •

لكل كريم من الائمة قومه ... على كل حال حاسدون وكاشح • وقال جرير

ابى لي ما مل ... خيراً عاجلاً ... والنفس مولعة بحب العاجل •

وقال الله تبارك وتعالى قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين • وقال ابن هرمة

أشم من الذين بهم قريش ... تراوح بينها عبق الفتيل •

كأن تلألؤ الغرو به ... شعاع الشمس في السيف الصقيل • وقال مزاحم العقيلي

ترى من سنا المكان في كل عشية ... على عقلات الزين والمتجمل

وجوهاً لو أن المدلجين اعتشوا بها ... صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي •

وقال امرؤ القيس • أجارتنا إن المزار قريب ... وإني مقيم ما أقام عسيب •

أجارتنا إنا غريبان ها هنا ... وكل غريب للغريب نسيب •

وقال بشار • وإذا اغتربت فلا تكن جشعاً ... تسمو لغث الكسب تكسبه • وقال حسان بن ثابت •

أمنذرى لنهم مرجى قلب يوازن ... فيما أحب لسان حائط صنع •

وقال الأصمعي أنشدنا أبو مهدية •

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا •

وقال الخزرجي يرد على أبي قيس بن الأسلت واسمه صيفي •

أتفخر صيفي فيما تقول ان لم ... غيلة أربعة •

مهلاً فخرت عراة البقيع ... لما استماتت أبو معقعة • عرانين كلهم ماجد ... كثير الدسايع والمنفعة

سراعاً الى القتل في جحفة ... بطاء عن القتل في المجمعة • ولكن كرهتم شهود الوغى ... وكنتم كذلك في المغمعة

والأنشد الاصمعي •

أبي الشر فلا يقرب مجلسي ... وأفود للشرف الربيع جمار بكا • وقال حبيب بن أوس

كالخوط في القد والغزالة في البهجة وابن الغزال في غيره • وما حكاه ولا نعم له في جيده بل حكاه في جيده

الى المقدى أيدى بدا الذي يصل عمر الملوط في تمره • ظل عفاه يحب زاره حب الكبير الصغير من ولده

أو ذا أناخوا بابه أخروا ... ختمهم من لسانه ويده • خلفهم وقال •

لعمرك ما كانوا ثلاثة اخوة ... ولكنهم كانوا ثلاث قبايل •

ومن خطباء الخوارج

قطري بن الفجاءة أحد بني كنانة بن خرقوص • وكنيته أبو نعامة في الحرب وفي السلم أبو محمد وهو أحد رؤساء الأزارقة وكان خطيباً فارساً خرج زمن مصعب بن الزبير وبقي عشرين سنة وكان يدين بلا استعراض والسباء وقتل الأطفال وكان آخر من بعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبي وقتله سورة بن الحر من بني أبان بن دارم

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم حبيب بن جدرة عداده في بني

شيبان وهو مولى لهلال بن عامر • ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس أحد بني عمرو بن محلم بن ذهل بن شيبان ويكنى أبا سعيد ملك العراق وصلى خلفه عبد الله بن عمر وعبد الواحد بن سليمان وقال شاعرهم •

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل •

ومن علمائهم وخطبائهم نصر بن ملحان وكان الضحاك ولاه الصلاة بالناس والقضاء بينهم • ومن علمائهم مليل والصعق بن عبد الرحمن وأبو عبيدة كودين واسمه مسلم وهو مولى لعروة بن أدية • ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وفقهائهم وأهل الفقه عمران بن حطان ويكنى أبا شهاب أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة • ومن الخوارج من بني ضبة ثم أحد بني صبيح القاسم بن عبد الرحمن بن صدقة وكان ناسباً عالماً راوية وكان يشوب ذلك بتعظم الطرف • ومن علمائهم ونسابيهم وأهل السن منهم الجون بن كلاب وهو من أصحاب الضحاك • ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم خراشة وكان رئيساً ولم يكن افتقد • أخبرني أبو عبيدة قال كان مسمار مستخفياً بالبصرة فتلطفت إليه فأخبرني أنه الذي طعن ملك بن علي في فيه وذلك أنه فتح فاه يقول أنا أبو علي فشحابها فاه فطعنه في جوف فيه • ومن شعرائهم عتبان بن وصيلة الشيباني وهو الذي يقول •

ولا صلح ما دامت منابر أرضنا ... يقوم عليها من ثقيف خطيب •

وعن عيسى بن طلحة قال قلت لابن عباس أخبرني عن أبي بكر قال كان خيراً كله على الحدة وشدة الغضب قال قلت أخبرني عن عمر قال كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نصب له في كل وجه حبالة وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق قال قلت أخبرني عن عثمن قال كان والله صواماً قواماً لم يخدعه نومه عن يقظته قال قلت فصاحبكم قال كان والله مملواً حلماً وعلماً غرته سابقته وقرابته وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه قلت أكنتم تروونه محدوداً قال أنتم تقولون ذلك •

كلام في الأدب

قال معوية ما رأيت سرفاً قط إلا وإلى جنبه حق مضيع • وقال عثمن بن العاص في الناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه • وقالت هند ابنة عتبة المرأة غل ولا بد للعنق منه فانظر من تضعه في عنقك • وقال ابن المقفع الدين رق فانظر عند من تضع نفسك • وقال عمرو بن مسعدة أو ثابت أبو عباد لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه • ومن كانت غايته الاحتيال على مالك والإطراء في وجهك فإن مداه لا يكون إلا ريح في العيب سريعاً إلى الذم •

بسم الله الرحمن الرحيم • قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكر العصا ووجوه تصرفها وذكرنا من مقطعات كلام النساك ومن قصار مواعظ الزهاد وغير ذلك

مما يجوز في نوادر العلل وقصار الخطب ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدرًا من دعاء
الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته
وبعض دعاء الملهوفين والسائلين المستبلين قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم وقال ادعوني أستجب لكم وقال يدعوننا رغبًا ورهبًا
وقال والمستغفرين بالأسحار . قالوا كان عمرو بن معاوية العقيلي يقول اللهم في عثرات
الكلام . وقال أعرابي لرجل سأله جعل الله الخير عليك دليلا ولا جعل حظ السائل
منك عذرة صادقة . وقال بعض كرام الأعراب ممن يقرض الشعر ويؤثر الشكر

لعل مغيرات الزمان يقرنني بجو صامت في عين شيء يضيرها

وقال شيخ أعرابي اللهم لا تنزلني ماء سوء فأكون امرأ سوء . قال وسمعت عمر بن مهية
يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من صديق مطر وجليس مغر وعدو منسر . قال
وكتب ابن سيابة إلى صديق له إما مستقرضًا وإما مستفرضًا فذكر ضيقة خلة شديدة
وكثرة عيال وتعذر الأمور فكتب إليه ابن سيابة إن كنت كاذبًا فجعلك الله صادقًا
وإن كنت ملومًا فجعلك الله معذورًا . قال الأصمعي سمعت أعرابيًا يقول أعوذ بك من
الفواقر والبواقر ومن جار السوء في دار المقامة والظعن ومما ينكس برؤوس الرجال ويغري به
لئام الناس . قال الأصمعي قيل لخالد بن نضلة قال عبد يغوث بن وقاص ما أدم فيهما إلا
عقيلنا ليس خالد بن نضلة يعني مضر قال خالد اللهم إن كان كاذبًا فاقتله على يد ألأم حي في مضر
فقتلته تيم الرباب . قالوا وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال رحم الله عبدًا أعطى
من سعة وواسى من كفاف وآثر من قلة . وقال في الأثر المعروف حصنوا أموالكم بالزكاة
وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء . ومن دعائهم أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر . قال
ومن دعاء السلف اللهم احملنا من الرجلة وأغننا من العيلة . وسأل أعرابي فقيل له بورك
فيك فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال وكلكم الله إلى دعوة لا تحضرها نية . وقال
أعرابي أعوذ بك من سقم وعدواء وذي رحم دغواء ومن فاجر وجزواء وعمل لا ترضاه
وسأل أعرابي فقال له صبي من جوف الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلم
الشر صغيرًا وهذا السائل هو الذي يقول

رب عجوز عرمس زبون . سريعة الرد على المسكين
تحسب أن بوركًا يكفيني . إذا غدوت باسطًا يميني

وقال آخر اللهم على الموت وكربته وعلى القبر وغمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط
وزلته وعلى يوم القيامة وروعته . وقالت عجوز وبلغها موت الحجاج اللهم أنت أمته
فأمت سنته . كان محمد بن علي بن الحسين يقول اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة
بالتقوى . وقال عمرو بن عبيد اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك

وقال عمرو اللهم أعني على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة . قال ومرض عوف بن أبي جميلة فعاده
قوم فجعلوا يثنون عليه فقال دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء . قال وسمعت عمر بن مبشر
يقول اللهم إني أعوذ بك من طول الغفلة وإفراط الفطنة اللهم لا تجعل قولي فوق عملي ولا
تجعل أسوأ عملي ما قارب من أجلي . وقال أبو مرحوم اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي . ودعت
أعرابية لرجل فقالت كبت الله كل عدو لك إلا نفسك . وقال يزيد بن جبلة أخرس الله خلقك
إلا من نفسه . قال ودعا أعرابي فقال اللهم هب لي حقك وأرض عني خلقك . قال وكان
قوم نساك في سفينة في البحر فهاجت الريح بأمر هائل فقال رجل منهم اللهم قد أريتنا
قدرتك فأرنا عفوك ورحمتك . قال وسمع مطرف رجلا يقول أستغفر الله وأتوب إليه
فأخذ بذراعه وقال لعلك لا تفعل من وعد فقد أوجب . وقال رجل لابن قثم كيف أصبحت
قال إن كان من رأيك أن تسد خلتي وتقضي ديني وتكسوني في خبرتك وإلا فلبئس المجيب
بالأعجب من السائل . وقال آخر اللهم امتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعل الأموال في سمحائنا
وقال أعرابي اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا
وقال أعرابي ورأى إبل رجل قد كثرت بعد قلة فقيل له إنه قد زوج أمه فجاءته بنافجة
مال فقال اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق . أبو مجيب الربعي قال قال أعرابي جنبك الله
الأمرين وكفاك شر الأجوفين إن الأجوفين البطن والفرج والأمرين الجوع والعري
وجاء في الحديث من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله . وقال أعرابي
متعكم الله منحة ليست بجداء ولا نكداء ولا ذات داء . قال قيل لابن ميثم الفجلي أي رجل
أنت لولا جدة فيك قال أستغفر الله مما أملك وأستصلحه ما لا أملك . وقال أعرابي ومات
ابن له اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب لي ما قصر فيه من طاعتك . قال لما
صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقال انظروا ما يصنع
فقيل هو ذاك في أقصى الميمنة جانحًا على سية قوسه ينضنض بإصبعه نحو السماء قال قتيبة
تلك الإصبع الفاردة أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير . أبو الدرداء قال إن
أبغض الناس إلي أن أظلمه من لم يستعن علي إلا بالله . وقال خالد بن صفوان احذروا مجانيق
الضعفاء يعني الدعاء . وقال لا يستجاب إلا لمخلص أو مظلوم . قال وكان علي بن أبي طالب رضي
الله عنه يقول اللهم إن ذنوبي لا تضرك وإن رحمتك إياي لا تنقصك فاغفر لي ما لا
يضرك وأعطني ما لا ينقصك . وقال أعرابي اللهم إنك حبست عنا قطر السماء فذاب الشحم
وذهب اللحم ورق العظم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة اللهم ارحم تحيرها في مراتعها
وأنينها في مرابضها . قال وحجت أعرابية فلما صارت بالموقف قالت أسألك الصحبة يا كريم
الصحبة وأسألك سترك الذي لا تخرقه الرياح ولا تخرقه الرماح . وقيل لعلي بن أبي

فال مسيرة ساعة للدعوة مستجابة

كالب رضي الله عنه كم بين السماء إلى الأرض قال دعوة مستجابة فقالوا كم بين المشرق إلى المغرب قال مسيرة يوم للشمس ومن قال غير هذا فقد كذب . قال وحج أعرابي فقال اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله وإن كان في الأرض فأخرجه وإن كان نائيا فقربه وإن كان قريبا فيسره . أبو عثمان القحطبي عن عبد الله بن سلم الفهري قال لما ولي مسروق السلسلة انبرى له شاب فقال له وقاك الله خشية الفقر وطول الأمل فلا تكونن مرية للسفهاء ولا شينا للفقهاء . وقال أعرابي في دعائه اللهم لا تخيبني وأنا أرجوك ولا تعذبني وأنا أدعوك اللهم فقد دعوتك كما أمرتني فأجبني كما وعدتني . وقال عبد الله بن المبارك قالت عائشة يا بني لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله . قال وقال رجل من السلف إن ابتليت أن تدخل مع ناس إلى السلطان فإذا أخذوا في الثناء فعليك بالدعاء . وقال الكذاب الحرمازي

لاهم إن كانت بنو عميره … رهط التلب دعوة مشهوره … قد أجمعوا للحلقة مقصوره
واجمعوا كأنهم قاروره … في غنم وإبل كثيره … فابعث عليهم سنة قاشوره
تحلق المال احتلاق النوره … وقال أعرابي … لاهم أنت الرب نستغاث
لك الحياء ولك الميراث … وقد علا الناس فلا نستغاث … غياثهم وعندك الغياث
لم يبق إلا عظم أنكاث … وشيخ أصوله مشاث … وطاحت الألبان والأرماث

وكان سعد بن أبي وقاص يسمى المستجاب الدعوة، وقال لعمر حين شاطره ماله لقد هممت فقال له عمر لتدعو الله علي قال نعم. قال إذن لا تجدني بدعاء ربي شقيا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك . واجتمع الناس إليه وقد هزمهم العدو فأقسم على الله فمنحهم الله أكتافهم . الأصمعي وأبو الحسن قالا أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أو عن غيره قال بلغ سعدا شيء فعله المهلب في العدو والمهلب يومئذ فتى فقال سعد اللهم لا تريه ذلا فيرون أن الذي ناله المهلب بتلك الدعوة . وقال آخر

الموت خير من ركوب العار … والعار خير من دخول النار
والله من هذا وهذا جاري

وقال الآخر وكان قد وقع في الناس وباء جارف وموت ذريع فهرب على حمار فلما كان في بعض الطريق هرب زجر حماره راجعا إلى حيه وقال

لن يسبق الله على حمار … ولا على ذي منعة مطار … قد يصبح الله أمام الساري

سمع مجاشع الربعي رجلا يقول الشحيح أعذر من الظالم فقال إن شيئين خيرهما الشح لأتاميهما بما شرا . قال المغيرة بن قبيصة سمع عمر بن الخطاب رحمه الله رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من الأقلين فقال له عمر ما هذا الدعاء قال سمعت الله يقول وقليل ما هم وسمعته يقول وقليل من عبادي الشكور فقال عمر عليك من الدعاء بما يعرف . وقال ناس من الصحابة لعمر ما بال الناس كانوا إذا ظلموا في الجاهلية فدعوا استجيب لهم ونحن لا يستجاب لنا وإن كنا

مظلومين قال كانوا ولا مزاجر لهم إلا ذاك فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود وكلهم إليه . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله إن في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا لساعة لا يدعو الله فيها أحد إلا استجيب له فقال له قائل أرأيت إن دعا فيها منافق قال فإن المنافق لا يوفق لتلك الساعة . ولما صعد المنبر فأخذ بيد العباس يوم الاستسقاء ولم يزد على الدعاء بالاستغفار فقيل له إنك لم تستسق وإنما كنت تستغفر قال قد استسقيت بمجاديح السماء ثم ذهب إلى قوله استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا . وكان عمر حمل المنبر مرة مع جماعة في الحج فعرفوا قال ابن سيرين لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا . قال وقال محمد بن علي لابنه يا بني إذا أنعم الله عليك بنعمة فقل الحمد لله وإذا حزبك أمر فقل لا حول ولا قوة إلا بالله وإذا أبطأ عنك الرزق فقل أستغفر الله . قالوا كان محمد بن علي لا يسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء . قال قوم ليزيد بن أسيد أطال الله بقاءك قال دعوني أمت وفي بقية تبكون بها علي . رأى سالم بن عبد الله سائلا يسأل يوم عرفة فقال يا عاجز في هذا اليوم تسأل غير الله . قال كان رجل من الحكماء يقول في دعائه اللهم احفظني من الصديق . وكان آخر يقول اللهم اكفني بوائق الثقات . حدثني صديق لي قد كان ولي ضياع الرشيد قال قرأت على باب شيخ منهم جزى الله من لا نعرف ولا يعرفنا أحسن الجزاء ولا جزى من نعرفه ويعرفنا إلا ما هو أهله إنه عدل لا يجور . وكان على رشوم عمر بن مهران التي يرشم بها على الطعام اللهم احفظه ممن يحفظه . وقال المغيرة بن شعبة في كلام له إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصئول فكيف بالرجل الكريم . أبو الحسن قال قالت امرأة من الأعراب اللهم إني أعوذ بك من شر قريش وثقيف وما جمعت من اللفيف وأعوذ بك من عبد ملك أمره ومن عبد ملأ بطنه . قال مر عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فإذا بلغ المائة عزل حصاة فقال له عمر ألق الحصى وأخلص الدعاء . وكان عبد الملك بن هلال الهنائي عنده زنبيل ملآن حصى فكان يسبح بواحدة واحدة فإذا مل شيئا طرح اثنتين اثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فإذا مل قبض قبضة وقال سبحان الله بعدد هذا وإذا مل شيئا قبض قبضتين وقال سبحان الله بعدد هذا فإذا ضجر أخذ بعروتي الزنبيل وقلبه وقال الحمد لله بعدد هذا وإذا بكر لحاجة لحظ الزنبيل وقال الحمد لله بعدد ما فيه . قال غيلان إذا أردت أن تعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب . قال سعيد بن المسيب مر بي صلة بن أشيم فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت له يا أبا الصهباء ادع الله لي فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفس إلا إليه ولا تعول في الدين إلا عليه . أبو الحسن قال سمع رجل بمكة رجلا يدعو لأمه فقال له ما بال أبيك قال هو رجل يحتال لنفسه . أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدي

قال كان عندنا رجل من بني تميم يدعو لأبيه ويدع أمه فقيل له في ذلك فقال إنها كلبية ۞ ووقع أعرابي يده بمكة قبل الناس فقال اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس ۞ وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الملحين في الدعاء ۞ وقال آخر دعوتان أرجو إحداهما كما أخاف الأخرى دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته ۞ قال كان من دعاء أبي الدرداء اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعلنا خيارا كلنا وإذا ذهب الصالحون فلا تبقنا ۞ وقال آخر لبعض السلاطين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب إليه من سقمي ۞ قالوا وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول اللهم إنك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه إلا بعونك ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهي عنه إلا بعصمتك وواقعة علينا حجتك غير معذورين فيما بيننا وبينك ولا مخوسين فيما عملنا لوجهك ۞ عبد العزيز بن أبان عن سفيان في قوله دعواهم فيها سبحانك قال كان أحدهم إذا أراد أن يدعو قال سبحانك اللهم ۞ سفيان عن ابن جريج عن عكرمة قال في قوله قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فجعلهما الله داعيين ۞ قال ولما وقع يونس في البحر وقد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به إلى قرار الأرض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وقال الله تبارك وتعالى فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ۞ وفي الحديث المرفوع أن من دعاء النبي عليه السلام أعوذ بك من قلب لا يخشع وبطن لا يشبع ودعاء لا يسمع ۞ علي بن سليم أن قيس بن سعد قال اللهم ارزقني حمدا ومجدا فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال ۞ وقال رجل في مجلس الحسن ليهنئك الفارس فقال الحسن فلعله حمار إذا وهب الله لرجل ولدا فقل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشده ورزقت بره ۞ أبو سلمة الأنصاري قال كان عمر بن عبد العزيز يقول ما أحسن تعزية أهل اليمن وتعزيتهم لا يحزنكم الله ولا يفتنكم وأثابكم ما أثاب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة ۞ قال كان أبو بكر رحمه الله إذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليكم مصيبتكم صلى الله على محمد وعظم أجركم ۞ وكان علي بن أبي طالب رحمه الله إذا عزى قوما قال إن تجزعوا فأهل ذلك الرحم وإن تصبروا ففي ثواب الله عوض من كل فائت وإن أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد صلى الله عليه وسلم وعظم الله أجركم ۞ وعزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب على بني له مات فقال عوضه

الله منه ما عوضه منك وهذا الصبي الذي مات هو الذي كان عمر بن الخطاب قال فيه ريحانة أشمها وعن قريب ولد بار أو عدو حاضر ۞ سفيان قال كان أبو ذر يقول اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا ۞ قال ودعا أعرابي فقال اللهم إني أعوذ بك من الفقر المدقع والذل المضرع ۞ عزت امرأة المنصور على أبي العباس مقدمه من مكة فقالت عظم الله أجرك فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك ۞ قالوا وقال عمر بن عبد العزيز وقد سمعوا وقع الصواعق ودوي الريح وصوت المطر فقال وفزع الناس هذه رحمته فكيف نقمته ۞ وقال أبو إسحق اللهم إن كان عذابا فاصرفه وإن كان صلاحا فزدنا فيه وهب لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء اللهم إن كانت محنة فمن علينا بالعصمة وإن كان عقابا فمن علينا بالمغفرة ۞ وقال أبو ذر الحمد لله الذي جعلنا من أمة تغفر لهم السيئات ولا تقبل من غيرهم الحسنات ۞ وكان الفضل بن الربيع يقول المسألة من تحية النوكى فلو أردت أن تقول كيف أصبحت فقل صبحك الله بالخير وإذا أردت أن تقول كيف تجدك فقل أنزل الله عليك الشفاء والرحمة ۞ قال أحمد المجيمي أبو عمرو أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد اللهم يا أجود الأجودين ويا أكرم الأكرمين ويا أعفى العافين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين ويا أحسن الخالقين فرج عني فرجا عاجلا تاما هنيئا مباركا لي فيه إنك على كل شيء قدير ۞ وكان عبد الله الشعري وهو الكعبي أحد أصحاب البصريين من غلمان عبد الواحد بن زيد وكنيته أبو محمد وكنية عبد الواحد أبو عبيدة يقول اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك اللهم هب لي يقينا وأدم لي العافية وافتح علي باب رزقي في عافية وأعوذ بك من النار والعار والكرب والشغب والحسب والقذف والحقد والغضب وحببني إلى خلقك وحببهم إلي وأسألك فرجا عاجلا في عافية إنك على كل شيء قدير ۞ **دعاء الغنوي في حبسه** ۞ أعوذ بك من السجن والدين والسب والضرب ومن الغل والقيد ومن التغريب والتحبيس وأعوذ بك من الحور بعد الكور ومن شر العدوى في النفس والأهل والمال وأعوذ بك من الهم والأرق ومن الحرب والطلب ومن الاستخذاء والاستخفاء ومن الاطراد والاغتراب ومن الكذب والعضيهة ومن السعاية والنميمة ومن لوم القدرة ومقام الخزي في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ۞ **ومن دعائه في الحبس** ۞ أسألك طول العمر في الأمن والعافية والحلم والعلم والحزم والأخلاق الحسنة السنية والأفعال المرضية واليسر والتيسير والنماء والتثمير وطيب الذكر وحسن الأحدوثة والمحبة في الخاصة والعامة وهب لي ثبات الحجة والتأيين عند المنازعة والمخاصمة وبارك لي في الموت إنك على كل شيء قدير ۞ وكان صالح المري كثيرا ما يردد في مجلسه أعوذ بك من الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة

والصاعقة والريح المهلكة وأعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الأعداء . وكان يقول
أعوذ بك من التعب والتعثر والخيبة وسوء المنقلب اللهم من أرادني بخير فيسر لي خيره
ومن أرادني بشر فاكفني شره . اللهم إني أسألك خصب الرحل وصلاح الأهل . وكان
عيسى بن أبي المدور يقول أعوذ بك من الذلة والقلة ومن الإهانة والمهنة والأخلاق
والوخزة وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة وأعوذ بك من جهد البلاء وشماتة الأعداء
محمد بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب رحمه الله من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة قال
الله ادعوني أستجب لكم ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة لقوله عز وجل لئن شكرتم
لأزيدنكم ومن أعطي الاستغفار لم يحرم القبول لقوله واستغفروا الله إن الله غفور
رحيم . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله
رزق يوم بيوم . وروى محمد بن علي عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سألتم
الله فسلوه بباطن الكفين وإذا استعذتم فلا تستعيذوا بظاهرهما . وقال آخر
اللهم إني أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر . أبو سعيد المؤدب عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عائشة قالت سلوا الله كل شيء حتى الشسع فإنه إن لم ييسره لم يتيسر . حجيم
عن طاوس قال يكفي من الدنيا ما يكفي العجين من الملح . قال سأل رجل رجلا حاجة فقال
المسؤول اذهب بسلام فقال السائل قد أنصفنا من ردنا إلى الله في حوائجنا . مجالد عن
الشعبي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أذهب ملك غسان وضع مهور كندة . وقال
عمر بن الخطاب رحمه الله لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله .

القول في إنطاق الله عز وجل إسمعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين

وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربيا أعجمي الأبوين وأول من عليه أن يفسر هذا
المخالف فإنه لا بد من أن يكون له أب كان أول العرب من جميع بني آدم صلى الله عليه وسلم
ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربيا حتى يكون أبوه عربيا وكذلك أبوه وكذلك جده
كان ذلك موجبا لأن يكون نوح صلى الله عليه وسلم عربيا وكذلك آدم عليه السلام
قال أبو عبيدة حدثنا مسمع بن عبد الملك عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن آبائه قال أول
من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة . وقال النبي صلى الله
عليه وسلم شهدت الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة وكنت أنبل على عمومتي يريد أجمع لهم
النبل قال أبو عبيدة فقال له يونس صدقت يا أبا سيار هكذا حدثني مسمع بن طريف . وروى قيس
بن الربيع عن بعض أشياخه عن ابن عباس أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاما وقال الله تبارك
وتعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم قال قد يرسل الله الرسول إلى قومه

ولو أنه جعل بعثه بلد الوقت إلى قوم آخرين لما كان الثاني ناقضا للأول وإذا كان الأمر كذلك كان قومه
أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمدا صلى الله عليه
إلى العجم فضلا عن العرب فقد كان وإن لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الفروض من سائر العجم وهذا
الجواب جواب عوام النزارية فأما الخواص الخلص فإنهم قالوا العرب كلهم شيء واحد لأن
الدار والجزيرة واحدة والأخلاق والشيم واحدة وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق
في الأخلاق وفي الأعراق ومن جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التي بنيت
على غريزة التربة وطباع الهواء والماء فهم بذلك شيء واحد في الطبيعة واللغة والهمة والشمائل
والمرعى والراية والصناعة والشهوة فإذا بعث الله عز وجل نبيا من العرب فقد بعثه إلى
جميع العرب وكلهم قومه لأنهم جميعا يد على العجم وعلى كل من حاربهم من الأمم لأن تناكحهم
لا يعدوهم وتصاهرهم مقصور عليهم قالوا والمشاكلة من جهة الاتفاق في الطبيعة والعادة ربما
كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه
وربما كان أشبه به خلقا وخلقا وأدبا ومذهبا فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حين حول إسمعيل
عربيا أن يكون كما حول طبع لسانه إلى لسانهم وباعده من لسان العجم أن يكون أيضا حول
سائر غرائزه وسلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب وركبها كيف شاء ثم فضله بعد ذلك بما
أعطاه من الأخلاق المحمودة واللسان البين بما لم يكن عندهم فكما خصه من البيان بما لم يخصهم
به فكذلك يخصه من تلك الأخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويزيد فيهم فصار بإطلاق
اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل من طبائعه ونقل إليه من طبائعهم وبالزيادة التي
أكرمه الله بها أشرف شرفا وأكرم كرما وقد علمنا أن الخرس والأطفال إذا دخلوا الجنة
وحولوا في مقادير البالغين وإلى الكمال والتمام لا يدخلونها إلا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة
ولا يكون ذلك إلا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم وعلى ذلك المثال كان كلام
عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم في المهد وإنطاق يحيى بالحكمة صبيا وكذلك القول في آدم
وحواء عليهما السلام . وقد قلنا في ذيب أهبان بن أوس وغراب نوح وهدهد سليمان وكلام
النملة وحمار عزير وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته ومشيئته وإنما
يمتنع البالغ من المعارف من قبل أمور تعرض من الحوادث وأمور في أصل تركيب الغريزة
فإذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك الموانع ووفر عليهم الذكاء وجلب إليهم
جياد الخواطر وصرف أوهامهم إلى التعرف وحبب إليهم التبين وقعت المعرفة وتمت
النعمة والموانع قد تكون من قبل الأخلاط والآفات بعد على قدر القلة والكثرة والكثافة
والرقة ومن ذلك ما يكون من جهة سوء العادة وإهمال النفس فعندها يستوحش مراده
ويستثقل النظر ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة والقوى المتقسمة ومن ذلك ما يكون

من خرق العلم وقلة رفق المؤدب وسوء صبر الشفيق فإذا أصغى الله إليه منه وتحبّه ومعرّة به وتعبه
وفرّغ باله وكفاه اشتغال الخواطر وكان هو المفيد له والقائم عليه والمربي لمرايته لم يلبث
أن يعلم ويهدأ جميع في الأوقات غير مدفوع في العقول وقد جعل الله الخال أبا وقالوا
الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف طبائع
الأماكن وعلى قدرها لك شامة من القلات والأخلاق والشهوات ولذلك قالوا فلان ابن تجربتها
وفلان ابن بيضة البلد يقع ذمًّا ويقع حمدًا وقال زياد والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن
وائل بتميم ويقولون ما أشبه الليلة بالبارحة كأنهم قالوا ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان
الحجاج . وقال سهيل بن عمرو أشبه امرءًا بعض بزه . وقال الأضبط بن قريع بكل واد بنو سعد
ولولا أن الله عز وجل أفرد إسمعيل من العجم وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب لكان بنو إسحق
أولى به وإنما ذلك كرجل قد أحاط علمه بأن هذا الطفل من نجل هذا الرجل ولكن لما كان
من سفاح لم يجز أن يضيفه إليه ويدعوه ابنا وقد جعل الله نسب ابن الملاعنة نسب أمه وإن
ولد على فراش أبيه وقد أرسل الله موسى وهرون إلى فرعون وقومه وإلى جميع القبط ومما
امتنان كنعانية وقبطية وقد جعل الله قوم كل نبي هم المبلغين والحجة ألا ترى أنا نزعم أن
عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجم أنهم كانوا عن ذلك
عجزة وقال النبي صلى الله عليه وسلم خصصت بأمور منها أني بعثت إلى الأحمر والأسود
وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا فدل بذلك على أن غيره من الرسل إنما كان
يرسل إلى الخاص وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك الرسول من سائر الأمم أن يكذبه وينكر
ما قوله والذي عليه ترك الإنكار والعمل بشريعة النبي الأول هذا فرق ما بين من بعث
إلى البعض ومن بعث إلى الجميع . قال وقال حباب بن المنذر يوم السقيفة أنا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب إن شئتم كررناها جذعة منا أمير ومنكم أمير فإن عمل المهاجري
شيئا في الأنصاري رد ذلك عليه الأنصاري وإن عمل الأنصاري شيئا في المهاجري رد عليه
المهاجري فأراد عمر الكلام فقال أبو بكر على رسلك نحن المهاجرون أول الناس إسلاما
وأوسطهم دارا وأكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة في العرب
وأمسّهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فأنتم
إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدو آويتم ونصرتم وواسيتم فجزاكم
الله خيرا نحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش وأنتم محقوقون
ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم قالوا فإنا قد رضينا وسلمنا . عيسى
بن يزيد قال قال أبو بكر رحمه الله نحن أهل الله وأقرب الناس بيتا من بيت الله وأمسهم
رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم وإن هذا الأمر إن تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه

الأوس وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى
وجراح لا تداوى فإن نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي أسد يضغمه المهاجري ويجرحه
الأنصاري . قال ابن داب فسر ماهم والله بالمسكنة . من حديث ابن أبي سفين بن حويطب
عن أبيه عن جده قال قدمت من عمرتي فقال لي أهلي أعلمت أن أبا بكر بالموت فأتيته فإذا
عيناه تذرفان فقلت يا خليفة رسول الله أما كنت أول من أسلم وثاني اثنين في الغار فصدقت
بهجرتك وحسنت نصرتك ووليت فأحسنت صحبتهم واستعملت خيرهم عليهم قال وجيء لما
ما صنعت قلت نعم والله قال الله والله أشكر له ولعلمه به ولا يمنعني ذلك من أن أستغفر
الله فما خرجت حتى مات . أبو الخطاب الزرادي عن جشنا بن حريم قال قلت يا ابنة ابن أنس له
لم تبغ أجدادا وصفته ذو الكنيتين قال إني لم أجد حسبا فأضعه ولا بناء فأهدمه . قال وقيل
للفرزدق أحسن الكميت في مدائحه في تلك الهاشميات قال وجد آجرا وجصا فبنى . عامر
بن الأسود قال دخل رجل من ولد عامر بن الطرب على عمر بن الخطاب رحمه الله فقال له أخبرني
عن حالك في جاهليتك وعن حالك في إسلامك قال أما في جاهليتي فما نادمت فيها غير لمة ولا
همت فيها بأمة ولا أخنت فيها عن بهمة ولا أتي رائدا إلا في نأم أو عشيرة أو حمل جوير
أو خيل مغيرة . عوانة قال قال عمر الرجال ثلاثة رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع
فيصدرها مصدرها ورجل متوكل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقبل قولهم
ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا . قال كلم علباء بن الهيثم السدوسي
عمر بن الخطاب في حاجة وكان أعور دميما جيد اللسان حسن البيان فلما تكلم في حاجته فأحسن
صعّد عمر بصره فيه وحدّره فلما أن قام قال لكل أناس في جميلهم خبر . أخبرنا عن عيسى
بن يزيد عن أشياخه قال قدم معوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وا أبتاه
وبكت فقال معوية يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم
حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان
أنصاره وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولأن تكوني ابنة عم أمير
المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين . وقالت عائشة ابنة عثمان في أبان بن سعيد
بن العاصي حين خطبها وكان نزل بأيلة وترك المدينة نزلت ببيت الضب لا أنت ضائر
عدوا ولا مستنفع أنت نافع . أبو الحسن قال قال سلامة بن روح الخزامي لعمرو بن العاص
إنه كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه فما حملكم على ذلك فقال أردنا أن نخرج الحق من
حفير الباطل . قدم ببيعة علي إلى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربي فبايع أبو موسى فقال
عمار لعلي والله لينقضن عقده وليحلن عقده وليفرن جنده وليسلمن جنده . وقال
علي في رواية الشعبي حملت إليكم درة عمر لأضربكم بها لتنتهوا فأبيتم حتى أعزتن الحيرة رأيه

فلم تنتهوا وقد أرى الذي تريدون في الشيب وأوفي لا أضلكم بعد ما بدي

كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرت عجبك بذلك فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله

قال أبو العريف الكلبي

وإني أبو فود ثوافي من بني جمل بكر الوفادة ... فإني السين عن زوم
كرام الملاطين في السنين بال حيث مشى ... وفي المجالس لحاظ يد أسيم
لنا رأي الباب والبواب أخرجه لوم ... مخالطه جبن وتغشيم
قد كان في بكر حلم وكان لكم ... ممشى وراء ظهور القوم معلوم

وقال الحرث بن حلزة قال أبو عبيدة النابغي مصنوع

يا أيها المزمع ثم انثنى ... لا يثنك الحازي ولا الشاحج
ولا قعيد أعضب قرنه ... هاج له من مرتع هائج
بينا الفتى يسعى ويسعى له ... تاح له من أمره خالج
يترك ما رقح من عيشه ... يعيث فيه همج هامج
لا تكسع الشول بأغبارها ... إنك لا تدري من الناتج

وقال زبان بن سيار بن عمرو بن جابر

تخبر طيرة فيها زياد ... لتخبره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير
ومن يشرخ به لابد يوما ... يجيء به نعي أو بشير

وقال بعض الأعراب

تجيبة بطال لدن شب همه ... لعاب الغواني والمدام المشعشع
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى ... وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
إذا سيلم ذاكم لا خفا بمكانه ... لعين ترجى أو لأذن تسمع
من النفر الشم الذين إذا انتموا ... وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
إذا النفر السود اليمانون نمنموا ... له حوك برديه أرقوا وأوسعوا

وقال بعض الأعراب

ألبان إبل تعلة بن مسافر ... ما دام يملكها علي حرام
وطعام عمران بن أوفى مثله ... ما دام يسلك في البطون طعام

أرزم ثبتت على فيه وأرزم إذا صوت

إن الذين يسوغ في أحلاقهم ... زاد يمن عليهم للئام
لعن الإله تعلة بن مسافر ... لعنا يشن عليه من قدام

وقال بعض الأعراب

تجيبة قوم شاهما الغت والنوى ... بيثرب حتى نيها متظاهر
فقلت لها سيري فما بك علة ... سنامك ملموم ونابك فاطر
فمثلك أو خير تركت رذية ... تقلب عينيها إذا مر طائر

ملموم مجتمع وفاطر طالع يقال فطر ناب البعير وعيرته فطوطا إذا طلع

وقال بعض الأعراب مجهول الاسم وهو من جيد محدثي أشعارهم

جفونا على رغم اللئام جفوننا ... ببطن مليح وإن لأسنة جنح
وقد غضبوا حتى إذا ملكوا الرنا ... بلا راو أنا إذا قدرنا على القيم أروح

وقال رجل من محارب

وقائلة تطوف في جرادي ... وأنت أخال مغتلي لو تقوم
فقلت لها الضارب بالتطلح ... ومنا على يمن إذا وقع النجوم
فمن حليه بعد الله بفقري ... فلا أسل الصديق ولا اللؤوم

وقال بعض الكلابيين

وإني لأستحيي حياء يسرني ... إذا اللؤم من بعض الرجال تطلعا
إذا كان أصحاب الإناء ثلاثة ... حييا ومستحييا وكلبا مجشعا
فإني لأستحيي أكيلي أن يرى ... مكان يدي من جانب الزاد أقرعا
أكف يدي من أن تمس أكفهم ... إذا نحن أهوينا وحاجتنا معا
وإنك مهما تعط بطنك سوله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

قال وأظنها لبعض اليهود

وإني لأستبقي إذا العسر مسني ... بشاشة وجهي حين تبلى المنافع
فأعفي ثراء قومي ولو شئت نولوا ... إذا ما تشكى الملحف المتضارع
مخافة أن أقلى إذا جئت زائرا ... وترجعني نحو الرجال المطامع
فأسمع منا أو أشرف منعما ... وكل مصادي نعمة متواضع

وقال بعض بني أسد

ألا جعل الله اليمانين كلهم ... فدا الفتى العيلاني يحيى بن حيان
ولولا عري نوبي من عصبية ... لقلت وأعلى من معد بن عدنان
ولكن نفسي لم تطب بعشيرتي ... وطبت له نفسا بأبناء قحطان

وقال مروان أبو ابن ثروان مولى لبني عذرة

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد ... علي لإنسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاعة كلها ... فلست أبالي أن أدين وتغرما

إذا ليطعن بي بارك الله فيهم على كل حال ما أعف وأكرما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحم إلا تخذما

القذم القطع

وقال آخر: أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما عملت الزاد فالتمسي له أكيلا فإني غير آكله وحدي
كريما قصيا أو قريبا فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وكيف يسيغ المرء زادا وجاره خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد
وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في إلا تلك من شيمة العبد

وقال ابن عبدل: ولو شاء بشر كان من دون بابه طماطم سود أو صقالبة حمر
ولكن بشرا سهل الباب للتي يكون لبشر عندها الحمد والأجر
بعيد مراد العين ما رد طرفه حذار الغواشي باب دار ولا ستر

وقال بعض الحجازيين:
لو كنت أحمل خمرا يوم زرتكم لم ينكر الكلب أني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفغمني والعنبر الورد أذكيه على النار
فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزق والقار

يفغمني أي تملأ خياشيمي يقال فغم الطيب سده المزكوم أي فتحها وفغم الورد تفتح

وقال ابن عبدل: نعم جار الخنزيرة المرضع الغرثى إذا ما غزا أبو كلثوم
طاويا قد أصاب عند صديق من غذاء ملتبق صادوم
ثم أبغى بجعره حاجب الشمس فألقى كالمغلق المهدوم

وقال حبيب بن أوس:
وحياة القريض لولا حياة الجود فإن مات الجود مات القريض
يا مجب الإحسان في زمن أصبح فيه الإحسان وهو بغيض

وقال: ثم انطرحتم قرابتي وأواصري حتى توهمت أني من بني أسد
وطلعة الخبز أقلى في عيونهم وفي صدورهم من طلعة الأسد

أواصر أصلة الرحم ومن أنحا القرابة

وقال: لي الله يعني القائلون بقولهم إن الشقي بكل حبل يخنق
من شاعر وقف الكلام ببابه واكتن في كنفي ذراه المنطق
قد ثقفت منه الشآم وسهلت منه الحجاز ورققته المشرق

وقال: بنو عبد الكريم نجوم ليل تسرى في الظلام أبدا تلوح
إذا كان الهجاء لهم ثوابا فخيري لمن خلق المديح

وقال: أي شيء يكون أخسس من صب أديب متيم بأديب

وقال:
يغلق فؤاده حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

وقال: اشرب فإنك سوف تعلم أنه قدح يصيب الغرض منه خمار
عادات السوار الكلام بشرحه عوض القريض حسو بها أبكار
غرر متى ما شئت كن شواهدي أن لم يكن لي والد عطار

وقال سلمة بن الحارث الأنماري: أبلغ سبيعا وأنت سيدنا قدما وأوفى رجالنا ذمما
أن بغيضا وأن إخوتها ذبيان قد ضرموا الذي اضطرما
نبئت أن حكموا بينهم فلا يقولن بئس ما حكما
إن كنت ذا عزة فيما بينهم تعرف ذا حقهم ومن ظلما
وتنزل الأمر في منازله حزما وعزما وتحضر الفهما
ولا تبالي من المحق ولا المبطل لا إله ولا ذمما
فاحكم وأنت الحكيم بينهم لن يعدموا الحكم ثابتا صتما
واصدع أديم السواء بينهم على رضى من رضي ومن رغما
إن كان مالا فقض عدته مالا بمال وإن دما فدما
معا وإن لم تطق حكومتهم فانبذ إليهم أمورهم سلما

وقال آخر:
أبلغ ضرار أبا عمرو مغلغلة أن كل مولد ظهر الغيب يأتينا
إنا من قبيصة أو من طلح نمتت به إن ضرار الكهف مفتخر بما فينا
إن صحبكا قبيل من سراتكم وإن حقا منا فاعزلوا الدينا
وإنه عنبر فلا يوم في عشيرته نسيط خيرا له من نفسي تأبينا

وقال آخر: في عرينة ألا ينهى سفيهكم إن السفيه إذا لم ينه مأمور

وقال حضرمي بن عامر الأسدي ومات أخوه فقال جزء: قد فرح بأكل الميراث
قد قال جزء ولم يقل أما فرحت لها جرأ
إن كنت أن أنفسي بها كرنا جزء فلا قيت مثلها عجلا
أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا

وقال جريبة بن سلمة بن مران:
تقول ابنة العمري لما رأيتها تنكرت حتى كرت منك الملال
يوم لقيتها
فإن تعجبي من عين بعدما أتت ليال وأيام علي طوال
وإني من قوم تشيب سراتهم كذلك وفيهم مالك وبعال
ولو لقيت ما كنت ألقى من الغراء إذا شاب منها مفرق وقذال
ولكنها في كلة كل شتوة وفي الصيف كن بارد وظلال
تصان وتغلى بالسعط حتى كأنها إذا وضعت عنها النصيف غزال

وقال بعض الخوارج لامرأته وأرادت أن تتبعه:

إنّ الحرورية الحرّ الوذار كسبوا لا يستطيع لهم أمثالك الطلبا
إن يركبوا فرسًا لا ترج فرسًا ولا تطيق مع الرجالة الخببا
وقال حزن بن لوذان لامرأته في شبيه بهذا
لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
إن الغبوق له وأنت مسوءة فتأوّهي ما شئت ثم تحوّبي
كذب العتيق وماء شنّ بارد إن كنت سائلتي غبوقًا فاذهبي
إني لأخشى أن تقول حليلتي هذا غبار ساطع فتلبّب
إن العدوّ لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي
ويكون مركبك القعود وحدجه وابن النعامة يوم ذلك مركبي
وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوة أقرن إلى سير الركاب وأجنب
وأراد أعرابي أن يسافر فطلبت إليه امرأته أن تكون معه فقال
إنك لو سافرت قد مرخت وحكك الحنوان فانفتحت وقلت هذا صوت ديك تجتني
المدح يسمح إحدى الحجرين بالأخرى وفي شبيه بهذا المعنى الأول يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريّان ملتف الحدائق أخضر
ووال كفاها كل شيء يهمها فليست لشيء آخر الليل تسهر
وقال سلامة بن جندل هذه الأبيات وبعث بها إلى قعقعة بن محمود بن عمرو بن مرثد وكان
أخوه أحمر بن جندل أسيرًا في يده فأطلقه له
سأجزيك بالود الذي كان بيننا أقعقع إني سوف أجزيك قعقعا
سأهدي وإن كنا بتثليث مدحة إليك وإن حلت بيوتك لعلعا
فإن يك محمودًا أبوك فإننا وجدناك محمود الخلائق أروعا
فإن شئت أهدينا ثناء ومدحة وإن شئت أهدينا لكم مائة معا
قال الثناء والمدحة أحب إليّ. وقال أوس بن حجر حين حُبس وأقام عند فضالة بن كلدة
وتولّت خدمته حليمة ابنة فضالة شاكرًا لذلك
لعمرك ما ملّت ثواء ثويّها حليمة إذ ألقى مراسي مقعد
ولكن تلقّت باليدين ضمانتي وحلّ بفلج فالقنافذ عوّدي
وقد غبرت شهرين في ربيع كليهما تحمل البلايا والخباء الممدّد
ولم تلههما تلك التكاليف إنها كما شئت من أكرومة وتخرّد
سأجزيك أو يجزيك عنّي مثوّب وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي
وقال الخريمي: ولم أجز إلا المودة جاهدًا وحسبك مني أن أود وأجهدا

ابن النعامة الطريق وقال بعضهم هو القدم

وقال الأسدي: وإني لأحب الخلد لو أستطيعه وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم
وقال الحارثي: فلا تشتموا علينا لا أبا لأبيكم بإحساننا إن الثناء هو الخلد
قال وأنشدني الأصمعي للمهلهل
يقتلًا بتقتيل وعقرًا بعقركم جزاء العطاس لا يموت من اتّأر
وطاف أبو الشليل العنبري في بني حكم بجزء من عنزة فقال
أرى في بني حكم قصيًّا على فتى أزور ولا زار
أناس يأكلون اللحم وفي وتأبى المعاذر والقتار
وقال آخر: إذا ما مدّ أرباب البيوت بيوتهم على رجح الأكفال ألوانها حمر
فإن لنا منها خباء يحفّنا إذا الحي أمسينا المجاعة والفقر
وقال الآخر وهو أبو المهوش الأسدي
وقال أيضًا: ترى يطوف الآفاق حرصًا ليأكل رأس لقمان بن عاد
وبنو الفقيم قليلة أحلامهم نطف النجا متشابهو الألوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان
متأبطين بنيهم وبناتهم صعر الأنوف لريح كل دخان
وقال آخر: وجيرة لن ترى في الناس مثلهم إذا يكون لهم عيد وإفطار
إن يوقدوا يوسعونا من دخانهم وليس يبلغنا ما تنضج النار
وقال أبو الطروق الضبي في خاقان بن عبد الله بن الأهتم
مطا الناس في خاقان لما أتى لولاده سنة وشهر
وقالت أخته إني بريء إلى الرحمن منك وذاك نكر
ولم تسمع بحمل قبل هذا أتى من دبره ومن دبر
فما ... قبل أن يلحقه شيب وأثبته فشاب عليه وفر
وقال مكي بن سوادة البرجمي فيه
تخيّر القوم ينغي من يحالفه حتى تناهى إلى الأنباء خاقان
أزرى بكم يا بني خاقان أنكم من نسل حجامة من فيه ميزان
سفاكة لدماء القوم كلهم قدمًا لأموالهم من غير سلطان
لو تسألون بها أيوب جاءكم على البريد فلت أيوب بسرمان
أيام تغطيه خرجًا من حجامتها يومًا فيومًا توجيه بأوزان
فإن رددتم عليه ما يقول لكم على مقالته فيها بشهبان
ثم اشتراها أبو خاقان حين عست فلا تتفقت نطفة منه بأقطان

فاستر خلتها ولا يدري بما فعلت حتى إذا أن كهت جاءت بغافلان ∴

وقال النعين المنقري في آل الأهتم ∴

وكيف تساموني الكرام وأنتم دوارج حيرى بين قذع القوائم ∴
بنو ملصق من ولد جزء لم يكن لهم لو ولا مستنكر المظالم ∴

وقال آخر ∴ قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر ∴

وقال أعرابي وهو أبو حية النميري ∴

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم ∴
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم ∴

وقال أبو يعقوب الأعور ∴

بقلبي سقام لست أحسن وصفه على أنه ما كان فهو شديد ∴
تمر به الأيام تسحب ذيلها فتبلى به الأيام وهو جديد ∴

وقال الشعبي ∴ من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد ∴
تنبو يداه إذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد ∴

وقال أشجع السلمي في هارون أمير المؤمنين ∴

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام ∴
فإذا تنبه رعته وإذا هدى سلت عليه سيوفك الأحلام ∴

وقال ∴ انتجع الفضل أو تخل من الدنيا فهاتان غاية الهمم ∴ وقال
أبت ظبية شنان إلا التي يعم البرية من قد أيها ∴ ضمنت مناكبها ضمة ومشط بما بين أحشائها ∴

وقالوا لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيا إلا أخذه، إلا بيت عنترة ∴

فترى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترنم ∴
هزجا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم ∴

وقال الفقيمي قاتل غالب أبي الفرزدق ∴

وما كنت نواما ولكن ثائرا أناخ قليلا فوق ظهر سبيل ∴
وقد كنت محزون اللسان ومفحما فأصبحت أدري اليوم كيف أقول ∴

وقال أبو المثلم المزني ∴

أصخر بن عبد الله إن كنت شاعرا فإنك لا تهدي القريض لمفحم ∴ وقال المزني
على عنبر بن عمرة طول هذا الدهر أنتحب ∴ أخ لي دون من لي من بني عمي وإن قربوا
طوى عن كان ذا نسب إلي وداد النسب ∴ أبو الأضياف والأيتام ساعة لا يعد أب
ألا لله لم تلد من فتى قوم إذا رهبوا ∴ وقالوا من فتى للثغر يرقبنا ولم يرغب

فكنت أخاهم حقا إذا اتقى لما تثب ∴ وقد ظهر السوابغ فيهم والبيض واليلب ∴
أقام لدى مدينة آل قسطنطين وانقلبوا ∴ نجيبا حين يذعل إن آباء الفتى نجب ∴

وقال أدهم بن محرز الباهلي ∴

لما رأيت الشيب قد شان أهله تعتبت واتبعت الشباب بدرهم ∴

وقال آكل المرار الملك ∴

إن من غر النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور ∴
حلوة العين واللسان ومر كل شيء يجن منها الضمير ∴
كل أنثى وإن بدت لك منها آية الحب حبها خيتعور ∴ (خادع)

وقال طفيل الغنوي ∴ (منهن مر)

إن النساء كأشجار نبتن معا منها المرار وبعض المر مأكول ∴
إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واجب لا بد مفعول ∴

وقال علقمة بن عبدة ∴

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب ∴
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب ∴
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب ∴

وقال أبو الشغب السعدي ∴

أبعد بني الزهراء أرجو بشاشة من العيش أو أرجو رخاء من الدهر ∴
غطارفة زهر مضوا لسبيلهم ألهفي على تلك الغطارفة الزهر ∴
يذكرنيهم كل خير رأيته وشر فما أنفك منهم على ذكر ∴

وقال أبو حزابة في عبد الله بن ناشرة ∴

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ولا خير إلا قد تولى وأدبرا ∴
وكان حصاد المنايا ازدرعنه فهلا تركن النبت ما كان أخضرا ∴
لحا الله قوما أسلموك وجردوا عناجيج أعطتها يمينك ضمرا ∴
أما كان فيهم فارس ذو حفيظة يرى الموت في بعض المواطن أعذرا ∴
يكر كما كر الكليبي بعدما رأى الموت تحذوه الأسنة أحمرا ∴
فكر عليه الورد يدمي لبانه وما كر إلا رغبة أن يعقرا ∴

وقال أعرابي ∴ وعاذل ظني أن الله بالأمر عالم ولله أن يشفيك أغنى وأوسع ∴
يذكرنيك الخير والشر والذي أخاف وأرجو والذي أتوقع ∴

وقال دريد بن الصمة ∴ وقالوا ألا تبكي أخاك وقد أرى مكان الأسى لكن بنيت على الصبر

شرخ الشباب أوله ...

العناجيج جياد الخيل واحدها عنجوج

فقلت أعبد الله أبكي أم الذي * على الجدث البادي قتيل أبي بكر
وعبد يغوث أو نديمي خالدًا * وعزة المطلوب وضع قبرًا إلى قبر
أبى القتل إلا آل صمة إنهم * أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فإما ترينا لا تزال دماؤنا * لدى واتر يسعى بها آخر الدهر
فإنا للحم السيف غير نكيرة * ونلحمه حينًا فليس بذي نكر
يغار علينا واترين فيشتفى * بنا إن أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا * فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وقال آخر: إذا ما رآه الرجال تحفظوا * فلم تنطق العوراء وهو قريب
حبيب إلى الزوار غشيان بيته * جميل المحيا شب وهو أديب

وقال آخر: ألا أرقتني وقد قطعتني عن ثماد * أم لعوب بين النخل والجوم
إلا يكن ورق يومًا أجود بها * للمعتفين فإني لين العود

وإلى هذا ذهب ابن يسير حيث يقول:
لا يعدم السائلون الخير أفعله * إما نوالي وإما حسن مردودي

وقال الحارثي: ومنا بي ما لا تكاد النفس تسلمه * من التلاد وصول غير منان

وقال أبو هبيرة معبر بن المثنى من الشعراء لأهل الخير لا أرباب لما فقد له:
إن يبخروا أو يغدروا أو يبخلوا لم يحفلوا * يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا
كأبي براقش كل لون لونه يتخيل * ومثله في بعض معانيه
أكول لأرزاق العيال إذا أشتا * صبور على سوء الثناء وقاح

وقال: وما نفى عنك قومًا أنت خائفهم * كمثل وقمك جهالًا بجهال
فاقعس إذا حدبوا واحدب إذا قعسوا * ووازن الشر مثقالًا بمثقال

وقال الراجز: وقد تعللت ذميل العنس * بالسوط في ديمومة كالترس
إذ عرج الليل بروج الشمس

وقال الراجز: قد كنت إذ حبل صباي مدمش * وإذ أماضيب الشباب تنغش

وقال الراجز: كلفن عليهن تكاليف السرى * والنص في حين الهجير والضحى
حتى عجاهن فما تحت النحى * رواعف يخضبن مبيض الحصى

سمع ذلك ابن وهيب فرام مثله فقال:
يخضب من وادم مما يجيء من قبرطها ما تنكب الحوامي

وقال عامر ملاعب الأسنة:
ثم تغتكم بغي ومادح بغى راحة بشيء إذا لم تستعن بالأنامل
يقعقعني حلمي وكيني جهلكم * علي وإني لا أصول بجاهل

وقال الآخر: لا بد للسودد من أرماح * ومن سفيه دائم النباح
ومن عديد يتقي بالراح

وقال أبو نخيلة لبعض سادات بني سعد:
وإن بقوم سودوك لفاقة * إلى سيد لو يظفرون بسيد

وتمثل ابن عيينة وقد جلس على مرقب عال وأصحاب الحديث مدى البصر يكتبون بقول الآخر:
خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

وقال الآخر في الأحنف: وإن من السادات من لو أطعته * دعاك إلى نار يفور سعيرها

وقال الآخر: فأصبحت بعد الحلم في الحي ظالمًا * تحمط بيهم والمسود يظلم

وقال رجل من بني الحارث بن كعب يقال له سويد:
أبى إذا ما الأمر بين شكه * وبدت بصائره لمن يتأمل
ويدع الضعفاء من إخوانهم * لأحد من حجر الصميم الكلكل
أدع التي هي أرفق الخالات بي * عند الحفيظة للتي هي أجمل

وقال الآخر: ذهب الذين أحبهم فرطا * وبقيت كالمغمور في خلف
من كل مطوي على حنق * متصنع يكفى ولا يكفي

وقال أبو الطمحان القيني:
وكم فيهم من سيد وابن سيد * وفي بعقد الجار حين يفارقه
يكاد الغمام الغر يرعد أن رأى * وجوه بني لأم وينهل بارقه

وقال الطفيل الغنوي: وكان هريم من سنان خليفة * وعمرو ومن أسماء لما تغيبوا
نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقال رجل من بني نهشل: إنا لمن معشر أفنى أوائلهم * قيل الكماة ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم إياه يعنونا
وليس يذهب منا سيد أبدًا * إلا افتلينا غلامًا سيدًا فينا

وقال بعض الحجازيين: إذا طمع يومًا عراني قرنته * كتائب يأس كرها وطرادها
أكد ثمادي والمياه كثيرة * أعالج منها حفرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر إنه * هو الري أن ترضى النفوس ثمادها

وقال أبو محجن الثقفي: ألم تسل فوارس من سليم * بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو خرق * وينفع أهله الرجل القبيح
فلم يخشوا مصالته عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح
وكر عليهم بالسيف صلتًا * كما عض الشبا الفرس الجموح
فأطلق غل صاحبه وأردى * جريحًا منهم ونجا جريح

وقال بعض اليهود ∴ سئمتُ وأمسيتُ رهن الفراش من جرح قومي ومن مغرمِ ∴
ومن سفه الرأي بعد النهى وعيب الرشاد فلم يفهم ∴
فلو أن قومي أطاعوا الحليم لم تتعدوا ولم يظلموا ∴
ولكن قومي أطاعوا السفيه حتى تعكّس أهل الدم ∴
فأودى السفيه برأي الحليم فانتشر الأمر لم يبرم ∴

وقال بعض الشعراء ∴ وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس ∴
ضحوك السن إن أمروا بخير وعند الشر مطراق عبوس ∴

وقال الآخر ∴ ولست بمفتحم في الفراش وجابة يحتمي أن يجيبا ∴
ولا بدي فلازم عند الخباص إذا ما الشريب أراب الشريبا ∴

وقال الجحل بن نضلة ∴ جاء شقيق عارضا رمحه إن بني عمك فيهم رماح ∴
هل أحدث الدهر لنا نكبة أم هل رقت أم شقيق سلاح ∴

وقال ∴ ويلائم لذات الشباب معيشة مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندي ∴
وقد يقصر القل الفتى دون همه وقد كان لولا القل طلاع أنجد ∴

وقال الآخر ∴ فلامت تخاص في بقيتها حوذ [illegible] عادة بكر ∴
كل يرى أن الشباب له في كل مبلغ لذة عذر ∴

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة وهو من قديم الشعر صحيح
ألا إنما هذا السلال الذي ترى وإدبار جسمي من ردى العثرات ∴
وكم من خليل قد تجلدت بعده تقطع نفسي بعده حسرات ∴

وقال الطرماح في هذا المعنى ∴
وشيبني ألا أزال مناهضا بغير ثرى أثرى به وأبوع ∴
أمخترمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعفي به وأطيع ∴

وقال الأضبط بن قريع ∴
لكل هم من الهموم سعة والمسي والصبح لا فلاح معه ∴
فصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه ∴
وخذ من الدهر ما أتاك به من قر عينا بعيشه نفعه ∴
لا تحقرن الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه ∴
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه ∴

وقال أعرابي وحمر نادية في حلقة أصابتهم ∴
أكلنا الشوى حتى إذا لم نجد شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع ∴

وللسيف أحرى أن تباشر حده من الجوع لا تثنى عليه المضاجع ∴
لعمرك ما سليت نفسا شحيحة عن المال في الدنيا بمثل المجاوع ∴

وقدم ناقة له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريبا من المنحر فقال ∴
أدنيتها من رأس عشاء عشة معقلة إلا قبالي ضبب فروعها ∴
وقلت لها لما شردت عقالها وبالكف منها شريد وفوقها ∴
لقد غنيت نفسي عليك شحيحة ولكن يشفي شحة النفس جوعها ∴

وقال الأسعد نجران ∴ منع البقاء تصرف الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي ∴
وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس ∴
اليوم تعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس ∴

وقال آخر ∴ ومطلب الفتى ألا يراح إلى الندى وألا يرى شيئا عجيبا فيعجبا ∴
ومن يتتبع في الطلع يلقني [illegible] أضلع الناس أشيبا ∴

وقال سحيم بن وثيل الرياحي ∴
تقول حذار ليس فيك سوى الخمر معاب يعيبه أحد ∴
فقلت أخطأت بل معاقرة الخمر وبذلي فيها الذي أجد ∴
هو الذي سمعت به لا سبد مخلدي ولا لبد ∴
ويحك لولا الخمور لم أجمل العيش ولا أن يضمني لحد ∴
هي الحيا والحياة واللهو لا أنت ولا ثروة ولا ولد ∴

وقال عبد داع ∴ غضبت علي لأن شربت بجزة فلئن أبيت لأشربن بخروف ∴
ولئن تلفت لأشربن بنعجة حمراء من آل المدان سجوف ∴

وقال ∴ لا خير في رقية من شاة شربت بها ولا تنوح على ما يأكل الذيب ∴

وقال أبو حفص العربي ∴
قد تعرت للشقاوة حينا حين بدلت بالسعادة فوقا ∴
يوم فارقت بلدتي وقراري وتبدلت سوء رأي وموقا ∴
ليت عندي بجنب مغراء عشرا طيلسانا من الطراز عتيقا ∴
وبخمس منهن أيضا قميصا سابريا لمبيس فيه رقيقا ∴
قد هجرت النبيذ مذ [illegible] عندي [illegible] مذيقا ∴
فوجرت المذيق يوجع بطني ووجرت النبيذ [illegible] صديقا ∴
يعد النفس بالعيش [illegible] وتسل الهموم سلا رفيقا ∴

وكان فتى طيب من ولد ابن قطن لا يصحو وكان في أهله روابض يخاصمون في أبي بكر وعمر وعثمان

وعلي وطلحة والزبير * وقال * رب عفار باذرنجية اصطبحتها من بيت دهقان
جذرت ازواجا وطيبتها بعذرا تساخ طلاليه الخان * سكتا وسلنا لم تخض في اذى من قتل عثمن بن عفان
ولا ابي بكر ولا طلحة ولا زبير يوم عثمان * الله يجزيهم باعمالهم ليس علينا علم ذا الشان
وقال المنخل اليشكري *
ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير * ولقد شربت الخمر بالخيل الاناث وبالذكور
فاذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير * واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير
يا رب يوم للمنخل قد لها فيه قصير *
وقال بعضهم لرايس له ورآه يومي الى امراته وهو ابو عطاء السندي * *
كل هنيا وما شربت مريا ثم قم صاغرا فغير كريم *
لا احب النديم يومض بالعين اذا ما خلا بعرس النديم *
وقال وقد عرضت له امراة صاحبه — انتشى
رب بيضاء كالقضيب تثنى قد دعتني لوصلها فابيت *
ليس شاني تجرحا غيراني كنت ندمان زوجها فانتشيت *
وقال الاخر * فلا والله لا القى وشربا الثان عنهم شرابا ما حييت *
ولا والله لا القى بكيل الراوقين عن سحابة ما بقيت *
سلاترك ما اخاف علي منه مقالته واحمله الشكوت *
ابائي ذات آبا كرام واجداد بمجرمهم ربيت *
وقال التميمي * مالي وجه في اللئام ولا يد ولكن وجهي في الكرام عريض *
امعش اذا لاقيتهم وكانني اذا ما لاقيت اللئام مريض *
وقال ابن كناسة * في انقباض وحشمة فاذا لاقيت اهل الوفاء والكرم *
خليت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم *
وقال عبد الرحمن بن الحكم *
وكاس ترى بين الاناء وبينها قذى العين قد نازعت ام ابان *
ترى شاربيها حين يعتقبانها يميلان احيانا ويعتدلان *
فما ظن ذا الواشي بابيض ماجد وبيضا خود حين يلتقيان *
وقال رماح بن ميادة وكان الاصمعي يقول ختم الشعر بالرماح واظن النابغة اخر عمومته
الا رب خمر طرقت بسرية من الليل من تلد الذي ما لي الخمرا
فانهلته خمرا واخلفنا انها طلا حلال كي يحللني النو ز نا
وقال الاخر * ولقد شربت الخمر حتى خلتني لما خرجت اجر فضل المئزر
قابوس او عمرو بن هند قاعدا يجبي له ما بين خارة قيصر *

في فتية بيض الوجوه خضارم عند الندام عشيرهم لم يخسر *
وقال ابن ميادة * ومعتق حجم الوفود كرامة كرم الربيع بحجة او دم اجد *
ضمن الازوم له اوايل حمله وعلى الوالي تمامه ونتاجه *
وانشد اللاحق لبعض الرواة *
اذا المرجي سرك ان تراه يموت بدايه من قبل موته *
فجدد عنده ذكرى علي وصل على النبي واهل بيته *
وقال بعضهم في البرامكة * اذا ذكر الشرك في مجلس انارت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم آية اتوا بالاحاديث عن مزدك *
وقال الاخر * لعن الله آل برمك اني صرت من اجلهم اخا اسفار *
ان يكن ذو القرنين قد مسح الارض فاني موكل بالغبار *
وقال الاخر * ان الفراغ دعاني الى ابتناء المساجد * واني رايي فيها كراي يحيى بن خالد
اضحت مختاجا الى الضرب في طلب الغرب الى كلب *
وقال ابو الهول في جعفر بن يحيى *
اذا شكاصب اليه الهوى قال له ما لي وللصب * اغني فتى يطعن في دينه يشب معه خشب الصلب
وقال رجل من اهل الشام * ابعد مروان وبعد مسلمة * وبعد اسحق الذي كان لمه
صار على الثغر فرخ الرخمة * ان لما يفعل يحيى نقمة * مملكة ميسرة مشئمة
اكلا بني برمك اكل الحطمة * ان لهذا الاكل يوما تخمة * انيس شيء فيه حرة العلقمة
وقال الشاعر * مار عيني الدهر آل برمك لما ان رما ملكهم بامر فظيع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيى غير راع ذمام آل الربيع *
وقال سهل بن هرون في يحيى بن خالد *
عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منعه كان احزما *
مذيل لنفسه قد ابت غير ان ترى مكارما ما تاتي من الحق مغنما *
وقال حسان بن حسان — اسحق بن حسان * من مبلغ يحيى وذو لقابه وبنات كل مخابس منسام
يا راعي السلطان غير مفرط في لين مختبط وطيب شمام *
يغذي مسارحه ويضحي شربه ويبيت بالربوات والاعلام *
حتى تبجج صارما بجرايه وسد مراسيه بدار سلام *
في كل ثغر جارس من قلبه وسعاع طرب لا يقتر سام *

يغذي اي يعود الوبله في اول غداة
ومن الارض الطيبة الكريمة النبت
وهو ايضا الموضع الذي ينبت في
القيظ والشتاء بعشر ثبع

ومما شبيه بقول العتابي في هرون *
لامام له كف يضم بنانها عصا الدين ممنوعا من البري عودها
وعين محيط بالبرية طرفها سواء عليه قربها وبعيدها *

وأضحى يقظان يبيت مناجيا له في الحشى مستودعات يكيدها
سميع إذا نادى من قعر كربة مناد كفته دعوة لا يعيدها

وقال كلثوم بن عمرو العتابي

تلوم على ترك الغنى باهلية طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أني نلت ما نال جعفر من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصني مغصهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد
فإن كريمات المعالي مشوبة بمستودعات في بطون الأساود

وقال الحسن بن هانئ

عجبت لهارون الإمام وما الذي يروي ويرجو فيك يا خلقة السلق
قفا خلف وجه قد أطيل كأنه قفا مالك يقضي الهموم على بثق
وأعظم زهوا من ذباب على خرا وأبخل من كلب عقور على عرق
أرى جعفرا يزداد بخلا ودقة إذا زاده الرحمن في سعة الرزق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر لما وضعوه الناس إلا على الحمق

ولما أنشد ابن أبي حفصة الفضل بن يحيى بن خالد

ضربت فلا شلت يد خالدية رتقت بها الفتق الذي بين هاشم

قال له الفضل قل فلا شلت يد برمكية فقلد كثير وليس بمعطيك إلا واحدا . وقال سلم في يحيى ويحيى يومئذ شاب

وفتى خلا من ماله ومن المروءة غير خال
وإذا رأى لك موعدا كان الفعال مع المقال
لله درك من فتى ما فيك من كرم الخلال
أعطاك قبل سؤاله فكفاك مكروه السؤال

ومن خير ما قيل فيهم

للفضل يوم الطالقان وقبله يوم أناخ به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين توافيا في غزوتين حواهما يومان
عصمت حكومته جماعة هاشم من أن تجرد بينها سيفان
تلك الحكومة لا التي عن لبسها عظم الثأى وتفرق الحكمان

وقال الحسن بن هانئ في جعفر بن يحيى

ذاك الوزير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عرض الجربانات لطول عنقه . وقال معدان الأعمى وهو أبو السري الشميطي

يوم تشفى النفوس من يعمر اللوم ويشفى بسامة الرجال

وعدي وتيمها وثقيف وأمي وتغلب وهلال ، لا حروريا ولا النوابت تبغو لا ولا أصحب واصل الغزال
غير كفتي ومن يلوذ بكفتي فهم رهط الأعور الدجال ، وبنو الشيخ والقتيل بفخ بعد يحيى وموتم الأشبال
من طلب الإمام في القوم بشرا إن طلب الإمام ذو عقال . وقال بعض الكتب

أمت نساء بني أمية منهم وبنوهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة

أعفي آل هاشم يا أمي جعل الله بيت مالك فيا
إن عصى الله آل مروان والغاوي لقد كان للرسول عصيا

وقال الراعي في بني أمية ، بني أمية إن الله ملككم عما قليل بعثمان بن عفانا
وقال خلف بن خليفة ، لو تفحصت أولياء علي لم تجد في جميعهم باهليا

وقال كعب الأشقري لعمر بن عبد العزيز

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلد بالسيوف رقاب
بأكف منصلتين أهل بصائر في وقعهن مزاجر وعقاب
ملأ قريش حذروا بثغورها حزم والأحلام مثالك رغاب

فلما سمع هذا الشعر قال لمن هذا قالوا الرجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقري قال ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر . قال أبو اليقظان وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال ، إن الذين بعثت في أقطارها نبذوا كتابك واستحل المحرم

طلس الثياب على منابر أرضها كل يجور وكلهم يتظلم
وأردت أن يلي الأمانة منهم عدل وهيهات الأمين المسلم

وكان زيد بن علي كثيرا ما يتمثل قول الشاعر

شرده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجا تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

وقال عبد الله بن كثير السهمي وكان يتشيع لولادة كانت له وسمع خالد بن عبد الله القسري يلعنون عليا والحسن والحسين على المنابر

لعن الله من يسب عليا وحسينا من سوقة وإمام
أيسب المطيبون جدودا والكرام الأخوال والأعمام

يا من الظبي والحمام ولا يأمن آل الرسول عند المقام
طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليهم كلما قام قائم بسلام

وقال حبيب عابوا بذلك الرأي : إن امرأ أمست معايبه حب النبي لغير ذي ذنب
وبني أبي حسن ووالدهم من طاب في الأرحام والصلب : أيعدون ذنباً أن أحبهم بل حبهم كفارة الذنب
وقال يزيد بن بكر بن دأب الليثي : الله يعلم في علي علمه وكذاك علم الله في عثمان
وقال السيد الحميري : لأن امرأ وحمير عمومته جد رعين وأخواله ذوو يزن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامة للهادي أبي الحسن
وقال ابن أذينة : سمين قريش مانع منك لحمه وغث قريش حيث كان سمين
وقال ابن الرقيات : ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب : وقال عروة بن أذينة الليثي
إذا قريش تولى خير صالحها فلا تشكن بالآخرين في أحد
رهط النبي وأولى الناس منه له بكل خير وأزكى الناس في العدد
وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكر الصديق رحمه الله :
إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالي الثاني المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا خير البرية لم يعدل به رجلا
وقال بعض بني أسد : لما تخير ربي فارتضى رجلاً من خلقه كان منا ذلك الرجل
لنا المساجد نبنيها ونعمرها وفي المنابر قعدان لنا ذلل
وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص في شأن السقيفة :
قد اختصم الأقوام بعد محمد فسائل قريشاً حين جد اختصامها
ألم تك من دون الخليفة أمة يكف امرئ من آل تيم زمامها
هدى الله بالصديق ضلال أمة إلى الحق لما ازور عنها نظامها
وقالت صفية في ذلك اليوم : (في الجمهرة الهنابث [illegible] واحدها هنبثة)
قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد شغبوا
وقال الفرزدق : صلى صهيب ثلاثاً ثم أسلمها إلى ابن عفان ملكاً غير مغصوب
ولاية من أبي حفص لثالثهم كانوا أخلاء مهدي ومنصور

(السبنتى [illegible])

وقال مزرد بن ضرار يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
عليك السلام من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي سبنتى أزرق العين مطرق
قال وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :
ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هلكى وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملها من كان يوقن بالوعد
وعن أبي الحجاف عن مسلم البطين : (الفرى جمع فرية وهو الكذب)
إنا نعاتب لا أبا لك عصبة علقوا الفرى وبروا من الصديق
وبروا سفاهاً من وزير نبيهم تباً لمن يبرا من الفاروق
إني على رغم العداة لقائل دانا بدين الصادق المصدوق
وقال الكميت : فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا
بمرضي السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعا
وقال حرب بن المنذر بن الجارود قالوا وكان يتقي ويتشيع في كلمة له :
فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني وأثواب كتان أزور بها قبري
وحبي ذوي قربى النبي محمد فما سالنا إلا المودة من أجر

وجه التدبير في الكتاب إذا طال أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء ومن باب إلى باب بعد أن لا يخرجه من جملة ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفاء بني ولد العباس ولولا أن دولتهم أعجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية أعرابية وفي أجناد شامية والعرب أوعى لما تسمع وأحفظ لما تأتي ولها الأشعار التي تقيد عليها مآثرها وتخلد لها محاسنها وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عادتها في جاهليتها فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً وتدبيراً لا يحصى ولو أن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسات كبرائهم وما جرى في ذلك من فوائد الكلام وشريف المعاني كان فيما قال المنصور وفعل في أيامه والمأمون من بعده ما يفي بجماعة ملوك بني مروان ولقد تتبع أبو عبيدة النحوي وأبو الحسن المدائني وهشام بن الكلبي والهيثم بن عدي أخباراً قد اختلفت وأحاديث قد تقطعت فلم يدركوا إلا قليلاً من كثير وممزوجاً من خالص وعلى كل حال فإنا ذاكرون لك بقية ما رويناه للعباس بن محمد وعبد الملك بن صالح

والعباس بن موسى وإسحق بن عيسى وإسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر وما رواه إبراهيم
بن السندي عن السندي وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بني هاشم ومواليهم عرفت بتلك
البغية كثيرا مما فات وبدل الصحيح أين موضع الفساد مما صنعه الهيثم بن عدي وتكلفه
هشام بن الكلبي ونذكر جملا مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن
كنا قد ذكرنا من ذلك طرفا ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل فإنه يأتي من وراء الحاجة
ويعرب بجملة مراد البغية قال وكان المنصور داهيا أريبا مصيبا في رأيه سديدا وكان مقدما
ومتبحرا من كتاب الآثار ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوراقين معروف عندهم ولما همّ بقتل
أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فأرق في ذلك ليلته فلما أصبح دعا بإسحق
بن مسلم العقيلي فقال له حدثني حديث الملك الذي أخبرتني عنه بحران قال أخبرني أبي عن الحصين
بن المنذر أن ملكا من ملوك فارس كان يقال له سابور الأكبر كان له وزير ناصح قد اقتبس
أدبا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم في الدين فوجهه سابور داعية إلى أهل خراسان
وكانوا قوما عجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين استكانة لعز الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم
على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا واغتر بقتل ملوكهم لهم وتغولهم إياهم وكان
يقال لكل صغير صولة ولكل ليل دولة فلما تلاحمت أعضاء الأمور التي لقح استحالت
حربا عوانا شالت أسافلها بأعاليها فانتقل العز إلى أذلهم والنباهة إلى أخملهم فأشربوا
له حبا مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين فلما استوسقت له البلاد بلغ سابور أمرهم
وما أحال عليه من طاعتهم ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال في قطع رجائه
من قلوبهم وكان يقال : وما قطع الرجاء بمثل يأس تبادره القلوب على اغترار :
فصمم على قتله عند وروده عليه بروساء أهل خراسان وفرسانهم فقتله فبغتهم بحرث
فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم فوقف بهم بين الغربة ونأي الرجعة وتخلف الأعداء
وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوا
من الفرقة فأذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات
حتف أنفه فأطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول :

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما :

وأمر إسحق بالخروج ودعا بأبي مسلم فلما نظر إليه داخلا قال :

قد اكتنفتك خلات ثلاث جلبن عليك محذور الحمام :
خلافك وامتنانك ترتميني وقودك للجماهير العظام :

ثم وثب إليه ووثب معه بعض حشمه بالسيوف على أبي مسلم فلما رآهم وثب
فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه منها ثم قال :

اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم :
زعمت أن الدين لا يقتضى كذبت فاستوف أبا مجرم :

ثم أمر بحز رأسه وبعث به إلى أهل خراسان وهم ببابه فجالوا حوله ساعة ثم ردهم عن
شغبهم انقطاعهم عن بلادهم وإحاطة الأعداء بهم فذلوا وسلموا له وكان إسحق إذا
ذكر المنصور قال : وما أخذ والله الأمثال إلا بالحذو وإن حذوت على مثال :
وكان المنصور إذا ذكر ذلك قال :

وخلفها سابور للناس يقتدى بأمثالها في المعضلات العظائم :

وكان المهدي يحب القيان وسماع الغناء وكان معجبا بجارية يقال لها جوهر وكان
اشتراها من مروان الشامي فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي وجوهر تغنيه فقال مروان

أنت يا جوهر عندي جوهر في بياض الدر نم المشتهر :
فإذا غنت فنار ضرمت قد بثت في كل قلب شرر :

فاتهمه المهدي وأمر به فدفع في عنقه إلى أن خرج ثم قال لجوهر اطربيني فأنشأت تقول

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم :
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أرمى وأنت سليم :
فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم :

فقال المهدي : ألا يا جوهر القلب لقد زدت على الجوهر :
وقد أكملك الله بحسن الدل والمنظر : إذا ما صلت يا أحسن خلق الله بالمزهر :
وغنيت ففاح البيت من ريحك بالعنبر : فلا والله ما المهدي أولى منك بالمنبر :
فإن شئت ففي كفك خلع ابن أبي جعفر : قال الهيثم أنشدت مروان وهو ولي العهد
أيام موسى بيتين لحمزة بن بيض في سليمن بن عبد الملك :

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سخطة ساخط أو طايع :
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا وعلى جبينك نور ملك ساطع :

قال يا يحيى اكتب لي هذين البيتين ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بألفي درهم
فاستقلها وبلغ ذلك أبا جعفر فقال أما يرضى أن حقنت دمه وقد استوجب إراقته ووفرت ماله
وقد استحق تلفه وأقررته وقد استحق الطرد وقربته وقد استحق البعد أليس هو القائل
في بني أمية : إذا قيل من عند ريب الزمان لمعتر مهر ومحتاجها :
ومن يعجل الخيل يوم الوغى بإلجامها قبل إسراجها :
أشارت نساء بني مالك إليك به قبل أزواجها :
قال ابن هرمة فلا والله ما قلت فيك أحسن من هذا قال ما أراه قال قلت :

إذا أملت أي فتى تغلبون أممت إلى اللخمي بالذابل
وأضرب للقرن يوم الوغى وأطعم في الزمن الماحل
أشارت إليك أكف الورى إشارة غرقى إلى ساحل

قال المنصور: أما هذا الشعر فمسترق، وأما نحن فلا نكافي إلا بالحق من أحسن. ولما احتال أبو الأزهر بن المهلب لعبد الحميد بن ربعي بن خالد بن معدان وأسلمه حميد إلى المنصور قال: لا عذر فأعتذر، وقد أحاط بي الذنب، ولكن أولى بما ترى. قال: لست أقتل أحدًا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم. قال: إن لم يكن فيّ مصطنع فلا حاجة لي في الحياة، ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم. قال: اسكت مقبوحًا مشقوحًا واخرج فإنك أنوك جاهل، أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت. ولما دام أمر سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصل إلى المنصور، أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤوس اليمانية في المقصورة يوم جمعة، ثم قال: قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين: قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده وقديم نعمتي عليه، والذي حاول من الفتنة ورام من البغي وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء وإراقة الدماء، وأنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ورب نعمه السابغة عنده لما يعرف أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء، وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم. وقال سهل بن هارون يومًا وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الجهل. فقال المأمون: قد يسمي بعض الناس الشيء علمًا وليس بعلم، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرنا، ولو قلت: إن العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تستقصى أصنافه ولا يضبط آخره، فالأمر على ما قلت، فإذا كان الأمر كذلك فابدأ بالأهم فالأهم، وابدأ بالفرض قبل النفل، فإذا فعلتم ذلك كان عدلًا وقولًا قصدًا. وقد قال بعض العلماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك وسهولته عليك. وقال أيضًا بعض الحكماء: لست أطلب العلم طمعًا في بلوغ غايته والوقوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل إغفاله. وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر وجل الفقه، وعلم التجار الحساب والكتاب، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازي وكتب السير. فأما أن تسمي الشيء علمًا وتنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه، بل تنهى نهيًا جزمًا وتأمر أمرًا حتمًا، والعلم بصر وخلافه عمى، والاستبانة للشيء نامية

عنه والاستبانة للخبير آمرة به. ولما قرأ المأمون كتبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به وصرت إليه، وقد كان أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها، قال لي: قد كان بعض من يرتضى عقله ويصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة، فقلنا: قد تربي الصفة على العيان، فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة، فلما فليتها أربى الفلي على العيان كما أربى العيان على الصفة، وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه ولا يفتقر إلى المحتجين عنه، قد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل، فهو سوقي ملوكي وعامي خاصي. ولما دخل عليه المرتد الخراساني، وقد كان حمله معه من خراسان حتى وافى به العراق، قال له المأمون: لأن أستحييك بحق أحب إلي من أن أقتلك بحق، ولأن أقبلك بالبراءة أحب إلي من أن أدفعك بالتهمة، قد كنت مسلمًا بعد أن كنت نصرانيًا، وكنت فيها أفسح وأيامك أطول، فاستوحشت مما كنت به آنسًا، ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافرًا، فخبرنا عن الشيء الذي أوحشك من الشيء الذي صار آنس لك من إلفك القديم وأنسك الأول، فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة، وإن أخطأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد ولم تفرط في الدخول في باب الحزم. قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم. قال المأمون: لنا اختلافان، أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك، وليس هذا باختلاف، إنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم، ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يحوب، لا يتعايرون ولا يتعايبون، أنت ترى ذلك عيانًا وتشهد عليه تبيانًا، والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع إجماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقًا على تأويله كما يكون متفقًا على تنزيله، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئًا من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. فقال المرتد: أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد، وأن المسيح عبده، وأن محمدًا صادق، وأنك أمير المؤمنين حقًا. فأقبل المأمون على أصحابه فقال: فروا عليه عرضه ولا تبروه في يومه ريثما يعتق إسلامه، كيلا يقول عدوه: إنه أسلم رغبة، ولا تنسوا بعد نصيبكم

من سره، وتأنيسه ونصرته والغاية عليه. حدثنا أحمد بن أبي دواد قال قال لي المأمون لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم وبين صنائعهم وبطانتهم وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً حتى لا يزال الرجل يقول ما أوقع به إلا رغبة في ماله أو رغبة في بعض ما لا تجود النفوس به ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت في ذلك وهناك خيانات في صلب الملك أو في بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة في الملك ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة. وترك رجل من أهل العسكر فقام بين يدي المأمون وشكا إليه مظلمته فأشار بيده أن حسبك فقال له بعض من كان يقرب من المأمون يقول لك أمير المؤمنين اركب قال المأمون لا يقال لمثل هذا اركب إنما يقال له انصرف. وحدثني إبراهيم بن السندي قال بينا الحصن اللؤلؤي يحدث المأمون ليلاً وهو بالرقة وهو يومئذ في عهد وأطال الحصن الحديث نعس المأمون فقال الحصن نعست أيها الأمير ففتح المأمون عينيه وقال سوقي ورب الكعبة يا غلام خذ بيده.

ثم نذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والحمقى والأغبياء وما ضارع ذلك

وأحببنا ألا يكون مجموعاً في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمع. مر ابن أبي علقمة بمجلس بني ناجية فكبا حماره لوجهه فضحكوا منه فقال ما يضحككم رأى وجوه قريش فسجد. أبو الحسن قال أتى رجل عبادياً صيرفياً يستسلف منه مائتي درهم فقال وما تصنع بها قال أشتري بها حماراً فلعلي أربح فيه عشرين درهماً قال إذا أنا وهبت لك العشرين فما حاجتك إلى المائتين قال ما أريد إلا المائتين قال أنت لا تريد أن ترد ما عليك. قال وأتى قوم عبادياً فقالوا نحب أن تسلف فلاناً ألف درهم وتؤخره سنة فقال ما هاهنا حاجتان وسأقضي لكم إحداهما وإذا فعلت ذلك فقد أنصفت أما الدراهم فلا تسهل علي ولكني أؤخره سنتين. ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج فلما رآه قد استجاد لعبه وفاق صدر الكلام قال له لم لا توليني نهر بوق قال أوليك نصفه اكتبوا له عهده على بوق. وقال له مرة وهو في أرمينية قال يبطي على أمير المؤمنين خراجها. وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال له قد كنت عند الأمير فأي شيء ولاك قال ولاني قفاه. قال ونظر أمير إلى أعرابي فقال لقد متم في الأمير بحبي قال ما فعلت قال فبئس قال وما فعلت قال إن الأمير لمجنون. قال أبو الحسن شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال الحاكم تشهد أنك رأيته يدخله ويخرجه قال والله لو كنت جلدة استها ما شهدت

بعداً. قال وكان رجل من أهل الري يجالسنا فاحتبس عنا فأتيته فجلست معه على بابه وإذا رجل يدخل ويخرج فقلت من هذا فسكت ثم أعدت فسكت فلما أعدت الثالثة قال مولود وخ اخت خالتي. وقال الشاعر

إذا المرء جاز الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى ولو جر أرسان الحياة له الدهر

أعرابي خاصمته امرأته إلى السلطان فقيل له ما صنعت قال خيراً كبها الله لوجهها وأمر بي إلى السجن. قال أبو الحسن عرض الأسد لأهل قافلة فتبرع عليهم رجل فخرج إليه فلما دنا سقط وركبه الأسد فشدوا عليه بأجمعهم فنحوه عنه فقالوا له ما حالك قال ما بأس علي ولكن الأسد خرى في سراويلي. قال أبو عباية السليطي قد فسد الناس قلت وكيف قال لا بسلم بين مزادتي مزة هذه ما كان يمر بها غلام إلا يخبر قلت هذا إصلاح قال لا بل فساد. أبو الحسن قال خطب سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمان على أخيه فقالت لا أتزوجه قال ولم قالت هو أحمق له برذونان أشهبان فيحتمل مؤونة اثنين وهما عند الناس واحد. قال وكان المغيرة بن المهلب ممروراً وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مرته فقال له الحجاج ادخل المتوضأ وأمر من يقيم عنده حتى يتقيأ ويفيق. قال أبو الحسن قالت خيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلي قال لها إن أخاك أحمق قالت فإني أحب أن تفعل فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسع له فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له ما فعل ابن عمك فلان قال حاضر فقال أرسل إليه ففعل فلما نظر إليه في غير موضع المجلس قال يا ابن اللخناء المهلب جالس ناحية وأنت جالس في صدر المجلس ووثبه فتركه المهلب وانصرف فقالت له خيرة أمررت بأهلي قال نعم وتركت أخاك الأحمق يضرب. قال وكتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها أمة لبعلها فكتب إليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب إليه الحجاج لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها. قال السوار بن منقذ العجلي

صلتة الخد طويل جيدها ضخمة الثدي ولما ينكسر

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا حتى تدني أو تروي الرضيع. وقال ابن صدقة لرجل رأى معه خفاً ما هذه القلنسوة فاختصموا إلى ابن باض فقال ابن باض هي قلنسوة الرجلين. قال أبو إسحق قلت لغنجير [illegible] وعدتنا أن تجيء ارتفاع النهار فجئتني صلاة العصر قال جئتك ارتفاع العشي. قال قيل لأعرابي ما اسم المرق عندكم قال السخين قال فإذا برد قال لا ندعه حتى يبرد. باع نخاس من أعرابي غلاماً فأراد أن يبرأ من عيبه قال اعلم أنه يبول في الفراش قال إن وجدتها فليبل فيه. حدثنا صديق لي قال أتاني أعرابي بدرهم فقلت له هذا زائف فمن أعطاكه قال لص مثلك

وقال يزيد بن كثوة أتيت بني كيش ما وكأنها بلاد عرس وبلق الباب بلاد نعوق والمزدحم فيه سبعان
من الناس وأنصت ولوج الدار فدلطني الحراد لم أقلة ثم مور بي على قمة رأسي وانصرفت شبعان
إلى منزلي يتنظر من المرية فبعثت إليهم فوالله أوفرنا انتظار نظار حتى عقل الليل وانصرفت
وأتيت باب كيش وإذا الرجال صبيان وإذا الرماد كثير وطهاة لا تحصى والجفان في جمان
الإكام . صلح بن سليمان قال من أحمق الشعراء الذي يقول

أميم بن عبد ما حييت فإن أمت أوكل بن عبد من يهيم بها بعدي

ولا يشبه قول الآخر . فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أعم القفا والوجه ليس بأنزعا
قال مات لابن مقرن غلام فجعل لهم أعرابي قبره بدرهمين وذلك في بعض الطواعين
فلما أعطوه الدرهمين قال دعوهما حتى يجتمع لي عندكم ثمن ثوب . وإذا خلا أعرابي إلى
لمن بد رجليه له فنظر إليهما بعض الغوغاء فقال لا إله إلا الله ما أسمن هذين الجزرين قال له الأعرابي
ما لهما تكون جزرا أجزرك الله . أبو الحسن قال جاء رجل إلى رجل من الوجوه فقال أنا جارك
وقد مات أخي فلان فمر له بكفن قال لا والله ما عندي اليوم شيء ولكن تعهدنا وتعود بعد
أيام فسيكون الذي تحب قال أصلحك الله فنملحه إلى أن يتيسر عندكم شيء . قال كان مولى
النكرات يدعي البلاغة وكان يتصفح كلام الناس فيستملح الرديء ويذم الجيد وكتب إلى بشر رسالة
يعتذر فيها من ترك الحج فقال وقطعني عن الحج إليكم أنه طلعت في إحدى أنثيي بثرة
فعظمت وعظمت حتى صارت كأنها رمانة صغيرة . وقال علي بن الأسواري فلما رأيته
اصفر وجهي حتى صار كأنه الكشوث . وقال له محمد بن الجهم إلى أين بلغ الماء منك قال إلى العانة
قال شعيب بن زرارة لو كان قال إلى الشعرة كان أجود . وقال له محمد بن الجهم هذا الدواء الذي
جئت به قدر كم آخذ منه قال قدر بعرة . وقال علي جاءني رجل حرنبل من هاهنا إلى ثمة
قال قاسم التمار بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض . وقال قاسم التمار رأيت إيوان كسرى
كأنما بعث عنه الأول أو بعد أمس . وأقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ وذلك بعد العصر
بساعة فقال لبعضهم قم صل فإنك الصلاة ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر قم صل ويلك
فقد ذهب الوقت فلما أكثر عليهم في ذلك وهو جالس لا يقوم يصلي قال له واحد منهم فأنت لم
لا تصلي فأقبل عليه فقال ليس والله تعرفون أطيب من هذا قلت وأي شيء أصلك قال لا أصلي إلا مع
منذ المغرب قد جاز . وقال قاسم أنا أنفس بنفسي على السلطان . وأنا منزل ابن أبي شهاب
إلا على زمومة . وقد تعشى القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز وزيتون وكامخ فقال أنا لا أشرب النبيذ
في أثناء الكسل منذ ثلاث ليال في كل ليلة عشر مرات كان الإكسال عندي . وقال حين بعث البغل بالغرج
وقال ذهب والله في الأطيبين قلت وأي شيء الأطيبين قال قوة الذراعين والرجلين . وقال ليس في الدنيا ثلاثة أنكح

وقال قال الثوري علي عزق حين قعدت منها مقعد الرجل من الغلام . وقال في غلام له رومي ما وضعت
بيني وبين الأرض أطيب منه . قال ومحمد بن حسان لا يشكر في ووالله ما نالت حاذرا قط إلا علي
يدي . وقال أبو خشرم ما أعجب أسباب النبط فقيل له النبط وحدهم سمعنا الناس يقولون ما أعجب
أسباب الرزق وما أعجب الأسباب . وكان قاسم التمار عند ابن الأخو بن عبد الصمد بن علي ومنادمه
جماعة فأقبل ومنبه المحتسب يعرض له بالغلمان فلما طال ذلك على قاسم أراد أن يقطعه عن
نفسه بأن يعرفه بهوان ذلك القول عليه فقال اشهدوا جميعا أني أنيك الغلمان واشهدوا
جميعا أني أقعي الصبيان والنعت البغالة فرأى الأخو بن الهرليين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال
فقال عنيت بقولي اشهدوا جميعا أني لوطي أي أني على دين لوط قال القوم بأجمعهم أنت لم تقل
اشهدوا أني لوطي إنما قلت اشهدوا جميعا أني أنيك الصبيان . قال أبو سفيان السروي لم يكن
في الأرض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالفرائض من ما شاء الله كان يريد ما شاء الله المنجم وكان يقول
هو أكفر عندي من رام هرمز يريد أكفر من هرمز . وممن وسوس علقمة بن الحرث ملك قيس
عيلان وسوس حين قتل أخوته وكان يتغلف ويغلف أصحابه بالغالية فسمي علقمة بذلك .
وكان رجل يليط البغلات فجلس يوما يحدث عن رجل كيف نال بغلة وكيف انكسرت رجله وكيف
كان يتلطف قال كان يضع تحت رجله لبنة فبينا هو يتغنى فيها إذ انكسرت اللبنة من تحت رجله وإذا
أنا على قفاي . ومن الأحاديث المولدة التي لا تكون وهو مليح في ذلك قولهم نال رجل كلبة
فعقدت عليه فلما طال عليه البلاء رفع رأسه فصادف رجلا يطلع عليه من سطح فقال له الرجل
اضرب جنبها فلما ضرب جنبها وتخلص قال قاتله الله أي نياك كلبات هو . وكان عند قاسم البصري
قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا إلا حديث جرجيس فلما بكى واحد من النظارة قال القاص أنتم
بأي شيء تبكون إنما البلاء علينا معاشر العلماء . قال وبكى حول أبي شيبان ولده وهو يريد مكة
قال لا تبكوا يا بني فإني أريد أن أضحي عندكم . وقال آخر وبدت في رأس الهلال للنصف من شهر
رمضان أحسب أنت الآن هذا كيف شئت . وقال تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير
الذي هدم الكعبة . وقال ذلك لم يكن أبا إنما كان والدا . وقال أبو دينار هو وإن كان أخا فقد
ينبغي أن ينصف . ومن المجانين علي بن إسحق بن يحيى بن معاذ وكان أول ما عرف من جنونه
أن قال أرى الخطأ قد كثر في الدنيا والدنيا كلها في جوف الفلك وإنما تؤتى منه وقد تخلخل
وتخرم وتزايل فلا شك أنه ما يغتذي الهرم وإنما هو منجنون فكم يصبر وما احتيال في الصعود
إليه فلو أني أن نجزته وتدحرجته وسويته انقلب هذا الخطأ كله إلى الصواب . وجلس مع بعض
متغافلي بنيان العسكر وجاءهم النخاس بجواري فقال ليس نحن في تقويم الأبدان إنما نحن في تقويم
الأعضاء ثمن أنف هذه خمسة وعشرون دينارا وثمن أذنيها ثمانية عشر وثمن عينيها
ستة وستون وثمن رأسها بلا شيء من حواسها ما يدري بشر قال صاحبه المتغافل هلا ثمنتا بابا

هو أدخل في الحكمة من هذا كان ينبغي لقدم هذه أن تكون لساق تلك وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه، وكان ينبغي لشفتي تيك أن تكونا لفم تيك وتكون حاجبا تيك لجبيني هذه، فيجيء مقوّم الأعضاء. ومن النوكى كلاب بن ربيعة، وهو قتل الخثعمي قاتل أبيه دون إخوته وهو القائل:

ألم ترني ثأرت بشيخ صدق * وقد أخذ الإداوة فاحتساها

ثأرت بشيخه شيخا كريما * شفاء النفس إن شيء شفاها

ومنهم نعامة وهو بيهس، وهو الذي قال: مكره أخوك لا بطل، وإياه يعني الشاعر:

ومن حذر الأيام ما حز أنفه * قصير ولاقى الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرّع القوم رهطه * تبين في أثوابه كيف يلبس

وقال الحضرمي: أما أنا فلا أشهد أن تميما أكثر من محارب. وقال حيان الأبرد: قبح الله الباطل، الرهب السكر، والله طيب. قال أبو الحسن: سمعت الصغدي الحارثي يقول: كان الحجاج أحمق، بنى مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم: لا تدخلوها، فلما مات دخلوها من قريب. مسعدة بن المبارك قال: قلت للبكراوي: أيام أبيك جمل؟ قال: شيء ليس بشيء. قال: لما بنى عبيد الله بن زياد البيضاء كتب رجل على باب البيضاء: شيء ونصف شيء ولا شيء، الشيء مهران الترجمان، ونصف شيء هند ابنة أسماء، ولا شيء عبيد الله بن زياد. فقال عبيد الله: لولا الذي عمته أنه لا شيء لما كان ذلك الشيء شيئا ولا ذلك النصف نصفا. وقال هشام بن عبد الملك يوما في مجلسه: يعرف حمق الرجل بخصال: بطول لحيته وشناعة كنيته وشهوته ونقش خاتمه. فأقبل رجل طويل اللحية فقال: هذا واحد، ثم سأله عن كنيته فإذا هي شنعاء، ثم قال: ما نقش خاتمك؟ قال: وأي شيء أشهى إليك؟ قال: رمانة مصاصة. قال: أمصك الله ببظر أمك. وقيل لأبي الغثام: لم لا تغزو وتخرج إلى المصيصة؟ قال: أمصني الله إذا ببظر أمي. وقالوا لأبي الأصبغ بن ربعي: أما تسمع بالعدو وما يصنعون في البحر، لم لا تخرج إلى قتال العدو؟ قال: أنا لا أعرفهم ولا يعرفونني، كيف صاروا لي أعداء؟ قال: كان الوليد بن القعقاع عاملا على بعض الشام، وكان يستسقي في كل خطبة وإن كان في أيام الشعرى، فقام إليه شيخ من أهل حمص فقال: أصلح الله الأمير، إنها تفسد القطاني، يعني الحبوب، واحدها قطنية. وأما نفيس غلامي فإنه إذا صار إلى فراشه في كل ليلة في سائر السنة يقول في دعائه: اللهم حوالينا ولا علينا. قال: وكان بالكوفة رجل يحدث عن بني إسرائيل، وكان يكنى أبا عقيل، فقال له الحجاج بن خيثمة: ما كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال: خيثمة. فقال له رجل من ولد أبي موسى: في أي الكتب وجدت هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص. ومن المجانين الأشراف ابن ظبيان الأزدي، وكان يقرأ «قل يا أيها الكافرون» حتى، فقيل له في ذلك فقال: قد عرفت القراءة في ذلك ولكني لا أجل أمر الكفرة. وقال حبيب بن أوس:

ما ولدت حواء أحمق لحية * من سائل يرجو الغنى من سائل

وقال أيضا:

أيوسف جئت بالعجب العجيب * تركت الناس في شك مريب

سمعت بكل داهية نآد * ولم أسمع بسراج أديب

أما لو أن جهلك عاد علما * إذن لنفذت في علم الغيوب

وما لك بالغريب يد ولكن * تعاطيك الغريب من الغريب

وأنشدوا:

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

وهذه أبيات كتبناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها، قال الشاعر:

وللدهر أيام فكن في لباسها * كلبسته يوما أجد وأخلقا

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم * وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا

وقال الآخر:

وأنزلني طول النوى دار غربة * إذا شئت لاقيت الذي لا أشاكله

فحامقته حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال أبو العتاهية:

من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطى الدهر

فاخط مع الدهر على ما خطا * واجر مع الدهر كما يجري

ليس لما ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

وقال بشر بن المعتمر:

حيلة ما ليست له حيلة * حسن عزاء النفس والصبر

وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن عناء أن تفهم جاهلا * ويحسب جهلا أنه منك أفهم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * إذا كنت تبنيه وآخر يهدم

وقال بشر بن المعتمر:

وإذا الغبي رأيته مستغنيا * أعيا الطبيب وحيلة المحتال

ومن المجانين مهدي بن الملوح الجعدي، وهو مجنون بني جعدة، وبنو المجنون قبيل من قبائل بني جعدة، وهو غير هذا المجنون. وأما مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ، وهو الذي يقال له مجنون بني عامر، وهما شاعران قيل ذلك لهما لتجننهما بعشيقتين كانتا لهما، ولهما أشعار معروفة. وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفة فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة، ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الأحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شيء، ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب فصار زهدهم في نسيب العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب، ثم رأيتهم منذ سنيات وما يروى عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتياني متغزل. وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي

ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده، وكان خلف يجمع ذلك كله ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل ورأيت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر ولقد رأيت أبا عمرو الشيباني يكتب أشعارا من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر وربما خيل إلي أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعرا جيدا لمكان إغراقهم في أولئك الآباء ولولا أن أكون عيابا ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة. قال ابن المبارك كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة فقلت له لم كنوك أبا خارجة قال لأني ولدت يوم دخل سليمان بن علي البصرة. وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل وكان يكنى أبا خزيمة فقلت لأصحابنا مثل لكم في مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته فلعل الله يفيد من هذا الشيخ علما وإن كان في ظاهر الرأي غير مأمول ولا مطمع وهذه الكنية كنية زرارة بن عدس وكنية خازم بن خزيمة وكنية حمزة بن أدهم وكنية فلان وفلان وكل هؤلاء إما قائد متبوع وإما سيد مطاع ومن أين وقع هذا العلج الألكن على هذه الكنية فدعوته فقلت له أهذه الكنية كناك بها الإنسان أو كنيت بها نفسك قال لا ولكني كنيت بها نفسي قلت فلم اخترتها على غيرها قال ما يدريني قلت ألك ابن يسمى خزيمة قال لا قلت فكان أبوك أو عمك أو مولى لك يسمى خزيمة قال لا قلت فلم اخترت هذه الكنية وأكثر بأحسن منها وخير منه يسرا قال لا والله ولا بجميع الدنيا. أعطى الجلول ابنه درهما وقال زنه فطرح وزن درهمين وهو يحسبه وزن درهم فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم فلما رفعه وجده زائدا فألقى معه حبتين فقال له أبوه كم فيه قال ليس فيه شيء وهو ينقص حبتين. وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش فأخذ يوما في ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة فقال هذا الذي عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين قالوا وكيف ذاك قال خمسا وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا ولا كثيرا وخمس سنين قائلة وعشرين سنة إما أن يكون صبيا وإما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ولا بد من صبحة بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكذا تغشى الذي

بلغ

يصيب الإنسان من أرق ودمل وغير ذلك من الآفات فإذا حصلنا ذلك فقد صح أن الذي عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين. وقال بعض الملاح دخل فلان على كسرى فقال أطلعك الله ما تأمر به في كذا وكذا. قال رجل من وجوه أهل البصرة حدثت خادمة أيام العرس فنادى كسرى لي الطاه جامعة. وقلت لغلامي نفيس بعثتك إلى السوق في حوائج فاشتريت ما لم آمرك به وتركت كل ما أمرتك به قال يا مولاي أنا نافذ وليس في ركبتي ملح. وقال نفيس لغلام لي الناس ويلك أنت خيار كلهم، أقل يريد أنت أقل الناس كلهم خيرا. وقلت لنفيس ابن برنية هذا الصبي في أي شيء أسلموه قال في أصحاب سند نعال يريد في أصحاب النعال السندية. روى الأصمعي وابن الأعرابي عن رجالهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنا معشر الأنبياء بكاء فقال ناس البكوء القلة وأصل ذلك من اللبن فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول فلئن ليس في ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز في الخلقة وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا وقد يكون القليل من اللفظ يأتي على الكثير من المعاني والقلة تكون من وجهين أحدهما من جهة التحصيل والإشفاق من التكلف وعلى تصديق قوله قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين وعلى البغض من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى تصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى جياد المعاني والجهل بمحاسن الألفاظ ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى حين قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبي صلى الله عليه وسلم أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة من موسى لأن العرب أشد فخرا ببيانها وطول ألسنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال وقد شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه الطوال في المواسم الكبار ولم يطل التماسا للطول ولا رغبة في القدرة على الكثير ولكن المعاني إذا كثرت والوجوه إذا افتنت كثر عدد اللفظ وإن حذفت فضوله بغاية الحذف ولم يكن الله ليعطي موسى لتمام إبلاغه شيئا لا يعطيه محمدا والذين بعث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيان واللسن وإنما قلنا هذا لنحسم جميع وجوه الشغب لا لأن أحدا من أعدائه شاهد هناك طرفا من العجز ولو كان ذلك لكان مشهورا مستفيضا لاحتجوا به في الملأ ولتناجوا به في الخلاء ولتكلم به خطيبهم ولقال فيه شاعرهم فقد عرف الناس كثرة خطبائهم وتسرع شعرائهم هذا على أنا لا نزري أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لم يقله لأن

صح نافذ

مثل هذه الأخبار يحتاج فيها إلى الخبر المكشوف والحديث المعروف ولكنا بفضل الثقة وظهور
الحجة نجيب بمثل هذا وشبهه وقد علمنا أن من يقرض الشعر ويتكلف الأسجاع ويؤلف
المزدوج ويتقدم في تحبير المنثور وقد تعمق في المعاني وتكلف إقامة الوزن والذي تجود
به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهوا مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد أمرا وأحسن
موقعا من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج ولأن التقدم فيه وجمع
النفس له وحصر الفكر عليه لا يكون إلا ممن يحب السمعة ويهوى التفخم والاستطالة وليس
بين حال المتنافسين وبين حال المتحاسدين إلا حجاب رقيق وحجاز ضعيف والأنبياء بمعزل
من هذه الصفة وفي ضد هذه الشيمة. وقال عامر بن عبد قيس الكلمة إذا خرجت من القلب
وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان. وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ
جمة ومعان تدعو إلى الرقة فلم ير الحسن رق فقال الحسن إما أن يكون بنا شر أو بك. يذهب
إلى أن المستمع يرق على قدر رقة القائل والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبي
صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم وهو القليل الجامع للكثير وقال
الله وقوله الحق وما علمناه الشعر ثم قال وما ينبغي له ثم قال ألم تر أنهم في كل واد يهيمون
وأنهم يقولون ما لا يفعلون فعم ولم يخص وأطلق ولم يقيد من الخصال التي تهمهم بها تكلف
الصنعة والخروج إلى المباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق
ومن كان كذلك كان أشد افتقارا إلى السامع من السامع إليه لشغفه أن يذكر في البلغاء
وصبابته بالتحاق بالشعراء ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة وولدت ذلك
في قلبه شدة الحمية وحب المحاربة ومن شغف هذا الشغف وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة
كانت حاله داعية إلى قول الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة إلى الناس والإفراط
في مديح من أعطاه وذم من منعه فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب ولا الحساب ولم يرغبه
في صنعة الكلام والتعبير لطلب الألفاظ والتكلف لاستخراج المعاني وجمع له ذلك كله
في الدعاء إلى الله والصبر عليه والمجاهدة فيه والانقطاع إليه والميل إلى كل ما قرب منه
فأعطاه الإخلاص الذي لا يشوبه رياء واليقين الذي لا يطوره شك والعزم المتمكن والقوة
الفاضلة فإذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبد للمعاني وتعود نظمها
وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها وإثارتها من أماكنها علموا أنهم
لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم وبكثير ما قد خولوه قليلا
مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم في طلبه واختلاف إلى أهله وكانوا مع تلك
المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لا ينفكون في بعض تلك المقامات من بعض
الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخطل ومن التعثر والانتشار ومن التشديق

والإكثار وقد رأوه مع ذلك يقول إياكم والتشادق وأبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون
ثم رأوه في جميع دهره في غاية التسديد والصواب التام والعصمة الفاضلة والتأييد
الكريم علموا أن ذلك من ثمرة الحكمة ونتاج التوفيق وأن تلك الحكمة من ثمرة التقوى
ونتاج الإخلاص وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة صحيحة ومدخولة لا يخفى
شأنهما على نقاد الألفاظ وجهابذة المعاني مميزة عند الرواة الخلص وما بلغنا عن أحد
من جميع الناس أن أحدا ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة واحدة بعده وما قبله
حجة في تأويله ذلك الحديث إن كان حقا في كتاب الله المنزل أن الله تبارك وتعالى جعل
منية داود الحكمة وفصل الخطاب كما أعطاه إلانة الحديد وفي الحديث المأثور والخبر
المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعيب خطيب الأنبياء وعلم الله سليمان
منطق الطير وكلام النمل ولغات الجن فلم يكن تعالى وعز ليعطيه ذلك ثم يبتليه في
نفسه وبيانه عن جميع شأنه بالعقلة والعجز ثم لا تكون تلك العقلة إلا على الإيثار
منه للعقلة في موضعها وعلى البعد من استعمال التكلف ومناسبة أهل الصنعة والمشغوفين
بالسمعة ومثل هذا لا يجوز على الله عز وجل فإن كان الذي رووه من قوله إنا معاشر الأنبياء
بكاء على ما قالوه فلهم. وذلك أن لفظ الحديث عام في جميع الأنبياء والذي ذكرنا من حال داود
وسليمان صلى الله عليهما وحال شعيب والنبي صلى الله عليه وسلم دليل على بطلان تأويلهم
ورد عموم لفظ الحديث ومن جملة كافية لمن كان يريد الإنصاف. وكان شيخ من
البصريين يقول إن الله إنما جعل نبيه أميا لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر
ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ويقصره
على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر والبشر ومن العلم بالأنواء
وبالخيل وبالأنساب وبالأخبار وتكلف قول الأشعار ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم
وتكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على أنه من الله وزعم أن الله لم يمنعه معرفة آدابهم
وأخبارهم وأشعارهم فيكون أنقص حظا من الحاسب والكاتب ومن الخطيب الناسب ولكن ليجعله
نبيا وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأنمى فإنما نقصه ليزيده ومنعه ليعطيه وحجبه
عن القليل ليجلي له الكثير. وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير وقال بمبلغ علمه
ومنتهى رأيه ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب
قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى
وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة وكان إذا احتاج
إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء وأنسب من كل
ناسب وأقوف من كل قائف ولو كان في ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب

وشاعر ناسب ومتعرض قائف ثم أعطاه الله بعد ما آتاه الرسالة وعلامات النبوة ما كان ذلك
مانعا من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم وكرههم وحبهم
ومحبوبهم ولكنه أراد ألا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه
حجاب وإن رق وليكون ذلك أخف في المؤونة وأسهل في المحنة فلذلك صرف نفسه عن الأمور
التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها فلما طال مجرانه العرب عن الشعر وروايته صار لسانه
لا ينطلق به والعادة توأم الطبيعة فأما في غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق
وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف وكانت آلته أوفر وأداته أكمل إلا أنها كانت مصروفة
إلى ما هو أرد وبين أن تضيف إليه العجز وبين أن تضيف إليه العادة الحسنة وامتناع الشيء
عليه من طول الهجران له فرق ومن العجب أن صاحب مقرة القالة لم يره عليه السلام في حال
معجزة قط بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل وإن قصر القول أتى على
غاية كل خطيب وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر فكيف ذهب ذلك المذهب والظالم من أمره
عليه السلام غير ما توهم

ونذكر بعض ما جاء في تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ والمداراة له

قال أبو عبيدة اجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعفر فقيل لشيخ من بني سعد ما عندك قال
أرجز بهم يوما إلى الليل لا أفنج وقيل للآخر ما عندك قال أرجز بهم يوما إلى الليل لا أنكف فقيل
للآخر الثالث ما عندك قال أرجز بهم يوما إلى الليل لا أنكش فلما سمعت بنو جعفر كلامهم انصرفوا
وخلوهم قال وبنو ضرار أحد بني ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبيانا
ومنهم شماخ ومزرد وجزء أرادت أمهم وهي أم أوس أن تزوج رجلا يسمى أوسا وكان أوس
من شاعرا فلما رأى بنو ضرار بعشاء أمهم للخطبة تناول شماخ حبل الدلو ثم متح وهو يقول
أم أويس نكحت أو نيسا ... وجاء مزرد فتناول الحبل فقال ... أعجبها أجرارة وكيسا
وجاء جزء فتناول الحبل ثم قال ... أضرط منها لحية وتيسا ... فلما سمع أوس رجز
الصبيان بها هرب وتركها قال أبو عبيدة كان الرجل من بني نمير إذا قيل له ممن الرجل قال
نميري كما ترى فما هو إلا أن قال جرير
فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا ... حتى صار الرجل من بني نمير
إذا قيل له ممن الرجل قال من بني عامر قال وعنزة لذلك قال الشاعر يهجو قوما آخرين
وسوف يزيدكم ضعة هجائي ... كما وضع الهجاء بني نمير ... فلما هجا أبو الرديني
العكلي بني عرو بالقتل قال أبو الرديني
أتوعدني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاها ... فشد عليه رجل منهم
فقتله وما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جرير وزعموا

أن امرأة مرت بمجلس من مجالس بني نمير فتأملها ناس منهم فقالت يا بني نمير لا قول الله
سمعتم ولا قول الشاعر أطعتم قال الله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقال الشاعر
فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا ... والخلق بهذا الحديث
أن يكون مولدا ولقد أحسن من ولده وفي نمير شرف كثير وهل أهلك عنزة وجرما
وعكلا وسلول وباهلة وغني إلا الهجاء وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض النقص
تمحق له الفضل كله بهجاء الشعراء وهل فضح الحبطات مع شرف حسكة بن عتاب
وعباد بن الحصين وولده إلا قول الشاعر
رأيت الحمر من شر المطايا ... كما الحبطات شر بني تميم ... وهل أهلك ظليم
البراجم إلا قول الشاعر ... إن أبانا فقحة لدارم ... كما الظليم فقحة البراجم
وهل أهلك بني العجلان إلا قول الشاعر
إذا الله عادى أهل لؤم ودقة ... فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الوراد عن كل منهل
وأما قول الأخطل ... وقد سرني من قيس عيلان أنني ... رأيت بني العجلان سادوا بني بدر
فإن هذا البيت لم ينفع بني العجلان ولم يضر بني بدر قال أبو عبيدة كان الرجل من بني
أنف الناقة إذا قيل له ممن الرجل قال من بني قريع فما هو إلا أن قال الحطيئة
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
صار الرجل منهم إذا قيل له ممن أنت قال من بني أنف الناقة ... وناس سلموا من الهجاء بالخمول
والقلة كما سلمت غسان وغيلان من قبائل عمرو بن تميم وابتليت الحبطات بلا أنهما أقبح
منهما شيئا وعكل فوق ثور فسلمت ثور بالخمول وابتليت عكل بلا أنها كانت أقبح
والنباهة التي لا يضرها معها الهجاء مثل نباهة بني بدر وبني فزارة ومثل نباهة بني عدس
بن زيد وبني عبد الله بن دارم ومثل نباهة الديان بن عبد المدان وبني الحارث بن كعب
فليس يسلم من مضرة الهجاء إلا خامل جدا أو نبيه جدا وقد هجيت فزارة بأكل
أير الحمار وبكثرة شعر القفا لقول الحارث بن ظالم
فما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشعر الرقابا ... ثم افتخر
مفتخر منهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مزرد بن ضرار
منيع بين ثعلبة بن سعد ... وبين فزارة الشعر الرقاب
فما من كان بينهما بنكس ... لعمرك في الخطوب ولا بكاب
وأما قصة أير الحمار فإن تمام القوم على المطعم لوقيعة ما لا يعرفه فمن كان على حزب الفزارية

في جواب النعمة أكثر من قبل من أطعمه الجوفاني من حيث لا يدري فقد هجوا بذلك وشيء فيهم
وإقو . وقد هجيت الحرث بن كعب . وكتب الهيثم بن عدي فيهم كتابا جماعا جمع ذلك
منهم حتى كأن قد كتبه لهم . ولولا الربيع بن خثيم وسفين الثوري ما علم الناس
أن في الرباب حيا يقال لهم بنو ثور وفي عكل شعر وفصاحة وخيل معروفة الأنساب
وفرسان في الجاهلية والإسلام وزعم يونس أن عكلا أحسن العرب وجوها في غب
حرب وقال بعض قتال بني تميم

خليلي الفتى العكلي لم أر مثله تحلب كفاه ندى شائع القدر
كأن مستهلا حين وقد نار بعلياء لا يخفى على أحد يسري

ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهدا على مقدار حظهم في الشرف ولكن لنصه إلى قول
جران العود . إذا رأف بجما من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يطرف
وقد تمنى بيت الفيلة إذا ابتدرت عليهما إخوتها كنحو فقيم بن جرير بن دارم وزيد بن عبد
الله بن دارم وكنحو الحرمان ومازن ولذلك يقال إن أقبح الأمور لمن تكلف علم الطب
ألا يحسن منه شيئا أو يكون من حذاق المتطببين فإنه إن أحسن منه شيئا ولم يبلغ فيه
المبالغ هلك وأهلك أهله وكذلك العلم بصناعة الكلام وليس كذلك سائر الصناعات
ليس نظره من أحسن باب الفاعل والمفعول به وباب الإضافة وباب المعرفة والنكرة
أن يكون جاهلا بسائر أبواب النحو . وكذلك من نظر في علم الفرائض فليس نظره من
أحكم باب الصلب أن يجهل باب الجد وكذلك الحساب وغيره كثير . وذكروا أن حزن
بن الحرث أحد بني العنبر ولد مجنا فولد محجن شعيث بن سهم فأغير على إبله فأتى أوس
بن حجر يستنجده فقال له أوس أو خير من ذلك أحضض لك قيس بن عاصم وكان يقال
أن حزن بن الحرث هو حزن بن منقر فقال أوس

سائل بها مولاك قيس بن عاصم فمولاك مولى السوء إن لم يغير
لعمرك ما أدري أمن حزن محجن شعيث بن سهم أم لحزن بن منقر
فما أنت يا مولى المضيع حقه وما أنت بالجار الضعيف المستتر

فسعى قيس في إبله حتى ردها عن آخرها . وقال الآخر

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مخارق بن شهاب حين أتاه محرز بن المكعبر
العنبري الشاعر فقال إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها فقال وكيف وأنت
جار وردان بن مخرمة فلما ولى عنه محرز بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته
ما يبكيك فقال وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أغثه والله

لئن هجاني ليفضحني قوله ولئن كف عني ليقتلني شكره ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه
إبله وذكر وزعم أن الذي كان أخفره فقال

أقول وقد بت ابن تعشار برة لو أن جوارا أتى فيها أو الغب
بعض الذي أبقى المواسي من أمه خفير رآها لم يشمر ويغضب
إذا ركبت وسط الرباب وخوا لها إذا احجنت ألفا سنان مجرب
حميت خزاعيا وأفناء مازن وفي زمن الحمسى عن عدي بن جندب

قال وقدم رجل من بني مازن على النعمن بن المنذر فقال له النعمن كيف مخارق بن شهاب فيكم قال
سيد كريم وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ثم مثل إلى قوله

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة وجار ابن قيس جائع يتحوب

قال ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والضر أن ليلى بنت النضر بن الحرث بن كلدة لما عرضت
للنبي عليه السلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته
شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته
والشعر . يا راكبا إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن قصيدة ما إن تزال بها الركائب تخفق
فليسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنية متعبا رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ها أنت ضنء نجيبة من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

قال ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب
ويسب به الأحياء والأموات أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا
لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب
وهو الذي يقول . أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا
كأني لم أركب جوادا ولم أقل لخيلي كري كرة عن رجاليا
فيا راكبا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا

وكان ما لهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا فكان ينوح بهذه الأبيات فلما
أنشد قومه هذا الشعر قال قيس لبيك وإن كنت أخرتني . وقيل لعبيد الله بن عبد الله

بن عتبة بن مسعود كيف تقول الشعر مع النسك والشطط فقال لا بد للمصدور من أن ينفث
وقال معوية للصحار العبدي ما هذا الكلام الذي يظهر منكم قال شيء تجيش به صدورنا فتقذفه
على ألسنتنا ∴ وقال ابن حرب من أحصى شيئا أظهره ∴ وفي المثل من أحب شيئا أكثر ذكره ∴
وقال الخاصم أبو الحويرث السحيمي حمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله في طوية له فقال أبو الحويرث

غممت في حاجة كانت تؤرقني لولا الذي قلت فيها قل تغميضي ∴ قال وما قلت له
قال حلفت بالله لي أن سوف تنصفني فساغ في الحلق ريقي بعد تجريض ∴ قال وأنا أحلف بالله
لا أنصفنك قال ∴ فاسئل الأعز الأكرم خصومتهم أم كيف أنت وأصحاب المعاريض ∴
قال أوجعهم ضربا قال ∴ فاسئل لجيلا إذا وافاك جمعهم هل كان بالبئر حوض قبل تحويض ∴
قال فتقدمت الشهود فشهدت لأبي الحويرث قال فالتفت إلى ابن بيض فقال ∴

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره حقا يقينا ولكن من أبو بيض ∴
إن كنت أنبضت لي قوسا لترميني فقد رميتك رميا غير تنبيض ∴
أو كنت خضخضت لي وطبا لتسقيني فقد سقيتك وطبا غير ممخوض ∴
إن المهاجر عدل في حكومته والعدل يعدل عندي كل تعريض ∴

قال وتزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاما فولدت له جارية فهجرها
وهجر منزلها وصار يأوي إلى غير بيتها فمر بخبائها بعد حول وإذا هي ترقص بنيتها منه وهي تقول
ما لأبي حمزة لا يأتينا ∴ يظل في البيت الذي يلينا ∴ غضبان ألا نلد البنينا ∴
تالله ما ذلك في أيدينا ∴ وإنما نأخذ ما أعطينا ∴ فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما
حضرا حتى ولج عليهما الخباء فقبلها وقبل بنيتها وقال ظلمتكما ورب الكعبة ∴ وقال مسلم بن الوليد

فإني وإسماعيل عند فراقه لكالجفن يوم الروع فارقه النصل ∴
فإن أغش قوما بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيها من الأنس المحل ∴

وقال ابن أبي عيينة ∴ هل كنت إلا كنجم مثبت ثم عاد إلى أصله اضطرارا ∴
وقال الآخر ∴ لئن حبس العباس عنا رغيفه لما قد تسلا من نعمة الله أكثر ∴
وقال أبو كعب كان رجل يجري على رجل رغيفا في كل يوم فكان إذا أتاه الرغيف يقول
لعنك الله ولعن من بعثك ولعنني إن تركتك حتى أصيب خيرا منك ∴ وقال بشار ∴

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن برأي نصيح أو نصاحة حازم ∴
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي نافع للقوادم ∴
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوما فإن الحزم ليس بنائم ∴
وأدن على القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم ∴
وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم ∴

فإنك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم ∴

وقال آخر ∴ تعرفني منابر من سواها وأعرف عودها إذا اشتد الغبار ∴
متى ما تلق مثلي ذا أثام يؤز كأن رجليه شجار ∴
فلا تعجل عليه فإن فيه منافع حين يبتذل العذار ∴
أنا ابن المضرجي أبي شليل وهل يخفى على الناس النهار ∴
ورثنا صنعه ولكل فحل على أولاده منه نجار ∴

الشجار خشب الهودج

وقال أعشى همدان في خالد بن عتاب بن ورقاء ∴

تمنيني إمارتها تميم وما أمي بأم بني تميم ∴
وكان أبو سليمان خليلي ولكن الشراك من الأديم ∴
أتينا أصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك في نعيم ∴
أتذكرنا ومرة إذ غزونا وأنت على بغيلك ذي الوشوم ∴
ويركب رأسه في كل وحل ويعثر في الطريق المستقيم ∴
وليس عليك إلا طيلسان نصيبي وإلا سحق نيم ∴

وقال آخر ∴ فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الأمير ∴
أمير يأكل الفالوذ سرا ويطعم ضيفه خبز الشعير ∴
أتذكر إذ قباؤك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير ∴
فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير ∴

مرزوق

وقال آخر ∴ دع عنك مرزوقا ولا تطلب إمارته فعيشك راح لما عشت شر شؤور ∴
ما بال برذونك لم تمسس حوافره من ثرى دار ولا صعدا تحبيرو ∴

وقال ابن فنان الجاربي ∴ أقول لما جئت مجلسهم فتح الإله لهم عمائم الخز ∴
لولا قتيبة ما اغتنيتم بها أبدا ولا أنعتت في غمز ∴ عجبا لهذا الخز يلبسه من كان مشتاقا إلى الخبز ∴
من كان يشتو في عباءته متقبضا كتقبض العنز ∴ وقال ثابت قطنة في رجل كان المهلب ولاه بعض
خراسان ∴ ما زال رأيك يا مهلب فاضلا حتى بليت بسراد فلويكيع ∴
وجعلته ربا على أبوابه ووضعت عبدا كان غير رضيع ∴
لو رأى أبوه سراد فأخزمنه لبكى وفاضت عينه بدموع ∴

وقال ابن سيحان مولى المغيرة في بني مطيع العدويين ∴
حرام كنيتي في بيوت وأذكر صاحبي أبدا بذام ∴
لقد حرمت وحاث في مطيع حرام الأمن للرجل الحرام ∴
وحرمهم الذي لم يشتروه ومجلسهم بمعتلج الظلام ∴

ولان جنب الزمان مررت خبلا ... متينا من حبالك في مشام
وريق عودهم أبدا رطيب ... إذا ما اغبر عيدان اللئام

وقال ... لمن جزر يجزر ما سويد ... أيا ما من للجزر المضاجع
كأنك قد سعيت بزمتيهم ... وكنت ثمال أيتام جياع

وقال ... سيجيء من سبج السبع الطباق له ... حتى لمن ثمة الذ هلي بوائب

وأنشدنا الأخير ... بأقب منصلت اللبان كأنه ... سيد تنصل من مجود سعالي

وقال خلف لم أر أجمع من بيت امرئ القيس
أفاد وجاد وساد وزاد وقاد وذاد وعاد وأفضل ... ولا أجمع من قوله
له أيطلا ظبي وساقا نعامة ... وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وقال آخر ... وما الفقر بالفتيان حتى كأنهم ... بأقطار آفاق البلاد نجوم
وإن امرأ لم يفقر العام بيته ... ولم يتعرد لحمه للئيم

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي
وليلة من ليال الدهر صالحة ... باشرت في هولها مرأى ومستمعا
ونكبة لو رمى الرامي بها حجر ... الأصم من جندل الصمان لانصدعا
مرت علي فلم أطرح لها سلبي ... ولا اشتكيت لها وهنا ولا جزعا
وما أزال على أرجاء مهلكة ... يسايل المعشر الأعداء ما صنعا
ولا رميت على خصم بفاقرة ... إلا رميت بخصم فرق جرعا
ما سد من مطلع يخشى الهلاك به ... إلا وجدت بظهر الغيب مطلعا
لا يملأ الهول قلبي قبل وقعته ... ولا يضيق له صدري إذا وقعا

وقال آخر ... لقد طال إعراضي وصفحي عن التي ... أبلغ عنكم والقلوب قلوب
وطال انتظاري عطفة الرحم منكم ... ليرجع ود أو ينيب منيب
فلا تأمنوا مني عليكم شبيهها ... فيرضى بغيض أو يساء حبيب
ويظهر منا في المقال ومنكم ... إذا ما ارتمينا في النضال عيوب

وقال الأشهب بن رميلة
إن الألى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذي يتقى به ... وما خير كف لا تنوء بساعد
أسود شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الأساود
قوله هم ساعد الدهر إنما هو مثل وهذا الذي تسميه الرواة البديع وقد قال الراعي
هم كاهل الدهر الذي يتقى به ... ومنكبه إن كان للدهر منكب

وقد جاء في الحديث موسى الله أحد وساعد الله أشد والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان والراعي كثير البديع في شعره وبشار حسن البديع والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار وقال كعب بن عدي
شد العصاب على البري بمن جنى ... حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الأمور إذا اغتدا ... مستخرج للجاهلين عقولا
وقال زهير بن الحرث
إن عزت والله الذي في فوق عرشه ... منتخب مشنوق الغرادين أزرقا
فإن دواء الجهل أن تضرب الطلى ... وأن يغمس العريض حتى يغرقا

وقال منذور العذري
ومولى كجز من السوء يوقد بيد مسه ... ولا بد إن آذاك أنك فافره
تروي الجوف إن ينزع يسوك مكانه ... وإن يبق تصبح كل يوم تحاذره
يسر لك البغضاء وهو مجاملك ... وما كل من يخفي عليك تساوره
وما كل من مدت ثوبك دونه ... لتستره مما أتى أنت ساتره

وقال الأخر ... أطال الله كيسي في رزين ... وخفني إن شربت لهم بريق
ألا كنت أبلغهم شذاة ... وفيها برنع وصالها بنيتا لبون
فما خلفوا بكيسهم لمداة ... ولا ملجاة بعد فيعجبوني

وقال آخر ... عفا ربنا عليه وأكل مالي ... وعجز عن أناس آخرينا
فهلا غير عمكم ظلمتم ... إذا ما كنتم متظلمينا
فلو كنتم لكيسة أكاست ... وكيس الأم أكيس للبنينا

وقالت رقية بنت عبد المطلب في النبي صلى الله عليه وسلم
أبني إني رأيت حجرا يغدو ... ويكبط حيث ما تغدو
وأخاف أن تلقى عوتهم ... أو أن يصيبك بعض من يغدو

ولما دخل مكة لقيه جواريها يقلن
طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

يضاف إلى باب الخطب والى القول في تلخيص المعاني والخروج من الأمر المشتبه بغيره قول حسان بن ثابت ... إن خالي خطيب جابية الجو ... لان عند النعمان حين يقوم
وهو الصقر عند باب ابن سلمى ... يوم نعمان في الكبول سقيم
وسلمت نفسي الذوائب منهم ... كل دار فيها أب لي عظيم
وأبي في سميحة القائل الفاصل ... يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأي ... من القوم ظالع مكعوم

تلك أفعاله وقال الزبعري خاملا في صديقه من موموم

رب حلم أضاعه عدم المال … وجهل غطا عليه النعيم

ولي الناس منكم إذ أبيتم … إن شر من بني قصي صميم

وقريش تجول منا لواذا … أن يقيموا وخف منها الحلوم

لم يطق حمله العواتق منهم … إنما يحمل اللواء النجوم

لما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب وقف ينظر إلى القبر ثم قال

كنت لنا أنسا ففارقتنا … فالعيش من بعدك مر المذاق

وقربت دابته فركب ووقف على قبره وقال

وقوف على قبر مقيم بقفرة … متاع قليل من حبيب مفارق

ثم قال عليك السلام ثم عطف رأس دابته وقال

فإن صبرت فلم ألفظك من شبع … وإن جزعت فعلق منفس ذهبا

المدائني قال لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال إذا غسلتموه فأعلموني فلما نظر إليه قال

الآن لما كنت أكرم من مشى … وافتر نابك عن شباة القارح

وتكاملت فيك المروءة كلها … وأعنت ذلك بالفعال الصالح

ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال

حسبي ثواب الله من كل ميت … وحسبي بقاء الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله عني راضيا … فإن شفاء النفس فيما هنالك

تمثل معوية في عبد الله بن بديل

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها … وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويدنو إذا ما الموت لم يك دونه … قدى الشبر يحمي الأنف أن يتأخرا

ورأى معوية مرآته وهو متغير فقال

أرى الليالي أسرعت في نقضي … أخذن بعضي وتركن بعضي

حنين طولي وتركن عرضي … أقعدنني من بعد طول النهض

وتمثل عبد الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الأشدق

سكنته ليفعل في نفره … فأصول صولة حازم مستمكن

غضبا ومحمية لنفسي إنه … ليس المسيء سبيله كالمحسن

وسمع معوية رجلا يقول

ومن كريم ماجد سميدع … يوتي فيعطي من بذل ويمنع

فقال هذا منا هذا والله عبد الله بن الزبير. المدائني قال قال معوية إذا لم يكن الهاشمي جوادا لم يشبه قومه وإذا لم يكن المخزومي تياها لم يشبه قومه وإذا لم يكن الأموي حليما لم يشبه قومه فبلغ قوله الحسن بن علي فقال ما أحسن ما نظر لنفسه أراد

أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما في أيديهم وتزهى بنو مخزوم على الناس فتبغض وتشنأ وتحلم بنو أمية فتحب. وقال بشار

أخمس حمايتنا فإنك مدرك … بعض الإبانة باصطناع الصاحب

وإذا جفوت قطعت عنك لبانة … والدر يقطعه جفاء الحالب

تأتي اللئيم وما سعى حاجاته … عدد الحصى ويخيب سعي الدائب

وأنشد: إذا ما أمور الناس رثت وضيعت … وجدت أموري كلما قد رمتها

وقال أعرابي: ترين ويقضي الله عنا وقد نرى … مكان رجال لا يدينون ضيعا

وقال أعرابي: وليس قضاء الدين بالدين راحة … ولكنه نقل هم إلى ثقل

وأنشد أبو عبيدة لعبيد العنبري وهو أحد اللصوص

يا رب عفوك عن ذي توبة وجل … كأنه من حذار النار مجنون

قد كان سلف أعمال مقاربة … أيام ليس له عقل ولا دين

وقال أعرابي: يا رب قد حلف الأقوام واجتهدوا … أيمانهم أنني من ساكني النار

أيحلفون على عمياء ويلهم … جهلا بعفو عظيم العفو غفار

وقال أعرابي وهو محبوس

أسجنا وقيدا واغترابا ووحشة … وذكرى حبيب إن ذا لعظيم

وإن امرأ دامت مواثيق عهده … على كل ما لاقيته لكريم

وقال أعرابي: أيا أم عمرو بيني أنت كلما … توقع حام أو دنا عاكف مسلم

نظرت إليها نظرة ما يسرني … وإن كنت محتاجا بها ألف درهم

وقال الشاعر: وما كثرة الشكوى بأمر حزامة … ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

ومثله: وأنبثت بكرا كل ما في جوانحي … وجرعته من مر ما أتجرع

ولا بد من شكوى إلى ذي حفيظة … إذا جعلت أسرار نفس تطلع

وقال الشاعر: حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه … فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها … حسدا وبغيا إنه لدميم

وقال بزرجمهر ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد. وقال الأحنف بن قيس لا راحة لحسود. وقال الشعبي الحاسد متغص بما في يدي غيره. وقال الله تبارك وتعالى ومن شر حاسد إذا حسد. وقال بعضهم يمدح قوما: محسدون وشر الناس منزلة … من عاش في الناس يوما غير محسود

وقال الشاعر: الرزق يأتي قدرا على مهل … والمرء مطبوع على حب العجل

وقالوا من تمام المعروف تعجيله. ووصف بعض الأعراب أميرا فقال إذا أوعد أخر وإذا وعد عجل وعيده عفو ووعده إنجاز. وقال الله تبارك وتعالى وكان الإنسان عجولا

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وهو يومئذ خليفة، وروى هذا الحديث العتبي عن عتبة بن هارون قال شهدته وقد خرج من عنده، فسألته عما جرى بينهما فقال رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لي يا أبا عثمان أتعرفه؟ فقلت لا فقال هذا ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقلت له قد رضيت له أمرا يصير إليه إذا صار وقد شغلت عنه، فبكى ثم قال عظني يا أبا عثمان فقلت إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها فلو أن هذا الأمر الذي صار إليك بقي في يدي من كان قبلك لم يصل إليك، وتذكر يوما يتمخض بأهله لا ليلة بعده. المدائني قال سمعت أعرابيا يسأل وهو يقول رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامي وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامي فإن البلاد مجدبة والحال سيئة والعقل زاجر ينهى عن كلامكم والفقر عاذر يحملني على إخباركم والدعاء أحد الصدقتين فرحم الله امرأ أمر بمير أو دعا بخير. وقال رجل من طيء

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم ... كراما ولم نأخذ بهم حشف التمر

وقال آخر ... قتلنا بهم ما ليس منا ومو جد ... وأربعة منهم وآخر خامس

وقال آخر ... قتلنا رجالا من تميم أخايرا ... بقوم كرام من رجال أخاير

وسئل بعض العرب ما العقل قال الإصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان. وقال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله

يا قيس عيلان إني قد نصبت لكم ... بالمنجنيق ولما أرسل الحجرا

فوثب المهاجر فأخذ بحقوه، وقال له العتبي يا أبا حزرة لا ترسله. وقال سويد بن صامت

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري

مقالته كالشحم ما دام شاهدا ... وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

تبين لك العينان ما هو كاتم ... من الشر والبغضاء بالنظر الشزر

يسرك باديه وتحت أديمه ... نميمة غش تبتري عقب الظهر

فرشني بخير طالما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبري

وقال حارثة بن بدر لما تحالفت الأزد وربيعة

لا تحسبن مواددي طائر إذا ... أفزعا إذا تحالف ضب النيب والنون

وأنشد ابن الأعرابي ... فإن أنا قصرت في الرجال فإنني ... إذا حل أمر ساحتي لجسيم

نعيم بذات الإغرام والوجه معرض ... ومنبع بأموال التجار زعيم

وأنشد ابن الأعرابي لعمرو بن شاس

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وآخر يهدم

وقال عبيد بن الأبرص ... ساعد بأرض إذا كنت بها ... ولا تقل إني غريب

قد يوصل النازح النائي وقد ... يقطع ذو السهمة القريب

وأنشد الأصمعي لكثير ... رأيت أبا الوليد غداة جمع ... به شيب وما بلغ الشبابا

ولكن تحت ذاك الشيب حزم ... إذا ما ظن أمرض أو أصابا

ويمدحون بإصابة الظن ويذمون بخطائه قال أوس بن حجر

الألمعي الذي يظن لك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

وفي بعض الحكمة من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه. وقال السموأل بن عاديا

إنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

تسيل على حد السيوف نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل

وما مات منا سيد في فراشه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

وقال حسان بن ثابت ... لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم

لو يدب الحولي من ولد الذر ... عليها لأندبتها الكلوم

وقال بشار بن برد ... من فتاة صب الجمال عليها ... في حديث كلذة النشوان

ثم قالت فدتك نفسي من كل ... عيش الدنيا وإن طال فان

وقال مزاحم العقيلي

تزين سنا الماوي كل عشية ... على غفلات الزين والمتجمل

وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها ... صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وقال المسعودي ... إن الكرام مناسبو المجد كلهم ... فناسب

أخلف وأتلف كل شيء زعزعته الريح ذاهب

قال قام شداد بن أوس وقد أمره معوية بتنقص علي فقال الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده، وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضى خلقه على ذلك مضى أولهم وعليه يمضي آخرهم. أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر وإن الدنيا عرض حاضر يأكل فيها البر والفاجر وإن السامع المطيع لله لا حجة عليه وإن السامع العاصي لله لا حجة له وإن الله إذا أراد بالعباد صلاحا عمل عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وملك المال سمحاؤهم وإذا أراد بهم شرا عمل عليهم سفهاؤهم وقضى فيهم جهلاؤهم وملك المال بخلاؤهم وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها ونصح لك يا معوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل قال اجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال قال إن كان من مالك الذي تعهدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا فنعم وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم فأصبته

افتراقنا وانقطعنا بإخوانا فإن الله يقول في كتابه إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
وأذن معوية للأحنف بن قيس وقد وافى معوية محمد بن الأشعث فقدمه عليه فوجد
من ذلك محمد بن الأشعث وأذن له فدخل فجلس بين معوية والأحنف فقال معوية إنا
والله ما أذنا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك وما رأيت أحدا يرفع نفسه فوق قدرها
إلا من ذلة يجدها وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلة وضعة وإنا كما نملك أموركم
نملك تأديبكم فأريدوا منا ما نريده منكم فإنه أبقى لكم وإلا قصرناكم قسرا فكان
أشد عليكم وأعنف بكم ❊ وقال معوية لرجل من أهل سبإ ما كان أجهل قومك
حين ملكوا عليهم امرأة فقال بل قومك أجهل قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الحق وأراهم البينات اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ألا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له
قال ولما سقطت ثنيتا معوية لف وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس فقال لئن ابتليت
لقد ابتلي الصالحون قبلي وإني لأرجو أن أكون منهم ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون
قبلي وما آمن أن أكون منهم ولئن سقط عضوان مني لما بقي أكثر ولو أتى على نفسي لما
كان لي عليه خيار تبارك وتعالى فرحم الله عبدا دعا بالعافية فوالله لئن كان عتب علي
بعض خاصتكم لقد كنت حدبا على عامتكم ❊ ولما بلغت معوية وفاة الحسن بن علي رحمهما
الله دخل عليه ابن عباس فقال له معوية أجرك الله أبا العباس في أبي محمد الحسن بن علي
ولم يظهر حزنا فقال ابن عباس إنا لله وإنا إليه راجعون وغلبه البكاء فرده ثم قال
لا يسد والله مكانه حفرتك ولا يزيد موته في أجلك والله لقد أصبنا بمن هو أعظم
منه فقدا فما ضيعنا الله بعده فقال له معوية كم كانت سنه قال مولده أشهر من أن تتعرف
سنه قال أحسبه ترك أولادا صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر ولئن اختار الله لأبي
محمد ما عنده وقبضه إلى رحمته لقد أبقى الله أبا عبد الله وفي مثله الخلف الصالح ۞
الأصمعي عن أبان بن تغلبة قال مررت بامرأة على الأرض وبين يديها ابن لها يريد
سفرا وهي توصيه فقالت اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك وقليل إجرائه عليك
أنفع من كثير عقلك إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضا
للرماة فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم ومثل لنفسك مثال ما استحسنته
من غيرك فاعمل به وما استقبحته منه فدعه واجتنبه ومن كانت مودته بشره كان
كالريح في تصرفها ثم نظرت فقالت كأنك يا عراقي أعجبت بكلام أهل البدو ثم قالت
لابنها إذا هززت فهز كريما فإن الكريم يهتز لهزتك وإياك واللئيم فإنه صخرة
لا ينفجر ماؤها وإياك والغدر فإنه أقبح ما تعومل به وعليك بالوفاء ففيه النماء

وكن بماله جوادا وبدينه شحيحا ومن أعطي السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ريطتها وسربالها
انهض على اسم الله ❊ وقال أعرابي لرجل مطله في حاجة إن مثل الظفر بالحاجة تعجيل اليأس
منها إذا عسر قضاؤها وإن الطلب وإن قل أعظم قدرا من الحاجة وإن عظمت والمطل
من غير عسر آفة الجود ❊ خطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه
فلما فرغ قام أعرابي منهم فقال توسلت بحرمة وأدليت بحق واستندت إلى خير ودعوت
إلى سنة ففرضك مقبول وما سألت مبذول وحاجتك مقضية إن شاء الله ❊ قال الفضل
لو كان الأعرابي حمد الله في أول كلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحني يومئذ
المدائني قال قال المنذر بن المنذر لما حارب غسان الشام لابنه النعمان يوصيه إياك
واطراح الإخوان واطراف المعرفة وإياك وملاحاة الملوك وممازحة السفيه وعليك
بطول الخلوة والإكثار من السمر واللبس من العيش ما يشاكل نفسك ومروءتك واعلم
أن جماع الخير كله الحياء فعليك به فتواضع في نفسك وانخدع في مالك واعلم أن السكوت
عن الأمر الذي لا يعنيك خير من الكلام فإذا اضطررت إليه فتحر الصدق والإيجاز تسلم إن شاء الله

كلام بعض من عزى بعض الملوك

❊ قال إن الخلق للخالق والشكر
للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن وقد جاء ما لا يرد ولا سبيل إلى رجع ما قد فات وقد
أقام معك ما سيذهب أو ستتركه فما الجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرتجى وما الحيلة
فيما سينتقل عنك أو تنتقل عنه وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب
الأصل فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون الركاب
إلا في غيرها فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير فاعتبر بمن رأيت من أهل
الجزع فإن رأيت الجزع رد أحدا منهم إلى ثقة من درك فما أولاك به واعلم أن أعظم
من المصيبة سوء الخلف منها فاتق فإن المرجع قريب واعلم أنه إنما ابتلاك المنعم وأخذ منك
المعطي وما ترك أكثر فإن نسيت الصبر فلا تنس الشكر وكلا فلا تدع واحذر من الغفلة
استلاب النعم وطول الندامة فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غدا فاستقبل المصيبة
بالحسبة تستخلف بها نعمى فإنما نحن في الدنيا غرض ينتضل فينا بالمنايا ونهب للمصائب
مع كل جرعة شرق ومع كل أكلة غصص لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستقبل معمر
يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله ولا تحدث له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبله من رزقه
ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر ونحن أعوان الحتوف على أنفسنا وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء
فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا إلا أسرعا الكرة في هدم
ما رفعا وتفريق ما جمعا فاطلب الخير من أهله واعلم أن خيرا من الخير معطيه وشرا من الشر
فاعله ❊ وقال أبو نواس ❊ أتتبع الظعن فلا كنت منهم كيما أحدث من أحب فيضحكا

وقال آخر • قدرت فلم أثرب صلاح عشيرتي • وما العفو إلا بعد قدرة قادر •
وقال آخر • أخو الخير إن جد الرجال وشمروا • وذو باطل إن كان في القوم باطل •
قبيصة بن عمر المهلبي أن رجلا أتى ابن أبي عيينة فسأله أن يكتب إلى داود بن يزيد كتابا ففعل وكتب في أسفله • إن امرأ قذفت إليك به في البحر بعض مراكب البحر • تجري الرياح به فتحمله • وتكف أحيانا فلا تجري • ويرى المنية كلما عصفت ريح به للهول والذعر • للمستحق بأن تزوده كتب الأمان له من الفقر • قال عمر بن الخطاب رحمه الله ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يجدها في نفسه • ودخل رجل من بني مخزوم وكان زبيريا على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك أليس قد ردك الله على عقبيك قال أومن رد إليك فقد رد على عقبيه فاستحيى وعلم أنه قد أساء • وقال المخبل

إذا أنت لاقيت الرجال فلاقهم • وعرضك من غث الأمور سليم •

وقال النضر بن خليد • كبر يبلغ الكواكب إلا أنه في مروءة البقال •

وقال خراش بن زهير •

الناس تختلف أقدام وأنت لهم • رأس وكيف يسوى الرأس والقدم •
إنا لنعلم أنا ما بقيت لنا • فينا السماح وفينا الجود والكرم •
وحسبنا من ثناء الناس حين إذا • أثنوا عليك بأن يثنوا بما علموا •

وقال ابن عباس رحمه الله كانت قريش تألف منزل أبي بكر رحمه الله لخصلتين للعلم والطعام فلما أسلم أسلم عامة من كان يجالسه • قال الأصمعي وقف أعرابي يسأل فقال

أما فتى أروع ذا جمال • من عرب الناس أو الموالي • يعينني اليوم على عيالي • قد كثروا حولي وقل مالي • وساقهم جدب وسوء حال • وقد مللت كثرة السؤال •

وقال أعرابي • يا ابن الكريم والدا وولدا • لا تحرمن سائلا تعمدا • أفقره الدهر عليه فعدا • من بعد ما كان قديما سيدا • وقال أعرابي اللهم إني أسألك قلبا توابا أوابا لا كافرا ولا مرتابا • ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال جعل الله للخير عليك دليلا وجعل عندك رفدا جزيلا وأنعامك بقاء طويلا وأبلاك بلاء جميلا • ووقف أعرابي على قوم يدعو فقال اللهم اشغلنا بذكرك وأعذنا من سخطك وأجرنا إلى عفوك بفرض خلقك على خلقك برزقك فلا تشغلنا بما عندهم عن طلب ما عندك وآتنا من الدنيا القنعان وإن كان كثير ما يسخطك فلا خير في ما يسخطك • الأصمعي قال سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول • اللهم اغفر لي إذ الصحف منشورة والتوبة مقبولة قبل ألا أقدر على استغفارك حين ينقطع الأمل ويحضر الأجل ويفنى العمل • وقال سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول اللهم ارزقني مالا أكبت به الأعداء وبنين أصول بهم على الأقوياء • وكان مناد في سعد بن عبادة

يقول على أطمه من أراد خبزا أو لحما فليأت أطم سعد وخلفه قيس بن سعد ابنه وكان يفعل كفعله قال وإذا أكل الناس رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إني لا أصلح على القليل ولا يصلح القليل لي اللهم هب لي حمدا ومجدا فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال • وقال أعرابي اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي وللناس علي حقوقا فاحملها عني وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعل قراي في هذه الليلة الجنة • ووقف أعرابي على قوم يسألهم فأنشأ يقول • هل من فتى عنده خفان يحملني • عليهما إنني شيخ على سفر •
أشكو إلى الله أنواء ألمت بها • من الصداع وإني سيء البصر •
إذا سرى القوم لم أبصر طريقهم • إن لم يكن عندهم ضوء من القمر •

الأخفش قال خرج أعرابي يطلب الصدقة ومعه ابنتان له فقالت ابنته لما رأت إمساك الناس عنه • يا أيها الراكب ذو التغريس • هل فيكم من طارد للبؤس • عزم في مدراج بين التغليس • بفضل سربال له عريس • أو فاضل من زاده خسيس • أثابه الرحمن بالتنفيس • ووقف سائل على الحسن فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة • وقال الطائي •

فتى كلما فاضت عيون قبيلة • دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر •
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة • تقوم مقام النصر إذ فاته النصر •

وقال • بكر إذا ابتسمت أراك وميضها • نور الأقاحي في فلاة ميعاس •
وإذا مشت تركت بصدرك ضعف ما • بحليها من كثرة الوسواس •
قالت وقد جم العراق بكأسه • قد حولك الساقي بها والحاس •
لا تنسين تلك العهود فإنما • سميت إنسانا لأنك ناس •
مدات على تأميل أحمد همتي • وأطال تقليبيه به وقياسي •
نور العرار ونوره ونسيمه • نشر الخزامى في اخضرار الآس •
إقدام عمرو في سماحة حاتم • في حلم أحنف في ذكاء إياس •
لا تنكروا ضربي له من دونه • مثلا شرودا في الندى والباس •
فالله قد ضرب الأقل لنوره • مثلا من المشكاة والنبراس •

هو أحمد بن المأمون

وقال • إخفض وسائل شعر فيك سائرة • منت خواطر البين في الآدون مادة معبا •
يغدون مغتربات في البلاد فما • يزلن يؤنسن في الآفاق مغتربا •
ولا تضعها فما في الأرض أحسن من • نظم القوافي إذا ما صادفت أدبا •

أسير رؤبة في بعض حروب تميم فمنع الكلام فجعل يصرخ يا صباحاه ويلي تميم انطلقوا من لساني وربما قال الشاعر في هجائه قولا يعيب به المهجو فيمتنع من فعله المهجو وإن كان لا يلحق فاعله

ذمّ وكذلك إذا امتدحه بشيء أولع بفعله وإن كان لا يصير إليه بفعله مدح فمن ذلك تقدّم كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث إلى عبد الملك بن عمير وهو على قضاء الكوفة تخاصم أهلها فقضى لها عبد الملك على أهلها فقال هذيل الأشجعي

أتاه وليدٌ بالشهود يقودهم   على ما ادّعى من صامت المال والخول

وجاءت إليه كلثم وكلامها   شفاء من الداء المخامر والخبل

فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّه   وكان وليدٌ ذا مراء وذا جدل

وكان لها دلٌّ وعين كحيلة   فأدلت بحسن الدلّ منها وبالكحل

ففتّنت القبطيّ حتى قضى لها   بغير قضاء الله في السّور الطّول

فلو كان من بالقصر يعلم علمه   لما استعمل القبطيّ فينا على عمل

له حين يقضي للنساء تخاوصٌ   وكان وما فيه التخاوص والحول

إذا ذات دلٍّ كلّمته لحاجة   فهمّ بأن يقضي تنحنح أو سعل

وبرّق عينيه ولاك لسانه   يرى كلّ شيء ما خلا شخصها جلل

قال فقال عبد الملك أخزاه الله لربما جاءتني السعلة أو النحنحة وأنا في المتوضّأ فأذكر قوله فأردّهما لذلك وقد زعم الهيثم بن عديّ عن أشياخه أنّ الشاعر لمّا قال في شهر بن حوشب

لقد باع شهرٌ دينه بخريطة   فمن يأمن القرّاء بعدك يا شهر

ما مسّ خريطة حتى مات وقال رجل من بني تغلب وكان ظريفًا ما لقي أحدٌ من تغلب ما لقينا قلت وكيف ذاك قال قال الشاعر

لا تطلبنّ خؤولةً في تغلب   فالزنج أكرم منهم أخوالا

لو أنّ تغلب جمّعت أحسابها   يوم التفاخر لم تزن مثقالا

تلقاهم حلماء عن أعدائهم   وعلى الصديق تراهم جهّالا

والتغلبيّ إذا تنحنح للقرى   حكّ استه وتمثّل الأمثالا

والله إني لا أتوهّم أو تمسّ استي الأرض إلا فاجى ما حككتها وكان الشاعر أرفع قدرًا من الخطيب وهم إليه أحوج لردّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم فلمّا كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرًا من الشاعر والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوا ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا وهجاهم قوم فردّوا عليهم فأفحموهم وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرّض لهم وسكتوا عن من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الردّ عليهم وهم إسلاميون جرير والفرزدق والأخطل وفي الجاهلية زهير وطرفة والأعشى والنابغة هذا قول أبي عبيدة وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ الشعر فتح بامرئ القيس وختم بذي الرمّة ومن الشعراء من يحكم القريض ولا يحسن من الرجز شيئًا في الجاهلية منهم زهير والنابغة

والأعشى وأمّا من يجمعهما فامرؤ القيس وله شيء من الرجز وطرفة وله كمثل ذلك ولبيد وقد أكثر ومن الإسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو في ذلك يجيد القريض كالفرزدق وجرير ومن يجمعهما فأبو النجم وحميد الأرقط والعماني وبشار بن برد وأقلّ من ذلك من يحكم القصيد والأرجاز والخطب وكان الكميت والبعيث والطرمّاح شعراء خطباء وكان البعيث أخطبهم وقال يونس لئن كان مغلّبًا في الشعر لقد كان غلب في الخطب وإذا قالوا غلب فهو الغالب

وقال الحسين بن مطير الأسدي (للسماحة)

فيا قبر معن كنت أوّل حفرة   من الأرض خطّت للمكارم مضجعا

فلمّا مضى معنٌ مضى الجود والندى   وأصبح عرنين المكارم أجدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته   كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

تعزّ أبا العبّاس عنه ولا يكن   جزاؤك من معن بأن تتضعضعا

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي   له مثل ما سدّى أبوك وما سعى

تمنّى أناس شأوه من ضلالهم   فأضحوا على الأذقان صرعى وظلّعا

وقال مسلم الأنصاري يرثي يزيد بن مزيد

قبرٌ ببرذعة استسرّ ضريحه   خطرًا تقاصر دونه الأخطار

أبقى الزمان على معدٍّ بعده   حزنًا لعمر الدهر ليس يعار

نفضت بك الآمال أحلاس الغنى   واسترجعت نزّاعها الأمصار

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة   أثنى عليها السهل والأوعار

وقال هشام الرقاشي

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة   وفي العتاب حياة بين أقوام

قدّمت قبلي رجالًا لم يكن لهم   في الحقّ أن يلجوا الأبواب قدّامي

لو عدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمهم   قبرًا وأبعدهم من منزل الذام

حتى جعلت إذا ما حاجة عرضت   بباب قصرك أدلوها بأقوام

وقال الأبيرد الرياحي يرثي أخاه

فتى إن هو استغنى تخرّق في الغنى   وإن قلّ مالًا لم يؤد متنه الفقر

وسامى جسيمات الأمور فنالها   على العسر حتى يدرك العسرة اليسر

ترى القوم في العزّاء ينتظرونه   إذا شكّ رأي القوم أو حزب الأمر

فليتك كنت الحيّ في الناس باقيًا   وكنت أنا الميت الذي غيّب القبر

لقد كنت أستعدي الإله إذا اشتكى   من الأجر لي فيه وإن سرّني الأجر

وأجزع أن ينأى به بين ليلة   فكيف ببين صار ميعاده الحشر

قال أبو عبيدة أنشدني رجل من بني عجل

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغله

لقد رحل الحي المقيم وودعوا ... فتى لم يكن يأذى به من ينازله

ولم يك يخشى الجار منه إذا دنا ... أذاة ولا يخشى الحريمة سائله

فتى كان للمعروف يبسط كفه ... إذا قبضت كف البخيل ونائله

قال دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور فقارب في خطوه فقال المنصور لقد كبرت سنك قال في طاعتك قال وإنك لجلد قال على أعدائك قال وأرى فيك بقية قال هي لك. قال كتب عبد الملك بن مروان إلى عمرو بن سعيد الأشدق حين خرج عليه أما بعد فإن رحمتي لك تصرفني عن الغضب عليك لتمكن الخدع منك وخذلان التوفيق إياك نهضت بأسباب ومنتك الأطماع أن تستعيد بها عزا كنت حريا لو اغتررت لك ألا تدفع بها ذلا ومن رحل عنه حسن النظر واستوطنته الآمال في ملك العين تم بعده واستثارت عنه عواقب أمره وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك أنه أسير غفلة وصريع خدع ومغيض ندم والرحم تحمل على الصفح عنك ما لم تحلل بك عواقب جهلك وتزجر عن الإيقاع بك وأنت إن نزعت ففي كنف وستر والسلام. فكتب إليه عمرو أما بعد فإن استدراج النعم إياك أفادك البغي ورائحة القدرة أورثتك الغفلة زجرت عما واقعت مثله وندبت إلى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطلاب ما انتقل سلطان ولا ذل عز وعن قليل تتبين من أسير الغفلة وصريع الخدع والرحم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك ما غيرك أقوم به منك والسلام. قال أبو الحسن كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك أما بعد فإنك كتبت تذكر أن عاملا أخذ مالك بالحمة وتزعم أني من الظالمين وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من أمر صبيا سفيها على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده وإن أظلم مني وأترك لعهد الله لأنت فأنت عمر بن الوليد وأمك صناجة تدخل دور حمص وتطوف في حوانيتها وقد نرى أن لو قد التقت حلقتا البطان لحملتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء فطال ما ركبتم بنات الطريق مع أني قد هممت أن أبعث إليك من يحلق ذلالك فإني أعلم أنها من أعظم المصائب عليك والسلام. قال أبو الحسن كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة كثير التعاهد لولاته فبلغه أن عاملا من عماله قبل هدية فأمر بإشخاصه إليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليتك قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال لئن كنت قبلت ولم تعوض

إنك للئيم ولئن أثبت مهديك لا من مالك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه إنك لجائر خائن ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك وقبلت ما اتهمك عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك إنك لجاهل وما فيمن أتى أمرا لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع خير. عن عمله. قال أبو الحسن عرض أعرابي لعتبة بن أبي سفيان وهو على مكة فقال أيها الخليفة قال لست به ولم تبعد قال يا أخاه قال أسمعت قال شيخ من بني عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخؤولة ويشكو إليك كثرة العيال ووطأة الزمان وشدة فقر وترادف ضر وعندك ما يسعه ويصرف عنه بؤسه قال أستغفر الله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغناك وليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك. وقال أعرابي يعيب قوما هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم وأكثرهم جرما إلى أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء. وقال مجاعة بن مرارة لأبي بكر الصديق رحمه الله إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله وكان المال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور. الأصمعي قال نعت أعرابي رجلا فقال كأن الألسن والقلوب رضت له فما تنعقد إلا على وده ولا تنطق إلا بثنائه. وقال أعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل. أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة والله يسألك عن مقامي غدا فبكى عمر. قال الشاعر

ومن يبق مالا عدة وصيانة ... فلا البخل مبقيه ولا الدهر وافره

ومن يك ذا عود صليب يعده ... ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

وقال أبان بن الوليد لإياس بن معاوية أنا أغنى منك قال إياس بل أنا أغنى منك قال أبان وكيف ولي كذا وكذا وعدد أموالا قال إن كسبك لا يفضل عن مؤونتك وكسبي يفضل عن مؤونتي. وكان يقال حاجب الرجل عامله على عرضه. وقال أبو الحسن رأت امرأة أعرابية غمضت ميتا وترحمت عليه ثم قالت ما أحق من ألبس العافية وأطيلت له النظرة ألا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته والحيلولة بينه وبين نفسه. وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لابنه يزيد تقدم إليك على من تؤخر منه قال كأنك تريد نفسك إن عليه بمكة فوق بيتك قال ابن الزبير إن الله رفع بالإسلام بيوتنا فبيتي ممن رفع قال معاوية صدقت وبيت حاطب بن أبي بلتعة. وقال عاتب أعرابي أباه فقال إن عظيم حقك علي لا يذهب صغير حقي عليك والذي تمت إليه أمت بمثله إليك ولست أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل لك الاعتداء. قال مدح رجل قوما فقال أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة

المنطوية على الملكة وحل عنهم التشويب الذي قطع الناس به مسافة آجالهم فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال • وقال بعض الحكماء التواضع مع السخافة والبخل أحمد عند العلماء من الكبر مع السخاء والأدب فأعظم بحسنة عفت على سيئتين وأفظع بعيب أفسد من صاحبه حسنتين
وقيل لرجل من أناس خلد بن صفوان مات صديق لك فقال رحمة الله عليه لقد كان يملأ العين جمالا والأذن بيانا ولقد كان يرجى فلا يخشى ويغشى ولا يغشي ويعطي ولا يعطى قليلا لدى الشر حضوره سليما للصديق ضميره • وقام أعرابي ليسأل فقال أين الوجوه الصباح والعقول الصحاح والألسن الفصاح والأنساب الصراح والمكارم الرباح والصدور الفساح تعيذني من مقامي هذا • ومدح بعضهم رجلا فقال ما كان أفسح صدره وأبعد ذكره وأعظم قدره وأنفذ أمره وأعلى شرفه وأروح صفقة من عرفه مع سعة الفناء وعظم الإناء وكرم الآباء • وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان والله ما علمتك إلا لكثير المعونة قليل المؤونة فجزاك الله خيرا فقال صعصعة وأنت فجزاك الله أحسن ذلك فإنك ما علمت بالله عليم والله في عينك عظيم • قال أبو الحسن أوصى عبد الملك بن صالح ابنا له فقال أي بني احلم فإن من حلم ساد ومن تفهم ازداد والق أهل الخير فإن لقاءهم عمارة للقلوب ولا تجمح بك مطية اللجاج ومنك من أعتبك والصاحب مناسب والصبر على المكروه يعصم القلب المزاح يورث الضغائن وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف والاقتصاد يثمر القليل والإسراف يبير الكثير ونعم الحظ القناعة وشر ما صحب المرء الحسد وما كل عورة تصاب وربما أبصر العمي رشده وأخطأ البصير قصده والإياس خير من الطلب إلى الناس والعفة مع الحرفة خير من الغنى مع الفجور وارفق في الطلب وأجمل في المكسب فإنه رب طلب قد جر إلى حرب ليس كل طالب بمنجح ولا كل ملح محتاج والمغبون من غبن نصيبه من الله عاتب من رجوت عتباه وفاكه من أمنت بلواه لا تكن مضحاكا من غير عجب ولا مشاء إلى غير أرب ومن نأى عن الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه إنما سعى في مضرته ونفعك وعود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه فإن الخير عادة والشر لجاجة والصدود آية المقت والتعلل آية البخل ومن الفقه كتمان السر ولقاح المعرفة دراسة العلم وطول التجارب زيادة في العقل والقناعة راحة الأبدان والشرف التقوى والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه بالعقل تستخرج الحكمة وبالحلم يستخرج غور العقل ومن شمر في الأمور ركب البحور شر القول ما نقض بعضه بعضا من سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب من أطال النظر بلا إرادة فلا بد أن يدرك الغاية ومن توانى في نفسه ضاع من أسرف في الأمور انتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له واللجاجة تورث الضياع للأمور غب الأدب أحمد من ابتدائه مبادرة

الفهم تورث النسيان سوء الاستماع يعقب العي لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ولا تنصت لمن لا ينمي بحديثه إليك البلاغة في الرجل مجنة قل ما لك إلا الاستئثار وقل عاجز إلا تأخر الإحجام عن الأمر يورث العجز والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ سوء الطعمة يفسد العرض ويخلق الوجه ويمحق الدين الهيبة قرين الحرمان والجسارة قرين الظفر منك من أنصفك وأخوك من عاتبك وشريكك من وفى لك وصديقك من آثرك أعز الافتقار العفوف ابتاع الشهوة يورث الندامة وفوت الفرصة يورث الحسرة جميع أركان الأدب التأني للرفق أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضا لا تساعد النساء فيملنك واستبق من نفسك بقية فإنهن أن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يطلعن منك على انكسار لا تملك المرأة في الشفاعة لغيرها فيميل من شفعت له عليك معها أي بني إني قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق إلى الله في تأديبك فلا تغفلن الأخذ بأحسنها والعمل بها والله موفقك • قال العتبي احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يكيد بنفسه فقال
جزاء لا أبا لك إن شيئا تولى ليس يرجعه الحنين
وقال بعض الشعراء
وما إن قتلناهم بأكثر منهم ولكن بأوفى بالطعان وأكرما
وقال عبد الملك بن الأنصاري قال كان يقال إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك • وقال مصعب بن الزبير صالح لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنما سعى في مضرته ونفعك • وقال عمر بن الخطاب رحمه الله إياك ومواخاة الأحمق فإنه ربما أراد أن ينفعك فضرك • التواضع أحد مصايد الشرف • وكانوا يقولون عشر في عشرة هي فيهم أقبح منها في غيرهم الضيق في الملوك والغدر في ذوي الأحساب والحاجة في العلماء والكذب في القضاة والغضب في ذوي الألباب والسفاهة في الكهول والمرض في الأطباء والاستهزاء في أهل البؤس والفخر في أهل الفاقة والشح في الأغنياء • ووصف بعض الأعراب فرسا فقال قد انتهى ضموره وذبل جريره وظهر حصيره وتعلقت غروره واشرأبت شاكلته يقبل بزبرة الأسد ويدبر بعجز الذئب • ومات ابن لسليمان بن علي فجزع عليه جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك فدخل عليه يحيى بن منصور فقال عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أعرف بسنته ولست ممن يعلم من جهل ولا يقوم من عوج ولكني أعزيك ببيت من شعر قال هاته قال
وهون ما ألقى من الوجد أنني أساكنه في داره اليوم أو غدا
قال أعد فأعاد فقال يا غلام الغداء • قال دعا أعرابي في طريق مكة فقال مثل من عائد يفضل أو مواس من كعاب فلا منسك عنه فقال اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع • قال أبو الحسن جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس حين مات أبو جعفر فقال

مذ ظهرت في بيتي ما بنت طبق ؛ فقال له يونس ما هذا فقال ؛
بذر قوم وما خبره ما أضخم العنق ؛ فقال يونس وما هذا فقال ؛
موت الإمام فلقة من الفلق ؛ قال أبو الحسن أراد رجل أن يكتري بغلا فقال
له يوما يا بلال ما بين فرسك قال عظم قال فكيف جريه قال يحضر ما استطاع قال فأين
يزل قال موضعا أضع رجلي فيه فقال له الرجل لا تعتنت أبدا ؛ قال ودخل رجل على
شريح القاضي يخاصم امرأة له فقال السلام عليكم قال وعليكم قال إني رجل من أهل الشام
قال بعيد سحيق قال وإني قدمت إلى بلدكم هذا قال خير مقدم قال وإني تزوجت امرأة
قال بالرفاء والبنين قال وإنها ولدت غلاما قال ليهنئك الفارس قال وقد كنت شرطت
لها صداقها قال الشرط أملك قال وقد أردت الخروج بها إلى بلدي قال الرجل أحق بأهله
قال فاقض بيننا قال قد فعلت ؛ قال وخرج الحجاج ذات يوم فأصحر وحضر غداؤه
فقال اطلبوا من يتغدى معي فطلبوا فإذا أعرابي في شملة فأتي به فقال السلام عليكم قال
هلم أيها الأعرابي قال قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته قال ومن هو قال دعاني الله
ربي إلى الصوم وأنا صائم قال وصوم في مثل هذا اليوم الحار قال صمت ليوم هو أحر منه
قال فأفطر اليوم وصم غدا قال ويضمن لي الأمير أني أعيش إلى غد قال ليس ذلك إليه
قال فكيف تسألني عاجلا بآجل ليس إليه قال إنه طعام طيب قال ما طيبه خبازك ولا طباخك
قال فمن طيبه قال العافية قال الحجاج تالله إن رأيت كاليوم أخرجوه ؛ قال أبو عمرو
خرج صعصعة بن صوحان عامدا إلى مكة فلقيه رجل فقال له يا عبد الله كيف تركت
الأرض قال عريضة أريضة قال إنما عنيت السماء قال فوق البشر ومدى البصر قال سبحان الله
إنما أردت السحاب قال تحت الخضراء وفوق الغبراء قال إنما أعني المطر قال قد عفى الأثر
وملأ القتر وبل الوبر ومطرنا أخيا المطر قال إنسي أنت أم جني قال بل إنسي من
أمة رجل مهدي صلى الله عليه وسلم ؛ قال بشار ؛

وحمد كبرد العصب حملت صاحبي إلى ملك للصالحات قرين ؛

وقال أيضا ؛ وبكر كنوار الرياض حديثها تروق بوجه واضح وقوام ؛

وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أنه لم يصب
أرضنا وابل منذ كتبت أخبره عن سقيا الله إيانا إلا ما بل وجه الأرض من الطش والرش
والرذاذ حتى دقعت الأرض واقشعرت واغبرت وثارت في نواحيها أعاصير تذرو
دقاق الأرض من ترابها وأمسك الفلاحون بأيديهم من شدة الأرض واغبرارها
وامتناعها وأرضنا أرض سريع تغيرها وشيك تنكرها سيء ظن أهلها عند قحوط المطر
حتى أرسل الله بالقبول يوم الجمعة فأثارت زبرجا متقطعا متمصرا ثم أعقبته الشمال

يوم السبت فمخطت عنه جهامه وألفت متقطعه وجمعت متمصره حتى انتصر فاستوى
وطفا وطما وكان جونا مرثعنا قريبا رواعده واغتدت عوائده بوابل منهمل منسجل يردف
بعضه بعضا كلما أردف شؤبوب أردفته شآبيب لشدة وقعه في العراص وكتبت إلى
أمير المؤمنين وهي ترمي بمثل قطع القطن قد ملأ اليباب وسد الشعاب وسقي منها كل
ساق فالحمد لله الذي أنزل غيثه ونشر رحمته من بعد ما قنطوا وهو الولي الحميد والسلام

وهذا أبقاك الله آخر ما انتهى من كتاب البيان والتبيين ونرجو أن نكون
غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته وأردناه من تأليفه فإن وقع على الحال
التي أردناها وبالمنزلة التي أملنا فذلك بتوفيق الله وحسن تدبيره ؛ وإن
وقع بخلافها فما قصرنا في الاجتهاد ولكن حرمنا التوفيق ؛

تم الكتاب والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ؛
وذلك عشي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلثين وخمسمائة ؛

في آخر السفر الذي نسخت منه الثلث الثالث من هذا الكتاب ؛ كتب هذا السفر
وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيين من نسخة أبي جعفر البغدادي وهي
النسخة الكاملة فتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين
وثلثمائة

أكملت جميع هذا الديوان بالقراءة والمقابلة على الفقيه الأجل الأستاذ
الأفضل الأكمل أبي ذر بن محمد بن مسعود الخشني أعزه الله وأكرمه وهو
يمسك علي كتابه وهو الأصل الذي كتب من نسخة أبي جعفر البغدادي
فصح بحمد الله وتوفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما
وذلك بسبتة حرسها الله غرة ذي الحجة من سنة سبع وخمسين وخمسمائة

قال الخليل بن أحمد ؛
يغفل هذا الناس من آية يرى فيها فعاله ؛ فإنه الخالق الله أصفاه وصقاله ؛
فهو يعطي كل ذي ناظر فيه مثاله ؛

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

هذه خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها الراء

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان
ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا
فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه
ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه
مثقال حبة وهو السميع العليم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا مثيل له إلها تقدست أسماؤه وعظمت
آلاؤه علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول
ولا الأفهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون
وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصدق طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصته
وصفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق فبلغ مألكته ونصح للأمة وجاهد في سبيله
لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى أتاه اليقين
فصلى الله عليه وعلى آل محمد أفضل وأزكى وأتم وأنمى وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه
وخالصة ملائكته وأضعاف ذلك إنه حميد مجيد أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل
بطاعته والمجانبة لمعصيته وأحضكم على ما يدنيكم منه ويزلفكم لديه فإن تقوى الله أفضل زاد وأحسن
عاقبة في معاد ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفواتن لذاتها وشهوات آمالها فإنها متاع
قليل ومدة إلى حين وكل شيء منها يزول فكم عاينتم من أعاجيبها وكم نصبت لكم من حبائلها وأهلكت
ممن جنح إليها واعتمد عليها أذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع
وأوثقوا الأبواب وكاثفوا الحجاب وأعدوا الجياد وملكوا البلاد واستخدموا التلاد قبضتهم بمخلبها
وطحنتهم بكلكلها وعضتهم بأنيابها وعاضتهم من السعة ضيقا ومن العزة ذلا ومن الحياة فناء فسكنوا
اللحود وأكلهم الدود وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم ولا تجد إلا معالمهم ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع
لهم نبسا فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون جعلنا الله
وإياكم ممن ينتفع بمواعظه ويعمل لحظه وسعادته وممن يستمع القول فيتبع أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب إن أحسن قصص المؤمنين وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله الزكية آياته
الواضحة بيناته فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون أعوذ بالله القوي من الشيطان
الغوي إن الله هو السميع العليم بسم الله الفتاح المنان قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم وبالآيات والوحي المبين وأعاذنا وإياكم
من العذاب الأليم وأدخلنا وإياكم جنات النعيم أقول ما به أعظكم وأستعتب الله لي ولكم